



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الكتاب والسنة

آراء الإمام ابن قتيبة في التفسير من سورة الحج إلى نهاية سورة الناس جمعاً ودراسة

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في قسم الكتاب والسنة

إعداد الطالب

عبد الماجد بن محمد ولي بن محمد علي إبراهيم

الرقم الجامعي: 42570023

إشراف: الأستاذ الدكتور

أمين بن محمد عطية باشا

الأستاذ بقسم الكتاب والسنة

العام الجامعي: 1429 - 1430هـ



ملخص رسالة الدكتوراة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:
فهذا ملخص عن رسالتي للدكتوراة ، والتي بعنوان: أقوال الإمام ابن قتيبة في التفسير - من أول سورة الحج إلى نهاية القرآن الكريم - جمعا ودراسة.
ولقد تكون البحث من مقدمة وقسمين وخاتمة.

المقدمة: فيها بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره والخطوة ومنهج كتابته.
القسم الأول: واشتمل على فصلين: الأول: عن عصر الإمام ابن قتيبة وفيه دراسة للأحوال السياسية والاجتماعية والعلمية في تلك الحقبة الزمنية التي عاش فيها الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - .
والفصل الثاني: اشتمل على دراسة عن حياة الإمام ابن قتيبة الشخصية والعلمية ، تطرقت فيها لطلبه للعلم، وشيوخه، وتلاميذه، وآثاره ومكانته العلمية، وغير ذلك.

والقسم الثاني: هو صلب الرسالة؛ دراسة أقوال الإمام بن قتيبة في التفسير ، فأضع عنواناً للمسألة، ثم أذكر الآية كاملة أو موضع الشاهد منها، وبعدها أذكر نص كلام ابن قتيبة رحمه الله، ثم أقوم بدراسة المسألة بذكر الموافقين لابن قتيبة ثم المخالفين ، وذكر أدلة كل قول إن وجد ، ثم ذكر القول الراجح في بيان المعنى على ضوء الدراسة التي تمت للأدلة ، حسب أقوى الأدلة وأوجه الاستدلال منها.

وقد أبان البحث عن طول باع ابن قتيبة - رحمه الله - في فن التفسير وتبحره وسعة اطلاعه فيه، وتبين من خلال البحث صفاء عقيدته ، واتباعه لمعتقد أهل السنة والجماعة ، وعنايته باللغة العربية وتضلعه فيها، وظهور أثر ذلك في تفسيره للقرآن الكريم.

والخاتمة ذكرت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، وعقبته بفهارس فنية كاشفة عن مضامين الرسالة.

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً

الباحث:

عبد الماجد بن محمد ولي إبراهيم

Summary of Doctorate Research

Praise be to God alone, and prayer and peace be upon the Prophet.

This is the summary of my doctorate research which entitled by "**Sayings Of Al-Imam Ibn Qotaiba In Explanation From The Beginning of Surat Al-Hajj Up To The End Of The Holy Quran**", collecting and studying.

The research contains an introduction, two sections and the conclusion.

Introduction: Includes the statement of the importance of the subject, the reasons why it is selected, the plan, and the methodology of writing.

First Section: Consists of two chapters: The first one about the era of Al-Imam Ibn Qotaiba; in it the study of political, sociable and scientific statement in that era which he lived during. The second consists of the study of the life of Al-Iman Ibn Qotiaba in which I showed his interest to study and his teachers and students beside his effects and his scientific position and other things.

Second Section: It is the main body of the research; the study of his sayings in explanation. I put a title for the issue, then mention the complete verse "Ayah" and the position of witness, then mention Ibn Qotaiba speech, then study the issue by mentioning the agrees and disagrees beside the evidence of each speech if found, then show the most probable speech to explain the meaning according to the study by the strongest evidence and the position of witnesses from it.

The research shows the long hand of Ibn Qotaiba (God bless his soul) in his technique of explanation and his wide knowledge. From the research showed that his strong believe and his followers to Sunnah, his care of the Arabic Language and its Grammar, and the effects of that in his explanation to the Holy Quran.

The Conclusion: I mentioned the most important results I found during the research; and followed by technical indexes showing the contents of the research.

Praise be to God.

Researcher

Abdul-Majed Bin Mohammed Wali Ibrahim

إِضَاءَةٌ

إِلَهِي خَالِقَ الْأَكْوَانِ	#	إِلَهِي سَامِعَ النُّجُومِ
ذَلِيلَ الطَّرْفِ وَالْعَيْنَانِ	#	بَبَابِكَ جِئْتُ يَا رَبِّي
مَدَى الْأَوْقَاتِ وَالْأَزْمَانِ	#	نَدَائِي سَوْفَ أَبْعَثُهُ
وَتَشْتَاقُ لَهُ الْأَذْنَانِ	#	قَوِيًّا يَمَلَأُ الدُّنْيَا
تَبَارَكَ رَبِّي الرَّحْمَانِ	#	تَبَارَكَ رَبِّي الْعَالِي
بِغَيْرِ مَحَبَّةِ الْقُرْآنِ	#	يَمِينِ اللَّهِ لَا أَرْضِي
يُفْسِرُهَا أُولُو الْأَذْهَانِ	#	بِآيَاتِهِ تَتْلَى
وَفَزَتَ بِجَنَّةِ الرِّضْوَانِ	#	هَنْبِيئًا نَلْتَمَسُ مَا تَرْجُو

عبدالمجيد بن محمد ولي

ملحوظة: خذ الحرف الأول من كل بيت تجد عبارة مفيدة.



المقدمة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن سار على سنته إلى يوم الدين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة

آل عمران: 102].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا

رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة

النساء: 1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة

ذُنُوبِكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: 70-71].

[71].

أما بعد:

فإن الله تعالى خلق الخلق ليعبد وحده، وليعبد بما شـرع، وأقام الدلائل

على ذلك بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وكان آخر الكتب: القرآن العظيم

الكريم المجيد، أنزله الله تعالى ﴿بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا

عَلَيْهِ ﴿سورة المائدة: 48﴾ ، وأنزله ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة النحل : 89] ، وجعله الله عز وجل نوراً مبيناً، وذكرًا حكيمًا، وهدى وبشرى للمسلمين، وذكرى ورحمة للمؤمنين، وهدى وموعظة للمتقين، وبرهاناً وشفاءً لما في الصدور، ومباركاً⁽¹⁾.

وإن أفضل ما يشتغل به الباحثون، ويتسابق فيه المتسابقون؛ مدارس كتاب الله ﷺ ، وإذا كان كل علم يشرف بموضوعه؛ فإن التفسير هو أفضل علم، إذ هو العلم الخاص بكتاب الله ﷺ⁽²⁾ « الذي يعتبر هو مصدر الهدى والشفاء للناس عامة وللمؤمنين خاصة ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس: 57]، وهو الكتاب الجامع لأصول الدين وفروعه، نصاً أو استنباطاً، عقيدة وشريعة ونظام حياة أودع الله فيه من كنوز المعرفة وأصول العدل ومناهج الخير ما يسعد الإنسانية، ويفتح أمامها آفاقاً رحبة في عمارة الكون، والتعارف والتعامل في ظل دستور قرآني خالد⁽³⁾ « فالقرآن الكريم قد حظي بما لم يحظ به أو يقرب منه -غيره من الكتب قديماً وحديثاً، بل واستقبلاً: حفظاً للفظه، ومدارسة لنصه، ولا عجب في ذلك؛ فهو كلام الله الحق، وحديثه الصادق، الذي تكفل بحفظه، بقوله ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر: 9] ، تلقاه الرسول ﷺ وحيًا من ربه فبلغه، وبينه، كما قال سبحانه ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [سورة العنكبوت: 18]، وقال جل وعلا : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل : 44]

(1) دراسات في التفسير الموضوعي، د. زاهر بن عواض الألمي، ص(5) بتصرف.

(2) تفسير سورة الروم، د. محمود بسيوني فودة، ص(3) بتصرف.

(3) دراسات في التفسير الموضوعي، د. زاهر بن عواض الألمي، ص(5) بتصرف.

«⁽¹⁾، وقد أخذ الصحابة رضوان الله عليهم القرآن الكريم ومعانيه عن رسول الله ﷺ ، وقد كانوا أعلم الناس بكتاب الله ﷻ ، وعن الصحابة أخذ التابعون التفسير، وعن التابعين أخذ أتباعهم، وهكذا استمر الاهتمام بعلم القرآن الكريم وتفسيره، حتى أضحت المكتبة التفسيرية من أوسع المكتبات، وأكثرها إنتاجاً وأعمقها فكراً

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

لا يخفي على طالب علم فضلا عن عالم أهمية جمع أقوال العلماء، وحصر أرائهم في تفسير كتاب الله، وتزداد أهمية هذا الأمر إذا كان العالم ممن له عناية بالغة بكتاب الله تعالى، مع علو كعبه في هذا الفن، ثم تزداد الأهمية إذا كان كلام ذلك العالم مفرقا في بطون كتبه، ما يجعل في الوصول إلى كلامه في الآية ومعرفة رأيه فيها نوع تعسر وصعوبة. وهذه الأمور سائرها في الإمام ابن قتيبة، فهو عالم جهيد رأس ليس في فن واحد، بل في فنون متعددة، وعلوم متباينة، مع عنايته بالأصلين الأصيلين، والوحين الشريفين - كتاب الله عز وجل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم - ولا أدل على هذا من تصنيفه في مشكل القرآن وغريبة وهكذا في السنة المطهرة، فله فيها عدة مصنفات، فهو من الأئمة الذين يستحقون دراسة أقاويلهم، واستخراج ما تضمنته من علم غزير، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وابن قتيبة هو من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة، وله في ذلك مصنفات متعددة. قال فيه صاحب كتاب (التحديث بمناقب أهل الحديث): وهو أحد أعلام الأئمة والعلماء والفضلاء، أجودهم تصنيفا، وأحسنهم ترصيفا، له زهاء ثلاثمائة مصنف، وكان يميل إلى مذهب أحمد وإسحاق، وكان معاصرا لإبراهيم الحربي ومحمد بن نصر المروزي، وكان أهل المغرب يعظمونه،

(1) أسباب اختلاف المفسرين، د. محمد بن عبدالرحمن الشايع، ص(5) بتصرف.

ويقولون: من استجاز الوقعة في ابن قتيبة يتهم بالزن دقة، ويقولون: كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه، فلا خير فيه، قلت: ويقال: هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة، فإنه خطيب السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة⁽¹⁾.
وكلامه رحمه الله تعالى متفرق في بطون كتبه، فمن المعلوم أن ابن قتيبة رحمه الله تعالى لم يصنف في التفسير مصنفا مستقلا، فهذه الأمور متضافرة تؤكد الحاجة إلى جمع كلامه في التفسير وترتيبه.
وفي هذا العمل المبارك - إن شاء الله تعالى - إثراء للمكتبة الإسلامية، وبالأخص علم التفسير.

وفي دراسة أقوال العلماء وقوف على الجهد الذي بذلوه، والمشقة التي ركبوها في سبيل تأويل القرآن الكريم، الأمر الذي يحفز الهمم ويجدوها إلى خدمة كتاب الله تعالى، ومحاولة الإقتداء بالأسلاف الكرام والجري معهم في هذا المضمار.
كما أن في دراسة أقوال العلماء وفحص مذاهبهم إطلاع على القواعد التي فسروا بها كتاب الله تعالى، والمنهج الذي ساروا عليه في تأويل الكتاب العزيز، وكيفية تعاملهم مع الأقاويل التي قيلت في التفسير.

ولأن دراسة أقوال الإمام ابن قتيبة في التفسير لم يتعرض لها أحد من قبل، إلا أنه عن طريق هذا القسم الموقر - قسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى - قام الأخ الفاضل / علي بن جريد العنزي بالبدء في مشروع دراسة أقوال ابن قتيبة من أول القرآن إلى نهاية سورة الأنبياء... ومن الله تعالى وتفضل بكرمه عليّ فقدمت رسالتي هذه بعنوان (أقوال الإمام ابن قتيبة في التفسير من سورة الحج إلى نهاية سورة الناس - جمعاً ودراسة) والتي سأتناول فيها المسائل المتعلقة بالتفسير فقط من أقوال الإمام ابن قتيبة رحمه الله تعالى.

(1) دراسات في التفسير الموضوعي، د. زاهر بن عواض الألمي، ص(5) بتصرف.

خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة وقسمين وخاتمة وفهارس

المقدمة:

وفيهما بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره والخطة ومنهج كتابته

القسم الأول:

عصر الإمام ابن قتيبة وحياته، وفيه فصلان:

الفصل الأول: عصر ابن قتيبة بإيجاز، ومدى تأثيره به. وفيه مباحث:

المبحث الأول: الحالة السياسية.

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية.

المبحث الثالث: الحالة العلمية.

الفصل الثاني: حياة ابن قتيبة الشخصية والعلمية باختصار. وفيه مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه

المبحث الثاني: مولده ونشأته.

المبحث الثالث: طلبه للعلم ورحلاته فيه.

المبحث الرابع: شيوخه.

المبحث الخامس: تلاميذه .

المبحث السادس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المبحث السابع: آثاره العلمية ومؤلفاته.

المبحث الثامن: عقيدته.

المبحث التاسع: وفاته.

القسم الثاني:

دراسة أقوال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - في التفسير

من أول سورة الحج إلى نهاية القرآن الكريم

وطريقتي في دراسة المسائل على النحو الآتي:

ك- ترتيب الآيات مواضع الدراسة حسب ورودها في المصحف

ك- أضع عنواناً مختصراً لكل مسألة يدل على مضمونها

ك- أذكر نص الآية القرآنية التي فسرها ابن قتيبة كاملاً، وربما أكتفي في بعض

الأحيان بموضع الشاهد منها

ك- ذكر نص عبارة ابن قتيبة في المسألة

ك- ذكر الموافقين له، مرتين حسب الوفاة

ك- ذكر المخالفين له، مرتين كذلك

لـ- الدراسة والتعقيب في نهاية المسألة؛ بدراسة حجج كل قول - إن وجد- ،
مستنيراً بأقوال أهل العلم، مع بيان الراجح حسب قواعد الترجيح وضوابطه
المعتبرة عند العلماء
8- أوسع دائرة اطلاعي على أقوال المفسرين، فرمما أطلع في المسألة الواحدة
على ما يقارب ثلاثين تفسيراً.

ل- جعلت عزو الآيات بجوار الآية مباشرة فيجاً للحواشي.

كـ- سلامة لها من الخطأ؛ نُقلت الآيات بخط المصحف والحمد لله ، عن طريق
برنامج مصحف المدينة النبوية، من إنتاج مجمع الملك فهد لطباعة المصحف
الشريف.

كـ- ترد في أثناء الكلام كلمة أو مقطع صغير من آية، فيكتفى بكتابته بالرسم

الإملائي دون رسم المصحف ويوضع بين قوسين مكررين ((...))، ويكون من
الآية محور الدراسة، أو يكون سبق قريباً ذكر الآية كاملة معزوة

كـ- الترتيب الزمني للوفيات في ذكر العلماء أو وفياهم في صلب الرسالة
وهوامشها، ولم أخالف ذلك إلا لأمر يقتضيه المقام، كأن يكون النص المنقول
متأخر ونحوه.

كـ- قد أحتاج أحياناً إلى إدخال بعض كلامي أثناء نصٍ منقول بلفظه لأحد العلماء
لإيضاح غامض ونحوه، فأميزه بوضعه معترضاً ومحصوراً بين معقوفتين [...]،
وإذا حذف شيئاً من النص المنقول وضعت مكانه نقطاً هكذا. . .

كك- عند الإحالة إلى صفحة النص المنقول، فإن الإحالة تكون للصفحة التي فيها

بدايته، وإن كان هذا النص من صفحات عدة

كك- ضبطت بالشكل ما يحتاج إلى ضبط مما تُشكِّلُ قراءته ويلتبس نُطقه

كك- وضعت في نهاية كل موضع شكلاً من أشكال الزخرفة الإسلامية، للدلالة

على نهاية الكلام في ذلك الموضع

كك- توثيق المادة العلمية على النحو الآتي

أ- عزو الآيات القرآنية

ب- عزو القراءات القرآنية إلى مصادرها الأصلية، مع بيان المتواتر منها والشاذ

ج- تخريج الأحاديث النبوية

د- توثيق الأقوال المنقولة عن العلماء

هـ- عزو الآيات الشعرية إلى قائلها، وتوثيقها من مصادرها

و- شرح غريب الألفاظ والمصطلحات

ز- التعريف بالأعلام

ح- التعريف بالفرق والمذاهب والأماكن والبلدان

الخاتمة:

وفيها بيان أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة

الفهارس:

فهارس متنوعة فنية كاشفة عن مضامين البحث

وبعد ... أشكر الله عز وجل وأحمده، فقد احتاج هذا العمل لكي يتم إلى عافية، وتوفيق وتسديد، وتيسير، وكل ذلك قد من الله تباركوتعالى به، فله وحده - لا شريك له- الحمد كله والثناء كله، أن خلقتني ورزقني، ورباني بنعمه العظيمة، وآلائه الجسيمة، وله الحمد أن هداني ومن عليّ بالانتساب إلى هذا الدين، ثم له الحمد أن وفقني وهداني لأكون ممن يسعون في علوم شريعته بسبب، ثم له الحمد على التيسير والتسديد، وتذليل الصعوبات، وحفظ الوقت، فلولا كل ذلك لما تم شيء، فلربنا الحمد على ذلك كله، له الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، له الحمد حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، قال تعالى : ﴿ وَمَا يَكُومَنَّ نِعْمَةَ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [سورة النحل: ٥٣]، وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [سورة إبراهيم: ٧].

والشكر والامتنان إلى الوالدين الكريمين، اللذين أعاناني وسعيا في تعليمي وبذلا جهدهما في ذلك بالدعاء الخالص، فرحمهما الله رحمة واسعة، وجزاهما عني أحسن الجزاء وأوفره، ورفع درجاتهما في عليين، ﴿ رَبِّ اَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴾ [سورة الإسراء: ٢٤].

وكذا الشكر لكل من الزوجة والأولاد على مراعاة الانشغال والتنازل عن كثير من الحقوق، بل والمساعدة كلما دعت الحاجة وللإخوان وعلى رأسهم أخي الأكبر أبي غازي فقد كان في قلم الوالد بالنسبة لي؛ أقدم شكري ودعائي، ولبقية الأهل والأصدقاء الذين انشغلت عنهم مدة من الزمن.

والشكر لأحباب ومشايخ كانت منهم المشورة والسؤال والمتابعة والمساعدة

والشكر ثم الشكر لجامعة أم القرى، ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين، وأخص عميدها الفاضل، ووكلاءه، ومشايعي الأفاضل الذين حملت عنهم علم الشرع المطهر في قسم الكتاب والسنة، فجزى الله تعالى الجميع خيراً الجزاء وجعل ذلك في موازين حسناتهم.

والشكر العظيم لفضيلة شيخني الأستاذ الدكتور: أمين بن محمد عطية باشا، الأستاذ بقسم الكتاب والسنة الذي وافق مشكوراً أن يتلى الإشراف على رسالتي، ورعاية هذا الموضوع، أشكره شكراً جزيلاً، فلقد كنت أَرْضَى منه بالقليل، غير أنه لنبله، وكريم أصله، وطيب معدنه، أبي إلا أن يعطيني فيوفِّي، فلطالما قرأ فأبجز، وعلق فأبلغ، ولطالما شحذ منِّي المهمة، وقوى العزيمة، إذا رأهما تفتران، وكم أعطاني من خلاصة فكره، وثمين وقته، وقدمني على رأس مهامه، وكم أتعب نفسه، وأضنى نظره، وهو يقرأ ويصوّب، رحمةً بي وشفقةً عليّ، فله منِّي موفور التقدير، وأبلغ الشكر والثناء، رب اغفر له واحفظه، وبارك له في علمه وأهله وماله، واجزه عني خيراً ما تجزي به عبادك الصالحين

ولمّا كان عمل البشر عرضةً للخلل والتقصير، لانفراد المولى سبحانه بالكمال المطلق ومُتقن التدبير، كان هذا الموضوع لا يخرج عن هذا الأصل بحال، وقد أردت - عَلم الله - التدقيق ما استطعت، والتمحيص ما قدرت، والعلم أمانة من تحملها فقد تحمّل إداً وتحمّش بُهراً، فإن كنت قد أصبت؛ فبتوفيق الله وحده أصبت، والله المنّة والفضل من قبل ومن بعد...، وإن كان سهمي قد طاش، فكم من فتىّ حام وما ورد، وأمل وما بلغ، ولكن قد يشفع لي اجتهادي، وأستغفر الله تعالى أن أقول في القرآن برأبي، أو أركن إلى ما تقاصر من فهمي، ورحم الله العلماء البقيا والأئمة المفسرين، فللفضل كل الفضل للمتقدّم، وجعلنا الله تعالى ممن يرعى لهم حرمتهم،

ويعرف فضلهم وسابقتهم، وكلُّ يؤخذ من قوله ويُردَّ إلاَّ محمد صلى الله عليه وسلم،
والكمال لله وحده

ولا أقول إلا كما قال الأول

ينادى عليه لكاسد السوق أجملاً	أخي أيها المجتاز نظمي ببابه
بالإغضاء والحسن وإن كان هلهلاً	وظنَّ به خيراً أو سامح نسيجه
والاخرى اجتهاداً رام صوباً فأمحلاً	وسلم لإحدى الحسينين إصابةً
من الحلم وليصلحه من جاد مِقولا ⁽¹⁾	وإن كان خرقاً فادركه بفضلة

وفي الختام؛ أسألك سبحانه وتعالى أن يحتسب لي هذا العمل عنده، وأن يحقق
نسبتي لأهل القرآن العظيم الذين هم أهله وخاصته، وأن يجعله من الثلاث التي تنفع
ابن آدم بعد موته، واسأله سبحانه وهو القريب المحيب أن يجمعنا مع من أحببنا في
مستقر رحمته، وأن يغفر لإمامنا ابن قتيبة، إنه ولي ذلك والقادر عليه، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ
لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ
رَحِيمٌ﴾ [سورة الحشر: ١٠]، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته
أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(1) قالها الإمام الشاطبي في مقدمة متن الشاطبية (حرز الأمانى ووجه التهاني) ص(7).

القسم الأول

عصر الإمام ابن قتيبة – رحمه الله –
وحياته الشخصية والعلمية

وفيه فصلان:

الفصل الأول: عصر الإمام ابن قتيبة بإيجاز، ومدى تأثيره به.
الفصل الثاني: حياة ابن قتيبة الشخصية والعلمية باختصار.

الفصل الأول:

**عصر الإمام ابن قتيبة بإيجاز، ومدى تأثيره به،
وفيه مباحث:**

المبحث الأول: الحالة السياسية.

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية.

المبحث الثالث: الحالة العلمية.

الفصل الأول:

عصر الإمام ابن قتيبة بإيجاز، ومدى تأثيره به.

المبحث الأول: الحالة السياسية:

الإنسان ابن بيئته، تؤثر فيه الأحداث التي تمر به وبمجتمعه سلباً وإيجاباً، ومن أشد ما يؤثر في بناء علمية المرء وتكوين عقليته الحالة الس ياسية التي تعيشها بلاده، وتقلبها في خوف وأمن، واجتماع وفرقة، ولقد عاش الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - في الفترة ما بين عام (213) و عام (176) للهجرة النبوية⁽¹⁾، في مدينة الخلافة وعاصمة الدولة العباسية، وفي هذه الأعوام توالى على الحكم والخلافة عدد من الحكام، بدءاً من الخليفة المأمون؛ وانتهاء بالخليفة المعتمد.

وهذا الجدول يوضح الخلفاء العباسيين الذين عاصرهم الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - ومدة حكم كل واحد منهم:

علماً أن رقم التسلسل المذكور هو حسب مجمل حكام الدولة العباسية.

م	الحاكم	مدة حكمه	
		من	إلى
7	أبو العباس عبد الله المأمون	198	217
8	أبو إسحاق محمد المعتصم بالله	217	227
9	أبو جعفر هارون الواثق بالله	227	232

(1) ستأتي تفصيل الأقوال في تاريخ ولادة الإمام ابن قتيبة ووافقه عند الكلام على ترجمته في الفصل الثاني

247	232	أبو الفضل جعفر المتوكل على الله	10
248	247	أبو جعفر محمد المنتصر بالله	11
251	248	أبو العباس أحمد المستعين بالله	12
255	251	أبو عبد الله محمد المعتز بالله	13
256	255	أبو إسحاق محمد المهدي بالله	14
279	256	أبو العباس أحمد المعتمد على الله	15

وفي هذه الحقبة الزمنية كان هناك عدد من الأحداث والوقائع العظيمة التي كان لها أثرها في حياة الناس، فمنها:

في سنة ثلاث عشرة ومائتين ثار رجلان بمصر - وهلم عبد السلام وابن جليس - فخلعا المأمون واستحوذا على الديار المصرية، وبايعهما طائفة من الناس، فولى المأمون أخاه أبا إسحاق نيابة الشام ومصر، وأعطاه مالا كثيراً للقضاء عليهما، فدخل أبو إسحاق الديار المصرية واستعادها إلى السمع والطاعة، وظفر بعبد السلام وابن جليس وقتلها⁽¹⁾.

في سنة ست عشرة ومائتين عدا ملك الروم - وهو توفيل بن ميخائيل - فقتل جماعة من المسلمين في أرض طرسوس، نحواً من ألف وستمائة إنسان، فركب الخليفة المأمون بالجيوش إلى بلاد الروم وصحبه أخوه أبو إسحاق بن الرشيد نائب الشام ومصر، فافتتح بلداناً كثيرة، صلحاً وعنوة، وأسر خلقاً، وحرق حصوناً عدة، ثم وثب رجل يقال له عبدوس الفهري ببلاد مصر، وقويت شوكته، واتبعه خلق

(1) انظر: تاريخ الأمم والرسول والملوك للطبري (5/179) والبداية والنهاية لابن كثير (2/2113).

كثير، فركب المأمون حتى دخل الديار المصرية وظفر بعبدوس الفهري، فأمر بضرب عنقه⁽¹⁾.

في سنة سبع عشر ومائتين ركب المأمون إلى بلاد الروم أيضاً، فحاصر لؤلؤة مائة يوم، ثم ارتحل عنها واستخلف على حصارها عجيفاً، فخدعته الروم فأسروه، فأقام في أيديهم ثمانية أيام، ثم انفلت منهم، واستمر محاصراً لهم، فجاء ملك الروم بنفسه، فأحاط بجيشه من ورائه، فبلغ المأمون فساد إليه، فلما أحس توفيل بقدمه انصرف هارباً من وجهه⁽²⁾.

اشتداد فتنة بابك الخرمي، ففي سنة عشرين ومائتين عقد المعتصم⁽³⁾ للأفشين - واسمه حيدر بن كاوس - على جيش عظيم لقتال بابك الخرمي، وكان قد استفحل أمره جداً، وقويت شوكته، وانتشرت أتباعه في أذربيجان وما والاها، وكان زنديقاً كبيراً وشيطاناً رجيماً، فسار الأفشين وقد أحكم صناعة الحرب في الأرصاد وعمارة الحصون وإرصاد المدد، فالتقى هو وبابك، فاقتتلا قتالاً شديداً، فقتل الأفشين من أصحاب بابك خلقاً كثيراً، أزيد من مائة ألف، وهرب هو إلى مدينته، فأوى فيها مكسوراً، فكان هذا أول ما تضعضع من أمر بابك، وجرت بينهما حروب يطول ذكرها⁽⁴⁾.

(1) انظر: تاريخ الأمم والرسول والملوك للطبري (182/5) والبداية والنهاية لابن كثير (2116/2).

(2) انظر: تاريخ الأمم والرسول والملوك للطبري (185/5) والبداية والنهاية لابن كثير (2117/2).

(3) وكان سكناه "سر من رأى"، وهو أول من تجند بالعبيد، وضعف أجناد الأحرار. انظر: أسماء الخلفاء والولادة وذكر مددهم لابن حزم (165/2).

(4) انظر: تاريخ الأمم والرسول والملوك للطبري (210/5) والبداية والنهاية لابن كثير (2125/2)

ومقدمة ابن خلدون (258/3).

وفي سنة ثنتين وعشرين ومائتين جهز المعتصم جيشاً كبيراً مدداً للأفشين على محاربة الخرمية، واقتتلوا قتالاً عظيماً، وافتتح الأفشين البذ - مدينة بابك - واستباح ما فيها، والله الحمد، وذلك يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان ، فلما احتوى المسلمون على بلده المسمى بالبذ وهي دار ملكه ومقر سلطانه - هرب بمن معه من أهله وولده ومعه أمه وامراته ، ثم وقع في أسر جنود الأفشين، ونقل بعدها إلى المعتصم، فلما كان يوم دخوله عليه تأهب المعتصم، واصطف الناس سباطين، وأمر ببابك أن يركب على فيل ليشهر أمره ويعرفوه، ولما أحضر بين يدي المعتصم أمر بقطع يديه ورجليه وجز رأسه وشق بطنه، ثم أمر بحمل رأسه إلى خراسان، وصلب جثته على خشبة بسامرا، وكان ذلك في أوائل سنة ثلاث وعشرين ومائتين⁽¹⁾.

وفي نفس هذه السنة أيضاً، سنة ثلاث وعشرين ومائتين، أوقع ملك الروم توفيل بن ميخائيل بأهل ملطية من المسلمين وما والاها م لحمة عظيمة قتل فيها خلقاً كثيراً من المسلمين، وأسر ما لا يحصون كثرة، وكان من جملة من أسر ألف امرأة من المسلمات، وسبب هجوم ملك الروم أنه لما انشغلت جيوش الخليفة واجتمعت على بابك في مدينته لاستئصاله، أرسل إلى ملك الروم يغريه بغزو بلاد المسلمين من جهته، فركب توفيل في مائة ألف فوصلوا إلى زبطرة، فقتلوا من رجالها خلقاً كثيراً، وأسروا من حريمها أمة كثيرة، فبلغ ذلك المعتصم فأنز عجز لذلك جداً، وصرخ في قصره بالنفير، ثم نهض من فوره وأمر بتعبئة الجيوش، وجهز جيشاً كبيراً للانتقام لأهل الإسلام، لكن ملك الروم لم يلبث أن فر هارباً إلى بلده، فقرر المعتصم غزوهم في ديارهم، فسأل : أي بلاد الروم أمنع؟ قالوا : عمورية لم يعرض لها أحد منذ كان الإسلام وهي أشرف عندهم من القسطنطينية ، وكانت

(1) انظر: المراجع السابقة.

مدينة منيعة عظيمة الأسوار، فسار إليها، وحاصرها، حتى أمكنه الله منها، فتم هذا الفتح بحمد الله تعالى في سنة ثلاث وعشرين ومائتين⁽¹⁾.

ولم يكن هذا نهاية أمر الروم، بل لم يزالوا يحاولون انتهاز الفرص للانتقام من أهل الإسلام ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، ففي سنة ثنتين وأربعين ومائتين أغارت الروم على بلاد الجزيرة فانتهبوا شيئاً كثيراً، وأسروا نحواً من عشرة آلاف من الدراري، فإننا لله وإنا إليه راجعون⁽²⁾.

وكذلك في سنة تسع وأربعين ومائتين التقى جمع من المسلمين وخلق من الروم، بالقرب من ملطية، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل من الفريقين خلق كثير⁽³⁾.

ومن الأحداث أيضاً أن الخليفة المتوكل قتل على يد ولده المنتصر في مطلع شهر شوال من سنة سبع وأربعين ومائتين، ولم يستكمل بعد قتل أبيه سوى ستة أشهر فقط⁽⁴⁾.

وبويع بعده بالخلافة للمستعين بالله وهو أبو العباس أحمد بن محمد المعتصم، بايعه عموم الناس ثم خرجت عليه شرذمة من الأتراك معارضين، وقام الجيش بنصر المستعين بالله، فاقتتلوا قتالاً شديداً أياماً، فقتل منهم خلق من الفريقين، وانتهبت أماكن كثيرة من بغداد، وجرت فتن كثيرة جداً، ثم استقر الأمر للمستعين، فعزل وولى، وقطع ووصل، وأمر ونهى⁽⁵⁾.

(1) انظر: تاريخ الأمم والرسول والملوك للطبري (5/235) والبداية والنهاية لابن كثير (2/2127) ومقدمة ابن خلدون (2/228 و3/177).

(2) انظر: تاريخ الأمم والرسول والملوك للطبري (5/325) والبداية والنهاية لابن كثير (2/2165).

(3) انظر: تاريخ الأمم والرسول والملوك للطبري (5/357) والبداية والنهاية لابن كثير (2/2173).

(4) انظر: تاريخ الأمم والرسول والملوك للطبري (5/334) والبداية والنهاية لابن كثير (2/2169).

(5) انظر: تاريخ الأمم والرسول والملوك للطبري (5/463) والبداية والنهاية لابن كثير (2/2172).

ومن الأحداث أيضاً أنه في سنة إحدى وخمسين ومائتين وقعت فتنة شنعاء بين جند بغداد وجند سامرا، ودعا أهل سامرا إلى بيعة المعتز، واستقر أمر أهل بغداد على المستعين بالله، وجرت بينهم حروب طويلة، وفتن مهولة جداً، وقتل من الفريقين خلق كثير، في وقعات متعددة، وأيام نحسات، انتهى بعدها أمر الخلافة للمعتز بالله، وذلك في مستهل سنة اثنتين وخمسين ومائتين⁽¹⁾.

وفي منتصف سنة خمس وخمسين ومائتين خلع الخليفة المعتز بالله بإجبار من الجند، وبطريقة هي غاية في الذلة والمهانة⁽²⁾.

وولي بعده المهدي بالله، وحدثت فتنة هائلة ببغداد في تلك الفترة، وذلك لعدم علم أهل بغداد بما وقع بسامرا من بيعة المهدي بالله بن الواثق، وقتل من أهل بغداد وغرق منهم خلق كثير ثم لما بلغهم بيعة المهدي في سابع شعبان سكنوا واستقرت الأمور، ولم تدم خلافة المهدي بالله سوى سنة واحدة إلا خمسة أيام، حتى خلع بطريقة بشعة دنيئة خسيصة، وقتل على يد الجند الغادرين، ثم بويع بعده بالخلافة للمعتمد على الله لثلاث عشرة خلت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين، واستمرت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وأياماً، وكانت وفاته في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين⁽³⁾.

ومما يذكر من أحداث في تلك الفترة ما حدث من فتنة الخبيث صاحب الزنج، الذي كان ظهوره سنة خمس وخمسين ومائتين واستمرت حتى قتل في صفر سنة

(1) انظر: تاريخ الأمم والرسول والملوك للطبري (403/5) والبداية والنهاية لابن كثير (2175/2) ومقدمة ابن خلدون (290/3).

(2) انظر: تاريخ الأمم والرسول والملوك للطبري (432/5) والبداية والنهاية لابن كثير (2181/2).

(3) انظر: تاريخ الأمم والرسول والملوك للطبري (604-605)، والبداية والنهاية لابن كثير

(2213/2)، وأسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم لابن حزم (153/2).

سبعين ومائتين، وكان قد استولى على بلاد واسط، وأراضي دجلة، وكان بينه وبين جيوش الخليفة معارك عنيفة وقاتل شديداً، وبلاء عظيم حتى أذن الله تعالى بالقضاء عليه وإخماد فتنته⁽¹⁾.

فما ذكر من وقائع تبيين الحال السياسية لتلك الحقبة الزمنية، فقد كان فيها عدد من الوقائع الكبار، وكانت بين داخلية وخارجية، غير أن هذا لا يعني ضعف الخلافة كل تلك الفترة، خصوصاً في أيام المأمون والمعتصم⁽²⁾، وإن نالها شيء من الضعف في آخرها، غير أنه لم يكن شديداً، بل كانت متماسكة إلى حد لا بأس به، وإنما دخلت الدولة العباسية في عهود الضعف، مع استلام المتوكل 232هـ الموافق 847م⁽³⁾.

والعجيب في أمر الدولة العباسية التي عاشت أكثر من خمسة قرون . . أستاذاً وقائداً زمنياً وروحياً - مع اختلاف في الدرجة - العجيب أن هذه الدولة قد اشتملت على باب كامل من أبواب تاريخنا تكاملت له البداية . . والعقدة . . والنهاية⁽⁴⁾.

إن قيام هذه الدولة كان حركة سياسية قامت على تخطيط ، لعله لم يتوفر للمسلمين في كل تاريخهم . . دقة وعمقاً . . وصبراً على النتائج ، واستغلالاً لكل القوى وسرية، وتوافراً لكل مقومات النجاح.

(1) انظر: تاريخ الأمم والرسول والملوك للطبري(5/582) والبداية والنهاية لابن كثير(2/2199).

(2) انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية، لمحمد فريد بك ص(113).

(3) انظر: مقدمة ابن خلدون (3/280 ، 419)، شذرات الذهب للعكري (2/252)، الذاكرة

التاريخية للأمم، د. جاسم سلطان ص(72).

(4) انظر: دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية، د. عبد الحليم عويس، ص(23).

ثم كان السير التاريخي لهذه الدولة معجزة عجيبة ، فوسط بحار متلاطمة
الأمواج، وعالم إسلامي فسيح لا يمكن، بل يتعذر استمرار تماسكه . . . وأعداء
خارجيين من عناصر متباينة المذاهب والجنس والميول.
وسط هذا كله شقت الدولة طريقها..⁽¹⁾ وفي هذه الظروف السياسية ولد
الإمام ابن قتيبة وفيها نشأ وترعرع، ومن اضطرابها تهرب فلم يتدخل، ولزم طريق
العلم والأدب، على منهج أحمد وإسحاق وغيرهم من أهل السنة والجماعة آنذاك.

(1) انظر: المرجع السابق، ص 36.

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية:

تمثل الحالة الاجتماعية في العصر العباسي حول محورين أساسيين:
المحور الأول: الحياة الاجتماعية من خلال بنية المجتمع وطبقاته ككل.
المحور الثاني: أهم الظواهر الاجتماعية في هذا العصر.

كان المجتمع العباسي ينهض على دعامتين رئيسيتين، هما: عليّة القوم من قادة الدولة وحلفائها وأشرافها، والشريحة الاجتماعية التي تحيط بها، وتعتبر المجال الحيوي لها، وقد تفاوتت هذه الشريحة في مستوياتها بين وزراء وكتاب وتجار، وهي على الرغم من هذا الفلوت أخذت بنصيب وافر من سلوكياتها وممارساتها، إذ كان البذخ والترف هو القاسم المشترك بينها، حيث كانت تحمل إليهم الأموال والموارد من مختلف الأقاليم... وكانت هذه الثروة الضخمة يغدق منها على تلك الشريحة الملازمة للخلفاء والحكام، كالكتاب والشعراء والوزراء والمغنين والعلماء والأطباء، ولذلك أدرجت هذه الفئات ضمن الطبقة الأرستقراطية الحاكمة، وكان لهذه الثروة أثرها في الانقلاب الاجتماعي الذي أحدثته الثروة العمرانية والحضارية، حيث الدور المزخرفة والفرش الوثيرة والثياب الأنيقة والمآكل المتنوعة، فقد كانت هناك طبقة دنيا تتكون من شرائح متعددة من أصحاب المهن والحرف الصغيرة ورقيق الأرض، وهذه الطبقة بشرائها المتعددة لم تكن معدمة كما يجلو لبعض الباحثين أن يصفها، ولكنها كانت ذات نمط خاص في معيشتها.

وإلى جانب هاتين الطبقتين كانت هناك طبقة متوسطة تتكون من مجموعة من صغار التجار ومتوسطيهم ومن عامة الموظفين ورجال الشرطة والجيش من صغار القواد.

هذا من الناحية الاقتصادية، إذ إن التقسيم الطبقي ينهض أساساً على الجانب الاقتصادي في الدرجة الأولى، أما من الناحية العرقية؛ فإن ثمة عناصر مختلفة كان لها هوياتها المتميزة وثقافتها المورثة، فقد جمع بينها هذا الزمن التاريخي في إطار الحضارة الإسلامية، وكانت هذه العناصر فاعلة ومؤثرة في إطار الحياة الاجتماعية والأدبية والسياسية أيضاً، ومنها:

الزنج: وقد وُصفت هذه الطائفة بأنها تمثل رقيق الأرض، وأنهم أطبع خلق الله على الرقص، والطرب حلوقاً بالطبل، على الإيقاع الموزون، من غير تأديب ولا تعليم، مع أخلاق حسنة فيهم.

أما الصينيون: فهم أصحاب الصباغة والنحت والتصوير والنسيج.

أما اليونانيون: فهم يتميزون بالحكم والآداب.

أما الفرس: فهم يتميزون بالملك والسياسة.

وبرع الأتراك في مجال الحروب.

أما أهل الهند: فقد اشتهروا بالصيرفة والعلم والعقائير.

وكان لكل بلد وإقليم ما يميزه عن غيره.

وقد كان الثراء الاقتصادي والمعاملة السيئة سبباً من أسباب نشوء ظاهرة الشعوبية، ولعل البعض يظن أن ترفع العرب على الموالي أورثهم الحقد وسوء الطوية، ولكن الحقيقة أن هذه الظاهرة لم تبرز على نحو واضح إلا بعد سيطرة الموالي على مقاليد الأمور، فأصل الحقد موجود عند من أسلم مكرهاً من هذه الشعوب وهو يضمح حب دينه الأول وشعبه على العرب حملة الإسلام وأهله.

ومن الظواهر الاجتماعية البارزة في العصر العباسي الجوّاري والقيان، فقد أدى تكاثرها إلى روح من التحلل والعبث في الحياة العباسية، وكان لهن أثر حضاري تمثل في نبذ الكثير من جفاوة الأعراب، والتحلي بركة الحديث وسهولة التعامل، وكان لهن أثرهن في الشعر، فقد كن أدبيات، فضلاً عن أن أغلبهن كن من المغنيات اللواتي ذاع صيت بعضهن ... وقد اكتظت حانات الكرخ ودور النخاسة بالجوّاري والإماء، وبرز نتيجة ذلك ظاهرة اجتماعية مناقضة لها تمثلت في وجود طائفة من العباد والنسك وأهل التقوى والصلاح، وكان الزهاد يستخدمون أسلوب القصة للوعظ، وظهر إلى جانب الوعاظ النسك المنقطعون للعبادة، مما أدى إلى انتشار ظاهرة التصوف⁽¹⁾.

وانقسم الشعب ثلاث طبقات:

- طبقة الخلفاء وحواشيهم، من البيت العباسي والوزراء والقادة وكبار رجال الدولة، وهؤلاء كانوا يتمتعون بجميع أسباب النعيم.
 - طبقة التجار والصناع، الذين كان مركزهم في الأسواق، وهم الطبقة الوسطى.
 - طبقة الشعب، وهي الطبقة الكادحة التي كانت تحيا حياة البؤس لينعم الخلفاء والوزراء والولاة والقادة وكبار رجال الدولة وأمراء البيت العباسي بحياة رغيدة وعيش هنيء.
- كانت خزائن الدولة هي المعين المغدق الذي هياً لكل هذا الترف، فقد كانت تحمل إليها حمول الذهب والفضة من أطراف الأرض.
- كان الخلفاء والوزراء والولاة والقادة يغدقون على العلماء والأطباء والشعراء والمغنين، عم ببغداد لبس الثياب الفارسية.

(1) انظر: العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، ص(44 - 88) بتصرف.

كانت كل طائفة من طوائف الموظفين ورجال الدولة تلبس زياً خاصاً بها يميزها عن الطوائف الأخرى.

استكثروا من العطور وأنواع الطيب من الغالية والكافور والمسك والعنبر... والناس على دين ملوكهم، فلما دخل المأمون بزوجته بوران، أشعلت بين يديه شموع العنبر، ونثر على رأسه الدر والجوهر، فوق حصر منسوجة بالذهب الأحمر...

هذا البذخ وما صحبه من اعتصار الشعب كان سبباً حقيقياً في ظهور بعض الثورات، وخاصة في بلاد فارس.

وظهرت بشدة نزعة اللهو، فقد كانت هناك أدوات للترويح واللعب كثيرة، من ذلك سباق الخيل وسباق الحمام الزاجل ولعبة الصولجان.

شغف المعتصم بالرقيق التركي، وما زال يشريهم من أيدي مواليهم حتى اجتمعوا له بالآلاف، وحتى اضطر أن يبني لهم (سراً من رأى) كي يجنب العامة شرهم وأذاهم⁽¹⁾.

كثر الرقيق في العصر العباسي كثرة مفرطة بسبب من كانوا يؤسرون في الحروب... ونتيجة لتسري الإماء كثر المولودون في المجتمع العباسي، بل وفي الخلفاء أيضاً، فوجد المأمون أمه أمة؛ تسمى مراجل، والمعتصم أمه أمة تسمى ماردة، والوائق أمه أمة تسمى قراطيس⁽²⁾.

وكثرة الجواري والتسري بهنّ ينهك عن حالة الترف والغنى الذي يعيشه أهل بغداد.

(1) انظر: العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف، ص(53 - 114) بتصرف.

(2) انظر: المعارف لابن قتيبة، ص(217)، (220)، (221).

غير أن التمسك بالدين وبتعاليمه الرشيدة كانت سمة ظاهرة عند كثير من حكام هذه الفترة الزمنية التي عاشها الإمام ابن قتيبة، فقد أمر المتوكل أهل الذمة بالتميز عن المسلمين في لباسهم وعمائمهم وثيابهم، ولا يركبوا خيلاً، ولا يُستعملوا في شيء من دواوين المسلمين⁽¹⁾.

وأمر الخليفة المهتدي بالله بنفي القيان والمغنين من سامراء، وقتل السباع والنمور التي في دار السلطان، وقتل الكلاب المعدة للصيد، وما كان الخليفة ليأمر بهذا، ويذرها في بغداد، فهذا دليل على خلو دار الخلافة منها⁽²⁾.

وعلى وجه العموم؛ فقد اتفق في تلك الفترة خلفاء من خلفاء بني العباس اشتهر مجونهم وإهمالهم لرعيتههم ولحكم دولتهم حتى آل بهم الأمر إلى ما لا تحمد عقباه، وخلفاء آخرون اشتهر بين الناس فضلهم وعلمهم ونصرهم للسنة والدين ورفعهم لشأن العلماء والزهاد وفاض خيرهم على البعيد قبل القريب، فهي حقبة مذبذبة الأوضاع، مضطربة الأمور، متنازعة الأحداث.

(1) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، طبعة جديدة منقحة، (2/2145).

(2) المرجع السابق، (2/2183).

المبحث الثالث: الحالة العلمية:

شهدت الحياة العلمية في العصر العباسي ازدهاراً كبيراً في شتى الميادين، يعود سببه إلى ظهور الكثير من العلماء والمفكرين في مختلف العلوم وانتشار حركة الترجمة، واهتمام الخلفاء بها، إضافة إلى التوسع في التعليم العام، وبناء المدارس والمؤسسات الثقافية، مثل دور العلم والربط، فضلاً عن المساجد. وقد اهتم الخلفاء بالعلم والعلماء، فقرّبوهم وشجّعوهم، فكان لذلك أثره الكبير على الرقي الفكري في هذا العصر، وأبرزهم الخليفة هارون الرشيد الذي اشتهر بتقريبه العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء والكتاب، وتشجيعهم على البحث والتأليف، وتوفير كل ما يحتاجون إليه في بحوثهم ودراساتهم. غير أن بعضهم بالغ في الدعوة إلى مذهب الاعتزال كما حدث في عهد المأمون وغيره⁽¹⁾.

والدولة العباسية -عموماً- كانت على المذهب الحنفي⁽²⁾. وكان بعض السلف يقول: لا يزال الإسلام مُشيد الأركان ما بقي له ثلاثة أشياء: الكعبة، والدولة العباسية، والفتيا على مذهب أبي حنيفة. فلولا الموافقة بين الدولة العباسية ومذهب أبي حنيفة ما قرن بينهما. ومن الظواهر التي برزت في هذا العصر أيضاً دور الوراقين المعروفة اليوم بالمكتبات، ومن أهمها مكتبة دار الحكمة أو بيت الحكمة التي أنشأها الخليفة هارون

(1) انظر: أخطاء ابن خلدون في كتابه المقدمة - دراسة نقدية تحليلية هادفة - د. خالد كبير علال، ص(204).

(2) المرجع السابق.

الرشيد، وعمل ابنه المأمون من بعده على إمدادها بمختلف الكتب؛ في الطب والفلسفة والرياضيات، ومختلف المخطوطات الآرامية واليونانية والهندية، والمصرفات المختلفة، فصارت تحتوي على جميع الكتب في العلوم⁽¹⁾، كما كان للعلماء والكتاب الذين يتفاضون وزن الكتب ذهباً، والمترجمين الذين ينقلون الكتب من وإلى اللغة العربية، والأدباء الذين كانوا يرتادونها أكبر الأثر في تقدم الحركة العلمية ونشر الثقافة الإسلامية والعربية، وقد وضعت المؤلفات في مختلف فروع المعرفة، في التاريخ والجغرافيا، والفلك والرياضيات، والطب والكيمياء والصيدلة، والصرف والنحو، واللغة والنقد والشعر، والقصص والدين، والفلسفة والسياسة، والأخلاق والاجتماع، وغير ذلك.. ويكفي أن نقرأ كتاب الفهرست لابن النديم لنعرف إلى أي مدى كانت حركة التأليف مزدهرة آنذاك.. وأقبل الأدباء على الثقافات الجديدة يكتسبون منها معطيات عقلية، وقدرة على التعليل والاستنباط وتوليد المعاني، والمقارنة والاستنتاج.. ولكن أكثر هذه العلوم كانت بيد العجم في ذلك العهد، وانشغل عنها العرب بالحكم والسياسة⁽²⁾.

كما كان للخلفاء العباسيين اهتمام متميز ببناء المساجد وتشييدها وترميمها⁽³⁾. وهناك عدة عوامل أذكت التطور العلمي الكبير الذي شهده العصر العباسي، وهي:

1- ازدهار الثقافة الدينية من تفسير للقرآن، وجمع للحديث، وظهور المذاهب الفقهية.

(1) انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص(113).

(2) انظر: أجد العلوم للقتوجي (230/1).

(3) انظر: تاريخ المساجد الشهيرة، عبدالله سالم نجيب، ص(81).

- 2- العناية بالعلوم اللغوية، وظهور مدرستين للنحو؛ واحدة في الكوفة، وأخرى في البصرة.
- 3- تشجيع الحكام والخلفاء للأدب وللشعراء وكثرة العطايا لهم.
- 4- الرقي الثقافي والحضاري الذي شهده هذا العصر بسبب حركة الترجمة والتأليف ومجالس العلم
- 5- الرقي الثقافي الذي اتسعت آفاقه عن طريق التأليف والترجمة ومجالس العلم والثقافة.
- 6- تشجيع الحكام والخلفاء للأدب وتقديرهم للأدباء والشعراء وإعطائهم الأموال الكثيرة.
- 7- تنافس الأدباء والشعراء فيما بينهم لنيل المكانة والخطوة لدى الحكام والخلفاء.
- 8- التطور العقلي، والتأثر بالثقافات المختلفة من فرس وهند وإغريق، وبخاصة في علوم الفلسفة الطب والفلك والرياضيات.
- 9- البدء في ترجمة الكتب الفلسفية من يونانية، ورومانية، وفارسية، وهندية، بدعم من الولاة.
- 10- نتج من جراء هذا: انتشار البدع في عقائد الناس، وعبادتهم بشكل سريع.
- 11- انتشرت الرافضة والمعتزلة، ودعم الولاة المذهب الاعتزالي خاصة، والقول بخلق القرآن، وأصاب المسلمين منه محنة وبلاء.
- 12- الطغيان الماديّ الجامح، ليس في قصور الولاة والأمراء فحسب، بل حتى عند عامة الناس.

ولم يقتصر تأثير حركة الترجمة العلمية على إثراء المكتبات والمدارس بل تراث القدماء، ولكن التأثير ظهر في صورة أهم من ذلك، وهى استيعاب القديم، والانطلاق بخطى سريعة إلى عهد جديد في التأليف. وبلغ التأليف بعد ذلك قمته كماً وكيفاً، بفضل عدد كبير من المبرزين في مختلف العلوم، تميزوا بغزارة إنتاجهم، وعظمة ابتكاراتهم، وسلامة منهجهم وتفكيرهم.

ووصل التقدم إلى مرحلة النضوج الفكري والعلمي، والمقدرة على الابتكار واستخلاص النظريات السليمة بعد بحث ونقد وتجربة... وتعد الدولة العباسية - كما يقول ابن طباطبا- كثيرة المحاسن، جمّة المكارم، أسواق العلوم فيها قائمة، وبضائع الآداب فيها نافقة، وشعائر الدين فيها معظمة، والخيرات فيها دائرة، والدنيا عامرة، والحرمات مرعية، والثغور محصنة، وما زالت على ذلك حتى أواخر أيامها، فانتشر الشر، واضطرب الأمر.

وكان تطور الفكر العربي في العصر العباسي نتيجة لما مر عليه من أحداث سياسية واجتماعية، ومن مظاهر تطور الفكر في العصر العباسي أن أصبحت الترجمة عملاً رسمياً بعدما كان في العصر الأموي عملاً فردياً يقوم به بعض الراغبين فيه، وهذا ما أدى إلى اكتساب كثير من العلوم والآداب من البلاد المترجم عنها بفضل الرحلات والبعثات العلمية، وأول من عني بالترجمة من الخلفاء العباسيين أبو جعفر المنصور ثم نشطت الترجمة في عهد هارون الرشيد وخاصة في عهد المأمون. وفي العصر العباسي الثاني لم يكتف المسلمون بمجرد الترجمة بل كانوا يبدعون ويضيفون إلى كل علم يترجمونه. فلعب المسلمون بهذا دوراً كبيراً في خدمة الثقافة العالمية، فقد أنقذوا هذه العلوم من فناء محقق، إذ تسلموا هذه الكتب في عصور الظلام لدى الأمم الأخرى، فبعثوا فيها الحياة. ويلخص لنا المقرئ رحمه الله تعالى الآثار الناتجة من ترجمة كتب الفلسفة فيقول:

وبتعريب المأمون لكتب الفلسفة انتشرت مذاهب الفلاسفة في الناس، واشتهرت مذاهب الفرق من: القدرية والجهمية والمعتزلة والأشعرية والكرامية والخوارج والروافض والقرامطة والباطنية، حتى ملأت الأرض، وما منهم إلا من نظر في الفلسفة، وسلك من طرقها ما وقع عليه اختياره، فأنجر بذلك على الإسلام وأهله من علوم الفلاسفة ما لا يوصف من البلاء والمحنة في الدين. اهـ⁽¹⁾

وكان العصر العباسي بصورة عامة يموج بالحركة العلمية، والنشاط الثقافي، الذي لم يتأثر بالانقلابات السياسية التي كانت تحدث في حركة الدولة، وكان الازدهار العلمي يمشى قدماً إلى الإمام، يموج بالحركة والنشاط، وتآلق عدد كبير من النابهين في اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا والحديث، وعند النظر إلى أسماء العلماء الذين عاشوا في هذه الحقبة الزمنية يتضح لنا وفرة العلم وسعته، بل لا نبعد لو قلنا إنه أشد العصور ازدهاراً بعد عصر النبي ﷺ، ويأتي في طليعة أولئك العلماء: إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وأبو عبيد القاسم بن سلام والبخاري ومسلم والترمذي وأبو داود، وغير هؤلاء كثير، ومعلوم أن لهم أثرهم في تدوين العلم، بل وحفظ أصوله، فالإمام أحمد صنف كتابه "المسند"، والبخاري صنف كتابه "الصحيح"، وكذا مسلم، وابن معين كان له أثره في "الجرح والتعديل"، ومنهم كذلك أيضاً الحافظ ابن أبي الدنيا، والمبرد؛ اللغوي المشهور إمام النحاة في عصره، وصاحب كتاب "الأمل"، وابن واضح اليعقوبي، وكان من أكابر مؤرخي عصره، ونبغ ثابت بن قرّة الرياضي المشهور، وابن الفقيه الهمداني الجغرافي، وفي مجال الشعر كان مثل: ابن الرومي، والبحتري، وغيرهم، وخذ دلالة على كثرة العلماء أن الخطيب البغدادي لما ترجم لأهلها، ولمن وردها مستفيداً ومفيداً، بلغت عدد تراجمه (7831) ترجمة.

(1) انظر: التاريخ الإسلامي - الدولة العباسية، لحمود شاکر (5/34، 13).

ومن آثار امتداد الفتوحات الإسلامية السابقة لعهد الدولة العباسية ⁽¹⁾ واطلاع المسلمين على حضارات الأمم السابقة ترجم المسلمون في عهد الدولة العباسية ما استطاعوا إليه سبيلاً، فألفوا وأبدعوا حتى أنتجوا للعالم أجمع حضارة لا يزال العلم الحديث يركز على قواعدها والمبادئ التي سارت عليها، وكان نتيجة ذلك ازدهار حركة التأليف والترجمة وإنشاء المكتبات في مختلف أرجاء العالم الإسلامي لأغراض مختلفة، وأصبحت المكتبات تحوي عشرات الآلاف من المجلدات والمخطوطات، وفي هذا الصدد تقول (زيغريد هونكه) في عام 891م بلغ عدد دور الكتب في بغداد وحدها أكثر من مائه دار.

ولذا قالوا في بغداد: "إنها وسط الدنيا، وسرة الأرض، والمدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الأرض ومغاربها؛ سعة وكبراً وعمارة، سكنها أصناف الناس، وانتقلوا إليها من جميع البلدان، وهي مدينة بني هاشم، ودار ملكهم، ومحل سلطانهم. وباعتدال هوائها وعدوبة مائها حسنت أخلاق أهلها، ونضرت وجوههم، وانفتقت أذهانهم، حتى فضلوا الناس في العلم والفهم والأدب والنظر والتمييز... فليس عالم أعلم من عالمهم، ولا أروى من راويتهم، ولا أجدل من متكلمهم، ولا أعرب من نحوييهم، ولا أصح من قارئهم، ولا أمهر من متطببهم...".

وعلى كل فإن الحقبة الزمنية التي عاشها الإمام ابن قتيبة كانت مليئة بالعلم والعلماء، على تنوع شعبه وتشعب أقسامه، ولا شك أن بيئة تزدهم بهؤلاء لا بد أن

(1) لكن الفتوحات توقفت منذ أواخر الدولة الأموية وانشغل الناس في عهد الدولة العباسية بالصراعات الداخلية، وقصروا جداً في شأن الفتوحات في تلك الفترة انظر: التاريخ الإسلامي-الدولة العباسية، محمود شاكر (6/5، 39).

يخرج منها الأكابر ويتخرج منها الأماجد، فلا عجب أن يخرج لنا أمثال ابن قتيبة - رحمه الله - ممن يحوون علوماً شتى، ويشاركون في فنون عدة. ولكن الجو العلمي الذي عاش فيه كان الناس فيه بأمس الحاجة إلى ثبات أئمة السنة وتبيين الحق المبين، وذلك لانتشار العصبية العرقية المقيتة، وانتشار منهج المعتزلة في الملوك والقواد وفتنة العلماء لأجله، فكان فيما ألفه ابن قتيبة وغيره من أهل السنة والجماعة في ذلك العصر وثباتهم على منهج الحق رغم عجز الأعوان ومضادة السلطان أكبر الأثر في ثبوت منهج أهل السنة والجماعة وانحذار منهج المعتزلة والإسماعيلية وغيرهم من أهل البدع الردية حتى عاد منهج الدولة العباسية إلى التمسك بمنهج الكتاب والسنة والدعوة إليها، وكانت من أثر ذلك ما قام به الخليفة القادر بالله عام 408هـ حيث استتاب فقهاء المعتزلة فأظهروا الرجوع وتبرؤوا من الاعتزال والرفض والمقاتلات المخالفة للإسلام⁽¹⁾.

(1) انظر: الكامل في التاريخ للشيباني (305/9).

الفصل الثاني

حياة ابن قتيبة الشخصية والعلمية باختصار

وفيه مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه.

المبحث الثاني: مولده ونشأته.

المبحث الثالث: طلبه للعلم ورحلاته فيه.

المبحث الرابع: شيوخه.

المبحث الخامس: تلاميذه.

المبحث السادس: مكانته العلمية وثناء

العلماء عليه.

المبحث السابع: آثاره العلمية ومؤلفاته.

المبحث الثامن: عقيدة الإمام ابن قتيبة.

المبحث التاسع: وفاته - رحمه الله - .

الفصل الثاني

حياة ابن قتيبة الشخصية والعلمية باختصار⁽¹⁾

المبحث الأول: اسمه ونسبه - رحمه الله - :

هو الحافظ الذكي الثقة النبيل اللغوي النحوي الأديب العلامة الكبير ذو الفنون: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم المروزي الدينوري الكاتب، صاحب التصانيف⁽²⁾.

لم يقع خلاف في اسمه وكنيته وأسماء آبائه، وهو من أسرة فارسية الأصل، سكن أبوه مرو فنسبوه إليها المروزي⁽¹⁾.

(1) انظر ترجمته في: الفهرست لابن النديم ص(١١٥)، والإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي (627/2)، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (170/10)، والأنساب للسمعاني (451/4)، والمنظم لابن الجوزي (276/12)، واللباب في تهذيب الأنساب للجزري (15/3)، والكامل في التاريخ للشيباني (359/6)، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي (555/2)، وتوضيح المشتبه للقيسي (99/7)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (42/3)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (631/2)، والمغني في الضعفاء للذهبي (357/1)، وميزان الاعتدال للذهبي (198/4) والعبر في خبر من غير للذهبي (62/2)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (297/13)، وتاريخ الإسلام للذهبي (382/20) والبداية والنهاية لابن كثير (2202/2)، والوفاء بالوفيات للصفدي (326/17)، ومرآة الجنان لليافعي (191/2)، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروزآبادي ص(31)، ولسان الميزان لابن حجر (357/3)، والنجوم الزاهرة لابن تغري (75/3)، وبغية الوعاة للسيوطي (63/2)، وأسماء الكتب لعبد اللطيف زاده ص(28)، وشذرات الذهب للعكري (169/2)، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (441/5)، والأعلام للزركلي (137/4).

(2) ستأتي إحالة هذه الأوصاف إلى قائلها في الإمام ابن قتيبة عند الكلام على ثناء العلماء عليه

وأما نسبته إلى دينور - وهي بكسر الدال على الصحيح⁽²⁾ -؛ فلأنه عمل فيها قاضياً مدة⁽³⁾.

واشتهر عند العلماء بنسبته إلى جده، فيقال: ابن قتيبة كما يقال ابن حنبل للإمام أحمد محمد بن حنبل، ويقال: "الْقَتَيْبِي، بضم القاف، وفتح التاء المنقوطة من فوقها باثنتين، وكسر الباء المنقوطة بواحدة"⁽⁴⁾.

وربما قالوا: القتيبي، قال النووي - رحمه الله - : "وقد يزيدون فيه ياء مثناة من تحت بين التاء والياء، والأول هو الفصح المشهور الجاري على القواعد"⁽⁵⁾.
وقتيبة: تصغير قتيبة بكسر القاف، وهي واحدة الأقتاب، وهي الأمعاء، وبها سمي الرجل⁽⁶⁾.

ويعرف بهذه النسبة (ابن قتيبة) آخرون: كابنه القاضي أحمد أبي جعفر العلامة المالكي⁽⁷⁾، وابن ابنه أيضاً عبد الواحد، وأبي العباس محمد بن الحسن بن قتيبة بن زيادة اللخمي العسقلاني ويميز بابن قتيبة اللخمي أو العسقلاني⁽⁸⁾، وغيرهم، ولذلك يميز العلماء الإمام صاحب الترجمة غداً ذكره غالباً بقولهم: أبو محمد بن قتيبة.

(1) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (170/10)، والمنظّم لابن الجوزي (276/12)، وفيات الأعيان لابن خلكان (42/3)، وتاريخ الإسلام للذهبي (382/20)، والوافي بالوفيات للصفدي (326/17).

(2) وفيات الأعيان لابن خلكان (42/3).

(3) انظر: المنظّم لابن الجوزي (276/12)، والكامل في التاريخ للشيباني (359/6)، وفيات الأعيان لابن خلكان (42/3) شذرات الذهب للعكري (169/2)، والأعلام للزركلي (137/4).

(4) الأنساب للسمعاني (451/4).

(5) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (555/2).

(6) وفيات الأعيان لابن خلكان (43/3).

(7) سير أعلام النبلاء للذهبي (565/14) ترجمة رقم (324).

(8) المرجع السابق (292/14) ترجمة رقم (189).

بل قد يخشى من اختلاط اسمه مع اسم رافضي خبيث، قال الألويسي: "وعبد الله بن قتيبة رافضي غال، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة من ثقات أهل السنة، وقد صنف كتاباً سماه بـ (المعارف)، فصنف ذلك الرافضي كتاباً سماه (المعارف) أيضاً قصداً للإضلال. اهـ⁽¹⁾

(1) مختصر التحفة الاثني عشرية ص(37) لمحمود شكري الألويسي - وهو حفيد الألويسي المفسر صاحب (روح المعاني).

المبحث الثاني : مولده ونشأته:

مولده:

اختلف العلماء في تحديد تاريخ ولادة الإمام ابن قتيبة والبلد الذي ولد فيه، فقال بعضهم: إنه ولد في الكوفة⁽¹⁾.

بينما قال الخطيب البغدادي والسمعاني وغيرهما: إنه ولد في بغداد⁽²⁾.
ولذلك نسبه إليها ابن كثير فقال: البغدادي⁽³⁾.

أما تاريخ ولادته؛ فنص ابن النديم أنه كان " في مستهل رجب " ⁽⁴⁾.
واختلفوا في السنة التي ولد فيها، فقليل: سنة اثني عشرة ومائتين⁽⁵⁾.
والأكثر على أن مولده كان سنة ثلاث عشرة ومائتين⁽⁶⁾.

وهذا ما اختاره الزركلي حين حدد مولده ووفاته بقوله : (213-276هـ = 828-889م)⁽⁷⁾

(1) الكامل في التاريخ للشيباني (359/6).

(2) تاريخ بغداد (170/10)، الأنساب (451/4) الأعلام للزركلي (137/4).

(3) في البداية والنهاية (57/11).

(4) انظر: الفهرست ص(١١٥).

(5) الكامل في التاريخ للشيباني (359/6).

(6) وفيات الأعيان لابن خلكان (42/3)، والعبر في خبر من غير للذهبي (62/2)، وسير أعلام النبلاء

للذهبي (297/13)، وتاريخ الإسلام للذهبي (382/20).

(7) الأعلام للزركلي (137/4).

نشأته:

رغم اختلاف العلماء في ولادة ابن قتيبة في الكوفة أو في بغداد إلا أنهم متفقون على أن نشأته كانت في بغداد عاصمة العلم والعلماء آنذاك، ومن الطبيعي أن يتلقى مثل ابن قتيبة عن أئمة أهلها والواردين إليها فالتقى فيها بأعلام الأمة وأئمة الدين من الفقهاء واللغويين والنحويين والمحدثين والمفسرين، وأخذ عنهم من العلوم ما جعل منه علامة متبحراً في شتى الفنون، غير أن الذي كان يستهويه منها علوم اللغة والأدب كما هو ظاهر في كتبه التي صنفها، يقول قاسم بن أصبغ: كنا عند ابن قتيبة، فأتوه بأيديهم المحابر، فقال: اللهم سلمنا منهم، فقعدوا، ثم قالوا: حدثنا رحمك الله، قال: ليس أنا ممن يحدث، إنما هذه الأوضاع، فمن أحب، قالوا له: ما يحل لك هذا، فحدثنا بما عندك عن إسحاق بن راهويه، فإننا لا نجد فيه إلا طبقتك، وأنت عندنا أوثق، قال: لست أحدث، ثم قال لهم: تسألوني أن أحدث، وبيغداد ثمان مئة محدث، كلهم مثل مشايخي، لست أفعل، فلم يحدثهم بشيء⁽¹⁾.

وهذا لا يعني أنه ترك التحديث بالكلية، إنما تركه في آونة معينة فقط، فقد نقلت عنه أحاديث من روايته حدث بها، يقول ابن خلكان: كان فاضلاً ثقة سكن بغداد، وحدث بها⁽²⁾.

وقد خالط - كغيره - بعض رجال الدولة، فعرف منهم في ذلك الوقت الوزير أبا الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وأهدى إليه كتابه أدب الكاتب⁽³⁾.

(1) سير أعلام النبلاء للذهبي (301/13).

(2) وفيات الأعيان لابن خلكان (42/3)، وانظر: المنتظم لابن الجوزي (276/12)، ومراة الجنان لليافعي (191/2).

(3) انظر: "ابن قتيبة" للدكتور محمد زغلول سلام ص(21)، ومقدمة أدب الكاتب ص(5).

ولا تفيدنا المصادر التي ترجمت له أنه أقام في غير بغداد إلا ما ذكره عن
خروجه رحمه الله إلى دینور لتولي القضاء فيها، ولأجل ذا نسب إليها - كما تقدم-

المبحث الثالث: طلبه للعلم ورحلاته فيه:

الرحلة في طلب العلم مفيدة، وسبب ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلونه من المذاهب تارة علماً وتعليماً وإلقاءً، وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاً وأقوى رسوخاً فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكة ورسوخها، والاصطلاحات أيضاً في تعليم العلوم مخلطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم ولا يدفع عنه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين، فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيد تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيجرد العلم عنها ويعلم أنها أنحاء تعليم، وتنهض قواه إلى الرسوخ والإحكام في الملكات، فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال ومن تشوق بفطرته إلى العلم ممن نشأ في القرى ولا يجد فيها التعليم لا بد له من الرحلة في طلبه إلى الأمصار⁽¹⁾.

والإمام البخاري رحمه الله تعالى بوّب بقوله: باب الرحلة في العلم، في كتاب العلم من "صحيحه".

وليس في شيء من المصادر أن ابن قتيبة كانت له رحلات في طلب العلم والحديث، ولا ضير عليه في ذلك كما يظن البعض، فقد قال الخطيب البغدادي رحمه الله: "المقصود في الرحلة في الحديث أمران: أحدهما: تحصيل علو الإسناد وقدم السماع، والثاني: لقاء الحفاظ والمذاكرة لهم والاستفادة عنهم.

(1) الحطة في ذكر الصحاح الستة لصديق حسن خان (13/1).

فإذا كان الأمران موجودين في بلد الطالب ومعدومين في غيره ؛ فلا فائدة في الرحلة، والاقضارُ على ما في البلد أولى⁽¹⁾.

وكانت بغداد جنة الأرض ومدينة السلام وقبة الإسلام ومجمع الرافدين وغرة البلاد وعين العراق ودار الخلافة ومجمع المحاسن والطيبات ومعدن الظرائف واللطائف وبها أرباب الغايات في كل فن وآحاد الدهر في كل نوع⁽²⁾.

ولذلك لم أر من نص على أن الإمام ابن قتيبة لم يرحل، رغم أنهم انتقدوا بذلك جماعة من العلماء غيره ونصوا على ذلك في تراجمهم، ولعلمهم راعوا ما ذكرته آنفاً.

على أن هناك أمراً آخر يمكن اعتباره سبباً مهماً في تركه الرحلة أيضاً، ذلك أن الرحلة كانت شائعة بين طلبة الحديث وأهله، طلباً للغرائب والعوالي، ولما لم يكن لابن قتيبة به كبير اهتمام - كما ذكرت قصته في المبحث السابق - كان ما حصله - ممن كان في بغداد أو دخلها من العلماء في عصره - ما يكفيه من ذلك، وهذا من حيث الرواية، لكنه كان شديد الحرص على التفقه في مختلف علوم الدين كما توحى بذلك مصنفاته وكتاباته، كقوله: .. ونعوذُ بالله من حيرة الجهل وفتنة العلم وإفراط التعمق وأن يشغلنا التكاثُرُ بالعلم عن التفقه فيه فكم من طالب حظَّه العناية وضارب في الأرض غنيمته الإياب يحُوب البلاد ويغني التلاد⁽³⁾ ويقطع الرحم ويضيع العيال صابراً على جفا الغربة وطول العزبة وخشونة المطعم وراثثة الهيئة مبيته المساجد ومصباحه القمر وطعامه قفار وهجوُّه غرار وهمُّه الجمع دون التفقه

(1) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (223/2).

(2) معجم البلدان لياقوت الحموي (461/1).

(3) هكذا وجدتها، ولعل الأصح (ويغني [بالفاء] التلاد) لأن التلاد هو: المال. انظر: لسان العرب لابن منظور (99/3).

فيه، والطُّرُق دون المُتُون، والغرائب دون السُّنن، والاستكثار من أسماء الرجال حتى يعود كما بدأ، لم يحل ممَّا طَلَبَ إلا بأسفار حملها ولم ينفعه علمها⁽¹⁾.

والظاهر أنه أخذ الكثير من فقهه عن إمام عصره ومصره في الفقه إسحاق بن راهويه عالم خراسان وصديق الإمام أحمد وشيخ البخاري، يظهر ذلك من خلال ما نقله عنه من الفقه في ثنايا كتبه، والله أعلم.

وقد جمع رحمه الله من العلوم ما جعله عمدة لمن بعده في الكثير منها وبخاصة ما يتعلق منها بالتاريخ وعلوم اللغة، وكان أهل العلم يتهمون من ليس في بيته شيء من تصانيفه⁽²⁾.

(1) غريب الحديث لابن قتيبة (1/147).

(2) البداية والنهاية لابن كثير (2/2202).

المبحث الرابع: شيوخه:

إن مجرد نظرة عابرة في شيوخ الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - لتوحي بعلو شأنه وتقدم تحصيله، فبينه وبين بعضهم بضع وعشرون سنة فقط، مما يدل على أنه تلقى عنهم في العشرينات من عمره، ومن شيوخه:

1. أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم ابن راهويه: الإمام الجليل الثقة، أحد أئمة الدين وأعلام المسلمين، الجامع بين الفقه والحديث والورع والتقوى، نزل نيسابور وعالمها، توفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين⁽¹⁾.
2. يحيى بن أكثم أبو محمد التميمي المروزي القاضي: كان عالماً بالفقه، بصيراً بالأحكام، ولاه المأمون قضاء القضاة ببغداد، مات سنة اثنتين وأربعين ومائتين⁽²⁾.
3. أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان الزياتي: كان نحوياً لغوياً راوياً، وكان شاعراً مات سنة تسع وأربعين ومائتين⁽³⁾.
4. معمر بن زياد بن عبيد الله بن زياد الزياتي: روى له البخاري في صحيحه كالمقرون بغيره، مات في حدود سنة خمسين ومئتين. وأورده ابن حبان في "الثقات" وقال: ربما أخطأ⁽⁴⁾.

(1) انظر ترجمته في: بغية الطلب في تاريخ حلب لابن أبي جرادة (3/1406)، سير أعلام النبلاء للذهبي (358/11).

(2) انظر ترجمته في: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (1/411)، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي

(14/191)، وتاريخ مدينة دمشق لابن هبة الله (64/62)، الكاشف للذهبي (2/361).

(3) انظر ترجمته في: معجم الأدباء لياقوت الحموي (1/100)، والوافي بالوفيات للصفدي (5/233).

(4) انظر ترجمته في: الثقات لابن حبان (9/114)، وتهذيب الكمال للمزي (25/217).

5. أبو الخطاب زياد بن يحيى الحساني: من رجال الكتب الستة، مات سنة أربع وخمسين ومائتين⁽¹⁾.

6. أبو حاتم السجستاني: سهل بن محمد بن عثمان أبو حاتم السجستاني، النحوي، المقرئ، البصري، مات سنة خمس وخمسين ومائتين⁽²⁾.

7. زيد بن أنحزم الطائي النبھاني: أبو طالب البصري الحافظ الثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة عدا مسلم، مات بعد دخول الزنج البصرة، وذبح ذبحاً، ذبحه الزنج سنة سبع وخمسين ومائتين⁽³⁾.

8. محمد بن سلام الجمحي البصري: صاحب كتاب طبقات فحول الشعراء وفنه الذي برع فيه الأخبار والأدب، يقول الذهبي: أخباري موثق، سمع حماد بن سلمة، قال أبو خيثمة: خذوا منه الشعر، فأما الحديث فلا، كان قدراً⁽⁴⁾.

ومنهم: أحمد بن سعيد اللحياني صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام، وأبو الحسين بن الفراء، وعبد الصفر، والرياشي والبعلي، وأبو وائل خالد بن محمد، وعبد الرحمن بن عبد الله ابن أخي الأصمعي، وغير هؤلاء من العلماء، وقد جمع عدداً منهم الشيخ الدكتور: علي بن نفيح العلياني في كتابه: عقيدة الإمام ابن قتيبة⁽⁵⁾، ونور الله بيكر في مقدمته لكتاب ابن قتيبة "تأويل مختلف الحديث"⁽¹⁾.

(1) انظر ترجمته في: تسمية من أخرج لهم البخاري ومسلم للحاكم ص(114)، وتهذيب الكمال للمزي (523/9).

(2) انظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار للذمبي (219/1)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (226/4).

(3) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (446/8)، وتهذيب الكمال للمزي (5/10).

(4) انظر ترجمته في: المغني في الضعفاء للذهبي (587/2)، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (278/7)،

ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (345/5)، ولسان الميزان لابن حجر (182/5).

(5) انظر ص(50-63) منه.



المبحث الخامس: تلاميذه:

إن من بركة العلم نشره، وبثه بين الناس، ومن إرادة الله تعالى بعبده الخير أن يهيئ له من يحفظ له علمه، وينشر له فضله، وقد وفق الله ابن قتيبة فهياً له طلاباً يحفظون علمه، وينقلونه إلى من بعدهم، وكان له طلبة مهتمون به وبعلمه، ومن ذلك ما سبق من إصرارهم عليه ليحدثهم لعلو إسناده، ومنه كذلك مما يبين حرص طلبته على ما عنده ما ذكره في مقدمة كتابه غريب الحديث إذ يقول : كنت حين ابتدأت في عمل الكتاب أطلعت عليه قوماً من حملة العلم والطلّالين له وأعجلهم الرغبة فيه والحِرْصُ على تدوينه عن انتظار فراغي منه وسألوا أن أخرج لهم من العمل ما يرتفع في كلّ أسبوع ففعلتُ ذلك حتى تمّ لهم الكتاب وسمِعُوهُ وحمَلَهُ قوم منهم إلى الأمصار. اهـ⁽¹⁾

فكان من جملة هؤلاء:

1. إبراهيم بن موسى بن جميل الأموي، مولاهم، أبو إسحاق الأندلسي، نزيل مصر، كان ثقة، مات في جمادى الأولى، سنة ثلاث مئة بمصر⁽²⁾.
2. إبراهيم بن محمد بن أيوب بن بشير أبو القاسم الصائغ: روى عن ابن قتيبة مصنفاته، وكان ثقة، مات في جمادى من سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة⁽³⁾.
3. ابنه أحمد: القاضي، كان مالكي المذهب، وهو من أهل العلم والحفظ والإتقان لكتب أبيه، وكان يحفظها كما يحفظ القرآن، ويرد فيها من حفظه النقطة

(1) انظر غريب الحديث لابن قتيبة (1/151).

(2) انظر ترجمته في: تهذيب الكمال للمزي (2/218).

(3) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (6/157).

والشكلة، وما معه نسخة، كان أبوه أبو محمد حفظه إياها في اللوح، توفي بمصر سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة⁽¹⁾.

4. عبيد الله بن أحمد بن عبد الله بن بكير أبو القاسم التميمي: كان ثقة، مات في ذي الحجة من سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة⁽²⁾.

5. أبو سعيد الهيثم بن كليب بن شريح بن معقل الشاشي: الحافظ المحدث الثقة الأديب محدث ما وراء النهر، ومؤلف المسند الكبير، أصله من مرو، توفي سنة خمس وثلاثين وثلاث مائة⁽³⁾.

6. قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء مولى الوليد بن عبد الملك بن مروان: من علماء الأندلس، كان ثبناً صادقاً حليماً مأموناً بصيراً بالحديث والرجال، نبيلاً في النحو والغريب، طال عمره، فلحق الأصغر فيه الأكابر، وشارك الآباء فيه الأبناء، وكانت الرحلة إليه بالأندلس، معدود في علماء المالكية، توفي سنة أربعين وثلاثمائة، وكان قد تغير ذهنه آخر عمره⁽⁴⁾.

7. عبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسي، النحوي، أبو محمد، صاحب يعقوب الفسوي صاحب التاريخ، كان فسوياً⁽⁵⁾ سكن بغداد إلى حين

(1) انظر ترجمته في: معجم الأدباء لياقوت الحموي (1/394)، والوافي بالوفيات للصفدي (7/52)، الديباج المذهب لابن فرحون ص(35)، ورفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر ص(54).

(2) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (10/353).

(3) انظر ترجمته في: التقييد لأبي بكر البغدادي ص(479)، تذكرة الحفاظ للذهبي (3/849)، الوافي بالوفيات للصفدي (27/239).

(4) انظر ترجمته في: معجم الأدباء لياقوت الحموي (4/581)، طبقات الحفاظ للذهبي (1/354) تاريخ العلماء بالأندلس للأزدي (1/405)، الديباج المذهب لابن فرحون ص(222).

(5) رجل فسوي: منسوب إلى فسا، بلد بفارس. انظر: لسان العرب لابن منظور (15/155).

وفاته، ولازم ابن قتيبة، وحمل عنه من علوم الأدب، كان عالماً فاضلاً، وتصانيفه في غاية الجودة والإتقان. مات في صفر، سنة سبع وأربعين وثلاث مائة⁽¹⁾.
هذه بعض أسماء من أخذ عن الإمام ابن قتيبة رحمه الله، وقد استقصاهم الشيخان الدكتور: السيد أحمد صقر⁽²⁾ والدكتور: علي بن نفيح العلياني⁽³⁾.

(1) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (428/9)، ولسان الميزان لابن حجر (267/3).

(2) في مقدمة تحقيقه لمشكل القرآن ص (35).

(3) في كتابه عقيدة الإمام ابن قتيبة ص (97).

المبحث السادس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

إنما يعرف الرجال بآثارهم، ولقد حظي الإمام ابن قتيبة رحمه الله بمكانة مرموقة جداً بين أهل العلم بمختلف تخصصاتهم؛ مفسرين ومحدثين ومؤرخين ونحويين ولغويين وأدباء ومصنفين، لقد كان لمؤلفاته رحمه الله من القبول ما جعل كتبه تنتشر في مختلف نواحي المعمورة، ويجذب إليها اهتمام أهل العلم وطلبته، وقد سبق إيراد مثال على ذلك مما ذكره في بعض مقدماته، ومما يجدر إيراده هنا أيضاً ما ذكره أبو الحسن القطان رحمه الله عن نفسه إذ يقول: رأيت في أول رحلتي ببغداد، ولم يتبين لي محلُّه، فلم أكتب عنه، فلما رجعت من اليمن، ورأيت كتبه؛ ندمت على ذلك، فكتبتها عن أبي بكر المفسر عنه. اهـ⁽¹⁾

ثم تتابعت ألسنة النقاد الأئمة بالثناء على إمامنا ابن قتيبة بمختلف عبارات المدح والإطراء:

قال ابن النديم: "كان صادقاً فيما كان يرويه، عالماً باللغة، والنحو، وغريب القرآن ومعانيه، والشعر، والفقه، كثير التصنيف والتأليف، وكتبه بالجبل مرغوب فيها"⁽²⁾.

وقال الخطيب البغدادي: "كان ثقة ديناً فاضلاً، وهو صاحب التصانيف المشهورة والكتب المعروفة"⁽³⁾.

(1) ذكره الخليلي في الإرشاد في معرفة علماء الحديث (2/627).

(2) انظر: الفهرست ص(85).

(3) انظر: تاريخ بغداد (10/170).

وقال أبو البركات الأنباري: "كان فاضلاً في اللغة والنحو والشعر، متفنناً في العلوم"⁽¹⁾.

وقال ابن الجوزي: "كان عالماً ثقة ديناً فاضلاً، وله التصانيف المشهورة"⁽²⁾.

وقال ابن خلكان: "كان فاضلاً ثقة، وتصانيفه كلها مفيدة"⁽³⁾.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "يقال هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة، فإنه خطيب السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة"⁽⁴⁾.

وقال الذهبي: "ابن قتيبة من أوعية العلم، لكنه قليل العلم في الحديث، فلم أذكره"⁽⁵⁾.

وقال أيضاً: "صاحب التصانيف صدوق قليل الرواية"⁽⁶⁾.

وقال أيضاً: "كان رأساً في علم اللسان العربي والأخبار"⁽⁷⁾.

وقال أيضاً: "والرجل ليس بصاحب حديث، وإنما هو من كبار العلماء المشهورين، عنده فنون جمّة، وعلوم مهمة"⁽⁸⁾.

وقال أيضاً: "وكان عالماً في اللغة العربية والأخبار وأيام الناس"⁽⁹⁾.

(1) انظر: نزهة الألباء (ص 209).

(2) انظر: المنتظم (102/5).

(3) انظر: وفيات الأعيان (42/3).

(4) انظر: تفسير سورة الإخلاص (ص 252).

(5) انظر: تذكرة الحفاظ (633/2).

(6) انظر: ميزان الاعتدال (503/2).

(7) انظر: سير أعلام النبلاء (298/13).

(8) المرجع السابق (300/13).

(9) انظر: تاريخ الإسلام (382/20).

وقال ابن كثير: "صاحب المصنفات البديعة المفيدة المحتوية على علوم جملة نافعة"⁽¹⁾.

وقال أيضاً: "أحد العلماء والأدباء والحفاظ الأذكياء وكان ثقة نبيلاً، وكان أهل العلم يتهمون من ليس في منزله شيء من تصانيفه"⁽²⁾.
 وقال مسلمة بن قاسم: "كان لغويًا كثير التأليف، عالماً بالتصنيف، صدوقاً من أهل السنة، يقال: كان يذهب إلى قول إسحاق بن راهويه"⁽³⁾.
 وقال نفطويه: "كان إذا خلا في بيته وعمل شيئاً جوده، وما أعلمه حكى شيئاً في اللغة إلا صدق فيه"⁽⁴⁾.

وقال ابن حزم: "كان ثقة في دينه وعلمه"⁽⁵⁾.
 وقال الحافظ السلفي: "كان ابن قتيبة من الثقات، ومن أهل السنة"⁽⁶⁾.
 فهذه جملة من آراء العلماء الأفاضل في ابن قتيبة رحمه الله.

لكنه - كغيره - لم يسلم من طعن ونقد، لسبب أو لآخر، فأنا أذكر هنا ما طعن به على ابن قتيبة وأعقبه برد أئمة العلماء عليه، ليتبين لنا سلامة ابن قتيبة مما رمي به، وأنه لا مأخذ عليه - إن شاء الله - إلا بالهوى والعصبية التي لا تنفق في البحث العلمي الزهزيه.

(1) انظر: البداية والنهاية (48/11).

(2) المرجع السابق (57/11).

(3) نقله ابن حجر في لسان الميزان (358/3).

(4) المرجع السابق.

(5) المرجع السابق.

(6) المرجع السابق.

الهمم التي أطلقت في حق ابن قتيبة وأجوبة العلماء عنها:

1- نقل الذهبي⁽¹⁾ عن الحاكم أنه قال: أجمعت الأمة على أن القتيبي كذاب.

وهذا من أغرب ما ينقل في القدرح بإمام مثل ابن قتيبة، إذ لا يعرف فيمن سلف إمام واحد أطلق مثل هذه التهمة في حق ابن قتيبة، حتى جاء الحاكم بعد قرون ليقذفه بها، ولذلك قال الذهبي: "وهذه مجازفة بشعة من الحاكم، وما علمت أحدًا اتهم ابن قتيبة في نقل، مع أن أبا بكر الخطيب قد وثقه، وما أعلم أحدًا اجتمعت الأمة على كذبه إلا مسيلمة والدجال، غير أن ابن قتيبة كثير النقل من الصحف كدأب الإخباريين، وقل ما روى من الحديث"⁽²⁾.

وقال في موضع آخر: "قلت: هذه مجازفة قبيحة، وكلام من لم يخف الله"⁽³⁾.
وقال أيضاً: "هذا بغي وتخرص، بل قال الخطيب: هو ثقة"⁽⁴⁾.

يقول الباحث: ولقد - والله - كان يدور في خلدي أن في الأمر تصحيحاً عن العتبي، لأنني استبعدت جداً صدور مثل هذا القول من الحاكم في حق ابن قتيبة، إلى أن وفقني الله للوقوف على ما يؤيد ذلك من كلام أئمة أهل العلم، فقد نقل ابن الجزري⁽⁵⁾ كلام الحاكم هذا في جملة ما انتقد عليه، ثم أعقبه برد الذهبي في الميزان ثم قال: وسألت شيخنا الحافظ ابن كثير عن ذلك فقال: هذا تصحيف وإنما هو العتبي بالعين فإنهم أجمعوا على ضعفه. اهـ - فالحمد لله على توفيقه.

(1) في سير أعلام النبلاء (299/13).

(2) انظر: تاريخ الإسلام (383/2).

(3) انظر: ميزان الاعتدال (503/2).

(4) انظر: المعني في الضعفاء (357/1).

(5) في غاية النهاية في طبقات القراء ص (358) في ترجمة الحاكم.

2- أنه كان يعتقد تشبيه صفات الله تعالى بصفات المخلوقين، وهو رأي

الكرامية.

قال الذهبي رحمه الله: "ورأيت في مرآة الزمان أن الدارقطني قال: كان ابن قتيبة يميل إلى التشبيه، منحرف عن العترة، وكلامه يدل عليه، وقال البيهقي: كان يرى رأي الكرامية"⁽¹⁾.

يقول الباحث: يكفي لرد هذه الفرية أن الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - مصنف كتاب "الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة" على طريقة أهل السنة والجماعة، ومن قوله في هذا الكتاب: "وعدل القول في هذه الأخبار: أن نؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها، فنؤمن بالرؤية والتجلي وإنه يعجب ويُنزل إلى السماء الدنيا، وأنه على العرش استوى وبالنفس واليدين، من غير أن نقول في ذلك بكيفية، أو بجد، أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت، فنرجو أن نكون في ذلك القول والعقد على سبيل النجاة غداً إن شاء الله تعالى"⁽²⁾. اهـ

وكان قد قال قبل ذلك: "لما رأى قوم من الناس إفراط هؤلاء في النفي عارضوهم بالإفراط في التمثيل، فقالوا بالتشبيه المحض، وبالأقطار والحدود، وحملوا الألفاظ الجائئة في الحديث على ظاهرها، وقالوا بالكيفية فيها"⁽³⁾.

ومما يدل على أن هذا منهج مستقر عنده وليس كلمة عابرة ما قاله في كتاب آخر له، يقول فيه: "فإن قالوا لنا - يعني المعطلة - : كيف ذلك النظر والمنظور إليه؟ قلنا: نحن لا ننتهي في صفاته إلا إلى حيث انتهى إليه رسول الله ولا ندفع ما صح عنه؛ لأنه لا يقوم في أوهامنا، ولا يستقيم على نظرنا، بل نؤمن بذلك من غير

(1) ميزان الاعتدال (503/2)، وتاريخ الإسلام (383/20).

(2) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ص(53).

(3) المرجع السابق ص(52).

أن نقول فيه بكيفية، أو حد، أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت، ونرجو أن يكون في ذلك من القول والعقد سبيل النجاة والتخلص من الأهواء كلها غداً إن شاء الله تعالى⁽¹⁾.

ثم يقول: "ولا نقول: أصبع كأصابعنا، ولا يد كأيدينا، ولا قبضة كقبضاتنا؛ لأن كل شيء منه لا يشبه شيئاً منا"⁽²⁾.

فهذا وغيره كثير - أوضح برهان على أن ابن قتيبة إمام سنة ثقة في دينه كما تقدم في المبحث السابق.

يقول الذهبي: "والذي قيل عنه في التشبيه لم يصح، وإن صح فالنار أولى به، فما في الدين محابة"⁽³⁾.

وقد نقل ابن حجر عن السلفي قوله: "كان ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة، ولكن الحاكم بضده من أجل المذهب. [ثم قال ابن حجر:] وفسر الصلاح العلاني كلام السلفي أنه أراد بالمذهب ما نقل عن البيهقي: أنه كان كرامياً، وما نقل عن الدارقطني مما تقدم، قال العلاني: وهذا لا يصح عنه، وليس في كلامه ما يدل عليه، ولكنه جار على طريقة أهل الحديث في عدم التأويل"⁽⁴⁾.

وعده شيخ الإسلام ابن تيمية " من الأئمة الذين كانوا يأتهمون بالإمام أحمد في الأصول والفروع"⁽⁵⁾.

(1) تأويل مختلف الحديث ص(208).

(2) المرجع السابق ص(210).

(3) تاريخ الإسلام (383/20).

(4) لسان الميزان (358/3).

(5) مجموع الفتاوى (87/12).

وقال شيخ الإسلام أيضاً: الراسخون في العلم يعلمون التأويل الصحيح للمتشابه عنده وهو التفسير في لغة السلف. ولهذا لم يقل أحمد ولا غيره من السلف إن في القرآن آيات لا يعرف الرسول صلى الله عليه وسلم ولا غيره معناها بل يتلون لفظاً لا يعرفون معناه، وهذا القول اختيار كثير من أهل السنة منهم ابن قتيبة وأبو سليمان الدمشقي وغيرهما. وابن قتيبة هو من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة، [وقد بسط الكلام على ذلك في كتابه في "المشكل" وغيره وله في ذلك مصنفات متعددة⁽¹⁾] قال فيه صاحب "كتاب التحديث بمناقب أهل الحديث": وهو أحد أعلام الأئمة والعلماء والفضلاء أجودهم تصنيفاً وأحسنهم ترصيفاً، له زهاء ثلاثمائة مصنف وكان يميل إلى مذهب أحمد وإسحاق وكان معاصراً لإبراهيم الحربي ومحمد بن نصر المروزي وكان أهل المغرب يعظمونه ويقولون: من استجاز الواقعة في ابن قتيبة يتهم بالزندقة ويقولون: كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه فلا خير فيه، قلت: ويقال هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة فإنه خطيب السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة⁽²⁾.

وقال في موضع آخر: "وكذلك أبو زرعة وأبو حاتم وابن قتيبة وغير هؤلاء من أئمة السلف والسنة والحديث وكانوا يتفقهون على مذهب أحمد وإسحاق يقدمون قولهما على أقوال غيرهما"⁽³⁾.

3- مسألة التلفظ بالقرآن:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وقع بين أبي ذر المهروي وأبي نصر السجزي في ذلك حتى صنف أبو نصر السجزي كتابه الك بير في ذلك المعروف

(1) مجموع الفتاوى (367/17).

(2) مجموع الفتاوى (391/17).

(3) مجموع الفتاوى (232/25).

بالإبانة وذكر فيه من الفوائد والآثار والانتصار للسنة وأهلها أموراً عظيمة المنفعة لكنه نصر فيه قول من يقول لفظي بالقرآن غير مخلوق وأنكر على ابن قتيبة وغيره ما ذكروه من التفصيل ورجح طريقة من هجر البخاري وزعم أن أحمد بن حنبل كان يقول لفظي بالقرآن غير مخلوق وأنه رجع إلى ذلك وأنكر ما نقله الناس عن أحمد من إنكاره على الطائفتين وهي مسألة أبي طالب المشهورة⁽¹⁾.

وقد كفانا شيخ الإسلام رحمه الله مؤنة الإجابة عن هذه الملاحظة هناك فقال: "وليس الأمر كما ذكره فإن الإنكار على الطائفتين مستفيض عن أحمد عندهما أخص الناس به من أهل بيته وأصحابه الذين اعتنوا بجمع كلام الإمام أحمد كالمروزي والخلال وأبي بكر عبدالعزيز وأبي عبدالله بن بطة وأمثالهم وقد ذكروا من ذلك ما يعلم كل عارف له أنه من أثبت الأمور عن أحمد وهؤلاء العراقيون أعلم بأقوال أحمد من المنتسبين إلى السنة والحديث من أهل خراسان الذين كان ابن منده وأبو نصر وأبو إسماعيل الهروي وأمثالهم يسلكون حذوهم⁽²⁾."

4- النصب، ويراد به مناصبة العداء لآل بيت النبوة:

قال الذهبي رحمه الله: "ورأيت في مرآة الزمان أن الدارقطني قال: كان ابن قتيبة يميل إلى التشبيه، منحرف عن العترة، وكلامه يدل عليه"⁽³⁾.

يقول ابن قتيبة عائباً على النواصب: "وقد رأيت هؤلاء أيضاً حين رأوا غلو الرافضة في حب علي رضي الله عنه وتقديمه على ما قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته عليه، وادعاءهم له شركة النبي صلى الله عليه وسلم في نبوته، وعلم الغيب للأئمة من ولده، وتلك الأقاويل والأمور السرية، التي جمعت إلى

(1) درء تعارض العقل والنقل (1/268).

(2) المرجع السابق (1/269).

(3) ميزان الاعتدال (2/503)، وتاريخ الإسلام (20/383).

الكذب والكفر، إفراط الجهل والغباوة، ورأوا شتمهم خيار السلف، وبغضهم وتبرأهم منهم، قابلوا ذلك أيضاً بالغلو في تأخير علي رضي الله عنه، وبخسه حقه، ولحنوا في القول، وإن لم يعرضوا إلى ظلمه، واعتدوا عليه بسفك الدماء بغير حق، ونسبوه إلى الممالة على قتل عثمان رضي الله عنه وأخرجوه بجهلهم من أئمة الهدى إلى جملة أئمة الفتن، ولم يوجبوا له اسم الخلافة؛ لاختلاف الناس عليه، وأوجبوها ليزيد بن معاوية؛ لإجماع الناس عليه، واتهموا من ذكره بغير خير، وتحمى كثير من المحدثين أن يحدثوا بفضائله رضي الله عنه أو أن يظهروا ما يجب له، وكل تلك الأحاديث لها مخارج صحاح، وجعلوا ابنه الحسين رضي الله عنه خارجاً شاقاً لعصا المسلمين حلال الدم... والسلامة لك أن لا تهلك بمحبته، ولا تهلك ببغضه، وأن لا تحتمل ضغناً عليه بجناية غيره، فإن فعلت، فأنت جاهل مفرط في بغضه، وأن تعرف له مكانه من رسول الله بالتربية والأخوة والصهر، والصبر في مجاهدة أعدائه، وبذل مهجته في الحروب بين يديه، مع مكانه في العلم والدين والبأس والفضل، من غير أن تتجاوز به الموضع الذي وصفه به خيار السلف، لما تسمعه من كثير من فضائله، فهم كانوا أعلم به وبغيره، ولأن ما أجمعوا عليه هو العيان الذي لا يشك فيه" (1).

فهذا نص ظاهر جلي من الإمام ابن قتيبة رحمه الله يدل على مدى اعتداله في التعامل مع آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم فلا غلو ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط.

ونحن إنما نجيب عن هذه الافتراءات على فرض صحة نسبتها إلى أصحابها وثبوت صدورها عنهم، وإلا فإن في ثبوتها نظراً، فإن الناقل لها عنهم هو سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان، ولم يسند هذه الأقوال إلى قائلها، وهذا لو كان هو ثقة

(1) الاختلاف في اللفظ ص(54-56).

فيما ينقله فكيف وقد قال الذهبي عنه: "ألف مرآة الزمان فتراه يأتي فيه بم ناكير الحكايات وما أظنه بثقة فيما ينقله بل يجنف ويجازف، ثم إنه ترفض" (1).
 يقول الباحث: وفي كلمة الذهبي الأخيرة في حق صاحب مرآة الزمان أنه ترفض جواب كاف عن سبب اتهامه لابن قتيبة على اعتداله بأنه يميل عن العترة!! ولم ينفرد الذهبي فيما قاله عن سبط ابن الجوزي بل قال الصفدي أيضاً: "إلا أن في المرآة - يعني مرآة الزمان له - صدأ المجازفة منه رحمه الله تعالى في أماكن معروفة" (2).

يقول الباحث: فهذا منها.

5- أنه خلط وتسرع في كتبه حتى أزرى به بسببه عند العلماء:

يقول أبو الطيب - وهو يذكر بعض شيوخ ابن قتيبة - : "أخذ عن أبي حاتم ... وقد أخذ ابن دريد عن هؤلاء كلهم وعن الأشناداني؛ إلا أن ابن قتيبة خلط عليه بحكايات عن الكوفيين لم يكن أخذها عن ثقات؛ وكان يتسرع في أشياء لا يقوم بها، نحو تعرضه لتأليف كتابه في النحو، وكتابه في تعبير الرؤيا، وكتابه في معجزات النبي ﷺ، وعيون الأخطب، والمعارف، والشعراء، ونحو ذلك مما أزرى به عند العلماء، وإن كان نفق بها عند العامة ومن لا بصيرة له" (3).
 وهذا بالطبع كلام ساقط مردود عند أهل العلم، فقد انفرد أبو الطيب في طعنه بكتب ابن قتيبة من جهة، وعورض بمن هم أعلم منه وأكثر عدداً في نقلهم ثقة الناس بكتب ابن قتيبة وإقبالهم عليها واحتفالهم بها.

(1) ميزان الاعتدال (304/7).

(2) الوافي بالوفيات (122/29).

(3) مراتب النحويين ص (136).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وكان أهل المغرب يعظمونه ويقولون: من استجاز الوقعة في ابن قتيبة يتهم بالزندقة ويقولون: كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه فلا خير فيه، قلت: ويقال هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة فإنه خطيب السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة"⁽¹⁾.

قال أبو الحسن القطان رحمه الله عن نفسه: "رأيت في أول رحلتي ببغداد، ولم يتبين لي محله، فلم أكتب عنه، فلما رجعت من اليمن، ورأيت كتبه؛ ندمت على ذلك، فكتبتها عن أبي بكر المفسر عنه"⁽²⁾.

قال ابن النديم: "كثير التصنيف والتأليف، وكتبه بالجليل مرغوب فيها"⁽³⁾.
وقال ابن خلكان: "تصنيفه كلها مفيدة"⁽⁴⁾.

وقال ابن كثير: "كان أهل العلم يتهمون من ليس في م نـز له شيء من تصنيفه"⁽⁵⁾.

وقال مسلمة بن قاسم: "كثير التأليف، عالماً بالتصنيف"⁽⁶⁾.
وقال نفطويه: "كان إذا خلا في بيته وعمل شيئاً جوده، وما أعلمه حكى شيئاً في اللغة إلا صدق فيه"⁽⁷⁾.

أفهذه حال رجل أزري عليه في كتبه، فماذا لو أثني عليه لأجلها؟!!!

(1) مجموع الفتاوى (391/17).

(2) ذكره الخليلي في الإرشاد في معرفة علماء الحديث (627/2).

(3) الفهرست ص (85).

(4) وفيات الأعيان (42/3).

(5) البداية والنهاية (57/11).

(6) نقله ابن حجر في لسان الميزان (358/3).

(7) المرجع السابق.



المبحث السابع: آثاره العلمية ومؤلفاته:

يقول الإمام النووي رحمه الله: "وله مصنفات كثيرة جداً، رأيت فهرستها، ونسيت عددها، أظنها تزيد على ستين مصنفاً في أنواع العلوم"⁽¹⁾.
وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن صاحب كتاب "التحديث بمناقب أهل الحديث" قوله عن ابن قتيبة: "هو أحد أعلام الأئمة والعلماء والفضلاء، أجودهم تصنيفاً، وأحسنهم ترصيفاً، له زهاء ثلاثمائة مصنف"⁽²⁾.
ومنه تعلم ما في قول المسبحي الذي نقله الذهبي رحمه الله تعالى في ترجمة قاضي مصر أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة: "حدث بكتب أبيه كلها من حفظه بمصر، ولم يكن معه كتاب، وهي أحد وعشرون مصنفاً"⁽³⁾.
فإن في قوله (كلها) مجازفة كبيرة ظاهرة لمن اطلع على ما سبق نقله عن النووي وصاحب كتاب التحديث والكتب المعروفة مشهورة النسبة لابن قتيبة والتي تقترب جداً مما ذكره النووي رحمه الله، وإليك سرد ما وقفت عليه منها⁽⁴⁾:

1. الإبل⁽⁵⁾.

2. آداب العشرة⁽¹⁾.

(1) تهذيب الأسماء (555/2).

(2) مجموع الفتاوى (391/17).

(3) سير أعلام النبلاء (566/14).

(4) مرتباً إياها بحسب حروف الهجاء ليسهل الوقوف على أي كتاب منها، وذكرت معها بعض الكتب التي نسبت لابن قتيبة وليست من تأليفه ثم بينت تلك الكتب بعد السرد المجد.

(5) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (297/13)، والوافي بالوفيات للصفدي (326/17).

3. آداب القراءة.
4. أدب القاضي⁽²⁾.
5. أدب الكاتب⁽³⁾.
6. استماع الغناء بالألحان.
7. الاشتقاق⁽⁴⁾.
8. الأشربة وذكر اختلاف الناس فيها⁽⁵⁾.
9. إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث⁽⁶⁾.
10. أعلام النبوة⁽⁷⁾.
11. النبات⁽⁸⁾.
12. تأويل مختلف الحديث⁽⁹⁾.
13. تأويل مشكل القرآن⁽¹⁾.

-
- (1) انظر: الفهرست لابن النديم ص (115).
 - (2) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (297/13)، والوافي بالوفيات (326/17).
 - (3) طبع بتحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية 1420هـ.
 - (4) انظر: الأعلام للزركلي (137/4).
 - (5) طبع بتحقيق الدكتور حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق - القاهرة.
 - (6) استدرک فيه ابن قتيبة على أبي عبيد في نيف وخمسين موضعاً، طبع بتحقيق عبد الله الجبوري، الطبعة الأولى، 1403هـ.
 - (7) انظر: الديباج المذهب في أعيان المذهب لابن فرحون ص (35)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (297/13).
 - (8) فصول منه مخطوطة كما في الأعلام (137/4)، وسيأتي أن صاحب النبات غيره
 - (9) طبع بتحقيق سليم الهلالي، دار ابن عفان القاهرة 1427هـ.

14. تعبير الرؤيا⁽²⁾.
15. جامع الفقه⁽³⁾.
16. جامع النحو الصغير⁽⁴⁾.
17. الجوابات الحاضرة⁽⁵⁾.
18. الحجامة⁽⁶⁾.
19. الحكاية والمحكي⁽⁷⁾.
20. حكم الأمثال⁽⁸⁾.

(1) وقد قام الأستاذ السيد صقر بتحقيقه، وإخراجه إخراجاً علمياً يشكر عليه، وانظر الأعلام للزكريا (137/4).

(2) ذكره ابن قتيبة في مقدمة عيون الأخيار، طبع بتقديم مشهور حسن وعمر بن إبراهيم، دار غراس - الكويت، 1422 هـ، وانظر: فهرسة ابن خبير الأشبيلي ص (233)، وسماه: (كتاب عبارة الرؤيا) وذكر سنده إلى مؤلفه.

(3) انظر: الفهرست لابن النديم ص (115)، وإيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لباشا (356/3)، قال الذهبي في (سير أعلام النبلاء) (301/13): (قال قاسم - يعني: ابن أصبغ - وله في الفقه كتاب، وله عن ابن راهويه شيء كثير. قيل لابن أصبغ: فكتابه في الفقه، كان ينفق عنه؟ قال: لا والله، لقد ذاكرت الطبري وابن سريج، وكلنا من أهل النظر، وقلت: كيف كتاب ابن قتيبة في الفقه؟ فقالا: ليس بشيء، ولا كتاب أبي عبيد في الفقه، أما ترى كتابه في الأموال، وهو أحسن كتبه، كيف بني على غير أصل، واحتج بغير صحيح، ثم قال: ليس هؤلاء لهذا بالحري، أن لهما اللغة، فإذا أردت الفقه، فكتب الشافعي وداود ونظرائهما).

(4) انظر: الوافي بالوفيات للصفدي (326/17).

(5) المرجع السابق.

(6) المرجع السابق.

(7) انظر: الفهرست لابن النديم ص (115).

(8) المرجع السابق.

21. خلق الإنسان⁽¹⁾.
22. الخيل⁽²⁾.
23. ديوان الكتاب⁽³⁾.
24. ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ومولده ووفاته⁽⁴⁾.
25. الرحل والنزل⁽⁵⁾.
26. الرد على الشعوية⁽⁶⁾.
27. الرد على القائل بخلق القرآن⁽⁷⁾.
28. الشعر والشعراء⁽⁸⁾.
29. طبقات الشعراء⁽⁹⁾.
30. عيون الأخبار⁽¹⁰⁾.
31. عيون الشعر⁽¹⁾.

-
- (1) المرجع السابق، والوافي بالوفيات للصفدي (326/17).
 - (2) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (42/3)، وسماء الذهبي في السير (297/13): الفرس.
 - (3) انظر: الفهرست لابن النديم ص (115).
 - (4) انظر: الوافي بالوفيات للصفدي (326/17).
 - (5) الإعلام 137/4.
 - (6) المرجع السابق.
 - (7) انظر: الوافي بالوفيات للصفدي (326/17)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (297/13).
 - (8) طبع بتحقيق الشيخ الأستاذ أحمد شاكر، وقد طبعته دار الحديث، القاهرة 1417هـ.
 - (9) انظر: الديباج المذهب في أعيان المذهب لابن فرحون ص (35)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (297/13)، والوافي بالوفيات للصفدي (326/17).
 - (10) طبع بتحقيق الدكتور محمد الاسكندراني، نشر دار الكتاب العربي، في مجلدين

32. غريب الحديث⁽²⁾.
33. غريب القرآن⁽³⁾.
34. فرائد الدر⁽⁴⁾.
35. القراءات⁽⁵⁾.
36. كتاب إعراب القرآن⁽⁶⁾.
37. كتاب الأبنية⁽⁷⁾.
38. كتاب الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة⁽⁸⁾.
39. كتاب الإمامة والسياسة⁽⁹⁾.
40. كتاب الأنواء⁽¹⁰⁾.
41. كتاب آلة الكاتب.

-
- (1) انظر: الفهرست لابن النديم ص(115)، وإيضاح المكنون (4/134).
 - (2) وهو من أعظم ما صنف، وقد طبع في مطبعة العاني - بغداد - 1397، الطبعة الأولى، بتحقيق : د. عبد الله الجبوري.
 - (3) طبع (تفسير غريب القرآن) بعناية إبراهيم رمضان، ونشرته دار الهلال بيروت، وهي النسخة التي اعتمدها، وطبع بتحقيق أحمد صقر.
 - (4) انظر: الفهرست لابن النديم ص(115).
 - (5) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (13/297).
 - (6) انظر: الفهرست ص(115)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (3/42) وسماء: إعراب القراءات.
 - (7) الديباج المذهب في أعيان المذهب لابن فرحون ص(35).
 - (8) طبع بتحقيق عمر بن محمود، دار الراية - الرياض، 1412هـ.
 - (9) وللعلماء نظر في نسبه إليه، انظر: الأعلام للزركلي (4/137).
 - (10) وقد صنف هذا الكتاب في علوم النجوم، انظر: الوافي بالوفيات للصفدي (17/326)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (13/297)، وفهرسة ابن خير الأشبيلي ص(236) وساق سنده إلى مؤلفه.

42. كتاب التسوية بين العرب والعجم⁽¹⁾.
43. كتاب التفسير.
44. كتاب التقفية⁽²⁾.
45. كتاب الجراثيم.
46. كتاب العلم.
47. كتاب القلم⁽³⁾.
48. كتاب المراتب والمناقب⁽⁴⁾.
49. كتاب المعارف⁽⁵⁾.
50. كتاب الميسر والقдах⁽⁶⁾.
51. كتاب النفس⁽⁷⁾.
52. كتاب الوحش⁽⁸⁾.
53. كتاب الوزراء⁽¹⁾.

(1) انظر: الفهرست ص (115)، والوافي بالوفيات للصفدي (326/17)، والسير للذهبي (297/13).

(2) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (42/3)، والفهرست لابن النديم ص(115) وقال : (كتاب التقفية: هذا كتاب رأيت منه ثلاثة أجزاء نحو ستمائة ورقة).

(3) الوافي بالوفيات للصفدي(326/17).

(4) المرجع السابق.

(5) وقد طبع في دار المعارف - القاهرة، تحقيق: دكتور ثروت عكاشة 1353 هـ / 1934 م.

(6) انظر: الفهرست لابن النديم ص(115)، وسير أعلام النبلاء للذهبي(297/13).

(7) الوافي بالوفيات للصفدي(326/17).

(8) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(297/13).

54. كتاب جامع النحو الكبير⁽²⁾.
55. كتاب دلائل النبوة⁽³⁾.
56. كتاب صناعة الكتابة.
57. كتاب فضل العرب والتنبيه على علومها⁽⁴⁾.
58. كتاب معاني القرآن⁽⁵⁾.
59. المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير⁽⁶⁾.
60. المطر والرواد⁽⁷⁾.
61. المعاني الكبير في أبيات المعاني⁽⁸⁾.
62. معجزات النبي ﷺ.
63. ملح الأخبار⁽⁹⁾.

-
- (1) لم يذكره أحد ممن ترجم له، ولكن أشار إليه ابن منظور في لسان العرب (220/11).
 - (2) انظر: الفهرست لابن النديم ص (115).
 - (3) انظر: فهرسة ابن خبير الأشيلي ص (128) وساق سنده إلى مؤلفه باسم كتاب أعلام النبوة، والفهرست لابن النديم ص (115)، ونقل منه القزويني في التدوين في أخبار قزوين (81/1).
 - (4) ذكره ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء (65/1).
 - (5) انظر: المعجم المفهرس لابن حجر ص (113)، وساق إسناده إليه.
 - (6) طبع بتحقيق: مروان العطية ومحسن خرابة، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، 1410 هـ، وانظر الأعلام (173/4).
 - (7) انظر: الوافي بالوفيات للصفدي (326/17).
 - (8) طبع بتحقيق المستشرق الدكتور كرنكو وقدم له العلامة عبد الرحمن المعلمي في مطبعة دائرة المعارف العثمانية ثم صورته ونشرته دار الكتب العلمية-لبنان 1405 هـ.
 - (9) انظر: الوافي بالوفيات للصفدي (326/17).

ويجدر هنا التنبيه على خطأ الزركلي في نسبة كتاب النبات لابن قتيبة فإن الصحيح أنه للدينوري أبي حنيفة⁽¹⁾، ولذلك وقع الخطأ لأن كلاهما دينوري، ويبدو ويبدو أن الخطأ انعكس على الذهبي فعزا كتاب الأنواء الذي ألفه ابن قتيبة إلى أبي حنيفة⁽²⁾، والله أعلم.

وكذلك الحال بالنسبة لكتاب الإمامة والسياسة، نسبة الزركلي هذا الكتاب لابن قتيبة خطأ أيضاً لأكثر من سبب:

منها أن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكر واحد منهم أنه ألف كتاباً يدعى الإمامة والسياسة.

ومنها أنه مناقض تماماً للمعروف من منهج ابن قتيبة السلفي من عدة أوجه، فكتاب الإمامة والسياسة محشو بالرفض المقيت.

ومنها أن الكتاب يشتمل على أخطاء تاريخية فادحة تخالف المعلومات التاريخية الثابتة والتي ساقها ابن قتيبة في كتابه المعارف.

ويحوي كتاب (الإمامة) طعناً في الصحابة يخالف ما قرره ابن قتيبة في كتابه (تأويل مختلف الحديث) من الذب عن الصحابة والرد على مطاعن المبتدعة في الصحابة.

ولذلك نفى صحة نسبته إليه جماعة من العلماء⁽³⁾.

(1) وقد عزا هذا الكتاب لأبي حنيفة جماعة وعرفوا أبا حنيفة بأنه صاحب كتاب النبات انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (422/13)، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (353/1).

(2) انظر: سير أعلام النبلاء (422/13).

(3) انظر: مقالة في بطلان نسبة كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة للدكتور عبد الله عسيلان في (مجلة كلية اللغة العربية) بجامعة الإمام محمد بن سعود، العدد الثاني - ثم طبعت في رسالة مفردة - ، وكتاب (عقيدة الإمام ابن قتيبة) للدكتور علي العلياني ص (88-93).



المبحث الثامن: عقيدة الإمام ابن قتيبة:

إن نظرة فاحصة في كتب الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - السابق ذكرها لتعطي فكرة واضحة حول عقيدة ابن قتيبة ومنهجه، فإنه أُلّف في موافقة مذهب أهل السنة كتباً خاصة لبيان عقيدتهم ومنهجهم، نصر فيها أقوالهم ورد على مخالفهم في مسائل تعد الفاصل بين أهل السنة والجماعة وبين مخالفهم، ككتاب الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمعتلة، وكتاب تأويل مختلف الحديث في الرد على أعداء أهل الحديث، والرد على القائل بخلق القرآن، والرد على الشعوبية، وغيرها. وقد شهد لإمامنا ابن قتيبة بأنه على منهج أهل السنة والجماعة جماعة من الأئمة الأعلام كشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث يقول: "وهذا القول اختيار كثير من أهل السنة، منهم ابن قتيبة وأبو سليمان الدمشقي وغيرهم، وابن قتيبة هو من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق، والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة، وله في ذلك مصنفات متعددة، قال فيه صاحب كتاب "التحديت بمناقب أهل الحديث": وهو أحد أعلام الأئمة والعلماء والفضلاء، أجودهم تصنيفاً، وأحسنهم ترصيفاً، له زهاء ثلاثمائة مصنف، وكان يميل إلى مذهب أحمد وإسحاق، وكان معاصراً لإبراهيم الحربي ومحمد بن نصر المروزي، وكان أهل المغرب يعظمونه، ويقولون من استجاز الواقعة في ابن قتيبة يتهم بالزندقة، ويقولون: كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه، فلا خير فيه. قلت: ويقال: هو لأهل السنة، مثل الجاحظ للمعتزلة، فإنه خطيب السنة، كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة"⁽¹⁾.

(1) مجموع الفتاوى (34/17).

وحسبك حكماً من هذا الإمام البصير، والناقد الخبير، وتزكيته لابن قتيبة،
ووصفه له بأنه من أهل السنة والجماعة، وابن تيمية من أعلم الناس بمقالات الناس،
ومن أكثر العلماء إحاطة بكتب العلماء ومناهجهم.

وخذ هذا المثال الصريح في وقوف ابن قتيبة عند النصوص الشرعية على منهج
أهل السنة والجماعة إذ يقول: "إن الواجب علينا أن ننتهي في صفات الله إلى حيث
انتهى في صفاته، أو حيث انتهى رسوله صلى الله عليه وسلم ولا نزيل اللفظ
عما تعرفه العرب، ونضعه عليه، ونمسك عما سوى ذلك"⁽¹⁾.

ويقول في موضع آخر: "فإن قالوا لنا: كيف ذلك النظر والمنظور إليه؟ قلنا :
نحن لا ننتهي في صفاته إلا إلى حيث انتهى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
ندفع ما صح عنه؛ لأنه لا يقوم في أوهامنا، ولا يستقيم على نظرنا، بل نؤمن بذلك
من غير أن نقول فيه بكيفية أو حدّ، أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت، ونرجو
أن يكون في ذلك من القول والعقد سبيل النجاة والتخلص من الأهواء كلها غداً
إن شاء الله تعالى"⁽²⁾.

وقد كفانا الشيخ علي العلياني مؤنة الإكثار من الأمثلة على عقيدة ابن قتيبة
السلفية من خلال كتبه؛ بالدراسة المفصلة التي قام بها لاعتقاد الإمام ابن قتيبة في
كتابه "عقيدة الإمام ابن قتيبة"⁽³⁾.

(1) اختلاف اللفظ ص(44).

(2) تأويل مختلف الحديث ص(208).

(3) حيث عقد باباً في "توضيحه لعقيدة السلف ورده على المخالفين" وجعل "المبحث الأول" في "منهجه في
توضيح العقيدة" ذكر فيه سبع قواعد كلها على عقيدة السلف الصالح، وختم بحثه بعد دراسة فاحصة بأن ابن
قتيبة سلفي المعتود.

المبحث التاسع: وفاته:

قضى الله أن يجعل لكل شيء أجلاً محتوماً يبلغه لا محالة، وهاهو الإمام ابن قتيبة يوافيه الأجل بسبب أكل هريسة حارة، حدث تلميذه أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن أيوب الصائغ أن ابن قتيبة أكل هريسة، فأصابه حرارة، فصاح صيحة شديدة، ثم أغمي عليه إلى وقت صلاة الظهر، ثم اضطرب ساع ثم هدأ، فما زال يتشهد إلى وقت السحر، ثم مات⁽¹⁾.

وكان ذلك في خلافة المعتمد، لكن اختلف العلماء في تحديد السنة التي مات فيها، وأكثر من ترجم له على أنها سنة ست وسبعين بعد المائتين⁽²⁾، وكان هذا في أول ليلة من رجب⁽³⁾، وله ثلاث وستون سنة⁽⁴⁾.
وذهب ابن النديم⁽⁵⁾ إلى أنه رحمه الله توفي سنة سبعين ومائتين، قال السمعاني:
"وقيل مات في ذي القعدة سنة سبعين ومائتين"⁽⁶⁾.

(1) انظر: المنتظم لابن الجوزي (276/12)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (43/3).

(2) انظر: المنتظم لابن الجوزي (276/12)، والكامل في التاريخ للشيباني (359/6)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (43/3)، والأعلام للزركلي (137/4).

(3) انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (170/10)، والأنساب للسمعاني (452/4)، والمنتظم لابن الجوزي (276/12)، والكامل في التاريخ للشيباني (359/6)، والعبر في خبر من غير للذهبي (62/2)، وميزان الاعتدال للذهبي (198/4)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (43/3).

(4) نص عليه الذهبي في العبر في خبر من غير (62/2).

(5) في الفهرست ص (115)، وانظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (170/10).

(6) الأنساب للسمعاني (452/4).

يقول الباحث: وقد قيل في تاريخ موته أقوال أخرى بعيدة، كقول بعضهم: إنه توفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين⁽¹⁾.

وأبعد منه قول من قال: سنة ست وتسعين ومائتين. نقله الأدنوي⁽²⁾ عن ابن خلكان. والذي عند ابن خلكان قوله: توفي في ذي القعدة سنة سبعين وقيل إحدى وسبعين وقيل أول ليلة في رجب وقيل منتصف رجب سنة ست وسبعين ومائتين، والأخير أصح الأقوال⁽³⁾.

وبهذا طويت صفحة إمام همام من أئمة السنة واللغة والأدب، بعد تاريخ حافل بالتأليف والتصنيف، نسأل الله أن يجعله في صحيفة عمله، وأن يجزيه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

(1) ذكره الخليلي في الإرشاد في معرفة علماء الحديث (2/627).

(2) في طبقات المفسرين ص (44).

(3) وفيات الأعيان (3/44).

القسم الثاني

دراسة أقوال

الإمام ابن قتيبة – رحمه الله –

في التفسير

من سورة الحج إلى نهاية سورة الناس

المراد بالذحول في: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾

1- قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ

سُكْرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكْرَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢٠﴾ [سورة الحج: 2].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ أي: تسلو عن ولدها

وتتركه «⁽¹⁾»، وبنفس العبارة وافقه النحاس⁽²⁾.

أما غيرهما من أئمة التفسير؛ فمن عباراتهم في بيان معنى الآية:

قال الطبري⁽³⁾: «ويعني بقوله ﴿تَذْهَلُ﴾ تنسى وتترك من شدة كرها»⁽⁴⁾.

وقال السمرقندي: «﴿تَذْهَلُ﴾ أي: تشتغل»⁽⁵⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(247).

(٢) معاني القرآن (372/4). والنحاس هو: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، كان واسع العلم غزير الرواية، واشتغل بالتصنيف في علوم القرآن والأدب، من مصنفاته (الناسخ والمنسوخ) توفي سنة 337هـ. طبقات المفسرين (67/1).

(٣) الطبري: الإمام العلم المجتهد، كان من أفراد الدهر علماً وذكاءً وكثرة تصانيف، قال الذهبي: كان ثقة، صادقاً، حافظاً، رأساً في التفسير، إماماً في الفقه والإجماع والاختلاف، علامة في التاريخ وأيام الناس، عارفاً بالقراءات واللغة وغير ذلك، توفي سنة 310هـ. نزهة الفضلاء (1037/2).

(٤) جامع البيان (113/17).

(٥) بحر العلوم (447/2).

الواحدي⁽¹⁾: «﴿تَذَهُدُّ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ تترك كل امرأة ترضع ولدها

الرضيع اشتغالاً بنفسها وخوفاً»⁽²⁾.

ابن عطية⁽³⁾: «والذهول الغفلة عن الشيء بطريان ما يشغل عنه من همٍّ أو

وجع»⁽⁴⁾.

الآلوسي⁽⁵⁾: «والذهول شغل يورث حزناً ونسياناً»⁽⁶⁾.

(١) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري، كان أُوحد عصره في التفسير، صنف

التفاسير الثلاثة (البيسط والوسيط والوجيز)، توفي سنة 648هـ. طبقات المفسرين (387/1).

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (727/2).

(٣) القاضي أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الغرناطي، كان فقيها عالماً بالتفسير والأحكام والحديث والفقه والنحو والأدب، مقيّداً حسن التقييد، من مؤلفاته (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، توفي سنة 541هـ. طبقات المفسرين (260/1).

(٤) المحرر الوجيز (106/4).

(٥) محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، مفسر محدث، أديب، من المجددين من أهل بغداد، كان سلفي الاعتقاد، مجتهداً، من مؤلفاته المشهورة (روح المعاني) في التفسير، توفي سنة 1270هـ. الأعلام (176/7).

(٦) روح المعاني (112/17).

وبنحو ما ذكر جاءت عبارات كل من: السمعاني⁽¹⁾،
والزمخشري⁽²⁾، والفخر الرازي⁽³⁾، والبيضاوي⁽⁴⁾، والنسفي⁽⁵⁾، وابن
جزري⁽⁶⁾، وابن كثير⁽⁷⁾، والثعالبي⁽⁸⁾، وأبي السعود⁽⁹⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - أنه لا خلاف بين الأئمة المفسرين فيها،

(١) تفسير القرآن (416/3).

(٢) الكشاف (143/3).

(٣) التفسير الكبير (5/23).

(٤) أنوار التنزيل (113/4).

(٥) مدارك التنزيل (94/3).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (34/3).

(٧) تفسير القرآن العظيم (206/3). وابن كثير هو: الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، كان قدوة العلماء والحفاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ، كان له خصوصية بالشيخ نقي الدين ابن تيمية، ومناضلة عنه واتباع له في كثير من آرائه، فقيه متفنن، ومحدث متقن، ومفسر نقاد، توفي سنة 74هـ. طبقات المفسرين (110/1).

(٨) الجواهر الحسان (69/3). والثعالبي هو: أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مفسر، من أعيان الجزائر، توفي سنة 875هـ. الأعلام (331/3).

(٩) إرشاد العقل السليم (92/6). وأبو السعود هو: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، أبو السعود، مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين، وهو صاحب لتفسير المعروف باسمه، وقد سماه (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، تقلد القضاء في عدد من البلاد التركية، توفي سنة 982هـ. الأعلام (59/7).

فكل ما ذكره يصلح بياناً لمعنى الآية، فكل الألفاظ « معانيها متقاربة،
وراجعة إلى ما ذكر من الأقوال » كما صرح بذلك القرطبي⁽¹⁾، والشوكاني⁽²⁾،
والشوكاني⁽²⁾، والشنقيطي⁽³⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (4/12). والقرطبي هو: محمد بن أحمد بن فرح القرطبي، إمام متقن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة من أهمها (الجامع لأحكام القرآن) وهو من أجلّ التفاسير ولأعظمها نفعاً، توفي سنة 671هـ. طبقات المفسرين (66/2).

(٢) انظر: فتح القدير (435/3). والشوكاني هو: محمد بن علي الشوكاني اليمني، مجتهد مفسر أصولي، من أشهر كتبه (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير)، توفي سنة 1250هـ. حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر ص (31).

(٣) انظر: أضواء البيان (255/4). والشنقيطي هو: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الحكيم الشنقيطي، كان عالماً بالتفسير والفقه والأصول واللغة، متبحراً في العلوم، عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية في أول تشكيل له، سكن المدينة النبوية، وتوفي بمكة سنة 1393هـ.

معنى: ﴿مُخَلَّقةٌ وَغَيْرِ مُخَلَّقةٍ﴾

2- قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [سورة الحج: 5].

يرى الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - أن معنى: «﴿مُخَلَّقةٌ﴾ تامة ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقةٍ﴾

غير تامة، يعني السقط»⁽¹⁾.

ووافقه في اختياره هذا كل من الإمام الطبري: حيث قال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: المخلقة: المصورة خلقاً تاماً، وغير مخلقة: السقط قبل تمام خلقه»⁽²⁾.

وابن عطية قال: «وقوله تعالى: ﴿مُخَلَّقةٌ﴾ معناه متممة البنية، ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقةٍ﴾

غير متممة أي التي ستسقط»⁽³⁾.

وابن جزري⁽¹⁾ قال: «المخلقة التامة الخلق، وغير المخلقة الغير التامة

كالسقط»⁽²⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(247).

(٢) جامع البيان (117/17).

(٣) المحرر الوجيز (108/4).

ويشبهه ما ذكره قول من قال في معنى ﴿مُخَلَّقةٌ وَغَيْرِ مُخَلَّقةٍ﴾: «مصورة وغير مصورة يعني السقط»⁽³⁾.

ويشبهه أيضاً قول من قال: «المخلقة هو الولد الذي تأتي به المرأة لوقته، وغير المخلقة هو السقط»⁽⁴⁾.

وقيل في بيان المعنى: «المخلقة وغير المخلقة السقط؛ تارة يسقط نطفة وعلقة، وتارة قد صور بعضها وتارة قد صور كله»⁽⁵⁾.

وقال الآلوسي: «المشهور والمتبادر أن المخلقة المستبينة الخلق أي مضغة مستبينة الخلق مصورة، ومضغة لم يستبن خلقها وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها أولاً قطعة لم يظهر فيها شيء من الأعضاء ثم ظهرت بعد ذلك شيئاً فشيئاً»⁽⁶⁾.

(١) محمد بن أحمد بن جزى الكلبي، من أهل غرناطة وذوي الأصالة والنباهة فيها كان - رحمه الله - على طريقة مثلى من العكوف على العلم، والاشتغال بالنظر والتقيد فقيها حافظاً قائماً على التدريس، حُفَظَةً للتفسير، مستوعباً للأقوال، أَلَّفَ الكثير في فنون شتى، توفي سنة 741هـ. طبقات المفسرين (81/2).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (35/3)..

(٣) حكاة البغوي عن مجاهد، انظر: معالم التنزيل (275/3)، واختاره بيانا للمعنى الآية السعدي، انظر: تيسير الكريم الرحمن ص(534).

(٤) حكاة كل من السمعاني والبغوي وابن الجوزي ولم يرجحوه، انظر: تفسير القرآن (419/3)، ومعالم التنزيل (275/3)، وزاد المسير (406/5)، واختاره الشوكاني ونسبه إلى (أكثر) المفسرين، انظر: فتح القدير (438/3).

(٥) حكاة ابن الجوزي عن السدي، انظر: زاد المسير (406/5)، واختاره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (207/3).

(٦) روح المعاني (116/17).

وقيل: « المخلقة: ما خلق سوياً، وغير المخلقة: ما ألقته الأرحام من النطف وهو دم قبل أن يكون خلقاً »⁽¹⁾.. وهذا القول ردّه الشنقيطي بقوله: « ولا يخفى بُعد هذا القول، لأن المخلقة وغير المخلقة من صفة المضغ كما هو ظاهر »⁽²⁾.

وأما ما قيل من أن « المخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب، يقال: خلق السواك والعود إذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء إن كانت ملساء، كأن الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب، ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم »⁽³⁾.

أيّد الفخر الرازي⁽⁴⁾ هذا القول بأنه « الأقرب، لأنه تعالى قال في أول الآية ﴿فَلَمَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ وأشار إلى الناس، فيجب أن تحمل ﴿مُخَلَّقةً وَغَيْرِ مُخَلَّقةٍ﴾ على من سيصير إنساناً وذلك يبعد في السقط لأنه قد يكون سقطاً ولم يتكامل فيه الخلقة »⁽⁵⁾.

(١) حكاه ابن الجوزي عن ابن مسعود، انظر: زاد المسير (406/5).

(٢) أضواء البيان (266/4).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (145/3)، والنسفي في مدارك التنزيل (96/3).

(٤) الفخر الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي، الأصولي المفسر، قال عنه الذهبي: كان يتوقد ذكاءً وانتشرت تواليفه في البلاد شرقاً وغرباً وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم، والله عز وجل يعفو عنه، فإنه توفي على طريقة حميدة، والله يتولى السرائر، توفي سنة 606هـ. نزهة الفضلاء (1525/3).

(٥) انظر: التفسير الكبير (8/23).

وقال عنه الشنقيطي إنه: «أولى الأقوال بالصواب؛ لجريانه على اللغة التي نزل بها القرآن وسلامته من التناقض، فمن ما هو معروف في كلام العرب قولهم: حجر أخلق أي أملس مصمت لا يؤثر فيه شيء، وصخرة خلقاء بينة الخلق أي ليس فيها وشم ولا كسر.. ومنه قول الأعشى:

قد يترك الدهر في خلقاء راسية وهياً ونيزل منها الأعصم الصدعا
والدهر في البيت فاعل يترك، والمفعول به وهياً، يعني أن صرف الدهر قد يؤثر في الحجارة الصم السالمة من الكسر والوصم فيكسرها ويوهيها، ويؤثر في العصم من الأوعال برؤوس الجبال فيزلها من معاقلها»⁽¹⁾.

ثم ردّ القول بأن غير المخلقة يراد بها السقط بأنه: «لا يظهر صوابه وفي

نفس الآية الكريمة قرينة تدل على ذلك وهي قوله جل وعلا في أول الآية ﴿فَإِنَّا

خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ لأنه على هذا القول المذكور يصير المعنى ثم خلقناكم من مضغة مخلقة

وخلقناكم من مضغة غير مخلقة، وخطاب الناس بأن الله تعالى خلق بعضهم من مضغة غير مصورة فيه من التناقض كما ترى فافهم.

فإن قيل: في نفس الآية قرينة تدل على أن المراد بغير المخلقة السقط لأن

قوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يفهم منه أن هناك قسماً آخر لا يقره

الله في الأرحام إلى ذلك الأجل المسمى وهو السقط.. فالجواب أنه لا يتعين فهم

السقط من الآية؛ لأن الله تعالى يقر في الأرحام ما يشاء أن يقره إلى أجل مسمى

فقد يقره ستة أشهر وقد يقره تسعة وقد يقره أكثر من ذلك كيف شاء، أما السقط

(١) انظر: أضواء البيان (266/4)، بتصرف يسير.

فقد دلت الآية على أنه غير مراد بدليل قوله: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ لأن السقط الذي تلقيه

أمه ميتاً ولو بعد التشكيل والتخطيط لم يخلق الله منه إنساناً واحداً من المخاطبين

بقوله ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ فظاهر القرآن يقتضي أن كلاً من المخلقة وغير المخلقة

يخلق منه بعض المخاطبين في قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ

تُطْفِئَةٍ﴾⁽¹⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) المرجع السابق (268/4).

معنى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾

3- قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأُتْبِتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾

[سورة الحج: 5].

قال ابن قتيبة في بيان معنى ﴿هَامِدَةً﴾: «أي ميتة يابسة، ومثل ذلك همود

النار: إِذَا طَفَّتْ وَذَهَبَتْ»⁽¹⁾.

وبنحو هذه الألفاظ عبّر الأئمة: الطبري⁽²⁾، والنحاس⁽³⁾،

والسمرقندي⁽⁴⁾، والبيضاوي⁽⁵⁾، والنسفي⁽⁶⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(247).

(٢) جامع البيان (119/17).

(٣) معاني القرآن (380/4).

(٤) بحر العلوم (449/2).

(٥) أنوار التنزيل (115/4). والبيضاوي هو: الإمام ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي،

كان علامة عارفاً بالفقه والتفسير واللغة والمنطق من مصنفاته (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) في

التفسير، وليّ القضاء بشيراز، توفي سنة 691هـ. طبقات المفسرين (242/1).

(٦) مدارك التنزيل (96/3). والنسفي هو: أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، فقيه

حنفي مفسر، له مصنفات جليلة منها: (مدارك التنزيل) في التفسير، توفي سنة 710هـ. الأعلام

(67/4).

..... والمحلي⁽¹⁾، وأبو السعود⁽²⁾،

والألوسي⁽³⁾.

وجاء في بيان معنى الآية أقوال أخرى ، فقد روي عن قتادة⁽⁴⁾ قال: « أي أي غيراء متهشمة »⁽⁵⁾.

وقيل: « هامة: دارسة »⁽⁶⁾.

وقال ابن عطية: « وهامة معناها ساكنة دارسة بالية، ومنه قيل همد الثوب إذا بلى، قال الأعشى⁽⁷⁾:

قالت قتيلة ما لجسمك شاحباً وأرى ثيابك باليات همداً⁽⁸⁾.

(١) تفسير الجلالين ص(433). والمحلي هو: محمد بن أحمد بن محمد، جلال الدين المحلي، كان علامة آية في الذكاء والفهم، ومن أجل كتبه التي لم يكملها (تفسير القرآن) كتب منه من أول الكهف إلى آخر القرآن، توفي سنة 684هـ. طبقات المفسرين (80/2).

(٢) إرشاد العقل السليم (95/6).

(٣) روح المعني (119/17).

(٤) قتادة بن دعامة السدوسي، أبو الخطاب البصري، ثقة ثبت، كان عالماً حافظاً وعاملاً واعظاً وكان يقول: ما سمعت أذناي شيئاً قط إلا وعاه قلبي، توفي سنة سبع عشرة ومائة. تقريب التهذيب لابن حجر ص(453)، وصفة الصفوة لأبي الفرج (259/3)، وحلية الأولياء لأبي نعيم (333/2).

(٥) حكاة النحاس في معاني القرآن (380/4).

(٦) حكاة السمعاني في تفسير القرآن (421/3) ولم ينسبه.

(٧) البيت في ديوان الأعشى ص(53) ولكن قال (سائياً) بدل (شاحباً) والأعشى هو: ميمون بن قيس بن جندل، أبو بصير، شاعر جاهلي، لقبوه: بصناجة العرب. تاريخ مدينة دمشق (329/61).

(٨) المحرر الوجيز (109/4).

وقال ابن كثير: « وقوله تعالى ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ هذا دليل آخر على

قدرته تعالى على إحياء الموتى كما يحيي الأرض الميتة الهامدة؛ وهي المقحلة التي لا ينبت فيها شيء»⁽¹⁾.

وقال السعدي⁽²⁾: « ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ أي: خاشعة مغبرة لا نبات فيها

ولا خضرة»⁽³⁾.

والذي يظهر -والله أعلم- أن الأقوال الواردة في بيان معنى الآية متقاربة، فقد قال في القاموس المحيط: « الهمود: الموت: وطفوء النار، أو ذهاب حرارتها، وتقطع الثوب من طول الطي، كالهمد، والهمود في الأرض: أن لا يكون بها حياة ولا عود ولا نبت ولا مطر»⁽⁴⁾.

وقد أكد الشوكاني هذا الأمر -بعد أن سرد عدداً من الأقوال- فقال:

« ومعنى هذه الأقوال متقاربة»⁽⁵⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) تفسير القرآن العظيم (209/3).

(٢) عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله آل سعدي، نشأ يتيماً، حفظ القرآن الكريم واشتغل بالعلم، أعطاه الله تعالى محبة في القلوب وثقة في النفوس، فصار مرجع بلاده -عنيزة- وعمدتهم، فهو مدرّسهم ومفتيهم وواعظهم وإمام الجامع وخطيبه، من أشهر مؤلفاته: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان). توفي سنة 1376هـ. علماء نجد خلال ستة قرون (422/2).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص(534).

(٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(419) باب الدال فصل الهاء.

(٥) فتح القدير (437/3).

مرجع الضمير في: ﴿يَنْصُرُهُ﴾

4- قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِمَنَّ كَيْدُهُ مَا

يَعِظُ ﴿١٥﴾ [سورة الحج: 15].

يرى ابن قتيبة عود الضمير إلى النبي محمد ﷺ فقال: « وقال المفسرون: من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً »⁽¹⁾.

وافق ابن قتيبة في اختياره هذا المروي عن ابن عباس وعطاء وقتادة⁽²⁾ وقول ابن جرير الطبري فقال: « وأولى ذلك بالصواب عندي في تأويل ذلك قول من قال: الهاء من ذكر نبي الله ﷺ ودينه »⁽³⁾.

ووافقهم أبو جعفر النحاس⁽⁴⁾، والسمرقندي⁽⁵⁾، والبغوي⁽⁶⁾،
والزمخشري⁽⁷⁾، وابن عطية⁽⁸⁾، والفخر الرازي⁽¹⁾، والقرطبي⁽²⁾، والبيضاوي⁽³⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص (248).

(٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (412/5).

(٣) جامع البيان (125/17).

(٤) معاني القرآن (387/4).

(٥) بحر العلوم (452/2).

(٦) معالم التنزيل (278/3).

(٧) الكشف (148/3).

(٨) المحرر الوجيز (111/4).

والبيضاوي⁽³⁾، والنسفي⁽⁴⁾، وابن جزى⁽⁵⁾، وابن كثير⁽⁶⁾، والمحلى⁽⁷⁾،
وأبو السعود⁽⁸⁾، والشوكاني⁽⁹⁾، والآلوسي⁽¹⁰⁾، والسعدي⁽¹¹⁾،
والشنقيطي⁽¹²⁾.

« وقال آخرون: الهاء في ﴿يَصْرَهُ﴾ من ذكر ﴿مَنْ﴾ »⁽¹³⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - عود الضمير إلى النبي محمد ﷺ، وهو ما قاله الإمام
ابن قتيبة ومَنْ وافقه، يدل لذلك عدة أمور:

1- قال أبو جعفر النحاس: « الأولى أن تكون الهاء تعود على النبي ﷺ لأن الله جل
وعز ذكر قومًا يعبدونه على حرف، ثم أتبع ذلك هذه الآية في قوم يظنون أن
الله لا يوسع على محمد وأمته ولا يرزقهم في الآخرة من سني عطاياه »⁽¹⁴⁾.

(١) التفسير الكبير (15/23).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (21/12).

(٣) أنوار التنزيل (118/4).

(٤) مدارك التنزيل (98/3).

(٥) التسهيل (37/3).

(٦) تفسير القرآن العظيم (211/3).

(٧) تفسير الجلالين ص (435).

(٨) إرشاد العقل السليم (99/6).

(٩) فتح القدير (441/3).

(١٠) روح المعاني (126/17).

(١١) تيسير الكريم الرحمن ص (535).

(١٢) أضواء البيان (287/4).

(١٣) انظر: جامع البيان للطبري (125/17) وحكاة عن مجاهد.

(١٤) معاني القرآني (387/4).

2- أنه « يجوز في اللغة للإضمار في الكناية وإن لم تكن مذكورة، إذا كان الأمر ظاهراً

كقوله تعالى: ﴿مَاتَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [سورة فاطر: 45]. يعني على ظهر

الأرض، وكقوله ﴿عَلَّكَ - : ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [سورة ص: 32] يعني الشمس»

(¹) وهو « قول معروف في اللغة» (²) « والرسول ﷺ وإن لم يجر له ذكر في

الآية، ففيها ما يدل عليه وهو ذكر الإيمان في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [سورة

الحج: 14] والإيمان لا يتم إلا بالله ورسوله» (³).

3- أنه « قول أكثر أهل التفسير» (⁴) وهذه قاعدة معتبرة في الترجيح بين الأقوال

الأقوال لدى أهل التفسير» (⁵).

فائدة:

قال الشنقيطي: « والذين قالوا إن الضمير في قوله: ﴿أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ راجع إلى

الدين أو الكتاب لا يخالف قولهم قول من قال: إن الضمير للنبي ﷺ لأن نصر الدين

والكتاب هو نصره ﷺ كما لا يخفى» (⁶)، والله أعلم بالصواب.

(¹) بحر العلوم (452/2).

(²) معاني القرآن (387/4).

(³) التفسير الكبير (15/23)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (21/12).

(⁴) معاني القرآني (387/4).

(⁵) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (288/1).

(⁶) أضواء البيان (287/4).



معنى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ﴾

5- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَنكِفُ فِيهِ

وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ يُظَلِّمُ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٥﴾ [سورة الحج: 25].

قال ابن قتيبة في بيان معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ﴾ «أي من يرد

فيه إلحاداً، وهو الظلم والميل عن الحق»^(١).

ووافقه في اختياره بألفاظ مقاربة كل من الإمام الطبري^(٢)، والنحاس^(٣)،
والسمرقندي^(٤)، والسمعي^(٥)، والبغوي^(٦)،

(١) تفسير غريب القرآن ص(248).

(٢) جامع البيان (139/17).

(٣) معاني القرآن (394/4).

(٤) بحر العلوم (455/2).

(٥) تفسير القرآن (432/3). والسمعي هو: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني

التميمي، صنّف في الفقه والتفسير والحديث والأصول، توفي سنة 489هـ. طبقات المفسرين

(399/2).

(٦) معالم التنزيل (283/3). والبغوي هو: العلامة الحافظ محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود

بن محمد البغوي المفسر، من تصانيفه (معالم التنزيل) كان له القدم الراسخ في التفسير والباع المديد في

الفقه. توفي سنة 516هـ. نزهة الفضلاء (1370/3).

والزمخشري⁽¹⁾، وابن عطية⁽²⁾، والفخر الرازي⁽³⁾، والقرطبي⁽⁴⁾، وابن جزري⁽⁵⁾، وابن كثير⁽⁶⁾، والمحلي⁽⁷⁾، والألوسي⁽⁸⁾.

قال الإمام الطبري: « إنه معني بالظلم في هذا الموضع كل معصية لله وذلك

أن الله عمّ بقوله ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَامٍ يُظْلَمِ﴾ ولم يخص به ظلم دون ظلم في خير ولا

عقل فهو على عمومته، فإذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام ومن يرد في المسجد

الحرام بأن يميل بظلم فيعصي الله فيه نذقه يوم القيامة من عذاب موجه له «⁽⁹⁾.

وقد ذكر المفسرون في تفسير الإلحاد أقوالاً: « ف قيل: هو الشرك وقيل:

الشرك والقتل، وقيل: صيد حيواناته وقطع أشجاره، وقيل: هو الحلف فيه بالأيمان

الفاجرة، وقيل: المراد المعاصي فيه على العموم، وقيل: المراد بهذه الآية أنه يعاقب

بمجرد الإرادة للمعصية في ذلك المكان «⁽¹⁰⁾.

(١) الكشاف (152/3). والزمخشري هو: جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، العلامة الغوي المعتزلي، المفسر، كان متفنناً في كل علم، صنّف تصانيف كثيرة، منها: (الكشاف) في التفسير، وغيرها، توفي سنة 538هـ. طبقات المفسرين (314/2).

(٢) الحرر الوجيز (116/4).

(٣) التفسير الكبير (23/23).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (34/12).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (39/3).

(٦) تفسير القرآن العظيم (215/3).

(٧) تفسير الجلالين ص (436).

(٨) روح المعاني (140/17).

(٩) جامع البيان (139/17).

(١٠) انظر: فتح القدير (449/3).

ومع ورود عدة أقوال تفصيلية في المراد بالإلحاد، إلا أن أقوال الأئمة المفسرين دلت على إرادة العموم.

قال الزمخشري: « ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كأنه قال: ومن يرد فيه مراداً ما عادلاً عن القصد ظالماً نذقه من عذاب أليم يعني أن الواجب على من كان فيه أن يضبط نفسه ويسلك طريق الصراط العدل في جميع ما يهم به ويقصده»⁽¹⁾.
وقال ابن عطية: « وهذا الإلحاد والظلم يجمع جميع المعاصي من الكفر إلى الصغائر»⁽²⁾.

والفخر الرازي - بعد عرضه لعدد من الأقوال الواردة، ختمها بذكر ما اختار ونسبه إلى أنه قول المحققين - فقال: « وهو قول المحققين أن الإلحاد بظلم عام في كل المعاصي»⁽³⁾.

وكذلك القرطبي - بعد عرض الأقوال - قال: « والعموم يأتي على هذا كله»⁽⁴⁾.

فائدة:

قال السعدي: « في هذه الآية الكريمة وجوب احترام الحرم وشدة تعظيمه والتحذير من إرادة المعاصي فيه وفعلها»⁽⁵⁾.

(١) الكشاف (152/3).

(٢) المحرر الوجيز (116/4).

(٣) التفسير الكبير (23/23).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (34/12).

(٥) تيسير الكريم الرحمن ص(536).

فائدة:

قال الشنقيطي: « والظاهر أن الضمير في قوله « فيه » راجع إلى المسجد الحرام، ولكن حكم الحرم كله في تغليظ الذنب المذكور كذلك»، والله أعلم بالصواب.

معنى: ﴿طَرَائِقَ﴾

6- قال تعالى: ﴿خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [سورة المؤمنون: 17].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ سبع سماوات لكل سماء طريقة وإنما سميت طرائق بالتطابق، لأن بعضها فوق بعض، يقال: طارقت الشيء إذا جعلت بعضه فوق بعض⁽¹⁾ .

ووافقه في هذا جمهور المفسرين، منهم: الإمام الطبري⁽²⁾، والنحاس⁽³⁾، والسمرقندي⁽⁴⁾، والسمعاني⁽⁵⁾، والبغوي⁽⁶⁾، والفخر الرازي⁽⁷⁾، والقرطبي⁽⁸⁾، والقرطبي⁽⁸⁾، والبيضاوي⁽⁹⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(253).

(٢) جامع البيان (12/18).

(٣) معاني القرآن (450/4).

(٤) بحر العلوم (476/2).

(٥) تفسير القرآن (468/3).

(٦) معالم التنزيل (305/3).

(٧) التفسير الكبير (76/23).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (111/12).

(٩) أنوار التنزيل (150/4).

..... والنسفي⁽¹⁾، وابن

كثير⁽²⁾، والمحلي⁽³⁾، والشوكاني⁽⁴⁾، والألوسي⁽⁵⁾، والسعدي⁽⁶⁾.

وبهذا يتبين اتفاقهم على بيان المراد بالطرائق المذكورة في الآية، واستنادهم

إلى ما هو معروف من كلام العرب، فإن «العرب تسمي كل شيء فوق شيء طريقة، وإنما قيل للسماوات السبع الطرائق لأن بعضهن فوق بعض فكل سماء منهم

طريقة»⁽⁷⁾، وقاعدة: «حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب»

قاعدة معتبرة في الترجيح عند أئمة التفسير⁽⁸⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) مدارك التنزيل (118/3).

(٢) تفسير القرآن العظيم (243/3).

(٣) تفسير الجلالين ص (447).

(٤) فتح القدير (477/3).

(٥) روح المعاني (73/18).

(٦) تيسير الكريم الرحمن ص (549).

(٧) انظر: جامع البيان للطبري (12/18)، وبحر العلوم للسمرقندي (476/2)، والجامع لأحكام

القرآن للقرطبي (111/12).

(٨) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).

معنى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾

7- قال تعالى: ﴿فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعَثْنَا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [سورة المؤمنون:

[41].

يرى الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - أن معنى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾: «أي: هلكى

كالغثاء، وهو ما علا السيل من الزبد والقمش^(١) لأنه يذهب ويتفرق»^(٢).

وإلى مثل اختيار ابن قتيبة ذهب جمهور المفسرين كالإمام ابن جرير

الطبري^(٣)، والنحاس^(٤)، والسمرقندي^(٥)، والبغوي^(٦)، والزمخشري^(٧)، وابن

وابن عطية^(٨)، والفخر الرازي^(٩)، والقرطبي^(١٠)، والنسفي^(١)، وابن جزي^(٢)،

(١) القمش: (القَمَش) جمع الشيء من هنا وهنا وقماش البيت: متاعه. انظر: مختار الصحاح ص(550).

(٢) تفسير غريب القرآن ص(254).

(٣) جامع البيان (22/18).

(٤) معاني القرآن (458/4).

(٥) بحر العلوم (480/2).

(٦) معالم التنزيل (309/3).

(٧) الكشف (190/3).

(٨) المحرر الوجهي (144/4).

(٩) التفسير الكبير (87/23).

(١٠) الجامع لأحكام القرآن (124/12).

جزى⁽²⁾، وابن كثير⁽³⁾، وأبي السعود⁽⁴⁾، والشوكاني⁽⁵⁾، والألوسي⁽⁶⁾،
والسعدي⁽⁷⁾.

ولإجماع جمهور المفسرين على المعنى المذكور، وعدم وجود مخالف، صح
حمل الآية عليه بياناً لمعناها.

قال الطبري: «﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُنَاءً﴾» يقول فصيرونهم بمنزلة الغناء وهو ما ارتفع

على السيل ونحوه كما لا ينتفع به في شيء، وإنما هذا مثل، والمعنى فأهلكناهم
فجعلناهم كالشيء الذي لا منفعة فيه⁽⁸⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) مدارك التنزيل (123/3).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (51/3).

(٣) تفسير القرآن العظيم (246/3).

(٤) إرشاد العقل السليم (135/6).

(٥) فتح القدير (483/3).

(٦) روح المعاني (34/18).

(٧) تفسير الكريم الرحمن ص (552).

(٨) جامع البيان (22/18).

معنى: ﴿تَرَا﴾

8- قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رُسُوهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبِعَدَا لِقَائِهِمْ لَا

يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ [سورة المؤمنون: 44].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - إن معنى ﴿تَرَا﴾: «أي تتابع بفترة بين كل

رسولين وهو من التواتر»⁽¹⁾.

ووافقه في اختياره هذا كل من البغوي⁽²⁾، والقرطبي⁽³⁾، والمحلي⁽⁴⁾،

والشوكاني⁽⁵⁾، والألوسي⁽⁶⁾.

قال الإمام البغوي: «﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ يعني مترادفين يتبع بعضهم غير

متواصلين، لأن بين كل نبيين زماناً طويلاً»⁽⁷⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(254).

(٢) معالم التنزيل (309/3).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (125/12).

(٤) تفسير الجلالين ص(450).

(٥) فتح القدير (485/3).

(٦) روح المعاني (34/18).

(٧) معالم التنزيل (309/3).

واختار غيرهم من المفسرين أن معنى ﴿تَتَرَا﴾ أي يتبع بعضهم بعضاً، قال

الإمام الطبري: «﴿تَتَرَا﴾ تَتَرَا تَتَرَا﴾ يقول تعالى ذكره ثم أرسلنا إلى الأمم التي أنشأنا

بعد ثمود أرسلنا تترًا يعني يتبع بعضها بعضاً وبعضها في أثر بعض»⁽¹⁾.

ومثله قال النحاس⁽²⁾، والسمرقندي⁽³⁾، والسمعاني⁽⁴⁾، والزمخشري⁽⁵⁾،
والزمخشري⁽⁵⁾، والبيضاوي⁽⁶⁾، والنسفي⁽⁷⁾، وابن جزري⁽⁸⁾، وأبو السعود⁽⁹⁾،
السعود⁽⁹⁾، والسعدي⁽¹⁰⁾، والشنقيطي⁽¹¹⁾.

وإن كان استدلال أصحاب القولين على ما جاء في لغة العرب، فاستدلال
أصحاب القول الأول هو ما قاله ابن قتيبة ومن وافقه، على ما حُكي عن
الأصمعي⁽¹⁾ أنه قال: «واترت الخبر: اتبعتُ وبين الخبرين هنيهة»⁽²⁾.

(١) جامع البيان (23/18).

(٢) معاني القرآن (459/4).

(٣) بحر العلوم (481/2).

(٤) تفسير القرآن (476/3).

(٥) الكشاف (190/3).

(٦) أنوار التنزيل (155/4).

(٧) مدارك التنزيل (123/3).

(٨) التسهيل لعلوم التنزيل (51/3).

(٩) إرشاد العقل السليم (135/6).

(١٠) تيسير الكريم الرحمن ص(552).

(١١) أضواء البيان (332/5).

والقول الآخر: وهو أن معنى ﴿تَتَرَا﴾ أي: يتبع بعضها بعضا وبعضها في أثر

بعض، وهو ما قال عنه الرحاس إنه «قول أكثر أهل اللغة»⁽³⁾ فإنهم قالوا:

«التواتر: التتابع، وقيل: هو تتابع الأشياء بينها فجوات وفترات، وتواترت

الإبل والقطا وكل شيء إذا جاء بعضه في أثر بعض ولم تحيئ مصطفة، والمتواتر:

الشيء يكون هنيهة ثم يجيء الآخر، فإذا تتابعت فليست بمتواترة إنما هي متدركة

ومتتابعة»⁽⁴⁾.

والذي يظهر من دراسة ما اختاره أصحاب القول الثاني وهو أن معنى ﴿تَتَرَا﴾

أي بعضها في أثر بعض، أنهم لم يشيروا إلى أمر الفترة، في حين أن اختيار ابن قتيبة

ومن وافقه أكدوا فيه أن ﴿تَتَرَا﴾ في هذه الآية مشتملة على الفترة استناداً إلى اللغة

أيضاً وتفريقاً بين المواتره والتتابع، وقد سبق بيانه قريباً

(١) الأصمعي: هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك أبو سعيد الأصمعي، صاحب اللغة والنحو والغريب والأخبار والملح، وكان بحراً في اللغة لا يُعرف مثله فيها وفي كثرة الرواية، قال ابن حجر: صدوق سني، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: ليس فيما يروي من الحديث عن الثقات تخليط إذا كان دونه ثقة، مات سنة خمس عشرة ومائتين. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (410/10)، وتقريب التهذيب لابن حجر ص(364)، والثقات لابن حبان (389/8).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (275/5)، وتاج العروس للزبيدي (339/14).

(٣) معاني القرآن (459/4).

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور (275/5)، وتاج العروس للزبيدي (339/14).

والذي يظهر - والله أعلم - أن الراجح هو ما اختاره ابن قتيبة ومن وافقه لدلالة آية من كتاب الله تعالى على الفترة بين إرسال الرسل وهي قوله تعالى ﴿يَأْهَلْ كِتَابٍ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۗ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة المائدة: 19]، فهذا يدخل في تفسير القرآن بالقرآن الذي هو أعلى وأحسن درجات التفسير⁽¹⁾، والله أعلم بالصواب

(1) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (363/13)، وشرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

معنى: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾

9- قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَهُمَا إِلَىٰ دِفْوَرٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة المؤمنون:

. [50]

يرى الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - أن المعنى: « ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ يستقر بها

للعِمارة، ﴿وَمَعِينٍ﴾ ماء ظاهر»⁽¹⁾.

و لم تبعد أقوال أئمة المفسرين عن اختياره، فقد قال الطبري: « وقوله تعالى:

﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره من صفة الربوة التي آوينا إليها مريم وابنها

عيسى أنها أرض منبسطة وساحة وذات ماء ظاهر لغير الباطن جار»⁽²⁾.

وقال الزمخشري: « والقرار المستقر من أرض مستوية منبسطة والمعين الماء

الظاهر الجاري على وجه الأرض»⁽³⁾.

وقال ابن عطية: « ومعنى الآية أنها من البقاع التي كملت خصالتها فهي أهل

أن يستقر فيها والمعين الظاهر الجاري للعين»⁽⁴⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(254).

(٢) جامع البيان (26/18).

(٣) الكشاف (192/3).

(٤) المحرر الوجيز (145/4).

وقال الفخر الرازي: « والقرار المستقر من كل أرض مستوية مبسوطة والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض »⁽¹⁾.

وقال القرطبي: « ذَاتِ قَرَارٍ » أي مستوية يستقر عليها ﴿وَمَعِينٍ﴾ ماء جار ظاهر للعيون »⁽²⁾.

وقال البيضاوي: « ذَاتِ قَرَارٍ » مستقر من الأرض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فإن ساكنيه يستقرون فيها لأجلها، ﴿وَمَعِينٍ﴾ وماء ظاهر جار »⁽³⁾.

وقال ابن جزى: « القرار المستوي من الأرض فمعناه أنها بسيطة يمكن فيها الحرث والغراسة، وقيل: إن القرار هنا الثمار والحبوب، والمعين الماء الجاري »⁽⁴⁾.

وقال أبو السعود: « ذَاتِ قَرَارٍ » مستقر من أرض منبسطة سهلة يستقر عليها ساكنوها، وقيل: ذات ثمار وزروع لأجلها يستقر فيها ساكنوها، ﴿وَمَعِينٍ﴾ أي: ماء معين »⁽⁵⁾.

(١) التفسير الكبير (90/23).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (126/12).

(٣) أنوار التنزيل (157/4).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (52/3).

(٥) إرشاد العقل السليم (137/6).

وقال الشوكاني: «ذَاتِ قَرَارٍ» أي: ذات مستقر يستقر عليه ساكنوه

«وَمَعِينٍ» أي: وماء معين⁽¹⁾.

وقال الألوسي: « والمراد أنها محل صالح لقرار الناس فيه لما فيه من الزروع

والثمار وهو أنسب بقوله تعالى: «وَمَعِينٍ» أي وماء معين أي جارٍ⁽²⁾.

وقال السعدي: «ذَاتِ قَرَارٍ» أي مستقر وراحة «وَمَعِينٍ» أي ماء جار

«⁽³⁾».

لقد أجمع جمهور المفسرين على المعنى المذكور وقد عرضت أقوالهم - ليتبين

اتفاقهم، وإجماعهم قاعدة في الترجيح معتبرة⁽⁴⁾.

ومن دلائل إجماعهم ما ذكره ابن كثير في بيان معنى الآية حين قال: «

المعين: الماء الجاري وهو النهر الذي قال تعالى: «فَدَجَّلَ رَبُّكَ تَحَنُّكَ سِرِّيًّا» [سورة

(١) فتح القدير (486/3).

(٢) روح المعاني (38/18).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص(553).

(٤) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (288/1).

مریم: 24] ⁽¹⁾، فهذا والله أعلم هو الأظهر لأنه المذكور في الآية الأخرى والقرآن يفسر بعضه بعضاً «⁽²⁾»، والله أعلم بالصواب.

(١) واجتمعت أقوال المفسرين على أن معنى ﴿سَرِيًّا﴾ النهر الصغير. انظر: جامع البيان للطبري (17/16)، ومعالم التنزيل للبخاري (192/3)، والمحرم الوجيز لابن عطية (11/4)، وأنوار التنزيل للبيضاوي (11/4)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (118/3).
(٢) تفسير القرآن العظيم (247/3).

من المراد بـ ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ﴾

10- قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [سورة

المؤمنون: 51].

يرى الإمام ابن قتيبة رحمه الله - أن الخطاب موجه للنبي ﷺ فقال: «خطب به النبي ﷺ وحده، على مذهب العرب في مخاطبة الواحد خطاب الجمع»⁽¹⁾.
ووافقه في اختياره هذا من الأئمة النحاس⁽²⁾، والسمعاني⁽³⁾، وابن عطية⁽⁴⁾، وابن الجوزي⁽⁵⁾، والقرطبي⁽⁶⁾.

وانفرد الإمام الطبري⁽⁷⁾ بأن المراد بالأئمة نبي الله عيسى -عليه السلام-.
واختار عدد من المفسرين أن المراد: جميع عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام⁽⁸⁾، ..

(١) تفسر غريب القرآن ص(254).

(٢) معاني القرآن (465/4).

(٣) تفسير القرآن (478/3).

(٤) المحرر الوجيز (146/4).

(٥) زاد المسير (477/5).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (127/12).

(٧) جامع البيان (28/18).

(٨) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (247/3).

منهم الزمخشري⁽¹⁾، والفخر الرازي⁽²⁾، والنسفي⁽³⁾، وابن جزري⁽⁴⁾،
وابن كثير⁽⁵⁾، والسعدي⁽⁶⁾.

ومن المفسرين من جمع الأقوال الثلاثة دون ترجيح بينها على اعتبارها كلها
بيانا لمعنى الآية، كأبي السعود⁽⁷⁾، والشوكاني⁽⁸⁾، والألوسي⁽⁹⁾.
فأما القائلون بأن الخطاب موجه للنبي ﷺ وهو ما قاله ابن قتيبة ومن وافقه؛
فقد استدلوا على ذلك بدليلين:

الأول: أن «الخطاب في هذه الآية للنبي ﷺ وأنه أقامه مقام الرسل، كما قال
تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ [سورة آل عمران: 173] يعني نعيم بن مسعود⁽¹⁰⁾ - رضي الله عنه -
«⁽¹¹⁾».

(١) الكشاف (192/3).

(٢) التفسير الكبير (91/23).

(٣) مدارك التنزيل (124/3).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (52/3).

(٥) تفسير القرآن العظيم (247/3).

(٦) تيسير الكريم الرحمن ص (553).

(٧) إرشاد العقل السليم (138/6).

(٨) فتح القدير (486/3).

(٩) روح المعاني (39/18).

(١٠) نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف، يكنى أبا سلمة الأشجعي، صحابي مشهور، أسلم ليالي الخندق،
وهو الذي أوقع الخلف بين الحيين قريظة وغطفان في وقعة الخندق فخالف بعضهم بعضاً ورحلوا عن
المدينة، مات في خلافة عثمان، وقيل: قتل أول خلافة علي - رضي الله عنه -. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن
حجر (568/3)، والاستيعاب لابن عبد البر (557/3) بهامش الإصابة.
(١١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (127/12).

الثاني: أن « العرب تذكر الجمع وتريد به الواحد، فإنهم يقولون للرجل الواحد: أيها القوم كفوا عنا إذاكم »⁽¹⁾.

وبنفس الدليلين استدل الإمام الطبري على اختياره وهو أن المراد عيسى عليه السلام⁽²⁾.

وأما القائلون بأن المراد بالآية جميع المرسلين عليهم السلام، فبينوا أن « هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما، وكيف والرسول إنما أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة، وإنما المعنى: الإعلان بأن كل رسول في زمان نُودي بذلك ووصي به ليعتقد السامع أن أمراً نُودي له جميع الرسل ووصوا به تحقيق أن يؤخذ ويعمل عليه »⁽³⁾.

وعليه يظهر - والله أعلم - أن الأصح ما ذهب إليه ابن قتيبة ومن وافقه من كون الخطاب موجّه للنبي ﷺ وأنه أقامه مقام الرسول، واستدلّاهم بقوله تعالى ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ [سورة آل عمران 173] ومعروف أن المراد بلفظ «الناس» المذكور في الآية هو الصحابي: نعيم بن مسعود - رضي الله عنه - وحده. فاستدلّاهم هذا ضمن القاعدة الترجيحية: « القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على غيره »⁽⁴⁾.

(١) انظر: جامع البيان للطبري (28/18)، وتفسير القرآن للسماعي (478/3).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (28/18).

(٣) انظر: الكشف للزمخشري (192/3)، ومدارك التنزيل للنسفي (124/3).

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحري (312/1).

وكذلك كون هذا الأسلوب معروفاً في اللغة، فهو ضمن القاعدة
الترجيحية: « حمل كلام الله تعالى على المعروف من لغة العرب أولى »⁽¹⁾، والله
أعلم بالصواب.

(1) المرجع السابق (369/2).

معنى: ﴿تَلَقَّوْنَهُ﴾

11- ﴿إِذَا تَلَقَّوْنَهُ بِالْسِّنِّكُمْ وَتَقُولُونَ يَا فَوَهِهُمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [سورة

النور: 15].

يرى الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - أن معنى ﴿تَلَقَّوْنَهُ﴾: «أي تقبلونه»⁽¹⁾.

وقد وافق ابن قتيبة في اختياره مع زيادة في المعنى؛ كل من الطبري حينما بين

أن المراد بـ ﴿تَلَقَّوْنَهُ﴾ أي: «تقبلونه، ويرويه بعضكم عن بعض»⁽²⁾. والبقاعي⁽³⁾

بقوله: «أي يتجهدون في تلقي أي قبول هذا الكلام الفاحش وإلقائه»⁽⁴⁾.

وذهب الأكثر من أئمة التفسير إلى أن معنى ﴿تَلَقَّوْنَهُ﴾ أي: «يأخذه بعضكم

من بعض، قال به الإمام مجاهد⁽⁵⁾، ومقاتل⁽¹⁾، والنحاس⁽²⁾، والجصاص⁽³⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(258).

(٢) جامع البيان (178/18).

(٣) برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، أصله من البقاع في سورية، نزيل القاهرة ثم

دمشق، من مؤلفاته: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) و (مصرع التصريف). توفي سنة

885هـ. الضوء اللامع (101/1).

(٤) نظم الدرر (171/5).

(٥) تفسير مجاهد (438/2). وهو: مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي المخزومي مولاهم، المقريء

المفسر أحد الأعلام، صح عنه أنه قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أوقفه عند كل

والسمرقندي⁽⁴⁾، وابن أبي زمنين⁽⁵⁾، والواحدي⁽⁶⁾، والسمعاني⁽⁷⁾،
والزنجشيري⁽⁸⁾، والفخر الرازي⁽⁹⁾، والنسفي⁽¹⁰⁾، وابن جزري⁽¹¹⁾،
وأبو حيان⁽¹²⁾، وابن كثير⁽¹⁾، والمحلي⁽²⁾، وأبو السعود⁽³⁾.

آية أسأله فيم نزلت وكيف كانت، توفي سنة 103هـ وهو ساجد. معرفة القراء الكبار (66/1)،
وطبقات الحفاظ ص(42).

(٤) تفسير مقاتل (412/2). وهو: مقاتل بن سليمان بن سليم بن كثير الخراساني، المفسر، قال عنه الشافعي:
الناس عيال على مقاتل بن سليمان في التفسير. توفي سنة (150هـ). طبقات المفسرين (330/2).

(٥) معاني القرآن (163/5).

(٦) أحكام القرآن (163/5). والخصاص هو: أبو بكر أحمد بن علي الرازي المعروف بالخصاص، سكن
بغداد؛ وعنه أخذ فقهاؤها، قال الخطيب: كان إمام أصحاب أبي حنيفة في وقته، وكان مشهوراً بالزهد.
توفي سنة 370هـ. طبقات المفسرين (55/1).

(٧) بحر العلوم (503/2).

(٨) تفسير القرآن العزيز (162/3). وابن أبي زمنين هو: أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عيسى بن أبي
زمنين المري، وهو من المفاهير الغرناطية من كبار المحدثين والعلماء والراسخين متفناً في العلم والآداب،
حسن التأليف مليح التصنيف، توفي سنة 399هـ الديباج المذهب ص(270).

(٩) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (759/2).

(١٠) تفسير القرآن (511/3).

(١١) الكشاف (223/3).

(١٢) التفسير الكبير (156/23).

(١٣) مدارك التنزيل (138/3).

(١٤) التسهيل لعلوم التنزيل (61/3).

(١٥) البحر المحيط (162/6). وأبو حيان هو: الإمام محمد بن يوسف بن علي بن حيان، أبو حيان
الأندلسي، نحوي عصره، ومفسره، ومحدثه، ومقرئه، ومؤرخه، وأديبه، كان حجة سالم العقيدة من
البدع الفلسفية، من تصانيفه المشهورة: البحر المحيط في التفسير. توفي سنة (745هـ). طبقات
المفسرين (286/2).

وذهب البغوي إلى أن معنى ﴿تَلَقَّوْنَهُ﴾ أي: «تقولونه»⁽⁴⁾.

والسعدي ذهب إلى أن ﴿تَلَقَّوْنَهُ﴾ معناها: «تلقونه ويلقيه بعضكم إلى بعض

»⁽⁵⁾، فيظهر أن السعدي قد جمع في بيانه ولقد أحسن الماوردي⁽⁶⁾ وسبَّق في

زيادة إيضاح المعنى حين جمع المراد بمعنى الآية فقال: «قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾

فيه وجهان: أحدهما: هو أن تتحدث به وتلقيه بين الناس حتى ينتشر الثاني: أن

يتلقاه بالقبول إذا حدث به ولا ينكره»⁽⁷⁾.

(١) تفسير القرآن العظيم (275/3).

(٢) تفسير الجلالين ص(459).

(٣) إرشاد العقل السليم (162/6).

(٤) معالم التنزيل (332/3).

(٥) تيسير الكريم الرحمن ص(564).

(٦) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، كان ثقة من وجوه الفقهاء الشافعيين، ولي القضاء،

وله مصنفات كثيرة في الفقه وأصوله والتفسير والأدب، توفي سنة 450هـ، طبقات المفسرين

(423/1).

(٧) النكت والعيون (171/4).

والذي يظهر -والله أعلم- من خلال استعراض أقوال الأئمة المفسرين أن كل ما ذكر يصح اعتباره بياناً لمعنى الآية، فمجرد القول والتلفظ بالإفك على أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها وعن أبيها - إثم، وقبول هذا القول وتصديقه إثم، ونقله وتناقله بالألسن إثم.

فائدة:

قال القرطبي عند تفسيره للآية في المسألة السابعة عشر: قال هشام بن عمار سمعت مالكا يقول: من سب أبا بكر وعمر أدب ومن سب عائشة قتل، لأن الله تعالى قوله: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النور: 17] فمن سب عائشة فقد خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل، قال ابن العربي: قال أصحاب الشافعي من سب عائشة -رضي الله عنها- أدب كما في سائر المؤمنين وليس قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ في عائشة لأن ذلك كفر، وإنما هو كما قال -عليه السلام-: « لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه » ولو كان سلب الإيمان في سب من سب عائشة حقيقة لكان سلبه في قوله: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » حقيقة .. قلنا: ليس كما زعمتم فإن أهل الإفك رموا عائشة المطهرة بالفاحشة فبرأها الله تعالى فكل من سبها بما برأها الله منه مكذب لله ومن كذب الله فهو كافر، فهذا طريق قول مالك وهو سبيل لائحة لأهل البصائر ولو أن رجلاً سب عائشة بغير ما برأها الله منه لكان جزاؤه الأدب»⁽¹⁾، والله أعلم بالصواب.

(1) الجامع لأحكام القرآن (206/12).

معنى: ﴿مَا زَكَّيْ﴾

12 - قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، مَا زَكَّيْ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [سورة النور: 21].

يرى الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - أن معنى ﴿مَا زَكَّيْ﴾: أي: «ما طهر»⁽¹⁾.

ولقد وافقه فيما ذهب إليه من أئمة التفسير كل من:

- الطبري، قال: «يقول تعالى ذكره ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته لكم ما تطهر منكم من أحد أبداً من دنس ذنوبه وشركه، ولكن الله يطهر من يشاء من خلقه»⁽²⁾.

- السمرقندي: «ولكن الله يزكي، أي يطهر»⁽³⁾.

- الزمخشري: «ولولا أن الله تعالى تفضل عليكم بالتوبة المحصنة لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس إثم الإفك، ولكن الله تعالى يطهر التائبين بقبول توبتهم إذا محضوها، وهو سميع لقولهم عليهم بضمائرهم وإخلاصهم»⁽⁴⁾.

- الألويسي: ﴿مَا زَكَّيْ﴾ أي ما طهر أي ما طهر من دنس الذنوب»⁽⁵⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(259).

(٢) جامع البيان (101/18).

(٣) بحر العلوم (504/2).

(٤) الكشاف (226/3).

(٥) روح المعاني (124/18).

- السعدي: « ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً
« أي: ما تطهر من اتباع خطوات الشيطان، لأن الشيطان يسعى هو وجنده في
الدعوة إليها وتحسينها، والنفس ميالة إلى السوء أمارة به، والنقص مستولٍ على
العبد من جميع جهاته، والإيمان غير قوي، فلو خلي وهذه الدواعي؛ ما زكى أحد
بالتطهر من الذنوب والسيئات»⁽¹⁾.

- الشريقي: « فالزكاة في هذه الآيات ونحوها يراد بها الطهارة من أدناس
الذنوب والمعاصي»⁽²⁾.

ومما ورد في معنى ﴿مَا زَكَّيْكُمْ﴾ أقوال؛ منها: « ما اهتدى، وقيل: ما أسلم،
وقيل: ما صلح»⁽³⁾.

وعليه نجد أن بعض المفسرين يورد قولين أو أكثر عند تفسيره للآية، وقد
يكون منها القول الذي اختاره ابن قتيبة، أو يقتصر على قول واحد غير اختيار ابن
قتيبة، فمنهم: السمعاني؛ قال: « ﴿مَا زَكَّيْكُمْ﴾ أي ما صلح»⁽⁴⁾، وابن عطية قال:

« أي ما اهتدى ولا أسلم ولا عرف رشداً»⁽⁵⁾. وتبعه القرطبي⁽⁶⁾ بنفس
الألفاظ.

(١) تيسير الكريم الرحمن ص(564).

(٢) أضواء البيان (227/3).

(٣) الأقوال الثلاثة أوردها ابن الجوزي الأول عن ابن عباس، والثاني عن ابن زيد، والثالث عن مقاتل
انظر: زاد المسير بتصرف (23/6).

(٤) تفسير القرآن (513/3).

(٥) المحرر الوجيز (172/4).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (207/12).

والمحلي قال: « أي ما صلح وطهر »⁽¹⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - صحة حمل الآية على جميع المعاني المذكورة، لكون الهداية والصلاح والطهارة من الذنوب كلها لا تتم إلا بتوفيق من الله تعالى، وقد قال الإمام البغوي مبيناً احتمال الألفاظ المذكورة لمعنى الآية: « والآية على العموم عند بعض المفسرين »⁽²⁾، والله أعلم بالصواب.

(1) تفسير الجلالين ص(460).

(2) معالم التنزيل (333/3).

معنى: ﴿أَنْ يُؤْتُوا﴾

13 - قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ هَدَىٰ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة النور: 22].

﴿أَنْ يُؤْتُوا﴾ [سورة النور: 22].

قال الإمام ابن قتيبة عند بيانه لمعنى الآية: «﴿أَنْ يُؤْتُوا﴾ أراد أن لا يؤتوا،

فحذف (لا)»⁽¹⁾.

ولقد وافقه في اختياره المذكور عدد غير قليل من أئمة التفسير؛ منهم:
النحاس⁽²⁾، والسمرقندي⁽³⁾، والواحدي⁽⁴⁾، وابن الجوزي⁽⁵⁾، والقرطبي⁽⁶⁾،

(1) تفسير غريب القرآن ص(259).

(2) معاني القرآن (512/4).

(3) بحر العلوم (504/2).

(4) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (760/2).

(5) زاد المسير (24/6). وابن الجوزي هو: الإمام الحافظ المفسر أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي الحنبلي، صاحب التصانيف، كان بجرأاً في التفسير، علامة في السيرة والتاريخ، موصوفاً بحسن الحديث ومعرفة فنونه، فقيهاً عليمًا بالإجماع والاختلاف، جيد المشاركة في الطب، ذا تفنن وفهم وذكاء وحفظ واستحضر. توفي سنة (597هـ). نزهة الفضلاء (1502/3).

(6) الجامع لأحكام القرآن (209/12).

والبيضاوي⁽¹⁾، والنسفي⁽²⁾، وابن كثير⁽³⁾، وأبو السعود⁽⁴⁾، والشوكاني⁽⁵⁾،
والآلوسي⁽⁶⁾.

وفريق آخر من المفسرين اكتفى عند تفسيره للآية بذكر سبب النزول
فقط شرحاً وبياناً لمعناها، كالإمام الثوري⁽⁷⁾، والبغوي⁽⁸⁾، وابن جزي⁽⁹⁾،
والسيوطي⁽¹⁰⁾، والسعدي⁽¹¹⁾، والشنقيطي⁽¹²⁾.

(١) أنوار التنزيل (179/4).

(٢) مدارك التنزيل (140/3).

(٣) تفسير القرآن العظيم (276/3).

(٤) إرشاد العقل السليم (165/6).

(٥) فتح القدير (16/4).

(٦) روح المعاني (125/18).

(٧) تفسير الثوري (222/1). وهو: سفيان بن سعيد الإمام أبو عبد الله الثوري أحد الأعلام علما

وزهدا، قال ابن المبارك: ما كتبت عن أفضل منه توفي في شعبان 161هـ. الكاشف (449/1).

(٨) معالم التنزيل (334/3).

(٩) التسهيل لعلوم التنزيل (63/3).

(١٠) الدر المنثور (143/6). والسيوطي هو: أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي

(أو الأسيوطي) الشافعي، الحبر البحر أعجوبة الدهر، شيخ الإسلام صاحب المؤلفات الحافلة الجامعة

النافعة، نشأ يتيماً وحفظ القرآن وهو دون ثمان سنين، ثم شرع بالاشتغال بالعلم، رزق التبحر في سبعة

علوم: التفسير والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع. وتوفي عام 911هـ. حسن

المحاضرة (335/1)، ومعجم المطبوعات العربية ص (1073).

(١١) تيسير الكريم الرحمن ص (564).

(١٢) أضواء البهلاء (485/5).

والذي يظهر - والله أعلم - أنه لا خلاف جوهرياً بين الفريقين، فمن ذكر سبب النزول مكتفياً به بياناً لمعنى الآية فقد تضمن المعنى الذي بينه الفريق الأول وأن المراد بـ ﴿أَنْ يُؤْتُوا﴾ يعني: أن لا يؤتوا، على حذف لفظ « لا »، فإن أبا بكر قد حلف أن لا ينفق على مسطح بعد ما قاله ضمن من تحدث في الإفك، فتبين اتفاق الفريقين في المعنى، والله أعلم بالصواب.

المراد بـ ﴿كِمَشْكُوتٍ﴾

14 - قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كِمَشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [سورة الرور: 35].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - في بيان معنى الآية: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ

نُورِهِ﴾ في قلب المؤمن ﴿كِمَشْكُوتٍ﴾ وهي: الكوة غير النافذة ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ أي سراج
«(1)».

ولقد وافقه فيما ذهب إليه من بيان أن (المشكاة) يراد بها: الكوة غير
النافذة، كل من السمرقندي⁽²⁾، والسمعاني⁽³⁾، والبغوي⁽⁴⁾، وابن جزري⁽⁵⁾،
جزري⁽⁵⁾، وابن كثير⁽⁶⁾.

ومما قيل في بيان معنى المشكاة: «أنها في موضع الفتيلة الذي هو
كالأنبوب»⁽¹⁾ و «أها القنديل والمصباح الفتيلة»⁽²⁾ ومنهم من قال: «المشكاة
المشكاة هي الحديدية التي يعلق بها القنديل»⁽³⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(261).

(٢) بحر العلوم (512/2).

(٣) تفسير القرآن (530/3).

(٤) معالم التنزيل (345/3).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (67/3).

(٦) تفسير القرآن العظيم (291/3).

ومع وجود أقوال عدة في بيان معنى المشكاة، إلا أن أقوال الأئمة المفسرين قد تضافرت على وصف القول الذي اختاره ابن قتيبة بأنه: « أظهر الأقاويل وأوّلَى »⁽⁴⁾.

وأنه قول « جمهور المفسرين »⁽⁵⁾، وبأنه هو: « أصح وأشهر »⁽⁶⁾، وأنه « القول الأوّلَى »⁽⁷⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) حكاة ابن الجوزي عن ابن عباس، انظر: زاد المسير (40/6).

(٢) حكاة ابن الجوزي عن مجاهد. المرجع السابق.

(٣) أورده السمعاني ولم يرجحه، انظر: تفسير القرآن (530/3).

(٤) المرجع السابق.

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (257/12).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (67/3).

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (291/3).

معنى: ﴿كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾

15 - قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ

دُرِّيٌّ﴾ [سورة النور: 35].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - في بيان المراد بالكوكب الدرّي: «إنه من الكواكب الدراري، وهو اللاتي يدرأن أي يطلعن»⁽¹⁾.

وروي أنه «مأخوذ من درأ يدرأ إذا اندفع منقضاً فضاء نوره، يقال:

تدارأ الرجلان إذا تدافعا»⁽²⁾.

وثم رأي آخر أن «الدرّي منسوب إلى أنه كالدر في صفائه وحسنه»⁽³⁾.

«⁽³⁾».

الغالبية العظمى من المفسرين اتفقوا مع ابن قتيبة في أن المراد بـ ﴿كَوْكَبٌ

دُرِّيٌّ﴾: «أي أحد الدراري المضيئة»⁽⁴⁾ من «الكواكب العظيمة»⁽⁵⁾، منهم:

(1) تفسير غريب القرآن ص (261).

(2) حكاة ابن الجوزي عن الزجاج. انظر: زاد المسير (41/6).

(3) حكاة ابن الجوزي عن الزجاج. المرجع السابق.

(4) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (68/3).

(5) إرشاد العقل السليم (176/6).

الطبري⁽¹⁾، وابن عطية⁽²⁾، والقرطبي⁽³⁾، والنسفي⁽⁴⁾، وابن جزى⁽⁵⁾، وابن كثير⁽⁶⁾، والثعالبي⁽⁷⁾، وأبو السعود⁽⁸⁾، والشوكاني⁽⁹⁾.

ثم زاد بعضهم في إيضاح معنى الآية بيان معنى ﴿دُرِّيٌّ﴾ فقال الطبري: «

درئ الكوكب أي دفع ورجم به الشيطان من قوله ﴿وَيَذُرُّهَا الْعَذَابُ﴾ [سورة النور:

8] أي يدفع، والعرب تسمي الكواكب العظام التي لا تعرف أسماءها الدراري

«⁽¹⁰⁾.

وقال ابن عطية: «إما أن ينسب الكوكب إلى الدر لبياضه وصفائه، وإما أن

يكون أصله درئ مهموز من الدرء وهو الدفع»⁽¹¹⁾.

وقال ابن جزى: ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ شبه الزجاج في إنارتها بكوكب دري،

وذلك يحتمل معنيين: إما أن يريد أنها تضيئ بالمصباح الذي فيها، وإما أن يريد أنها

(١) جامع البيان (14/18).

(٢) المحرر الوجيز (184/4).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (258/2).

(٤) مدارك التنزيل (147/3).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (68/3).

(٦) تفسير القرآن العظيم (291/3).

(٧) الجواهر الحسان (121/3).

(٨) إرشاد العقل السليم (176/6).

(٩) فتح القدير (33/4).

(١٠) جامع البيان (140/18).

(١١) المحرر الوجيز (184/4).

في نفسها شديدة الضوء لصفائها ورقة جوهرها، وهذا أبلغ لاجتماع نورها مع نور المصباح، والمراد بالكوكب الدرّي أحد الدراري المضيئة كالمشترى والزهرة، وسهيل ونحوها»⁽¹⁾.

وقال ابن كثير: «﴿الرَّجَاءُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ قرأ بعضهم بضم الدال من غير همزة من الدر أي كأنها كوكب من در، وقرأ آخرون دريء ودُرْيء بكسر الدال وضمها مع الهمزة من الدرء وهو الدفع؛ وذلك أن النجم إذا رُمي به يكون أشد استنارة من سائر الأحوال، والعرب تُسمى ما لا يعرف من الكواكب دراري»⁽²⁾.

وقال أبو السعود: «﴿الرَّجَاءُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ متلألئ، وقد شُبّه بالدرّي صفائه وزهرته، ودراري الكواكب عظامها المشهورة، وقرئ دُرِّيٌّ بدال مكسورة وراء مشددة وياء ممدودة بعدها همزة على أنه فعيل من الدرء وهو الدفع؛ أي مبالغ في دفع الظلام بضوئه، أو في دفع بعض أجزاء ضيائه لبعض عند البريق واللمعان»⁽³⁾. واللمعان»⁽³⁾.

وبعد استعراض أقوال المفسرين يظهر -والله أعلم- أنه لا خلاف تضاد بينهم في بيان الآية إنما هو خلاف لفظي والمعنى واحد هو الدلالة على شدة الإضاءة وصفائها وتشبيه النور المعنوي الحاصل من اتباع الهدى والقرآن بالنور الحسي، وهذا الاختلاف اللفظي مردّه إلى اختلاف القراءة في لفظ ﴿دُرِّيٌّ﴾ ولقد أحسن الإمام ابن الجوزي حيث جمع كل القراءات الواردة في اللفظة والمعاني المترتبة

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (68/3)

(2) تفسير القرآن العظيم (291/3).

(3) إرشاد العقل السليم (176/6).

عليها، حيث قال: «أما الدرّي فقرأ أبو عمرو والكسائي وأبان عن عاصم (درّيء) بكسر الدال وتخفيف الياء ممدوداً مهموزاً، قال ابن قتيبة المعنى على هذا: إنه من الكواكب الدراري وهي اللاتي يدرأن عليك أي يطلعن. وقال الزجاج: هو مأخوذ من درأ يدرأ إذا اندفع منقضاً فتضاعف نوره، يقال: تدرأ الرجلان إذا تدافعا. وروى المفضل عن عاصم كسر الدال وتشديد الياء من غير همز ولا مد [درّي] وهي قراءة عبدالله بن عمر والزهري. وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم (درّي) بضم الدال وكسر الراء وتشديد الياء من غير مد ولا همز. وقرأ عثمان بن عفان وابن عباس وعاصم الجحدري (درّيء) بفتح الدال وكسر الراء ممدوداً مهموزاً. وقرأ أبي بن كعب وسعيد بن المسيب وقتادة بفتح الدال وتشديد الراء والياء من غير مد ولا همز [درّي] وقرأ ابن مسعود وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة وابن يعمر بفتح الدال وكسر الراء مهموزاً مقصوراً [درّيء] قال الزجاج: الدرّي منسوب إلى أنه كالدر في صفائه وحسنه»⁽¹⁾، والله أعلم بالصواب.

(1) انظر: زاد المسير (41/6)، بتصرف.

معنى: ﴿كِرَابٍ بِقِيَعَةٍ﴾

16- قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كِرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ

عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ [سورة النور: 39].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - في بيان معنى الآية: «السراب: ما رأيته من الشمس كالماء نصف النهار»⁽¹⁾. فابن قتيبة - رحمه الله - بين معنى السراب لغةً فقط، بينما توسّع غيره في البيان بذكر أركان التشبيه المذكورة في الآية ودلالاتها على عدم انتفاع الكافر بعمله الصالح يوم القيامة كعدم انتفاع الظمآن من السراب.

قال البغوي: «السراب: الشعاع الذي يُرى نصف النهار عند شدة الحر في البراري يشبه الماء الجاري على الأرض يظنه من رآه ماء، فإذا قرب منه انفض⁽²⁾ فلم يرَ شيئاً، والقبيعة جمع القاع وهو المنبسط الواسع من الأرض وفيه يكون

السراب ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ﴾ أي يتوهمه العطشان ﴿مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ﴾ أي جاء ما قد رأى

أنه ماء، وقيل جاء موضع السراب ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ على ما قدّر وحسبته، كذلك

(١) تفسير غريب القرآن ص(261).

(٢) قال في القاموس المحيط: «الفس كالفشوش، ومناقع الماء، وقرارته». انظر: القاموس المحيط

للفيروزآبادي ص(775) باب الشين فصل الفاء، بتصرف يسير.

الكافر يحسب أن عمله نافع فإذا أتاه ملك الموت واحتاج إلى عمله لم يجد عمله أغنى منه شيئاً ولا نفعه ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ﴾ أي عند عمله أي وجد الله تعالى بالمرصاد، وقيل قدم على الله تعالى»⁽¹⁾.

وبعبارات لا تختلف كثيراً وتشير إلى المعنى الذي ذكره البغوي جاءت عبارات كل من: الزمخشري⁽²⁾، وابن الجوزي⁽³⁾، والبيضاوي⁽⁴⁾، وابن جزري⁽⁵⁾، والمحلي⁽⁶⁾، والثعالبي⁽⁷⁾، والشوكاني⁽⁸⁾.

بل منهم من اكتفى بذكر ما قصدت إليه الآية من بيان عدم انتفاع الكافر بعمله الصالح الذي عمله في الدنيا، دون التوسع في بيان المعنى اللغوي للسراب والقيعة، قال الصنعاني: «﴿كَرَّابٍ بَقِيعَةٍ﴾ قال بقيعة من الأرض يحسبه الظمآن ماء، فهو مثل ضربه الله تعالى لعمل الكافر يحسب أنه في شيء، كما يحسب هذا السراب ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، وكذلك الكافر إذا مات لم يجد عمله شيئاً»⁽⁹⁾.

(١) معالم التنزيل (349/3).

(٢) الكشاف (248/3).

(٣) زاد المسير (49/6).

(٤) أنوار التنزيل (192/4).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (69/3).

(٦) تفسير الجلالين ص (465).

(٧) الجواهر الحسان (123/3).

(٨) فتح القدير (38/4).

(٩) تفسير القرآن (61/3).

وبنحو قوله قال كل من الطبري⁽¹⁾، والسمرقندي⁽²⁾، والقرطبي⁽³⁾،
والشربطي⁽⁴⁾.

وعليه يظهر - والله أعلم - اتفاقهم في بيان معنى الآية، وإن طالت أو قصرت
العبارات، فالمقصود بيان عدم انتفاع الكافر في الآخرة بما قدم من أعمال صالحة في
الدنيا كالبر والصدقة والصلة والإحسان وغيرها كعدم انتفاع الظمآن بما يراه من
سراب في البراري، والله أعلم بالصواب.

(١) جامع البيان (150/18).

(٢) بحر العلوم (515/2).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (282/12).

(٤) أضواء البيان (549/5).

المراد ب ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ ﴾

17- قال تعالى: ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا ﴾ [سورة النور: 60].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - في بيان المراد بـ ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ ﴾: «

يعني العجز، واحدها قاعد، ويقال: إنما قيل لها قاعد لقعودها عن الحيض والولد، وقد تقعد عن الحيض والولد ومثلها يرجو النكاح، ولا أراها سميت قاعدًا إلا بالقعود؛ لأنها إذا أسنت عجزت عن التصرف وكثرة الحركة وأطالت القعود؛ فقيل لها: قاعدٌ؛ بلا هاء ليدل حذف الهاء على أنه قعود كبير، كما قالوا: امرأة حامل بلا هاء ليدل بحذف الهاء على أنه حمل حبل، وقالوا في غير ذلك: قاعدة في بيتها وحاملة على ظهرها»⁽¹⁾. فابن قتيبة - رحمه الله - يرى أن قوله تعالى ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ ليس مجرد قعودها عن الحيض والولد، وإنما أيضا نتيجة لكبر سنها وعجزها عن التصرف وكثرة الحركة تطيل القعود فسميت قاعدًا.

ولقد وافق ابن قتيبة على نفس الرأي الذي سار عليه وبنفس الألفاظ أو قريباً منها كلٌّ من: الطبري⁽²⁾، والسمرقندي⁽³⁾، والواحدي⁽⁴⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(263).

(٢) جامع البيان (165/18).

(٣) بحر العلوم (523/2).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (770/2).

والسمعاني⁽¹⁾، والبغوي⁽²⁾، وابن عطية⁽³⁾، والفخر الرازي⁽⁴⁾، والقرطبي⁽⁵⁾،
والثعالبي⁽⁶⁾، والسعدي⁽⁷⁾، والشنقيطي⁽⁸⁾.

وفريق آخر من المفسرين شرحوا المراد بالقواعد من النساء بأنهن اللاتي قعدن
عن الحيض والحمل، كالزمخشري⁽⁹⁾، والبيضاوي⁽¹⁰⁾، والنسفي⁽¹¹⁾،
والمحلي⁽¹²⁾، وأبي السعود⁽¹³⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - أن الراجح في بيان معنى ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ ما
ذهب إليه ابن قتيبة ومن وافقه، وأنها ما سميت قاعدًا إلا بالعود لأنها إذا أسنت -
وبالطبع انقطع حيضها وحملها - عجزت عن التصرف وكثرة الحركة وأطالت
العود فقيل لها قاعد، بدليل ما يعرف ويشاهد من واقع بعض النساء اللاتي قعدن

(١) تفسير القرآن (548/3).

(٢) معالم التنزيل (356/3).

(٣) المحرر الوجيز (195/4).

(٤) التفسير الكبير (30/24).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (309/12).

(٦) الجواهر الحسان (126/3).

(٧) تيسير الكريم الرحمن ص (574).

(٨) أضواء البيان (248/6).

(٩) الكشف (260/3).

(١٠) أنوار التنزيل (200/4).

(١١) مدارك التنزيل (156/3).

(١٢) تفسير الجلالين ص (468).

(١٣) إرشاد العقل السليم (195/6).

عن الحيض والحمل، ولا يزال فيهن جمال وترجو النكاح ويرغبهن الرجال، والله أعلم بالصواب.

معنى: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾

18- قال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾ [سورة الفرقان: 12].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - في بيان معنى الآية: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾

أي: تغيضاً عليهم. كذلك قال المفسرون.

وقال قوم: بل يسمعون فيها تغيض المعذنين وزفيرهم، واعتبروا ذلك بقول الله

جل ثناؤه: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ﴾ [سورة هود: 106].

واعتبر الأولون قولهم بقوله تعالى في سورة الملك: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾؛ وهذا

أشبه التفسيرين - إن شاء الله - بما أريد، لأنه قال سبحانه: ﴿سَمِعُوا لَهَا﴾، ولم يقل:

سمعوا فيها، ولا: منها»⁽¹⁾.

فابن قتيبة يرى أن ما يسمعه الكفار من تغيض هو صوت النار أي صوت

الغليان الناتج عن الإحراق من شدة غيظها على الكفار.

ولقد وافقه فيما ذهب إليه جمهور المفسرين، منهم: الطبري: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ

بَعِيدٍ﴾ يقول: إذا رأت هذه النار التي اعتدناها لهؤلاء المكذبين أشخاصهم من مكان

(1) تفسير غريب القرآن ص (266).

بعيد تغيظت عليهم، وذلك أن تغلي وتفور، يقال: فلان تغيظ على فلان وذلك إذا غضب عليه فغلى صدره من الغضب عليه وتبين في كلامه، وزفيراً وهو صوتها. فإن قال قائل: وكيف قيل: سمعوا لها تغيظاً والتغيظ لا يُسمع، قيل: معنى ذلك سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد»⁽¹⁾.

ابن عطية: «وقوله تعالى: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾، لفظ فيه تجوز، وذلك أن

التغيظ لا يُسمع، وإنما المسموع أصوات دالة على التغيظ، وهي لا شك احتدامات في النار كالذي يُسمع في نار الدنيا، فَنَسَبَةُ هذا المسموع الذي في الدنيا من ذلك نسبة الإحراق من الإحراق وهي سبوعون درجة كما ورد في الصحيح»⁽²⁾.

القرطبي: «﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾ قيل: المعنى إذا رأتم جهنم سمعوا لها صوت

التغيظ عليهم وقيل: المعنى إذا رأتم خزأها سمعوا لهم تغيظاً وزفيراً حرصاً على عذابهم، والأول أصح»⁽³⁾.

البقاعي: «﴿سَمِعُوا لَهَا﴾ أي: خاصة ﴿تَغِيظًا﴾ أي صوتاً في غليانها وفورانها

كصوت المتغيظ في تحرقه ونكارتة إذا غلا صدره من الغضب، ﴿وَزَفِيرًا﴾ أي صوتاً

يدل على نتهى الغضب، وأصله صوت يسمع من الجوف»⁽¹⁾.

(1) جامع البيان (186/18).

(2) المحرر الوجيز (202/4)، والحديث الذي أشار إليه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب صفة النار (1191/3)، الحديث رقم (3092).

(3) الجامع لأحكام القرآن (7/13).

الشوكاني: « ومعنى التغيظ أن لها صوتاً يدل على التغيظ على الكفار أو لغليناها صوتاً يشبه صوت المغتاض. والزفير: هو الصوت الذي يُسمع من الجوف »⁽²⁾.

سيد قطب⁽³⁾: « ونحن هنا أمام مشهد السعير المتسعرة، وقد دبّت فيها الحياة! فإذا هي تنظر فترى أولئك المكذبين بالساعة، تراهم من بعيد، فإذا هي تتغيظ وتزفر فيسمعون زفيرها وتغيظها، وهي تتحرق عليهم وتُصعد الزفرات غيظاً منهم؛ وهي تتميز من النعمة، وهم إليها في الطريق مشهد رهيب يزلزل الأقدام والقلوب »⁽⁴⁾.

ابن عاشور⁽⁵⁾: « والتغيظ: شدة الغيظ. والغيظ: الغضب الشديد، فصيغة التفعّل هنا الموضوعة في الأصل لتكلف الفعل مستعملة مجازاً في قوته، لأن المتكلف لفعل يأتي به كأشد ما يكون، والمراد به هنا صوت المتغيظ، بقرينة تعلقه بـ **صوتاً** فهو

(١) نظم الدرر (303/5).

(٢) فتح القدير (64/4).

(٣) سيد قطب إبراهيم، ولد في صعيد مصر عام (1324هـ)، وصل في النقد والأدب إلى القمة، من أبرز رواد الفكر الإسلامي المعاصر، كانت عقيدته عقيدة السلف الصالح، وفكره سلفي خالٍ من الشوائب تركّز حول موضوع التوحيد الخالص وبيان المعنى الحقيقي لـ (لا إله إلا الله)، له الكثير من المؤلفات؛ من أهمها تفسير (في ظلال القرآن الكريم). توفي سنة 1386هـ. من أعلام الحركة الإسلامية ص (337).

(٤) في ظلال القرآن (2555/5).

(٥) الشيخ محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، ولد عام (1296هـ) أحد علماء تونس المشهورين، من أشهر مؤلفاته: (التحرير والتنوير في تفسير القرآن الكريم). توفي سنة (1393هـ). تراجم المؤلفين التونسيين (304/3).

تشبيهه بليغ.. والزفير: امتداد النَّفس من شدة الغيظ وضيق الصدر، أي صوتًا كالزفير فهو تشبيه بليغ أيضًا.

ويجوز أن يكون تعالى قد خلف لجهنم إدراكًا للمرئيات بحيث تشتد أحوالها عند انطباع المرئيات فيها فتضطرب وتفيض وتتهيا لالتهايم بعثها فتحصل منها أصوات التغيظ والزفير، فيكون إسناد الرؤية والتغيظ والزفير حقيقة، وأمور العالم الأخروي لا تقاس على الأحوال المتعارفة في الدنيا»⁽¹⁾.

الشنقيطي: « ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن النار يوم القيامة إذا رأت الكفار من مكان بعيد، أي من عرصات المحشر اشتد غيظها على من كفر بربها وعلا زفيرها، فسمع الكفار صوتها من شدة غيظها وسمعوا زفيرها.

وما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة بين بعضه في سورة الملك، وأوضح فيها شدة غيظها على من كفر بربها، وأنهم يسمعون لها أيضًا شهيقًا مع الزفير الذي ذكره في آية الفرقان هذه، وذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا الْقَوُفِيهَا سَمِعُوا مَا شَهِقَ وَهِيَ تَفُورُ

﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴿٨﴾ [سورة الملك: 7-8] أي يكاد بعضها ينفصل عن بعض من

شدة غيظها على من كفر بالله تعالى.

والأظهر أن معنى قوله تعالى: ﴿سَمِعُوا مَا تَغَيَّبُ﴾ أي: سمعوا غليانها من شدة

غيظها، ولما كان سبب الغليان التغيظ أطلقه عليه، وذلك أسلوب عربي معروف

(١) التحرير والتنوير (333/18).

(¹)، وقال بعض أهل العلم: سمعوا لها تغيظاً أي: أدركوه، والإدراك يشمل الرؤية والسمع، وعلى هذا فالسمع مضمن معنى الإدراك، وما ذكرنا أظهر» (²).
 وذهب إلى مثل ذلك أيضاً كل من الإمام الفراء (³)، والبغوي (⁴)،
 والزمخشري (⁵)، وابن كثير (⁶)، والسعدي (⁷).

ولم أجد أحداً رجح أو اختار قولاً آخر، وإنما يذكرون أكثر من قول عند تفسيرهم للآية، مع ملاحظة أن أول قول يذكرونه هو القول الذي رآه ابن قتيبة - وكذلك من وافقه - واعتبره الأولى لبيان معنى الآية، وسأشير باختصار إلى الأقوال الأخرى ومن ذكرها:

ف قيل: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾ أي: سمعوا صوت غليانها، وشبه ذلك بصوت المتغيظ الزافر، أو إذا رأتهم زبانتها تغيظوا وزفروا غضباً على الكفار»، وحكى

(¹) وهي إحدى علاقات مجاز المرسل، تسمية الشيء باسم سبب له. انظر: عقود الجمان في المعاني والبيان للسيوطي (44/2).

(²) أضواء البيان (24/06).

(³) معاني القرآن (263/2). والفراء هو: أبو زكريا يحيى بن زياد عبد الله الأسدي الفراء، كان ثقة، بحراً في النحو، عارفاً بالفقه، خبيراً بالطب، وبليام العرب، وغيرها من العلوم. توفي سنة 207هـ. نزهة الفضلاء (745/2).

(⁴) معالم التنزيل (363/3).

(⁵) الكشف (272/3).

(⁶) تفسير القرآن العظيم (310/3).

(⁷) تيسير الكريم الرحمن ص (579).

هذين القولين كل من: أبي حيان⁽¹⁾، والبيضاوي⁽²⁾، والنسفي⁽³⁾، وأبي السعود⁽⁴⁾.

وقال ابن الجوزي: « قوله تعالى: ﴿سَمِعُوا مَا تَنَطَّأ﴾ فيه قولان:

أحدهما: غليان تغيظ. قال المفسرون: والمعنى أنها تتغيظ عليهم، فيسمعون صوت تغيظها وزفيرها كالغضبان إذا غلى صدره من الغيظ.
الثاني: يسمعون فيها تغيظ المعذنين وزفيرهم⁽⁵⁾.

وقال المحلي: « ﴿سَمِعُوا مَا تَنَطَّأ﴾ غلياناً كالغضبان إذا غلى صدره من الغضب،

﴿وَزَفِيرًا﴾ صوتاً شديداً، أو سماع التغيظ رؤيته وعلمه⁽⁶⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - أن ما ذهب إليه ابن قتيبة ومن وافقه هو الواجح في بيان معنى الآية، وهو أن الذي يسمعه الكفار هو صوت النار - والعياذ بالله - وذلك لأمر:

1 - سياق الآية يدل عليه، فإن التاء في ﴿رَأَتْهُمْ﴾ والهاء في ﴿لَمَّا﴾ عائدة على

السعير، ولو كان المراد صوت الزبانية لاختلفت الضمائر، فإن « إدخال الكلام

(١) البحر المحيط (8/87).

(٢) أنوار التنزيل (4/208).

(٣) مدارك التنزيل (3/162).

(٤) إرشاد العقل السليم (6/206).

(٥) زاد المسير (6/75) بتصرف يسير.

(٦) تفسير الجلالين ص (471).

في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له⁽¹⁾ قاعدة في الترجيح معتبرة عند أئمة التفسير.

2- وجود آيات من القرآن الكريم تؤيد القول الراجح، وهي الآيات التي في سورة

الملك، وهي قوله تعالى: ﴿إِذَا الْقُوفِيهَا سَعَوْا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴿٨﴾﴾ [سورة

الملك: 7-8]، وتفسير القرآن بالقرآن أحسن أنواع التفسير⁽²⁾.

3- إجماع المفسرين من المتقدمين والمتأخرين عليه.

4- كونه أسلوباً معروفاً في اللغة العربية، كما ذكر ذلك الشنقيطي⁽³⁾.

5- عدم وجود مرجح لقول آخر، بل ومن ذكر أكثر من قول يبدأ بذكر القول

الراجح عند المفسرين، ثم يذكر بعده القول أو الأقوال الأخرى.
والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (125/1).

(٢) انظر: شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص (127).

(٣) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (24/6).

معنى: ﴿بُورًا﴾

19 - قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ [سورة الفرقان: 18].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - في بيان معنى ﴿بُورًا﴾: «أي: هلكى، وهو

من بار يبور: إذا هلك وبطل، يقال: بار الطعام؛ إذا كسد»⁽¹⁾.

وقد وافقه فيما ذهب إليه عدد غير قليل من أئمة التفسير منهم:

الطبري: قال: «وكانوا قومًا هلكى قد غلب عليهم الشقاء

والخذلان»⁽²⁾.

البعغوي: «﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ يعني: هلكى غلب عليهم الشقاء والخذلان، رجل

يقال له بائر، وقوم بور، وأصله من البوار وهو الكساد والفساد، وقيل: هو اسم

مصدر كالزور يستوي فيه الواحد والاثان والجمع والمذكر والمؤنث»⁽³⁾.

ابن عطية: «﴿بُورًا﴾ معناه: هلكى، والبوار: الهلاك، واختلف في لفظه،

فقال فرقة: هي مصدر يوصف به الجمع والواحد، وقالت فرقة: هي جمع باير،

(1) تفسير غريب القرآن ص(266).

(2) جامع البيان (190/18).

(3) معالم التنزيل (364/3).

وهو الذي قد فارقه الخير فحصل بذلك في حكم الهلاك، باشـره الهلاك بعد
أو لم يباشـر»⁽¹⁾.

البقاعي: «﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ في علمك بما قضيت عليهم في الأزل ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ هلـكى
»⁽²⁾.

الشوكاني: «﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ أي: وكان هؤلاء الذين أشركوا بك وعبدوا
غيرك في قضائك الأزل قوماً بوراً، مأخوذ من البوار وهو الهلاك
»⁽³⁾.

سيد قطب: «﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ فهذا المتاع
الطويل الموروث -على غير معرفة بواهب النعمة ولا توجه ولا شكر- قد ألـهـم
وأنسـاهـم ذلك المنعم، فانتـهت قلوبهم إلى الجذب والبوار، كالأرض البور لا حياة
فيها ولا زرع ولا ثمار، والبوار: الهلاك، ولكن اللفظ يوحي كذلك بالجذب
والخواء، جذب القلوب، وخواء الحياة»⁽⁴⁾.

(١) المحرر الوجيز (204/4).

(٢) نظم الدرر (307/5).

(٣) فتح القدير (67/4).

(٤) في ظلال القرآن (2555/2).

ابن عاشور: « والبور جمع بائر كالعوذ جمع عائد، والبائر: هو الذي أصابه البوار أي الهلاك، وقد استعملوا البور لشدة سوء الحالة بناء على العرف الذي يَعُدُّ الهلاك آخر ما يبلغ إليه الحي من سوء الحال »⁽¹⁾.

ومن قال بمثل ذلك أيضاً: الزمخشري⁽²⁾، والفخر الرازي⁽³⁾،

والبيضاوي⁽⁴⁾، والنسفي⁽⁵⁾، والخازن⁽⁶⁾، وابن جزري⁽⁷⁾، وغيرهم⁽⁸⁾.

وقيل أيضاً في بيان معنى ﴿بُورًا﴾: أي الذي لا خير فيه، ومن ذكر هذا المعنى:

الفراء: « ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ والبور مصدر واحد جمع؛ والبائر الذي لا شيء فيه،

تقول: أصبحت منازلهم بوراً، أي لا شيء فيها، فكذلك أعمال الكفار باطل،

ويقال: رجل بور وقوم بور »⁽⁹⁾.

السعدي: « ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ أي: بائرين لا خير فيهم، ولا يصلحون لصالح،

لا يصلحون إلا للهلاك والبوار، فذكروا المانع من اتباعهم الهدى، وهو التمتع في

(١) التحرير والتنوير (341/18).

(٢) الكشاف (273/3).

(٣) التفسير الكبير (56/24).

(٤) أنوار التنزيل (211/4).

(٥) مدارك التنزيل (164/3).

(٦) لباب التأويل (96/5).

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (76/3).

(٨) جلال الدين المحلي في الجلالين ص(472)، وأبوالسعود في إرشاد العقل السليم (209/6).

(٩) معاني القرآن (264/2).

الدنيا، الذي صرفهم عن الهدى وعدم المقتضي للهدى، وهو أنهم لا خير فيهم، فإذا عدم المقتضي، ووجد المانع، فلا تشاء من شر وهلاك إلا وجدته فيهم»⁽¹⁾.

في حين وُجد عدد آخر من المفسرين ذكروا القولين: (هلكى - وفاسدين لا

خير فيهم) عند تفسيرهم للآية واعتبروها بياناً لمعنى ﴿بُورًا﴾، فمنهم: ابن

الجوزي⁽²⁾، والقرطبي⁽³⁾، وأبو حيان⁽⁴⁾، والسمين الحلبي⁽⁵⁾، وابن كثير⁽⁶⁾.
كثير⁽⁶⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - من خلال استعراض أقوال المفسرين في معنى

﴿بُورًا﴾ أنه لا تعارض بين القولين، فكلاهما يصح معنى للآية، فكون الكفار هالكين

تساوي أنهم فاسدين ولا خير فيهم، ولو نظرت فيما قاله البغوي والسعدي وقد

ذكرتُ كلاً منهما آنفاً - لا تضح الترابط بين المعنيين، فإن البغوي فسّر ﴿بُورًا﴾ أي

هلكى غلب عليهم الشقاء والخذلان؛ فإنه شرح البوار بأنه الفساد. وأما السعدي

فقد فسّر ﴿بُورًا﴾ أي لا خير فيهم ثم شرح المراد بعدم وجود الخير فيهم بأنهم لا

يصلحون إلا للهلاك والوبار، والله أعلم بالصواب.

(١) تيسير الكريم الرحمن ص(580).

(٢) زاد المسير (78/6).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (11/13).

(٤) البحر المحيط (448/6).

(٥) الدر المصون (466/8).

(٦) تفسير القرآن العظيم (312/3).

معنى: ﴿صَرَفًا﴾

20- قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرَفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ نَفْسَهُ نُدْقُهُ

عَذَابًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ [سورة الفرقان: 19].

يرى الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - أن «الصرف» في الآية يراد به: «الحيلة؛ من قولهم: إنه ليتصرف، أي يجتال»⁽¹⁾.

لقد وردت في لفظ ﴿تَسْتَطِيعُونَ﴾ قراءتان، بالتاء الفوقية، وبالياء

التحتية⁽²⁾.. وبناء عليه جاء بيان معنى الآية عند أئمة التفسير شاملاً، لاحتماله للقراءتين.

قال الإمام الطبري: «وقوله جل ثناؤه ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرَفًا وَلَا نَصْرًا﴾ يقول:

فما يستطيع هؤلاء الكفار صرف عذاب الله حين نزل بهم عن أنفسهم، ولا نصرها من الله حين عذبها وعاقبها»⁽³⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(267).

(٢) قرأ حفص بالتاء الفوقية (تستطيعون)، وقرأ الباقون بالياء التحتية (يستطيعون).

انظر: القراءات العشر المتواترة، لمحمد كريم راجح ص(361)، عند الآية رقم (19) من سورة

الفرقان.

(٣) جامع البيان (193/18).

وبين النحاس أن الصرف يراد به: « الحيلة؛ من قولهم فلان يتصرف في الأشياء، أي فما يستطيعون أن يصرفوا عن أنفسهم العذاب ولا ينصروها»⁽¹⁾.

وقال الواحدي: « ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾ بقولكم إنهم كانوا آلهة ((فما يسـتطيعون)) يعني الآلهة ﴿صَرَفًا﴾ للعذاب عنكم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ لكم»⁽²⁾.

وقال البغوي: « ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ هذا خطاب مع المشركين؛ أي كذبكم المعبودون ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ إنهم آلهة ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ قرأ حفص بالتاء يعني العابدين، وقرأ الآخرون بالياء يعني الآلهة ﴿صَرَفًا﴾ يعني صرفاً من العذاب عن أنفسهم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ يعني ولا نصر أنفسهم، وقيل: ولا تضركم أيها العابدون من عذاب الله تعالى بدفع العذاب عنكم»⁽³⁾.

الزمخشري: « وقرئ ﴿تَسْتَطِيعُونَ﴾ بالتاء والياء أيضاً. يعني: فما يستطيعون أتم يا كفار صرف العذاب عنكم أو فما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو أن يحتالوا لكم»⁽⁴⁾.

(١) معاني القرآن (15/5).

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (776/2).

(٣) معالم التنزيل (364/3).

(٤) الكشاف (276/3).

الفخر الرازي: « أما قوله: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ فاعلم أنه قرئ

يستطيعون بالياء والتاء أيضاً يعني فما تستطيعون أنتم يا أيها الكفار صرف العذاب عنكم، وقيل: الصرف التوبة، وقيل: الحيلة من قولهم إنه ليتصرف أي يحتال، أو فما يستطيع أهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب وأن يحتالوا لكم»⁽¹⁾.

البيضاوي: « ((فما يستطيعون)) أي المعبودون، وقرأ حفص بالتاء على

خطاب العابدين ﴿صَرْفًا﴾ دفعًا للعذاب عنكم، وقيل: حيلة، من قولهم: إنه لينصرف أي يحتال ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ يعينكم عليه»⁽²⁾.

النسفي: « ((فما يستطيعون صرفا ولا نصرا)) أي فما يستطيع أهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو ينصروكم وبلتاء حفص؛ أي فما تستطيعون أنتم يا كفارُ صرف العذاب عنكم ولا نصر أنفسكم»⁽³⁾.

ابن كثير: « وقوله: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ أي لا يقدر على صرف

العذاب عنهم ولا الانتصار لأنفسهم»⁽⁴⁾.

المحلي: « ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ بالتحتمانية والفوقانية أي لا هم ولا أنتم ﴿صَرْفًا﴾

دفعًا للعذاب عنكم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ منعًا لكم منه»⁽¹⁾.

(١) التفسير الكبير (56/24).

(٢) أنوار التنزيل (211/4).

(٣) مدارك التنزيل (164/3).

(٤) تفسير القرآن العظيم (313/3).

الشوكاني: « (فما يستطيعون) أي الآلهة ﴿صَرَفًا﴾ أي دفعًا للعذاب عنكم

بوجه من الوجوه، وقيل: حيلة ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ أي لا يستطيعون نصركم، وقيل المعنى: فما يستطيع هؤلاء الكفار لما عذبهم المعبودون صرفًا للعذاب الذي عذبهم الله به ولا نصرًا من الله، وهذا الوجه مستقيم على قراءة من قرأ تستطيعون بالفوقية وهي قراءة حفص، وقرأ الباقون بالتحنية «⁽²⁾».

الآلوسي: « ﴿فَمَا سَتَطِيعُونَ﴾ أي: فما تملكون أيها العبدة ﴿صَرَفًا﴾ أي:

دفعًا للعذاب عن أنفسكم بوجه من الوجوه كما يعرب عنه التنكير أي: لا بالذات ولا بالواسطة «⁽³⁾».

السعدي: « ﴿فَمَا سَتَطِيعُونَ صَرَفًا﴾ للعذاب عنكم بفعلكم أو بفداء أو غير

ذلك ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ لعجزكم وعدم ناصركم، هذا حكم الضالين المقلدين الجاهلين؛ كما رأيت أسوأ حكم وشر مصير، وأما المعاند منهم الذي عرف الحق وصرف عنه فقال في حقه ﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مِّنْكُمْ﴾ بترك الحق ظلمًا وعنادًا ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ لا يقادر قدره ولا يبلغ أمره «⁽⁴⁾».

(١) تفسير الجلالين ص(472).

(٢) فتح القدير (68/4).

(٣) روح المعاني (252/18).

(٤) تفسير الكرمي الرحمن ص(580).

وانظر نحو كلام من ذكرتُ عبارات كل من: السمرقندي⁽¹⁾، وابن عطية⁽²⁾، والقرطبي⁽³⁾، وابن جزري⁽⁴⁾، والثعالبي⁽⁵⁾، وأبي السعود⁽⁶⁾. وهكذا نجد بعد النظر في أقوال المفسرين من ابن قتيبة وغيره من الأئمة اجتماعهم على اشتغال معنى الآية ببناء على القراءتين المذكورتين، وسواء كان المراد المعبودين أو العابدين، فلا أحد يمكنه التصرف ولا الاحتيال على عذاب الله تعالى إن وقع، لا يحتال الشخص لنفسه، ولا يمكنه نصر غيره أيًّا كان وكيف كان وأين كان، والله أعلم بالصواب.

(١) بحر العلوم (532/2).

(٢) المحرر الوجيز (204/4).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (12/13).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (76/3).

(٥) الجواهر الحسان (132/3).

(٦) إرشاد العقل السليم (209/6).

معنى: ﴿مَهْجُورًا﴾

21- قال تعالى ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ۗ﴾ [سورة الفرقان:

30].

قال الإمام ابن قتيبة في بيان معنى ﴿مَهْجُورًا﴾: ﴿يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ

مَهْجُورًا﴾: هجروا فيه، أي: جعلوه كالهذيان - والهجر الاسم. يقال: فلان يهجر في

منامه أي يهذي»⁽¹⁾.

وورد في معنى ﴿مَهْجُورًا﴾: «يعني متروكًا، لا يؤمنون به ولا يحملون بما فيه

»⁽²⁾، وهذا المعنى قال به واختاره بيانًا لمعنى الآية عدد غير قليل من المفسرين،

(1) تفسير غريب القرآن ص(268).

(2) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (536/2).

منهم: الواحدي⁽¹⁾، والنسفي⁽²⁾، وابن جزى⁽³⁾، وابن كثير⁽⁴⁾، والمحلي⁽⁵⁾، والألوسي⁽⁶⁾، والسعدي⁽⁷⁾، والشنقيطي⁽⁸⁾.

بل إن عددًا أكبر من المفسرين ذكروا القولين معًا بيانًا لمعنى الآية - ما قاله

ابن قتيبة، والقول الآخر - على اعتبار صحة حمل الآية عليهما، فمنهم:

النحاس⁽⁹⁾، والسمرقندي⁽¹⁰⁾، والسمعاني⁽¹¹⁾، والبغوي⁽¹²⁾، والزمخشري⁽¹³⁾،
والزمخشري⁽¹³⁾، وابن عطية⁽¹⁴⁾، وابن الجوزي⁽¹⁵⁾، والقرطبي⁽¹⁶⁾،
والبيضاوي⁽¹⁷⁾، والثعالبي⁽¹⁾، وأبو السعود⁽²⁾، والشوكاني⁽³⁾.

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (778/2).

(٢) مدارك التنزيل (167/3).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (78/3).

(٤) تفسير القرآن العظيم (318/3).

(٥) تفسير الجلالين ص (474).

(٦) روح المعاني (13/19).

(٧) تيسير الكريم الرحمن ص (582).

(٨) أضواء البيان (48/6).

(٩) معاني القرآن (23/5).

(١٠) بحر العلوم (536/2).

(١١) تفسير القرآن (18/4).

(١٢) معالم التنزيل (368/3).

(١٣) الكشف (282/3).

(١٤) المحرر الوجيز (209/4).

(١٥) زاد المسير (87/6).

(١٦) الجامع لأحكام القرآن (27/13).

(١٧) أنوار التنزيل (216/4).



(١) الجواهر الحسان (134/3).

(٢) إرشاد العقل السليم (215/6).

(٣) فتح القدير (73/4).

والذي يظهر - والله أعلم - صحة حمل الآية على المعنيين لاشتمال (الهجر) لغة⁽¹⁾ على المعنيين، مع كون المعنى الذي لم يرجحه ابن قتيبة قال عنه المفسرون: إنه هو «الأظهر»⁽²⁾ و «الظاهر»⁽³⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) فإن (الهجر) يفيد معنى الترك والاعتزال، وبالضم: القبيح من الكلام. انظر: القاموس المحيط ص(637)، باب الرء فصل الهاء.
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (78/3).
(٣) روح المعاني للألوسي (13/19)، وأضواء البيان للشنقيطي (48/6).

معنى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ﴾

22- قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾ [سورة الفرقان:

. [43]

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - في بيان معنى الآية: « ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ﴾

يقول: يتبع هواه ويدع الحق، فهو له كالإله»⁽¹⁾.

وقد وافقه فيما ذهب إليه الإمام: النحاس⁽²⁾، والبيضاوي⁽³⁾،

والنسفي⁽⁴⁾، وأبو السعود⁽⁵⁾، والشوكاني⁽⁶⁾، والسعدي⁽⁷⁾.

قال البيضاوي: « ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ﴾ بأن أطاعه وبني عليه دينه لا

يسمع حجة ولا يبصر دليلاً»⁽⁸⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(269).

(٢) معاني القرآن (29/5).

(٣) أنوار التنزيل (219/4).

(٤) مدارك التنزيل (170/3).

(٥) إرشاد العقل السليم (220/6).

(٦) فتح القدير (77/4).

(٧) تيسير الكريم الرحمن ص(584).

(٨) أنوار التنزيل (219/4).

وقال النسفي: « ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ أي من أطاع هواه فيما يأتي ويذر

فهو عابد هواه وجاعله إلهه»⁽¹⁾.

وتم قول آخر خلاصته أنه «كان من اتخذهم أهواءهم آلهتهم أن الواجد منهم كان يعبد الحجر فإذا رأى حجراً أحسن منه طرح الأول وأخذ الثاني وعبده، فهم يعبدون ما قهواه أنفسهم»⁽²⁾، وقال بهذا الإمام الطبري⁽³⁾ والواحدي⁽⁴⁾، والواحدي⁽⁴⁾، والسمعاني⁽⁵⁾، والبغوي⁽⁶⁾، وابن عطية⁽⁷⁾.

وقيل إن الآية «نزلت في الحرث بن قيس السهمي كان كلما هوى حجراً عبده»⁽⁸⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - أن الراجح هو ما ذهب إليه الإمام ابن قتيبة ومن وافقه من أن المراد بالآية هو من يجعل هواه كالإله له فيتبعه ويدع الحق، وقد دلت آية أخرى من القرآن على ذلك، وهي قوله تعالى: ﴿زَيْنٌ لَهُمْ سَوْءَ عَمَلِهِمْ فَرَأَاهُمْ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ

يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة فاطر: 8]، وأشار إلى هذه الدلالة الإمام ابن كثير في

(١) مدارك التنزيل (170/3).

(٢) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (780/2)، وانظر: تفسير القرآن للسمعاني (21/4).

(٣) جامع البيان (17/19).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (780/2).

(٥) تفسير القرآن (21/4).

(٦) معالم التنزيل (370/3).

(٧) المحرر الوجيز (211/4).

(٨) انظر: روح المعاني للآلوسي (23/19).

تفسيره⁽¹⁾، والمقرر لدى أئمة التفسير أن تفسير القرآن بالقرآن أفضل وأحسن طرق التفسير⁽²⁾.

ولا يمنع هذا من إرادة المعنى الآخر، فتنقل أهل الجاهلية بين أحجار ونحوها يختارونها ويعبدونها هو استحسان للهوى واتباع له، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (321/3).

(٢) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

معنى: ﴿أَجَاجٌ﴾

23 - قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾

[سورة الفرقان: 53].

قال الإمام ابن قتيبة رحمه الله - في بيان معنى الأجاج إنه: «أشد المياه ملوحة» ثم حكى القول الآخر بصيغة التمريض: «وقيل: هو الذي يخالطه مرارة»⁽¹⁾. فلعله يفهم من هذا أن ابن قتيبة يرى أن معنى الأجاج أشد المياه ملوحة، وإيراده للرأي الآخر على سبيل الاستئناس، وتعداد ما ورد من معان للمفسرين في معنى الآية، وعليه نجد أن جمهور المفسرين وافقوه في أن الأجاج يعني أشد المياه ملوحة، فمنهم النحاس⁽²⁾، والواحدي⁽³⁾، والسمعاني⁽⁴⁾، والبغوي⁽⁵⁾، والزمخشري⁽⁶⁾، والبيضاوي⁽⁷⁾، والنسفي⁽⁸⁾،

(١) انظر: تفسير غريب القرآن ص(269).

(٢) معاني القرآن (37/5).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (782/2).

(٤) تفسير القرآن (26/4).

(٥) معالم التنزيل (373/3).

(٦) الكشف (292/3).

(٧) أنوار التنزيل (224/4).

(٨) مدارك التنزيل (173/3).

..... وابن جزري⁽¹⁾، والمحلي⁽²⁾،

والثعالبي⁽³⁾، وأبو السعود⁽⁴⁾، والألوسي⁽⁵⁾.

في حين أن فريقاً آخر من المفسرين جمع بين المعنيين بياناً لمعنى الأجاج، فقال

السمرقندي: « **وَهَذَا يَمَعُ أَجَاجٌ** » أي مرّ مالح⁽⁶⁾ ونحو قوله قال ابن الجوزي⁽⁷⁾،

الجوزي⁽⁷⁾، والقرطبي⁽⁸⁾، وابن كثير⁽⁹⁾، والشنقيطي⁽¹⁰⁾.

والذي يظهر - والله أعلم أن ما ذهب إليه ابن قتيبة ومن وافقه هو الراجح

في بيان معنى الأجاج، يؤيد ذلك أمور:

الأول: قاعدة تفسير جمهور السلف مقدم على غيره⁽¹¹⁾، وقد ظهر من خلال

استعراض أقوال المفسرين ودراستها كثرة القائلين بأن الأجاج يراد به شدة

الملوحة.

الثاني: دلالة سياق الآية على المعنى الراجح، وقد قال الإمام أبو جعفر النحاس:

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (80/3).

(٢) تفسير الجلالين ص(477).

(٣) الجواهر الحسان (137/3).

(٤) إرشاد العقل السليم (225/6).

(٥) روح المعاني (34/19).

(٦) بحر العلوم (542/2).

(٧) زاد المسير (95/6).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (59/13).

(٩) تفسير القرآن العظيم (323/3).

(١٠) أضواء البيان (66/6).

(١١) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (288/1).

«والمعروف عند أهل اللغة أن الأجاج الشديد الملوحة»⁽¹⁾، فإن سياق

الآيات يدل على إرادة الملوحة الشديدة معنى للأجاج المذكورة في الآية.

نعم قد قال الشوكاني في تفسيره: «**وَهَذَا مَلْحٌ أَجَاجٌ**» أي بليغ الملوحة هذا

معنى الأجاج، وقيل: الأجاج البليغ في الحرارة، وقيل: البليغ في المرارة»⁽²⁾.

وفي لسان العرب أن الماء الأجاج الشديد الملوحة، أو الشديد المرارة، أو

الشديد الحرارة⁽³⁾. وكذلك في تاج العروس⁽⁴⁾. فكون هذه المعاني في اللغة لا

يعني انطباقها بثلاثتها في وقت واحد على ماء البحر، ومعلوم من واقع معايشة ماء

البحر من قِبَل البحارة والصيادين ونحوهم أن الصفة الغالبة لماء البحر هي الملوحة،

نعم قد تتفاوت نسبة شدة الملوحة من بحر إلى بحر، وعلى كل ما ذكر يتضح أن

الأولى اعتبار صفة شدة الملوحة بياناً راجحاً لمعنى الأجاج، والله أعلم بالصواب.

(1) معاني القرآن (37/5).

(2) فتح القدير (81/4).

(3) انظر: لسان العرب لابن منظور (207/2) مادة: أجاج، بتصرف.

(4) انظر: تاج العروس للزبيدي (399/5).

معنى: ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾

24 - قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [سورة الفرقان: 54].

يرى الإمام ابن قتيبة أن المعنى: «﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا﴾ يعني قرابة النسب، ﴿وَصِهْرًا﴾ يعني قرابة النكاح»⁽¹⁾.

وقد وافقه على هذا المعنى بنفس الألفاظ المذكورة أو قريباً منها من أئمة

التفسير: الطبري⁽²⁾، والنحاس⁽³⁾، والسمرقندي⁽⁴⁾، والواحدي⁽⁵⁾،

والسمعاني⁽⁶⁾، وابن عطية⁽⁷⁾، وابن كثير⁽⁸⁾، والمحلي⁽⁹⁾، والشوكاني⁽¹⁰⁾.

وفريق آخر رأوا في معنى الآية أن «البشر قسمين: ذوي نسب أي ذكوراً

ينسب إليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان، وذوات صهر أي إناثاً يصاهر بهن»⁽¹⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(269).

(٢) جامع البيان (26/19).

(٣) معاني القرآن (38/5).

(٤) بحر العلوم (542/2).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (782/2).

(٦) تفسير القرآن (26/4).

(٧) المحرر الوجيز (214/4).

(٨) تفسير القرآن العظيم (323/3).

(٩) تفسير الجلالين ص(477).

(١٠) فتح القدير (82/4).

قال به الزمخشري⁽²⁾، والفخر الرازي⁽³⁾، والبيضاوي⁽⁴⁾، والنسفي⁽⁵⁾،
 وأبو السعود⁽⁶⁾، والألوسي⁽⁷⁾، والشنقيطي⁽⁸⁾.
 وأما ابن الجوزي⁽⁹⁾، وابن جزى⁽¹⁰⁾ فذكرا القولين عند تفسير الآية دون
 ترجيح لأحدهما على الآخر؛ قال ابن جزى: «النسب والصهر يعمان كل قربي أي
 كل قرابة، والنسب أن يجتمع إنسان مع آخر في أب أو أم قرب ذلك أو بعد،
 والصهر هو الاختلاط بالنكاح، وقيل: أراد بالنسب الذكور أي ذوي نسب
 ينتسب إليهم، وأراد بالصهر الإناث أي ذوات صهر يصاهر بهن»⁽¹¹⁾.

(١) انظر: الكشاف (293/3).

(٢) المرجع السابق.

(٣) التفسير الكبير (88/24).

(٤) أنوار التنزيل (224/4).

(٥) مدارك التنزيل (173/3).

(٦) إرشاد العقل السليم (226/6).

(٧) روح المعاني (36/19).

(٨) أضواء البيان (66/6).

(٩) زاد المسير (97/6).

(١٠) التسهيل لعلوم التنزيل (80/3).

(١١) المرجع السابق.

وعليه فالظاهر -والله أعلم- صحة حمل الآية على المعنيين، فإن اللغة التي نزل بها القرآن الكريم وهي اللغة العربية، نجد علماءها يجمعون بين المعنيين عند بيانهم لمعنى كلمة النسب أو كلمة الصهر، قال في القاموس المحيط: «النَّسَبُ، محرکه، والنَّسْبَةُ، بالكسر والضم: القرابة، أو في الآباء خاصة». وقال: «الصَّهْرُ، بالكسر: القرابة، وحُرْمَةُ الختونة وزوج بنت الرجل، وزوج أخته، والأختان أصهار أيضاً، وقد صاهرهم، وصاهر فيهم، وأصهر بهم، وأصهر إليهم: صار فيهم صهراً»⁽¹⁾ وإن «حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب»⁽²⁾ قاعدة متبعة متبعة عند أهل الفن من المفسرين، كما أن الآية إذا كانت «تحتل معانٍ كلها صحيحة»⁽³⁾ تحمل عليها.

فائدة:

وعليه فإن من الخطأ الدارج في حديث الناس في هذه الأيام عندما يتحدث الرجل عن أشخاص من أهل زوجته، أو أهل زوجته، أو أهل زوجته، أو بالعكس فيقول: (نسيبي، أو أنسبائي)؛ فهذا من الخطأ، وإنما الصحيح أن يقال: (صهري، أو أصهاري)، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: القاموس المحيط ص(176) باب الباء فصل النون و ص(549) باب الراء فصل الصاد.

(٢) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (369/2).

(٣) انظر: قواعد التفسير (204/1).

معنى: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾

25- قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة الفرقان:

. [69-68].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ ۖ أي: عقوبة» (1).

تفسير الأثام بمعنى العقوبة وافق ابن قتيبة فيه من الأئمة المفسرين: الطبري (2)،
والواحدي (3)، والقرطبي (4)، والألوسي (5)، والسعدي (6).

في حين أن: النحاس (7)، والسمرقندي (8)، والبيضاوي (9)، والنسفي (1)،

فسرّوا ﴿أَثَامًا﴾ أي: «جزاء الأثام» (2).

(1) تفسير غريب القرآن ص(270).

(2) جامع البيان (40/19).

(3) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (783/2).

(4) الجامع لأحكام القرآن (75/13).

(5) روح المعاني (48/19).

(6) تيسير الكريم الرحمن ص(587).

(7) معاني القرآن (50/5).

(8) بحر العلوم (380/2).

(9) أنوار التنزيل (228/4).

أما ابن كثير⁽³⁾، والشوكاني⁽⁴⁾، رجّحا القول بأنه: « وادٍ في جهنم ». وقد جمع الأقوال الثلاثة « عقوبة - جزاء الإثم - وادٍ في جهنم » بيانا لمعنى الآية كل من: ابن الجوزي⁽⁵⁾، وابن جزي⁽⁶⁾. والذي يظهر - والله أعلم - صحة اعتبار الأقوال الثلاثة بيانا لمعنى الآية، فإن جزاء من أتى بالكبائر المذكورة في بداية الآية ولم يتب فعقابه أن يلقى في ذلك الوادي في جهنم، قال الطبري: « ذلك عقاب يعاقب الله تعالى به من أتى هذه الكبائر بوادٍ في جهنم يدعى أثاما⁽⁷⁾ »، و « إن الآية إن كانت تحتل معاني كلها صحيحة تعين حملها على الجميع⁽⁸⁾ »، هذه قاعدة معتبرة عند أهل التفسير، والله أعلم بالصواب.

(١) مدارك التنزيل (177/3).

(٢) انظر: معاني القرآن للنحاس (50/5).

(٣) تفسير القرآن العظيم (327/3).

(٤) فتح القدير (91/4).

(٥) زاد المسير (105/6).

(٦) ابن جزي (82/3).

(٧) جامع البيان (40/19).

(٨) قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿لَمْ يَخْرُوعَ عَلَيْهَا صَمًّا وَعُمِيًّا﴾

26 - ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوعَ عَلَيْهَا صَمًّا وَعُمِيًّا﴾ [سورة الفرقان: 73].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « أي لم يتغافلوا عنها، فكأنهم صمّ لم يسمعوها، عُمي لم يروها »⁽¹⁾.

وقد ذهب إلى مثل رأي ابن قتيبة من الأئمة:

البعوي: قال: « ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوعَ عَلَيْهَا صَمًّا وَعُمِيًّا﴾ لم يقعوا ولم يسقطوا

﴿عَلَيْهَا صَمًّا وَعُمِيًّا﴾ كأنهم صم عمي، بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه»⁽²⁾.

النسفي: « ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: قرئ عليهم القرآن أو وُعدوا

بالقرآن ﴿لَمْ يَخْرُوعَ عَلَيْهَا صَمًّا وَعُمِيًّا﴾ هذا ليس بنفي للخروج، بل هو إثبات له ونفي

الصمم والعمى، ونحوه: لا يلقاني زيد مسلماً، هو نفي للسلام لا للقاء، يعني أنهم إذا ذكروا بها خروا سجداً وبكياً سامعين بآذان واعية مبصرة بعيون راعية لما أمروا

(1) تفسير غريب القرآن ص(270).

(2) معالم التنزيل (3/378).

به ونهوا عنه؛ لا كالمنافين وأشباههم، دليله قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ

وَإِسْرَائِيلَ وَمَنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا نُتِلَى عَلَيْهِمُ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ [سورة مريم: 58] (1).

ابن جزري: « ﴿لَمْ يَخْرُوعَلَيْهَا صُمًّا وَعُمِيًّا﴾ أي: لم يُعرضوا عن آيات الله تعالى

بل أقبلوا عليها بأسماعهم وقلوبهم، فالنفي للصمم والعمى لا للخروج عليها» (2).

الشوكاني: « ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: بالقرآن، أو بما فيه موعظة

وعبرة ﴿لَمْ يَخْرُوعَلَيْهَا صُمًّا وَعُمِيًّا﴾ أي: لم يقفوا عليها حال كونهم صمًّا وعميانًا،

ولكنهم أكبوا عليها سامعين مبصرين وانتفعوا بها» (3).

السعدي: « ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: أمرهم باستماعها والاهتداء

بها، ﴿لَمْ يَخْرُوعَلَيْهَا صُمًّا وَعُمِيًّا﴾ أي: لم يقابلوها بالإعراض عنها والصمم عن سماعها،

وصرف النظر والقلوب عنها، كما يفعله من لم يؤمن بها ولم يصدق، وإنما حالهم

فيها وعند سماعها كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ

وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ [السجدة: 15]، يقابلونها بالقبول والافتقار إليها، والانقياد

(1) مدارك التنزيل (178/3).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (82/3).

(3) فتح القدير (89/4).

والتسليم لها، وتجد عندها آذاناً سامعة، وقلوباً واعية، فيزداد بها إيمانهم، ويتم بها إيقانهم وتحدث لهم نشاطاً، ويفرحون بها سروراً واعتباطاً⁽¹⁾.

وغيرهم من المفسرين مثلهم: كابن العربي⁽²⁾، والقرطبي⁽³⁾، والخازن⁽⁴⁾، والمحلي⁽⁵⁾.

الإمام ابن قتيبة ومن وافقه جاء ببيانهم للآية في ضوء منطوقها فقط، في حين أن فريقاً آخر من الأئمة فسروا الآية في ضوء الداللتين، المنطوق والمفهوم، وسأعرض كلام بعضهم للبيان وأحيل إلى البقية للاختصار.

قال الطبري: «فإن قال قائل وما معنى قوله لم يخروا عليها صمًا وعميانًا؟ أو يخركافرون صمًا وعميانًا إذا ذكروا بآيات الله فينفي عن هؤلاء ما هو صفة للكفار، قيل: نعم الكافر إذا تليت عليه آيات الله خر عليها أصم وأعمى، وخره عليها كذلك؛ إقامته على الكفر. وذلك نظير قول العرب سببت فلانًا فقام يبكي بمعنى: فظل يبكي ولا قيام هناك ولعله أن يكون بكى قاعدًا، وكما يقال نهيت فلانًا عن كذا فقعد يشتمني ومعنى ذلك فجعل يشتمني وظل يشتمني ولا قعود هناك، ولكن ذلك قد جرى على ألسن العرب حتى فهموا معناه، فكذلك قوله: ﴿لَمْ يَخْرُوا﴾

(١) تيسير الكريم الرحمن ص(587).

(٢) أحكام القرآن (455/3).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (81/13).

(٤) لباب التأويل (110/5).

(٥) تفسير الجلالين ص(479).

عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمِيَانًا ﴿١﴾ إِنَّمَا لَمْ يَصْمُوا عَنْهَا وَلَا عَمُوا عَنْهَا وَلَمْ يَصِيرُوا عَلَى بَابِ رَجْمِ صَمًّا وَعُمِيَانًا ﴿١﴾ .

أبو حيان: ﴿يَأْتِيَتْ رَبِّهِمْ﴾ هي القرآن ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمِيَانًا﴾ النفى متوجه إلى القيد الذي هو صم وعميان لا للخ رور الداخل عليه، وهذا الأكثر في لسان العرب أن النفى يتسلط على القيد، والمعنى أنهم إذا ذكروا بها أكبوا عليها حرصاً على استماعها، وأقبلوا على المذكّر بها بأذان واعية وأعين راعية، بخلاف غيرهم من المنافقين وأشباههم فإنهم إذا ذكروا بها كانوا مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها في ظاهر الأمر، وكانوا ﴿صُمًّا وَعُمِيَانًا﴾ حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها ﴿٢﴾ .

ابن كثير: «وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمِيَانًا﴾ ﴿٧٢﴾

وهذه أيضاً من صفات المؤمنين: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة الأنفال: 2] بخلاف الكافر فإنه إذا سمع كلام الله لا يؤثر فيه ولا يتغير عما كان عليه بل يبقى مستمراً على كفره وطغيانه وجهله وضلاله؛ كما

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾

﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴿سورة التوبة: 124-125﴾،

(١) جامع البيان (51/19).

(٢) البحر المحيط (473/6).

فقاله: ﴿لَمْ يَخْرُؤْ عَلَيْهَا صَمًّا وَعُمِيًّا﴾ أي بخلاف الكافر الذي إذا سمع آيات الله فلا تؤثر

فيه فيستمر على حاله كأن لم يسمعها أصم أعمى» (1).

سيد قطب: «ومن سماهم -عباد الرحمن- أنهم سريعو التذكر إذا ذكروا، قريبو الاعتبار إذا وُعضوا، مفتوحو القلوب لآيات الله، يتلقونها بالفهم والاعتبار

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُؤْ عَلَيْهَا صَمًّا وَعُمِيًّا﴾ (٧٣) وفي التعبير تعريض بالمشركين

الذين ينكبون على آلتهم وعقائدهم وأباطيلهم كالصم والعميان؛ لا يسمعون ولا يبصرون، ولا يتطلعون إلى هدى أو نور، وحركة الانكباب على الوجوه بلا سمع ولا بصر ولا تدبر؛ حركة تصور الغفلة والانطماس والتعصب الأعمى. فأما عباد الرحمن، فهم يدركون إدراكاً واعياً بصيراً ما في عقيدتهم من حق، وما في آيات الله من صدق، فيؤمنوا إيماناً واعياً بصيراً» (2).

الشنقيطي: «إن لهذه الآية الكريمة دلالتان: دلالة بالمنطوق ودلالة بالمفهوم:

1- فقد دلت بمنطوقها على أن من صفات بعاد الرحمن، أنهم إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها، لم يكبوا عليها في حال كونهم صمًّا عن سماع ما فيها من الحق، وعمياناً عن إبصارهم له، بل هم يكبون عليها سامعين ما فيها من الحق مبصرين له.

وهذا المعنى دلت عليه آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾

﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [سورة الأنفال: 2]. ومعلوم أن من تليت عليه آيات هذا القرآن

(١) تفسير القرآن العظيم (3/330).

(٢) في ظلال القرآن (5/2580).

فزادته إيماناً أنه لم يخر عليها أصم أعمى، وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن

يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ [سورة التوبة:

124]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا يَتَشَعَّرُ مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ

ثُمَّ تَلِيْنَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [سورة الزمر: 23] إلى غير ذلك من الآيات.

2- وقد دلت الآية المذكورة أيضاً بمفهومها : أن الكفرة المخالفين لعباد الرحمن

الموصوفين في هذه الآيات؛ إذا ذكروا بآيات ربهم خروا عليها صماً وعمياناً أي: لا يسمعون ما فيها من الحق ولا يبصرونه حتى كأنهم لم يسمعوها أصلاً. وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة بمفهومها جاء موضحاً في آيات

آخر من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ ءَابَتُنَا وَآلٌ مُّسْتَكْبِرُونَ كَانُوا يَسْمَعُونَهَا كَأَنَّ فِي آذَانِهِمْ

وَقَرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ [سورة لقمان: 7]، وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَابَتِ

اللَّهُ تُلِيَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ يَصُرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَابَتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا مَرُّوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ

﴿٩﴾ [سورة الجاثية: 7-9]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ

هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ

رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ [سورة التوبة: 124-125] إلى غير ذلك من

الآيات.

والظاهر أن معنى خروار الكفار على الآيات في حال كونهم صمًا وعميانًا؛ هو إكبابهم على إنكارها والتكذيب بها ⁽¹⁾.

وانظر كذلك ما قاله الأئمة: ابن عطية ⁽²⁾، وأبو السعود ⁽³⁾، والألوسي ⁽⁴⁾، وابن عاشور ⁽⁵⁾.

وبعد هذه الجولة في أقوال المفسرين سواء من وافق ابن قتيبة في الاكفلة بذكر دلالة منطوق الآية، أو من توسّع ببيان الداليتين المنطوق والمفهوم - كما صرّح بذلك الشنقيطي، وقد مرّ كلامه قريباً-، يظهر -والله أعلم- عدم وجود اختلاف بين الفريقين، فابن قتيبة ومن وافقه اكتفوا ببيان المعنى وفق منطوق الآية فقط، على اعتبار أن سياق الآيات في أواخر سورة الفرقان حديث عن صفات عباد الرحمن المؤمنين ومدح لهم بما اتصفوا به في عبوديتهم لله -ﷻ-، والآخرون توسّعوا في الشرح في ضوء الداليتين لبيان الفرق بين المؤمنين والكافرين في موقفهم من سماع آيات الله -ﷻ-، على اعتبار أن سورة الفرقان قد ذكر فيها عدد من المفارقات بين المؤمنين والكافرين وما أُعِدَّ لكل فريق، علماً أن كلا الداليتين قد دلت عليها آيات أخر من كتاب الله -ﷻ-، والقاعدة المعتمدة لدى الأئمة المفسرين: أن الآية إن كانت تحمل عدة معانٍ كلها صحيحة؛ صح الحمل عليها جميعاً ⁽⁶⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) أضواء البيان (79/6) بتصرف.

(٢) المحرر الوجيز (222/4).

(٣) إرشاد العقل السليم (231/6).

(٤) روح المعاني (52/19).

(٥) التحرير والتنوير (81/19).

(٦) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: « شردمة »

27- قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ [سورة الشعراء: 54]، يرى الإمام ابن

قتيبة - رحمه الله - أن لفظ « شردمة » في الآية معناه: « طائفة (1) » .

وقال غيره من أئمة التفسير:

السمرقندي: « ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ يعني: طائفة وعصبة وجماعة قليلون

(2) » .

الواحدي: « ﴿ لَشِرْذِمَةٌ ﴾ عصبة: ﴿ قَلِيلُونَ ﴾ (3) .

السمعاني: « ﴿ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ أي: جماعة قليلة » (4) .

البغوي: « ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ ﴾ عصابة ﴿ قَلِيلُونَ ﴾ والشردمة القطعة من الناس غير

(5) الكثير » .

(١) تفسير غريب القرآن ص(272).

(٢) بحر العلوم (555/2).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (790/2).

(٤) تفسير القرآن (47/4).

(٥) معالم التنزيل (386/3).

الزمخشري: « والشردمة الطائفة القليلة ذكرهم بالاسم الدال على القلة، ثم جعلهم قليلاً بالوصف، ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلاً، واختار جمع السلامة الذي هو للقلة ويجوز أن يريد بالقلة الذلة والقماءة⁽¹⁾ ولا يريد قلة العدد، والمعني: أنهم لقتلهم لا يبالي بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم⁽²⁾ ، وعبارة الفخر الرازي⁽³⁾ ، والنسفي⁽⁴⁾ ، تشبه جداً ما قاله الزمخشري.

ابن عطية: « والشردمة: الجمع القليل المحتقر، وشردمة كل شيء بقيته الخسيسية⁽⁵⁾ ، ومثل عبارته قال القرطبي⁽⁶⁾ ، وابن جزري⁽⁷⁾ ، والثعالبي⁽⁸⁾ ، والشوكاني⁽⁹⁾ . والشوكاني⁽⁹⁾ .

البيضاوي: « والشردمة: الطائفة القليلة⁽¹⁰⁾ . ومثله قال ابن كثير⁽¹¹⁾ ، والمحلي⁽¹²⁾ .

(١) قَمَاءً: ذل وصغر. انظر: القاموس المحيط ص(62)، باب الهمزة فصل القاف.

(٢) الكشف (320/3).

(٣) التفسير الكبير (118/4).

(٤) مدارك التنزيل (186/3).

(٥) الحرر الوجيز (232/4).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (99/13).

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (85/3).

(٨) الجواهر الحسان (147/3).

(٩) فتح القدير (100/4).

(١٠) أنوار التنزيل (239/4).

(١١) تفسير القرآن العظيم (336/3).

(١٢) تفسير الجلالين ص(484).

من استعراض أقوال الأئمة المفسرين؛ يظهر -والله أعلم- اجتماع ما ذكره
بيانا لمعنى الآية، وصحة الآية على المعاني المذكورة، فلفظ (الشرذمة) في اللغة العربية
يراد به: القليل من الناس⁽¹⁾، وفرعون إنما استقل بني إسرائيل وقد « كانوا ستمائة
ألف وسبعين ألفاً »⁽²⁾، بالنسبة إلى جنوده الذين كانوا « ألف ألف وخمس مئة
ألف، وخمس مئة ملك مسور مع كل ملك ألف رجل »⁽³⁾، هذا مع ما هو
معروف من احتقار فرعون لبني إسرائيل واستعبادهم وإذلالهم، والله أعلم
بالصواب.

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (322/12)، والقاموس المحيط للفيروز أبادي ص(1454).

(٢) انظر: معاني القرآن للنحاس (79/5).

(٣) انظر: جامع البيان للطبري (76/19).

معنى: « ككبوا »

28 - قال تعالى: ﴿ وَرَزَقَ الْجَحِيمَ الْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ إِنَّمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَبْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٩٣﴾

فَكَبَّوْا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودٌ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ [سورة الشعراء: 91-95].

يرى الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - أن لفظ « ككبوا » الوارد في الآية معناه: « ألقوا على رؤوسهم، وأصل الحرف: كَبَّوا من قولك كبيت الإناء، فأبدل من الباء الوسطى كافاً: استثقلاً لاجتماع ثلاث باءات ⁽¹⁾ .

ولقد ذهب إلى مثل المعنى الذي قال به ابن قتيبة من أن « ككبوا » يراد به الإلقاء على الرؤوس في نار جهنم، كل من: النحاس ⁽²⁾ ، والألوسي ⁽³⁾ .

وقال السمرقندي: « « ككبوا » يعني: جمعوا ⁽⁴⁾ .

وذهب كل من الواحدي ⁽⁵⁾ ، والسمعي ⁽⁶⁾ ، والنسفي ⁽⁷⁾ ، وابن كثير ⁽¹⁾ ، والشعالي ⁽²⁾ ، إلى أن معنى « فَكَبَّوْا »: « طرح بعضهم على بعض في الجحيم ⁽³⁾ » .

(١) تفسير غريب القرآن ص(272).

(٢) معاني القرآن (89/5).

(٣) روح المعاني (102/19).

(٤) بحر العلوم (559/2).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (792/2).

(٦) تفسير القرآن (56/4).

(٧) مدارك التنزيل (190/3).

ويرى الزمخشري⁽⁴⁾، والفخر الرازي⁽⁵⁾، والبيضاوي⁽⁶⁾، وابن جزي⁽⁷⁾، في معنى: ﴿فَكَبَّكُوا﴾ أن: «الكبكة تكرير الكبّ، جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى، كأنه إذا ألقى في جهنم ينكبّ مرة بعد مرة حتى يسـتقر في قعرها»⁽⁸⁾.

ومن المفسرين مَنْ قال إن ﴿فَكَبَّكُوا﴾ معناها: «ألقوا في النار»⁽⁹⁾. منهم: المحلي⁽¹⁰⁾، وأبي السعود⁽¹¹⁾، والشوكاني⁽¹²⁾، والسعدي⁽¹³⁾.

يظهر -والله أعلم- من خلال عرض ما ورد عن الأئمة المفسرين في بيان معنى ﴿فَكَبَّكُوا﴾ أنه لا اختلاف تضاد بينهم فكل ما ذكروه من معانٍ وإن اختلفت الألفاظ قليلاً يصبّ في معنى واحد: وهو إلقاء الكفار وأصنامهم وإبليس وجنوده

(١) تفسير القرآن العظيم (3/340).

(٢) الجواهر الحسان (3/149).

(٣) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (2/792).

(٤) الكشاف (3/327).

(٥) التفسير الكبير (24/131).

(٦) أنوار التنزيل (4/244).

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (3/87).

(٨) انظر: الكشاف للزمخشري (3/327).

(٩) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(593).

(١٠) تفسير الجلالين ص(486).

(١١) إرشاد العقل السليم (6/251).

(١٢) فتح القدير (4/106).

(١٣) تيسير الكريم الرحمن ص(593).

في نار جهنم منكبين على رؤوسهم مطروحين منكبين مرة بعد مرة حتى يستقروا
في نار جهنم أجازنا الله تعالى وجميع المسلمين من حرها وعذابها.

قال في لسان العرب: « كَبَّ الشيء يكبه، وكبكه: قلبه، وكب الرجل

إناءه يكبه كَبًّا وكَبَّهُ لوجهه فانكب: أي صرعه »⁽¹⁾.

والقاعدة المعتبرة لدى علماء التفسير: أن الآية إن كانت تحتل معانٍ كلها

صحيحة صح الحمل عليها جميعها⁽²⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) لسان العرب لابن منظور (695/1).

(٢) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿خُلِقَ الْأَوَّلِينَ﴾

29 - قال تعالى: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ

﴿١٣٨﴾ [سورة الشعراء: 136-138].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - في بيان معنى الآية: « ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾

﴿١٣٧﴾ [بفتح الحاء وسكون اللام (خُلِقَ)] أراد: اختلاقهم وكذبهم، يقال: خلقت

الحديث واختلقته؛ إذا افتعلته ومن قرأ ﴿خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ أراد: عادتهم وشأنهم « (1).

وردت قراءتان في الآية: (خُلِقَ) و (خُلِقُ) (2).

وبناءً عليه جاءت أقوال أئمة التفسير في بيان معنى الآية، فهذا هو ابن قتيبة قد

بين المعنى في ضوء القراءتين وهكذا غيره من الأئمة، كأبي جعفر النحاس (3)،

والسمرقندي (4)،

والواحدي (5)، والسمعاني (1)، والبغوي (2)، والزمخشري (3)، وابن عطية (4)، وابن

(١) تفسير غريب القرآن ص(273).

(٢) انظر: القراءات العشر المتواترة، محمد كريم راجح ص(373).

(٣) معاني القرآن (94/5).

(٤) بحر العلوم (562/2).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (793/2).

(5) الجوزي ، والفخر الرازي (6) ، والقرطبي (7) ، والبيضاوي (8) ، والنسفي (9) ، وابن كثير (10) ، والمحلي (11) ، والثعالبي (12) ، وأبي السعود (13) ، والشوكاني (14) ، والألوسي (15) ، وابن عاشور (16) .

فعن البغوي قوله: « قرئ خَلَقَ بفتح الخاء وسكون اللام أي: اختلاق

الأولين وكذبهم، دليل هذه القراءة قوله تعالى: ﴿ وَخَلَقْتُمْ إِنْكَارًا ﴾ [سورة العنكبوت:

-
- (١) تفسير القرآن (60/4).
 (٢) معالم التنزيل (394/3).
 (٣) الكشف (331/3).
 (٤) المحرر الوجيز (239/4).
 (٥) زاد المسير (137/6).
 (٦) التفسير الكبير (136/24).
 (٧) الجامع لأحكام القرآن (125/13).
 (٨) أنوار التنزيل (248/4).
 (٩) مدارك التنزيل (193/3).
 (١٠) تفسير القرآن العظيم (343/3).
 (١١) تفسير الجلالين ص(488).
 (١٢) الجواهر الحسان (150/3).
 (١٣) إرشاد العقل السليم (257/6).
 (١٤) فتح القدير (111/4).
 (١٥) روح المعاني (112/19).
 (١٦) التحرير والتنوير (171/19).

[17]، وقرئ خُلِقَ بضم الخاء واللام أي عادة الأولين من قبلنا وأمرهم أنهم

يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب»⁽¹⁾.

وابن عطية قوله: « خُلِقَ بضم اللام فالإشارة بهذا إلى دينهم وعبادتهم وتخرقهم في المصانع، أي هذا الذي نحن عليه خلق الناس وعادتهم وما بعد ذلك بعث ولا تعذيب كما تزعم أنت، وقرئ خُلِقَ بفتح الخاء وسكون اللام، وهذا يحتمل وجهين:

أحدهما: وما هذا الذي تزعمه إلا اختلاق الأولين من الكذبة قبلك وكذبهم فأنت على منهاجهم، والثاني: أن يريدوا وما هذه البينة التي نحن عليها إلا البينة التي عليها الأولون حياة وموت وما ثم بعث ولا تعذيب، وكل معنى مما ذكرته تحتمله كل قراءة»⁽²⁾.

والبيضاوي: « ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلِقَ الْأَوَّلِينَ﴾^(١٣٧) ما هذا الذي جئنا به إلا كذب

الأولين، أو ما خلقنا هذا إلا خلقهم نحيا ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب،

وقرئ ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلِقَ الْأَوَّلِينَ﴾^(١٣٧) بضميتين، أي: ما هذا الذي جئت به إلا عادة الأولين

كانوا يلفقون مثله، أو ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون، أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت إلا عادة قديمة لم تنزل الناس عليها»⁽³⁾.

(١) معالم التنزيل (394/3) بتصرف.

(٢) المحرر الوجيز (239/4) بتصرف.

(٣) أنوار التنزيل (248/4) بتصرف.

وابن عاشور: « وجملة: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلِقَ الْأَوَّلِينَ﴾^(١٣٧) تعليل جملة: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ

لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾، أي كان سواءً علينا فلا نتبع وعظك لأن هذا خلق الأولين.

والإشارة بـ (هذا) إلى شيء معلوم للفريقين حاصل في مقام دعوة هو إياهم، وسيأتي بيانه.

وقوله: ﴿خُلِقَ الْأَوَّلِينَ﴾ قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وحمزة وعاصم وخلف

بضم الخاء وضم اللام. وقرأه ابن كثير وأبو عمرو والكسائي وأبو جعفر ويعقوب بفتح الخاء وسكون اللام.

فعلى قراءة الفريق الأول (خُلِقُ) بضمين، فهو السجية المتمكنة في النفس باعثة على عمل يناسبها من خير أو شر وقد فسّر بالقوى النفسية، وهو تفسير قاصر فيشمل طبائع الخير وطبائع الشر، ولذلك لا يُعرف أحدُ النوعين من اللفظ إلا بقيد يضم إليه فيقال: خُلِقَ حسن، ويقال في ضده: سوء خُلِقَ، أو خُلِقَ ذميم،

قال تعالى: ﴿لَعَلَّ خُلِقَ عَظِيمٍ﴾^(٤) [سورة القلم: 4]. وفي الحديث: « وخالق الناس بخُلُقٍ

حسن ». فإذا أُطلق عن التقييد انصرف إلى الخلق الحسن، كما قال الحريري في (المقامة التاسعة) (وخُلِقِي نعم العون، وبينني وبيّن جاراتي بون) أي في حسن الخلق. والخلق في اصطلاح الحكماء: ملكة (أي كيفية راسخة في النفس أي متمكنة

من الفكر) تصدر بها عن النفس أفعال صاحبها بدون تأمل. فخلق المرء مجموع غرائز (أي طبائع نفسية) مؤتلفة من انطباع فكري: إما جبليّ في أصل خلقتة، وإما كسبي ناشئ عن تمرّن الفكر عليه وتقلّده إياه لاستحسانه إياه عن تجربة نفعه أو عن تقليد ما يشاهده من بواعث محبة ما شاهد. وينبغي أن يسمى اختياراً من قول أو

عمل لذاته، أو لكونه من سيرة من يُحبه ويقتدي به ويسمى تقليدًا، ومحاولته تسمى تخلفًا. فإذا استقر وتمكن من النفس صار سجية له يجري أعماله على ما تمليه عليه وتأمره به نفسه بحيث لا يستطيع ترك العمل بمقتضاه، ولو رام حمل نفسه على عدم العمل بما تمليه سجيته لاستصغر نفسه وإرادته وحقر رأيه. وقد يتغير الخلق تغييرًا تدريجيًا بسبب تجربة انجرار مضرة من داعيه، أو بسبب خوف عاقبة سيئة من جرّائه بتحذير من هو قدوة عنده لاعتقاد نصحه أو لخوف عقابه. وأول ذلك هو المواعظ الدينية.

ومعنى الآية على هذا يجوز أن يكون المحكي عنهم أرادوا مدحًا لما هم عليه من الأحوال التي أصروا على عدم تغييرها فيكون أرادوا أنها خلقت أسلافهم وأسوتهم فلا يقبلوا فيه عدلاً ولا ملامًا، كما قال تعالى عن أمثالهم: ﴿تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [سورة إبراهيم: 10]. فالإشارة تنصرف إلى ما هم عليه الذي نهاهم عنه رسولهم.

ويجوز أن يكونوا أرادوا ما يدعو إليه رسولهم: أي ما هو إلا من خلق أناس قبله، أي من عقائدهم وما راضوا عليه أنفسهم وأنه عبر عليها وانتحلها، أي ما هو بإذن من الله تعالى كما قال مشركو قريش ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الأنعام:

25] والإشارة إلى ما يدعوهم إليه.

وأما على قراءة الفريق الثاني فالخلق بفتح الخاء وسكون اللام مصدر هو الإنشاء والتكوين، والخلق أيضًا مصدر خلق، إذا كذب في خبره، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ أَفْكًَا﴾ [سورة العنكبوت: 17]. وتقول العرب: حدثنا فلان بأحاديث الخلق وهو الخرافات المفتعلة، ويقال له: اختلاق بصيغة الافتعال الدال على التكلف

والاختراع، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ﴾ [سورة ص: 7] وذلك أن الكاذب يخلق خبراً لم يقع.

فيجوز أن يكون المعنى أن ما تزعمه من الرسالة عن الله كذب وما تخبرنا من البعث اختلاق، فالإشارة إلى ما جاء به صالح [لعل المراد: هود عليه السلام لأن سياق الآيات في ذكر قصته مع قومه، وأظنها سبق قلم من الإمام ابن عاشور - رحمه الله-]، ويجوز أن يكون المعنى أن حياتنا كحياة الأولين نحياً ثم نموت، فالكلام على التشبيه البليغ وهو كناية عن التكذيب بالبعث الذي حذرهم جزاءه في قوله:

﴿إِنَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الشعراء: 135] يقولون: كما مات

الأولون ولم يبعث أحد منهم قط فكذلك نحياً نحن ثم نموت ولا نبعث. وهذا

كقول المشركين: ﴿أَتَتُوا بَابَنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة الجاثية: 25]، فالإشارة في قوله:

﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأُولَى﴾ [سورة الحج: 17] إلى الخلق الذي هم عليه كما دل عليه المستثنى. فهذه أربعة

معان واحد منها مدح، واثنان ذم، وواحد ادعاء⁽¹⁾، والله أعلم بالصواب.

(1) التحرير والتنوير (171/19).

معنى: ﴿طَلَعَهَا هَضِيمٌ﴾

30- قال تعالى: ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَهَا هَضِيمٌ﴾ [سورة الشعراء: 148].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « والهضيم: الطلع قبل أن تنشق عنه القشور وتفتح. يريد أنه منضمٌ مكتنز. ومنه قيل: رجل أهضم الكشحين؛ إذا كان منضمهما ⁽¹⁾ ».

لقد تنوعت أقوال أئمة التفسير في بيان معنى ﴿هَضِيمٌ﴾، فروي عن ابن

عباس - ⁽²⁾ - أن المعنى: « لين لطيف نضيج » . وروي عن مجاهد: « ﴿هَضِيمٌ﴾ يتهشم تهشماً ⁽³⁾ » .

والطبري بعد أن أورد عدداً من الروايات في بيان معنى ﴿هَضِيمٌ﴾، قال:

« وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: الهضيم: هو المتكسر من لينه ورطوبته، وذلك قولهم هضم فلان حقه إذا انتقصه وتحيفه، فذلك الهضم في الطلع

(١) تفسير غريب القرآن ص(274)، وانظر: زاد المسير لابن الجوزي (6/138).

(٢) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(312).

(٣) انظر: تفسير مجاهد (2/464).

إنما هو التنقص منه من رطوبته ولينه، إما بمس الأيدي وإما بركوب بعضه
بعضاً» (1).

والنحاس قال: «أصل الهضم: انضمام الشيء ومنه فلان أهضم الكشح: أي
ضامره، فيقال للطلع هضم قبل أن يفتح» (2).

والسمرقندي شرح معنى الهضم بأنه: «يعني متراكباً بعضه على بعض، أو
الطلع قبل أن تنشق عنه القشر يريد أنه منضم متكثر يقال رجل أهضم الكشحيين
إذا كان منضمًا، ويقال هضم أي: طري لين، ويقال: هضم متهشـهش في
الضم» (3).

والماوردي أورد أحد عشر معنى للهضم، فقال: «أحدها: أنه الرطب اللين،
الثاني: المذنب من الرطب، الثالث أنه الذي ليس فيه نوى، الربع: أنه المتهشم المتفتت
إذا مُسَّ تفتت، الخامس: المتلاصق بعضه ببعض، السادس أنه الطلع حين يتفرق
ويخصر، السابع: اليانع النضيج، الثامن أنه المتكثـز قبل أن ينشق عنه القشر، التاسع
أنه الرخو، العاشر: أنه اللطيف، ويحتمل أن يكون الهضم هو الهاضم المري» (4).
ومن بعدهم من الأئمة: كالواحدي (5)، والسمعاني (6)، والبعوي (7)،
والزحشري (1)،

(١) جامع البيان (99/19).

(٢) انظر: معاني القرآن للنحاس (95/5).

(٣) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (563/2).

(٤) انظر: النكت والعيون للماوردي (183/4).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (794/2).

(٦) تفسير القرآن (61/4).

(٧) معالم التنزيل (394/3).

وابن عطية⁽²⁾ ، وابن الجوزي⁽³⁾ ، والفخر الرازي⁽⁴⁾ ، والقرطبي⁽⁵⁾ ، والبيضاوي⁽⁶⁾ ،
والنسفي⁽⁷⁾ ، وابن جزري⁽⁸⁾ ، وابن كثير⁽⁹⁾ ، والمحلي⁽¹⁰⁾ ، والثعالبي⁽¹¹⁾ ، وأبي
السعود⁽¹²⁾ ، والألوسي⁽¹³⁾ ، يفسرون معنى الهضم بذكر أكثر من قول دون جزم
بأن معنى منها بعينه هو الراجح في بيان معنى الآية إلا ما كان من القرطبي عندما
وصف المعنى الذي قيل فيه: « هو المنضم في وعائه قبل أن يظهر، ومنه رجل هضم
الجنين أي منضمهما » بأنه « قول أهل اللغة »⁽¹⁴⁾ . والشوكاني شرح الهضم
بأنه: « النضيج الرخص⁽¹⁵⁾ اللين اللطيف » وأشار إلى ما ذكره الماوردي من
أقوال، وعقب بقوله: « أحسنها وأوفقها للغة ما ذكرناه »⁽¹⁶⁾ .

(١) الكشاف (332/3).

(٢) المحرر الوجيز (239/4).

(٣) زاد المسير (138/6).

(٤) التفسير الكبير (137/24).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (127/13).

(٦) أنوار التنزيل (249/4).

(٧) مدارك التنزيل (194/3).

(٨) التسهيل لعلوم التنزيل (88/3).

(٩) تفسير القرآن العظيم (344/3).

(١٠) تفسير الجلالين ص (489).

(١١) الجواهر الحسان (150/3).

(١٢) إرشاد العقل السليم (258/6).

(١٣) روح المعاني (112/19).

(١٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (127/13).

(١٥) الرخص: الشيء الناعم اللين. انظر: لسان العرب لابن منظور (40/7).

(١٦) انظر: فتح القدير للشوكاني (112/4).

وعليه كلام أهل اللغة في شرح معنى ﴿هَاضِمٌ﴾: «والمهضم: اللطيف،

والمهضم: النضيج، والمضم: بالتحريك: انضمام الجنين، والمضم: خص البطون ولطف الكشح، والمضم في الإنسان قلة الجفار الجنين ولطافتها، ورجل أهضم بين الهضم، وامرأة هضمام وهضم، وكذك بطن هضم ومهضوم وأهضم، والمهضم من النساء: اللطيفة الكشحين، والمهضم: اللين، وقيل: مريء، وقيل: ناعم، وقيل: هضم منهضم مدرك، وقيل: الداخل بعضه في بعض، وقيل: هو مما قيل إن رطبه بغير نوى، وقيل: المهضم الذي يتهشم تهشماً. والمهضم: ما فيه رخاوة أو لين» (1).

« (1)

فهذا كلام أهل اللغة عن معنى هضم ومشتقاته، فلا مانع بناءً على تنوع المعاني اللغوية الواردة من حمل معنى الآية على كل معنى صحَّ في اللغة العربية، «فحمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب» (2) قاعدة في الترجيح معتبرة عند العلماء، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (6614/12) بتصرف، وكذلك القاموس المحيط للفيروز أبادي ص(1511).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحري (369/2).

معنى: ﴿فَرِهَيْنَ﴾

31 - قال تعالى: ﴿وَتَنَحُّونَ مِنَ الْجِبَالِ يَوْمًا فَرِهَيْنَ﴾ [سورة الشعراء 149].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - : « ﴿فَرِهَيْنَ﴾: أشرين بطرين. ويقال: الهاء فيه مبدلة من حاء، أي فرحين. والفرح: قد يكون السرور، ويكون الأشر، ومنه قول الله - عز وجل - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [سورة القصص: 76] أي الأشرين، ومن قرأ ﴿فَرِهَيْنَ﴾، فهي لغة أخرى، يقال: فره وفاره، كما يقال: فرح وفارح. ويقال: ﴿فَرِهَيْنَ﴾: حاذقين⁽¹⁾ .

ولقد وردت في اللفظة قراءتان: (فرهين) بغير ألف، و ﴿فَرِهَيْنَ﴾ بألف⁽²⁾ . وعلى كل قراءة بين المفسرون المعنى، قال الطبري: «اختلف القراء في قراءة قوله ﴿فَرِهَيْنَ﴾ فقرأته عامة قراء أهل الكوفة ﴿فَرِهَيْنَ﴾. بمعنى حاذقين بنحتها، وقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة (فرهين) بغير ألف بمعنى أشرين بطرين⁽³⁾ .

(١) تفسير غريب القرآن ص(274).

(٢) انظر: القراءات العشر المتواترة لمحمد كريم راجح ص(373).

(٣) جامع البيان (100/19).

وبتفسيرها بالمعنيين المذكورين على القراءتين قال كل من السمرقندي⁽¹⁾ ،
والواحدي⁽²⁾ ، والسمعاني⁽³⁾ ، والبغوي⁽⁴⁾ ، والنسفي⁽⁵⁾ ، وابن كثير⁽⁶⁾ ، والمحلي⁽⁷⁾ ،
وأبي السعود⁽⁸⁾ ، والشوكاني⁽⁹⁾ ، والألوسي⁽¹⁰⁾ .

ووصف النحاس تفسير « فرهين » بمعنى: أشرين بطرين، بأنه: « أعرفها في
اللغة »⁽¹¹⁾ ، ووصفه البيضاوي وأبو السعود بأنه « أبلغ »⁽¹²⁾ .

وقيل إن ﴿فَرِهَيْنَ﴾ و « فرهين »: « معناهما واحد » كما ذكر ذلك

البغوي⁽¹³⁾ ، والشوكاني⁽¹⁴⁾ .

والذي يظهر - والله أعلم - صحة حمل الآية على ما ذكره الأئمة من معانٍ،
يؤيد ذلك أكثر من قاعة من قواعد الترجيح المعتمدة عند أهل الفن، فقاعدة تفسير

(١) بحر العلوم (563/2).

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (794/2).

(٣) تفسير القرآن (61/4).

(٤) معالم التنزيل (395/3).

(٥) مدارك التنزيل (194/3).

(٦) تفسير القرآن العظيم (344/3).

(٧) تفسير الجلالين ص (489).

(٨) إرشاد العقل السليم (258/6).

(٩) فتح القدير (112/4).

(١٠) روح المعاني (113/19).

(١١) معاني القرآن (96/5).

(١٢) انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (249/4)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (258/6).

(١٣) معالم التنزيل (395/3).

(١٤) فتح القدير (112/4).

القرآن بالقرآن أحسن طرق التفسير⁽¹⁾، يدخل تحتها قول من استدل على المعنى بقوله بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [سورة القصص: 76]، و«كُونَ» ﴿فَرِحِينَ﴾ و« فرهين » قراءتان صحيحتان ولغتان معروفتان في العربية، فإن: « حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب »⁽²⁾ قاعدة يُستند عليها في التفسير، فإن كان كان ذلك كذلك: فإن « الآية إن كانت تحمل معانٍ كلها صحيحة صح الحمل عليها جميعها »⁽³⁾، والله أعلم بالصواب.

(1) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

(2) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (2/369).

(3) قواعد التفسير لخالد السبت (1/204).

معنى: ﴿مِّنَ الْقَالِينَ﴾

32- قال تعالى: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَنُلُوطْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ (١٦٧) قَالَ ﴿إِنِّي لَعَمْرُكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾ (١٦٨) [سورة

الشعراء: 167-168].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿مِّنَ الْقَالِينَ﴾ أي: من المبغضين. يقال:

قليت الرجل، أي أبغضته» (1).

وجمهور الأئمة من علماء التفسير في تفسير ﴿الْقَالِينَ﴾ على نفس المعنى، وأن

﴿مِّنَ الْقَالِينَ﴾: أي من المبغضين لعملكم، هكذا قال النحاس (2)، والسمرقندي (3)،

والواحدي (4)، والسمعاني (5)، والبغوي (6)، والزمخشري (7)، وابن الجوزي (8)، والفخر

(١) تفسير غريب القرآن ص(274).

(٢) معاني القرآن (99/5).

(٣) بحر العلوم (565/2).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (795/2).

(٥) تفسير القرآن (63/4).

(٦) معالم التنزيل (396/3).

(٧) الكشاف (336/3).

(٨) زاد المسير (140/6).

(1) الرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وابن جزى ، وابن كثير ،
 (2) كثير ، والمحلي ، والثعالبي ، والبقاعي ، وأبوالسعود ، والشوكاني ،
 (3) والشوكاني ، والألوسي ، والسعدي ، وابن عاشور .
 وإجماع جمهور السلف⁽¹⁵⁾ على معنى حجة في بيان معنى الآية، والله أعلم بالصواب.

-
- (١) التفسير الكبير (139/24).
 (٢) الجامع لأحكام القرآن (133/3).
 (٣) أنوار التنزيل (251/4).
 (٤) مدارك التنزيل (195/3).
 (٥) التسهيل لعلوم التنزيل (89/3).
 (٦) تفسير القرآن العظيم (346/3).
 (٧) تفسير الجلالين ص(490).
 (٨) الجواهر الحسان (151/3).
 (٩) نظم الدرر (385/5).
 (١٠) إرشاد العقل السليم (261/6).
 (١١) فتح القدير (114/4).
 (١٢) روح المعاني (116/19).
 (١٣) تيسر الكريم الرحمن ص(596).
 (١٤) التحرير والتنوير (180/19).
 (١٥) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (288/1).

معنى: ﴿وَالْحِجْلَةَ﴾

33 - قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْحِجْلَةَ الْأُولِينَ﴾ [سورة الشعراء: 184].

قال ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَالْحِجْلَةَ﴾ الخلق. يقال: جُبل فلان على كذا

وكذا؛ أي خلق ⁽¹⁾.

وأجمعوا جمهور المفسرين على أن ﴿وَالْحِجْلَةَ﴾ يراد بها الخلق الأولين من آبائهم

السابقين والأمم الغابرة قبلهم، هذا ما قال به الأئمة الطبري ⁽²⁾، والنحاس ⁽³⁾،
والسمرقندي ⁽⁴⁾، والماوردي ⁽⁵⁾، والسمعاني ⁽⁶⁾، والبغوي ⁽⁷⁾، والزمخشري ⁽⁸⁾، وابن
وابن عطية ⁽⁹⁾، وابن الجوزي ⁽¹⁰⁾، والفخر الرازي ⁽¹⁾، والقرطبي ⁽²⁾، والبيضاوي ⁽³⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(274).

(٢) جامع البيان (109/19).

(٣) معاني القرآن (102/5).

(٤) بحر العلوم (566/2).

(٥) النكت والعيون (186/4).

(٦) تفسير القرآن (65/4).

(٧) معالم التنزيل (397/3).

(٨) الكشف (337/3).

(٩) المحرر الوجيز (242/4).

(١٠) زاد المسير (142/6).

(3) والبيضاوي ، والنسفي ، وابن جزى ، وابن كثير ، وأبو السعود ،⁽⁷⁾
والشوكانى ، والألوسى ، وابن عاشور ،⁽⁸⁾ والشنقيطي⁽⁹⁾ ،
⁽¹⁰⁾ والشنقيطي⁽¹¹⁾ .

واستدل على صحة المعنى المذكور بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾

[سورة يس: 62]⁽¹²⁾ ، وتفسير القرآن بالقرآن أفضل أنواع التفسير⁽¹³⁾ ، والله أعلم

بالصواب.

(١) التفسير الكبير (140/24).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (136/3).

(٣) أنوار التنزيل (252/4).

(٤) مدارك التنزيل (196/3).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (90/3).

(٦) تفسير القرآن العظيم (347/3).

(٧) إرشاد العقل السليم (262/6).

(٨) فتح القدير (115/4).

(٩) روح المعاني (119/19).

(١٠) التحرير والتنويل (185/19).

(١١) أضواء البيان (96/6).

(١٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (347/3)، وأضواء البيان للشنقيطي (96/6).

(١٣) انظر: شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

معنى: ﴿كَسَفًا﴾

34 - قال تعالى: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كَسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة الشعراء 187].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كَسَفًا﴾ أي: قطعة ﴿مِّنَ

السَّمَاءِ﴾. يقال: كَسَفَ وكَسُفًا، كما يقال: قَطَعَ وقِطْعَةً. وكَسَفَ جمع كِسْفَةٍ،

كما يقال: قَطَعَ جمع قِطْعَةٌ»⁽¹⁾.

إذا يرى الإمام ابن قتيبة أن ﴿كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ معناها: قِطْعًا مِنَ السَّمَاءِ، وقد

وافقه فيما ذهب إليه: الإمام الطبري⁽²⁾، والنحاس⁽³⁾، والواحدي⁽⁴⁾، وابن عطية⁽⁵⁾،

عطية⁽⁵⁾، والبيضاوي⁽⁶⁾، والنسفي⁽⁷⁾،

والثعالبي⁽⁸⁾، والسيوطي⁽¹⁾، والشوكاني⁽²⁾، والألوسي⁽³⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(274).

(٢) جامع البيان (109/19).

(٣) معاني القرآن (102/5).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (796/2).

(٥) المحرر الوجيز (242/4).

(٦) أنوار التنزيل (252/4).

(٧) مدارك التنزيل (197/3).

(٨) الجواهر الحسان (360/2).

وقال السمرقندي: (فأسقط علينا كسفاً من السماء) أي جانباً من

السماء، وقريء « كسفاً » بنصب السين أي قطعاً وهو جمع كسفة⁽⁴⁾ .

ونحو قوله قال: البغوي⁽⁵⁾ ، والقرطبي⁽⁶⁾ .

وقال الزمخشري: « قريء « كسفاً » بالسكون والحركة وكلاهما جمع

كسفة⁽⁷⁾ ، وبمثل قوله قال: والفخر الرازي⁽⁸⁾ ، والمحلي⁽⁹⁾ ، وأبو السعود⁽¹⁰⁾ .

فهما قراءتان واردتان في الآية : « كسفاً » و « كسفاً »⁽¹¹⁾ ، بالسكون

وبالتحريك، ومع ذلك فإن معناهما واحد: أي: قطعاً من السماء، وحتى من قال إن

المراد جانباً فإن الجانب يمثل قطعة من السماء أيضاً، والغالب من أسلوب القرآن

الكريم أن لفظ « كسفاً » يراد به قطعاً، قال تعالى : ﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتِ عَلَيْنَا

كِسْفًا ﴾ [سورة الإسراء: 92] . وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ

(١) الدرر المنثور (318/6).

(٢) فتح القدير (115/4).

(٣) روح المعاني (119/19).

(٤) بحر العلوم (566/2).

(٥) معالم التنزيل (137/3).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (136/13).

(٧) الكشف (338/3).

(٨) التفسير الكبير (141/24).

(٩) تفسير الجلالين ص(491).

(١٠) إرشاد العقل السليم (262/6).

(١١) انظر: القراءات العشر المتواترة، لمحمد كريم راجح ص(375).

كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كَسْفًا ﴿ [سورة الروم: 48]. وقال تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمُ

كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ ﴿ [سورة سبأ: 9]. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا ﴿ [سورة

الطور: 44]. والآية التي نحن بصددتها هنا في سورة الشعراء: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ

السَّمَاءِ ﴿ لا تخرج عن أسلوب الآيات الأخرى⁽¹⁾ المذكورة وأن «كسفا» سواء

بالتحريك أو السكون فهي بمعنى واحد ويراد بها قطعاً، والله أعلم بالصواب.

(١) قاعدة: حمل معاني كلام الله تعالى على الغالب من أسلوب القرآن الكريم.

انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (172/1)، وقواعد التفسير لخالد السبت

(798/2).

معنى: ﴿بِشَهَابٍ قَبَسٍ﴾

35- قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نارا سآتِكُمْ مِنْهَا خُبْرٌ أَوْ آتِيَكُمْ بِشَهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾

[سورة النمل: 7].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - في بيان معنى ﴿بِشَهَابٍ قَبَسٍ﴾ في هذه الآية: «

الشهاب: النار، والقبس: النار تقبس، يقال: قبست النار قبساً. واسم ما قبست: قَبَسٌ»⁽¹⁾.

وأقوال أئمة التفسير في بيان معنى الآية لا تبتعد عن ما ذكره ابن قتيبة. فإن الشهاب والقبس «معناهما متقاربان، فالعود إذا كان في أحد طرفيه نار وليس في الطرف الآخر نار؛ سمي شهاباً ويسمى قبساً»⁽²⁾.

وقال في لسان العرب: «الشهاب: العود الذي فيه نار»⁽³⁾،

وقال: «والقبس: الشعلة من النار»⁽⁴⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(276).

(٢) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (77/4)، ومعالم التنزيل للبغوي (406/3).

(٣) لسان العرب لابن منظور (510/1).

(٤) المرجع السابق (176/6).

والآية فيها قراءتان ﴿شَهَابٍ﴾ بالتنوين، و﴿شَهَابٍ﴾ بدون تنوين⁽¹⁾، «فمن قرأ
منوناً جعل القبس نعتاً لشهاب، ومن قرأ بغير تنوين أضاف الشهاب إلى القبس⁽²⁾،
فيكون: «مما يضاف إلى نفسه إذا اختلفت الأسماء، كقول تعالى: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾
[سورة يوسف: 109]»⁽³⁾ والمعنى على القراءتين آتيكم بشعلة نار مقبوسة؛ أي:
مأخوذة من أصلها، جامع لمنفعتي الضياء والاصطلاء⁽⁴⁾.

وما سبق بيانه هو مجمل ما ذكره الأئمة في كتبهم: النحاس⁽⁵⁾
والواحدي⁽⁶⁾، والزمخشري⁽⁷⁾، وابن عطية⁽⁸⁾، والفخر الرازي⁽⁹⁾،
والقرطبي⁽¹⁰⁾، والبيضاوي⁽¹¹⁾، والنسفي⁽¹²⁾،

(١) القراءات العشر.

(٢) بحر العلوم للسمرقندي (573/2).

(٣) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (154/6) وحكاه عن الفراء.

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود (273/6)، وفتح القدير للشوكاني (126/4).

(٥) معاني القرآن (115/5).

(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (800/2).

(٧) الكشف (354/3).

(٨) المحرر الوجيز (249/4).

(٩) التفسير الكبير (156/24).

(١٠) الجامع لأحكام القرآن (156/13).

(١١) أنوار التنزيل (259/4).

(١٢) مدارك التنزيل (204/3).

..... وابن كثير⁽¹⁾، والمحلي⁽²⁾،
والثعالبي⁽³⁾، والألوسي⁽⁴⁾.

قال الواحدي: « **بِشْهَابٍ قَبَسٍ** شعلة نار أقتبسها لكم »⁽⁵⁾.

وقال ابن عطية: « وقوله **بِشْهَابٍ قَبَسٍ** شبه النار التي تؤخذ في طرف عود أو

غره بالشهاب والقبس اسم لقطعة النار تقتبس في عود أو غيره »⁽⁶⁾.

وقال المحلي: « **بِشْهَابٍ قَبَسٍ**: أي شعلة نار في رأس فتيلة أو عود »⁽⁷⁾.

فائدة:

«فإن قلت: فلم جاء بـ « أو » دون الواو، قلت: بني الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعاً، لم يعدم واحدةً منهما: إما هداية الطريق، وإما اقتباس النار، ثقةً بعبادة الله تعالى أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده»⁽⁸⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) تفسير القرآن العظيم (357/3).

(٢) تفسير الجلالين (495/1).

(٣) الجواهر الحسان (156/3).

(٤) روح المعاني (159/19).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (800/2).

(٦) المحرر الوجيز (249/4).

(٧) تفسير الجلالين ص (495).

(٨) انظر: الكشاف للزمخشري (354/3).

معنى: ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾

36- قال تعالى: ﴿وَأَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [سورة النمل: 10].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ لم يرجع، ويقال: لم يلتفت،

يقال: كَرَّ عَلَى الْقَوْمِ وَمَا عَقَّبَ»⁽¹⁾.

فابن قتيبة يرى صحة حمل الآية على المعنيين: لم يرجع، ولم يلتفت. وذكر المعنيين معاً احتمالاً لمعنى الآية: ابن الجوزي⁽²⁾، والقرطبي⁽³⁾، والنسفي⁽⁴⁾، وابن جزري⁽⁵⁾، والثعالبي⁽⁶⁾.

ومنهم مَنْ فَسَّرَ ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾: أي «لم يرجع» وهو المروي عن مجاهد⁽⁷⁾،

وقال به النحاس⁽⁸⁾، والسمرقندي⁽⁹⁾، والواحدي⁽¹⁾، والبغوي⁽²⁾،

(1) تفسير غريب القرآن ص(276).

(2) زاد المسير (156/6).

(3) الجامع لأحكام القرآن (160/13).

(4) مدارك التنزيل (205/3).

(5) التسهيل لعلوم التنزيل (93/3).

(6) الجواهر الحسان (156/3).

(7) تفسير مجاهد (469/2).

(8) معاني القرآن (117/5).

(9) بحر العلوم (574/2).

والزمخشري⁽³⁾، وابن عطية⁽⁴⁾، والبيضاوي⁽⁵⁾، والمحلي⁽⁶⁾، وأبو السعود⁽⁷⁾،
والشوكانى⁽⁸⁾، والألوسى⁽⁹⁾، والسعدى⁽¹⁰⁾، وابن عاشور⁽¹¹⁾،
والشنقيطي⁽¹²⁾.

وممن فسّر ﴿وَلَمْ يَعْصِ﴾: أي « لم يلتفت » السمعاني⁽¹³⁾، وابن كثير⁽¹⁴⁾.

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (800/2).

(٢) معالم التنزيل (407/3).

(٣) الكشاف (355/3).

(٤) المحرر الوجيز (287/4).

(٥) أنوار التنزيل (260/4).

(٦) تفسير الجلالين ص (512).

(٧) إرشاد العقل السليم (274/6).

(٨) فتح القدير (127/4).

(٩) روح المعاني (163/19).

(١٠) تفسير الكريم الرحمن ص (615).

(١١) التحرير والتنوير (228/19).

(١٢) أضواء البيان (436/3).

(١٣) تفسير القرآن (79/4).

(١٤) تفسير القرآن العظيم (358/3).

والذي يظهر - والله أعلم - أن الأرجح تفسير ﴿وَلَزِيَّعَتٌ﴾ بمعنى: لم يرجع،

فهو «الأولى» كما قال الشوكاني⁽¹⁾، ولأن «التعقيب هو الكر بعد الفر»، كما ذكر ذلك الزمخشري⁽²⁾، والبيضاوي⁽³⁾، والنسفي⁽⁴⁾، وأبو السعود⁽⁵⁾، وأبو السعود⁽⁵⁾، والشوكاني⁽⁶⁾، والألوسي⁽⁷⁾، والشنقيطي⁽⁸⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) فتح القدير (127/4).

(٢) الكشاف (355/3).

(٣) أنوار التنزيل (260/4).

(٤) مدارك التنزيل (205/3).

(٥) إرشاد العقول السليم (274/6).

(٦) فتح القدير (127/4).

(٧) روح المعاني (163/19).

(٨) أضواء البيان (436/3).

معنى: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾

37- قال تعالى: ﴿وَحِشْرَ لَسْلِيمَانَ جُنُودَهُ، مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ

﴿١٧﴾ [سورة النمل: 17].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يُدْفَعُونَ، وأصل

الوزع: الكف والمنع، يقال: وزعت الرجل؛ إذا كففته. ووازع الجيش: هو الذي يكفهم عن التفرق، ويردّ مَنْ شذَّ منهم»⁽¹⁾.

ونحو قول ابن قتيبة قال جمع من أئمة التفسير، منهم: النحاس: «أصل وزعته كففته، ومنه: لا بد للناس من وزعة»⁽²⁾.

السمرقندي: «وأصل الوزع الكف يقال: وزعت الرجل إذا كففته»⁽³⁾.
«⁽³⁾»

السمعاني: «والقول المعروف يكفون، ومعناه يكف أولهم حتى يلحق آخرهم»⁽⁴⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(277).

(٢) معاني القرآن (5/120).

(٣) بحر العلوم (2/576).

(٤) تفسير القرآن (4/84).

البغوي: « ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ فهم يكفون »⁽¹⁾.

القرطبي: « ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ معناه يرد أولهم إلى آخرهم ويكفون »⁽²⁾.

ابن جزى: « ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي يكفون ويرد أولهم إلى آخرهم »⁽³⁾.

ابن كثير: « ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي يكف أولهم على آخرهم لئلا يتقدم أحد عن

منزلته التي هي مرتبة له »⁽⁴⁾.

الشوكاني: « ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: لكل طائفة منهم وزعة ترد أولهم على

آخرهم فيقفون على مراتبهم، يقال: وزعه يزرعه وزعاً: كفه، والوازع في الحرب الموكل بالصفوف يزرع من تقدم منهم أي يرده »⁽⁵⁾.

وثمّ من ذكر أن معنى ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: « يجبس أولهم على آخرهم حتى

يجتمعوا »، قال الواحدي⁽⁶⁾، وقال الزمخشري: « ﴿يُوزَعُونَ﴾ يجبس أولهم على

(١) معالم التنزيل (410/3).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (167/13).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (94/3).

(٤) تفسير القرآن العظيم (359/3).

(٥) فتح القدير (130/4).

(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (801/2).

آخرهم أي توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة»⁽¹⁾.

ونحواً من ذلك قال الفخر الرازي⁽²⁾، والبيضاوي⁽³⁾، والنسفي⁽⁴⁾، وأبو السعود⁽⁵⁾، والألوسي⁽⁶⁾، والشنقيطي⁽⁷⁾.

والسعدي قال: «﴿يُرْعَوْنَ﴾ يدبرون ويرد أولهم على آخرهم وينظمون غاية التنظيم في سيرهم ونزولهم وحلهم وترحالهم»⁽⁸⁾.

الظاهر - والله أعلم - أنه لا تنافر بين الأقوال الواردة عن الأئمة المفسرين في

بيان معنى ﴿فَهُمْ يُرْعَوْنَ﴾، فإن وازع الجيش هو الذي يكفهم عن التفرق، ويردّ من شدّ منهم، وهو الذي يوقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين، ويدبّر أمور السير، وقد قال أهل اللغة: «الوزع: كف النفس عن هواها والوازع في الحرب: الموكل بالصفوف يزع من تقدم منهم بغير أمره، ويقال: وزعت الجيش إذا حبست أولهم على آخرهم»⁽⁹⁾. وتخصيص حبس أوائلهم بالذكر دون سوق

(١) الكشاف (359/3).

(٢) التفسير الكبير (161/24).

(٣) أنوار التنزيل (262/4).

(٤) مدارك التنزيل (207/3).

(٥) إرشاد العقل السليم (277/6).

(٦) روح المعاني (174/19).

(٧) أضواء البيان (142/6).

(٨) تيسير الكريم الرحمن ص (602).

(٩) لسان العرب لابن منظور (390/8).

أو آخريهم مع أن التلاحق يحصل بذلك أيضاً، لأن في ذلك شفقة على الطائفتين؛
أما الأوائل فمن جهة أن يستريحوا في الجملة بالوقوف عن السير، وأما الأواخر فمن
جهة أن لا يجهدوا أنفسهم بسرعة السير»⁽¹⁾.

وبمـسـبق بيانه يتضح صحة حمل الآية على المعاني الواردة جميعها، والله
أعلم بالصواب.

(1) روح المعاني (174/19).

معنى: ﴿يُخْرِجُ الْخَبَّ﴾

38 - قال تعالى: ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة النمل: 25].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « الذي يخرج الخبء في السموات والأرض » أي: المستتر فيه ما، وهو من خبأت الشيء: إذا أخفيته. وقالوا: « خبء السماء: المطر، وخبء الأرض: النبات »⁽¹⁾. ولقد ذهب إلى مثل ما ذهب إليه ابن قتيبة من أن المراد بخبء السماء: المطر، وخبء الأرض: النبات: كل من الطبري⁽²⁾، والسمرقندي⁽³⁾، والواحدي⁽⁴⁾، والسمعاني⁽⁵⁾، والبغوي⁽⁶⁾، والقرطبي⁽⁷⁾، والنسفي⁽⁸⁾، وابن كثير⁽⁹⁾، والمحلي⁽¹⁰⁾، وابن عاشور⁽¹⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(277).

(٢) جامع البيان (150/19).

(٣) بحر العلوم (579/2).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (802/2).

(٥) تفسير القرآن (91/4).

(٦) معالم التنزيل (415/3).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (187/13).

(٨) مدارك التنزيل (210/3).

(٩) تفسير القرآن العظيم (362/3).

(١٠) تفسير الجلالين ص(497).

ومنهم من جعل المراد بخبء السماوات وخبء الأرض عاماً « لكل ما غاب في السماوات والأرض »⁽²⁾، من « النبات والمطر وغيرهما مما خبأه جل وعلا من غيوبه »⁽³⁾، « وهو يعمّ إشراق الكواكب وإنزال الأمطار وإنبات النبات »⁽⁴⁾ « وإخراج المعادن والكنوز »⁽⁵⁾، كما « يخرج خبء الأرض عند النفخ في الصور وإخراج الأموات من الأرض ليجازيهم بأعمالهم »⁽⁶⁾.
 بنحو ذلك قال: النحاس⁽⁷⁾، والزمخشري⁽⁸⁾، وابن عطية⁽⁹⁾، والفخر الرازي⁽¹⁰⁾، والبيضاوي⁽¹¹⁾، وابن جزري⁽¹²⁾، وأبو السعود⁽¹³⁾،

(١) التحرير والتنوير (255/19).

(٢) انظر: معاني القرآن للنحاس (127/5).

(٣) انظر: الكشاف للزمخشري (366/3).

(٤) انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (265/4).

(٥) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (109/6).

(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(604).

(٧) معاني القرآن (127/5).

(٨) الكشاف (366/3).

(٩) المحرر الوجيز (257/4).

(١٠) التفسير الكبير (165/24).

(١١) أنوار التنزيل (265/4).

(١٢) التسهيل لعلوم التنزيل (95/3).

(١٣) إرشاد العقل السليم (282/6).

والشوكاني⁽¹⁾، والألوسي⁽²⁾، والسعدي⁽³⁾، وسيد قطب⁽⁴⁾، والشنقيطي⁽⁵⁾.
والشنقيطي⁽⁵⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - أن « الأولى التعميم »⁽⁶⁾ ليشتمل « كل ما
غاب في السموات والأرض »⁽⁷⁾. « كما يدل عليه قوله بعده ﴿وَعَلَّمَ مَا خَفُونَ وَمَا
تُغْلِبُونَ﴾ »⁽⁸⁾، يؤيد ذلك قاعدة: « إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده
»⁽⁹⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) فتح القدير (134/4).

(٢) روح المعاني (192/19).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص (604).

(٤) في ظلال القرآن (2639/5).

(٥) أضواء البيان (109/6).

(٦) روح المعاني للألوسي (192/19).

(٧) معاني القرآن للنحاس (127/5).

(٨) أضواء البيان للشنقيطي (109/6).

(٩) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (125/1)، وقواعد التفسير لخالد السبت

(249/1).

معنى: ﴿عَفْرِيَّتُ﴾

39 - قال تعالى: ﴿قَالَ عَفْرِيَّتُ مِنَ الْجِنَّ أَنَا إِنِّي كُنتُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [سورة

النمل: 39].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿قَالَ عَفْرِيَّتُ مِنَ الْجِنَّ﴾ أي الشديد الوثيق،

وأصله: عَفْرٌ، زيدت فيه التاء»⁽¹⁾.

وعدد من المفسرين وافقوه بعبارات مرادفة، فقال السمرقندي: «

والعفريت: هو الشديد القوي»⁽²⁾، ومثله السمعاني⁽³⁾، والمحلي⁽⁴⁾.

وأما غيرهم من المفسرين فأضافوا إلى القوة كونه ماردًا، فقال الطبري:

« وقوله: ﴿قَالَ عَفْرِيَّتُ مِنَ الْجِنَّ﴾ يقول تعالى ذكره قال رئيس من الجن مارد قوي»⁽⁵⁾.

(1) تفسير غريب القرآن ص(277).

(2) بحر العلوم (582/2).

(3) تفسير القرآن (98/4).

(4) تفسير الجلالين ص(499).

قوي»⁽¹⁾. ومثله قال: الواحدي⁽²⁾،
 والبغوي⁽³⁾، وابن عطية⁽⁴⁾، والقرطبي⁽⁵⁾، وابن كثير⁽⁶⁾، والشوكاني⁽⁷⁾.
 وقيل: «العفريت من الشياطين الخبيث المارد»، هذا ما قاله الزمخشري⁽⁸⁾،
 الزمخشري⁽⁸⁾، ومثله قال الفخر الرازي⁽⁹⁾، والبيضاوي⁽¹⁰⁾، والنسفي⁽¹¹⁾،
 وأبو السعود⁽¹²⁾، والألوسي⁽¹³⁾.
 وقال السعدي: «والعفريت هو القوي النشيط جداً»⁽¹⁴⁾.

-
- (١) جامع البيان (161/9).
 (٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (804/2).
 (٣) معالم التنزيل (419/3).
 (٤) المحرر الوجيز (260/4).
 (٥) الجامع لأحكام القرآن (203/013).
 (٦) تفسير القرآن العظيم (364/3).
 (٧) فتح القدير (138/4).
 (٨) الكشاف (372/3).
 (٩) التفسير الكبير (169/24).
 (١٠) أنوار التنزيل (268/4).
 (١١) مدارك التنزيل (213/3).
 (١٢) إرشاد العقل السليم (286/6).
 (١٣) روح المعاني (202/19).
 (١٤) تيسير الكريم الرحمن ص(605).

والذي يظهر - والله أعلم - أنه لا خلاف تضاد بين أقوال الأئمة المفسرين في بيان معنى العفريت؛ فإن الشدة والقوة مع الرياسة والدهاء والخبث⁽¹⁾، وكونه ماردًا⁽²⁾ عاتيًا⁽³⁾ جبارًا قويًا، كلها معان تصلح أن يوصف بها العفريت الذي قال لني الله سليمان - عليه السلام - ﴿أَنَا أَيْنِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ فقد روي: «أنه كان بمنزلة جبل ويضع قدمه عند منتهى طرفه»⁽⁴⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (586/4).

(٢) انظر: مختار الصحاح للرازي ص (259).

(٣) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (91/3).

(٤) انظر: معالم التنزيل للبغوي (419/3).

ما هو الصرح؟

40- قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ

رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ [سورة النمل: 44].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: «**الصَّرْحُ** القصر، وجمعه: صروح، ومنه

قول الهذلي⁽¹⁾: تحسب أعلامهن الصروحا . ويقال: الصرح بلاط اتخذ لها من قوارير، وجعل تحته ماء وسمك»⁽²⁾.

تفسير الصرح بأنه: القصر، مروى عن ابن عباس⁽³⁾ -، وهو ما ذهب

إليه ابن قتيبة، والسمرقندي⁽⁴⁾، وابن كثير⁽⁵⁾، وسيد قطب⁽⁶⁾، ومن قال

(١) هو أبو ذؤيب الهذلي، شاعر مشهور، اسمه: حويلد بن خالد بن مُحَرَّث، كان فصيحاً متمكناً في الشعر عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم. وعامة ما قلل من الشعر في إسلامه، توفي في خلافة عثمان - رضي الله عنه - جميعاً. الإصابة في تمييز الصحابة (65/4).

(٢) تفسير غريب القرآن ص(278).

(٣) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، للفيروز آبادي ص(319).

(٤) بحر العلوم (584/2).

(٥) تيسير القرآن العظيم (367/3).

(٦) في ظلال القرآن (2643/5).

بأنه: « كل بناء عال » كابن عطية⁽¹⁾؛ فهو راجع إلى هذا، فالقصور غالباً أبنية عالية.

وُفسّر الصرح بأنه: « كهيئة السطح من قوارير وأجرى من تحته الماء » قاله الطبري⁽²⁾؛ ويمثله قال الواحدي⁽³⁾، والمحلي⁽⁴⁾، والثعالبي⁽⁵⁾، والسعدي⁽⁶⁾.

وقيل: ﴿الصَّرْحُ﴾ صحن الدار؛ ذكره ضمن أقوال - ولم يرجحوه - :

الماوردي⁽⁷⁾، والسمعاني⁽⁸⁾، والبغوي⁽⁹⁾، والزمخشري⁽¹⁰⁾، والفخر

(١) المحرر الوجيز (262/4).

(٢) جامع البيان (168/9).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (805/2).

(٤) تفسير الجلالين ص(500).

(٥) الجواهر الحسان (162/3).

(٦) تيسير الكريم الرحمن ص(605).

(٧) النكت والعيون (216/4).

(٨) تفسير القرآن (101/4).

(٩) معالم التنزيل (422/3).

(١٠) الكشاف (374/3).

الرازي⁽¹⁾، والقرطبي⁽²⁾، والنسفي⁽³⁾، وابن جزري⁽⁴⁾، وأبو السعود⁽⁵⁾،
والشوكاني⁽⁶⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - أن هناك تداخلاً واضحاً بين أقوال الأئمة
المفسرين في بيان المراد بالصرح المذكور في الآية، ولا مانع من اجتماع المعاني معاً
بيانا لمعنى الآية، فمن ذكر بأنه قصر أو بناء عال، فهو أشار بصورة طبيعية إلى ما
تتخذه الملوك مقرراً لهم عادة، وم ن قال بأنه صحن الدار أو كهيئة السطح من
قوارير، فهو أشار إلى المكان المحدد الذي خطط نبي الله سليمان - عليه السلام - لملكة سبأ
أن تسير فيه أو دخولها إلى قصره ومجلسه، فبطبيعة الحال يكون دخول الشخص
أول ما يدخل إلى صحن الدار، وهذا ما واجهته ملكة سبأ، فكان ذلك المكان قد
تمت تهيئته بأمر نبي الله سليمان - عليه السلام - كهيئة السطح من زجاج وجعل تحته ماءً
وسمكاً ومن دواب البحر، ليشعر الداخل إليه أنه سيخوض بقدميه في الماء، وهذا ما
أحست به ملكة سبأ أول ما قدمت ودخلت عند نبي الله سليمان - عليه السلام -، والله
أعلم بالصواب.

(١) التفسير الكبير (172/24).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (208/13).

(٣) مدارك التنزيل (215/3).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (97/3).

(٥) إرشاد العقل السليم (289/6).

(٦) فتح القدير (141/4).

معنى: ﴿حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾

41- قال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا

كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلَّ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ [سورة النمل: 60].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿حَدَائِقَ﴾: البساتين، واحدها: حديقة،

سميت بذلك: لأنه يُحَدَّق عليها؛ أي يخطر عليها حائط، وفيه قيل: حَدَّقْتُ بِلِقَوْمٍ؛ إذا أَحَطْتُ بِهِمْ»^(١).

وكل من وقفت على قوله من أئمة التفسير شرح معنى الحدائق المذكور في الآية بنفس المعنى الذي ذكره ابن قتيبة، وهو المروي عن ابن عباس^(٢) - رضي الله عنهما -، وقول الطبري^(٣)، والنحاس^(٤)، والسمرقندي^(٥)، والواحدي^(٦)، والسمعاني^(٧)، والبغوي^(١)، والزمخشري^(٢)، والفخر الرازي^(٣)، والقرطبي^(٤)،

(١) تفسير غريب القرآن ص(279).

(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(320).

(٣) جامع البيان (3/20).

(٤) معاني القرآن (145/5).

(٥) بحر العلوم (589/2).

(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (807/2).

(٧) تفسير القرآن (108/4).

والقرطبي⁽⁴⁾، والبيضاوي⁽⁵⁾، والنسفي⁽⁶⁾، وابن كثير⁽⁷⁾، والمحلي⁽⁸⁾،
وأبو السعود⁽⁹⁾، والشوكاني⁽¹⁰⁾، والسعدي⁽¹¹⁾، وابن عاشور⁽¹²⁾.
والظاهر - والله أعلم - على ما ذكر حمل معنى الآية على ما ورد عن جميع
المفسرين بياناً لمعنى الآية، والله أعلم بالصواب.

(١) معالم التنزيل (425/3).

(٢) الكشاف (380/3).

(٣) التفسير الكبير (176/24).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (221/13).

(٥) أنوار التنزيل (273/4).

(٦) مدارك التنزيل (219/3).

(٧) تفسير القرآن العظيم (370/3).

(٨) تفسير الجلالين ص (57).

(٩) إرشاد العقل السليم (294/6).

(١٠) فتح القدير (146/4).

(١١) تيسير الكريم الرحمن ص (607).

(١٢) التحرير والتنوير (11/20).

معنى: ﴿بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾

42- قال تعالى: ﴿بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [سورة النمل:

. [66]

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - : ﴿بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ﴾ أي: تدارك ظنهم في

الآخرة، وتتابع بالقول والحدس «⁽¹⁾».

إن لفظ ﴿بَلِ أَدْرَاكَ﴾ ورد فيه ثنتا عشرة قراءة ⁽²⁾، اثنتان منها فقط سبعيتان

عشرتان ⁽³⁾؛ وهما ﴿أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ﴾ بكسر لام (بل) وبعدها همزة وصل وتشديد الدال

الدال مع فتحها وبعدها ألف، ((بل أدرك)) بسكون لام (بل) وبعدها همزة قطع

وسكون الدال ⁽⁴⁾.

وعليه حصل شيء من التنوع في عبارات المفسرين عند بيانهم لمعنى الآية

على النحو الآتي:

(¹) تفسير غريب القرآن ص(279).

(²) انظر: الكشف للزمخشري (383/3).

(³) سبعيتان: أعني بهم القراء السبعة، وعشرتان: أعني بهم مع انضمام الثلاث المتممة للعشرة.

(⁴) انظر: شرح شعلة على الشاطبية لأبي عبدالله الموصلي ص(530)، والقراءات العشر المتواترة لمحمد

كريم راجح ص(383).

الإمام الطبري - بعد أن عرض عددًا من الأقوال - قال: « وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب على قراءة من قرأ (بل أدرك) هو أن معناه: وما يشعرون أيان يبعثون بل أدرك علمهم نفس وقت ذلك في الآخرة حين يبعثون فلا ينفعهم علمهم به حينئذٍ، فأما في الدنيا فإنهم منها في شك بل هم منها عمون . وإنما قلت هذا القول أولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب على القراءة التي ذكرت : لأن ذلك أظهر معانيه. وإذا كان ذلك معناه كان في الكلام محذوف قد استغني بدلالة ما ظهر منه عنه، وذلك أن معنى الكلام : وما يشعرون أيان يبعثون بل يشعرون ذلك في الآخرة، فالكلام إذا كان ذلك معناه : وما يشعرون أيان يبعثون بل أدرك علمهم بذلك في الآخرة بل هم في الدنيا في شك منها.

وأما على قراءة من قرأه ﴿بَلْ أَدْرَكَ﴾ بكسر اللام وتشديد الدال: يكون معنى (بل) أم، والعرب تضع (أم) موضع (بل) و(بل) موضع (أم) إذا كان في أول الكلام استفهام، فيكون تأويل الكلام: وما يشعرون أيان يبعثون بل تدارك علمهم في الآخرة يعني تتابع علمهم في الآخرة أي بعلم الآخرة أي لم يتتابع بذلك ولم يعلموه بل غاب علمهم عنه وضل فلم يبلغوه ولم يدركوه»⁽¹⁾.

(1) جامع البيان (6/20)، بتصرف يسير.

وقال الخازن⁽¹⁾: « ﴿بَلِّغْ أَدْرَكَ﴾ أي: بلغ ولحق، وعلمهم في الآخرة: هو ما جهلوه في الدنيا وسقط عنهم علمه، وقيل: بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكوا فيه وعموا عنه في الدنيا»⁽²⁾.

ابن كثير «﴿بَلِّغْ أَدْرَكَ﴾ أي: انتهى علمهم وعجز عن معرفة وقتها»⁽³⁾.

الشوكاني: «ومعنى الآية: بل تكامل علمهم في الآخرة، لأنهم رأوا كل ما وُعدوا به وعاينوه. وقيل معناه: تتابع علمهم في الآخرة، والقراءة الثانية معناها كمل علمهم في الآخرة مع المعاينة وذلك حين لا ينفعهم العلم؛ لأنهم كانوا في الدنيا مكذابين»⁽⁴⁾.

الألوسي: «والمعنى: بل تتابع علمهم في شأن الآخرة التي ما ذكر من البعث حال من أح والهال حتى انقطع وفني ولم يبق لهم علم بشيء مما سيكون فيه قطعاً مع توفر أسبابه، فهو تَرَقَّى عن وصفهم بجهل فاحش إلى وصفهم بجهل أفحش»⁽⁵⁾.

السعدي: «﴿بَلِّغْ أَدْرَكَ عَلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: بل ضعف ولم يكن يقيناً ولا علماً

واصلاً إلى القلب، وهذا أقل وأدنى درجة للعلم؛ ضعفه ووهائه»⁽¹⁾.

(١) علاء الدين، علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر البغدادي، خازن الكتب بالمدرسة السَّمِيسَاطِيَّة واشتهر بالخازن بسبب ذلك، وجمع تفسيراً كبيراً سماه (التأويل لمعالم التنزيل)، كان حسن السمات والبشر والتودد. توفي سنة (741هـ). طبقات المفسرين (422/1).

(٢) لباب التأويل (154/5).

(٣) تفسير القرآن العظيم (374/3).

(٤) فتح القدير (147/4).

(٥) روح المعاني (13/20).

سيد قطب: « ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ ينفي عنهم العلم بموعد البعث في أغمض صورته وهو الشعور. فهم لا يعلمون بهذا الموعد يقيناً ولا يشعرون به حين يقترب شعوراً. فذلك من الغيب الذي يقرر أن لا أحد يعلمه في السماوات ولا في الأرض.. ثم يضرب عن هذا ليتحدث في موقفهم هم من الآخرة، ومدى علمهم بحقيقتها: ﴿بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ فأنتهى إلى حدوده، وقصر عن الوصول إليها، ووقف دونها لا يبلغها. ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ لا يستيقنون بمجيئها؛ بله أن يعرفوا مواعدها، وينتظروا وقوعها. ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ بل هم عنها في عمى، لا يبصرون من أمرها شيئاً، ولا يدركون من طبيعتها شيئاً.. وهذه أشد بعداً عن الثانية وعن الأولى»⁽²⁾.

الشنقيطي: « أظهر أقوال أهل العلم عندي في هذه الآية الكريمة أن المعنى : ﴿بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ﴾: أي تكامل علمهم في الآخرة حين يعاينونها، أي يعلمون في الآخرة علماً كاملاً لا يخالجه شك عند معابنتهم لما كانوا ينكرونه من البعث والجزاء. وإنما اخترنا هذا القول دون غيره من أقوال المفسرين في الآية لأن القرآن دل عليه دلالة واضحة في آيات متعددة، كقوله تعالى ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾⁽³⁸⁾ [سورة مريم: 38]. فقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ بمعنى: ما أسمعهم وما أبصرهم

(١) تيسير الكريم الرحمن ص(608).

(٢) في ظلال القرآن (2662/5).

للحق الذي كانوا ينكرونه يوم يأتوننا : أي يوم القيامة؛ وهذا يوضح معنى قوله ﴿بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ ❀ أي: تكامل علمهم فيها لمبالغتهم في سمع الحق وإبصاره في ذلك الوقت. وقوله ﴿لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ❀ يوضح معنى قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ ❀ لأن ضلالهم المبين اليوم أي في دار الدنيا هو شكهم في الآخرة وعماهم عنها. وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ ❀ [سورة السجدة: 12] فقوله: إنا موقنون أي يوم القيامة، يوضح معنى قوله هنا: ﴿بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ ❀. وكقوله تعالى: ﴿وَعَرِضْنَا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ ❀ [سورة الكهف: 48] فعرضهم على ربهم صفاً يتدارك به علمهم لما كانوا ينكرونه، وقوله: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ ❀ صريح في أنهم في الدنيا كانوا في شك وعمى عن البعث والجزاء كما ترى، إلى غير ذلك من الآيات «(1)».

وفريق آخر من المفسرين تفسيرهم للآية عبارة عن سرد واستعراض لعدد مما ورد من معان على اعتبار أنها كلها محتملة المعنى للآية، منهم:

(1) أضواء البيان (122/6).

النحاس⁽¹⁾، والسمعاني⁽²⁾، والبغوي⁽³⁾، والزمخشري⁽⁴⁾، وابن عطية⁽⁵⁾،
 وابن الجوزي⁽⁶⁾، والفخر الرازي⁽⁷⁾، والقرطبي⁽⁸⁾، وابن جزري⁽⁹⁾،
 وأبو حيان⁽¹⁰⁾، وأبو السعود⁽¹¹⁾.
 والذي يظهر - والله أعلم - أن الأصح حمل الآية على قول من قال : « بل
 تكامل علمهم في الآخرة، لأنهم رأوا كل ما وعدوا به »⁽¹²⁾ « علمًا لا يخالجه شك
 عند معابنتهم لما كانوا ينكرونه من البعث والجزاء »⁽¹³⁾ يؤيد ذلك قاعدتان مهمتان
 في الترجيح بين الأقوال عند المفسرين، أولاهما: قاعدة وجود قرينة في السياق تدل
 على المعنى الراجح⁽¹⁴⁾، فالشوكاني في نهاية تفسيره للآية أشار إلى القول الراجح وردّ

(١) معاني القرآن (145/5).

(٢) تفسير القرآن (110/4).

(٣) معالم التنزيل (426/3).

(٤) الكشف (383/3).

(٥) المحرر الوجيز (268/4).

(٦) زاد المسير (188/6).

(٧) التفسير الكبير (182/24).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (226/13).

(٩) التسهيل لعلوم التنزيل (100/3).

(١٠) البحر المحيط (87/7).

(١١) إرشاد العقل السليم (296/6).

(١٢) انظر: فتح القدير للشوكاني (147/4).

(١٣) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (122/6).

(١٤) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحري (299/1).

ما سواه بقريئة موجودة في الآية، قال « فمن قال إن معنى الآية الأولى أعني ﴿بَلِ آدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أنه كمل علمهم وتم مع المعاينة فلا بد من حمل قوله ﴿بَلِ آدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ الخ على ما كانوا عليه في الدنيا. ومن قال إن معنى الآية الأولى الاستهزاء بهم والتبكيث لهم لم يحتج إلى تقييد قوله ﴿بَلِ آدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ الخ بما كانوا عليه في الدنيا. وبهذا يتضح معنى هذه الآيات ويظهر ظهوراً بيناً»⁽¹⁾.

الثانية: قاعدة القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على غيره⁽²⁾، وقد عرضت قريباً كلام الشنقيطي متضمناً الآيات التي استدلت بها تأييداً للمعنى الراجح ولا مانع من إعادة ذكرها تذكيراً بها، وهي قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونََنَا لَكِن

الظالمون اليوم في ضلالٍ مبينٍ﴾ [سورة مريم: 38]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا

رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [سورة السجدة: 12]،

وقوله تعالى: ﴿وَعَرِضْهُ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ [سورة

الكهف: 48].

فهاتان قاعدتان مهمتان لدى أئمة التفسير يتأيد بهما ما ذكر، والله أعلم بالصواب.

(1) فتح القدير (147/4).

(2) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (312/1).



معنى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾

43 - قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (٨٢)

[سورة النمل: 82].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - : « ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي وجبت الحجة

«⁽¹⁾».

وتم رأي آخر في بيان المراد بالقول وهو أنه: «يعني إذا وجب عليهم العذاب والسخط وذلك حين لا يقبل الله تعالى من كافر إيمانه، ولم يبق إلا من يموت كافراً في علم الله تعالى»، هذا مضمون ما قاله: النحاس⁽²⁾، والسمرقندي⁽³⁾، والواحدي⁽⁴⁾.

وثمة رأي أيضاً في معنى القول مؤداه «هو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله، والمرط مشاركة الساعة وظهور أشراتها وحين لا تنفع التوبة، هذا مجمل ما قال به السمعاني⁽⁵⁾، والبغوي⁽¹⁾، والزمخشري⁽²⁾، وابن عطية⁽³⁾، والفخر

(١) تفسير غريب القرآن ص(279).

(٢) معاني القرآن (147/5).

(٣) بحر العلوم (592/2).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (809/2).

(٥) تفسير القرآن (113/4).

والفخر الرازي⁽⁴⁾، والبيضاوي⁽⁵⁾، والنسفي⁽⁶⁾، وابن جزري⁽⁷⁾، والمحلي⁽⁸⁾،
وأبوالسعود⁽⁹⁾، والألوسي⁽¹⁰⁾.

وقد أورد الماوردي⁽¹¹⁾ عند تفسيره للآية أن فيها «أربعة أوجه: أحدها:
وجب الغضب عليهم⁽¹²⁾»، والثاني: إذا حق القول عليهم بأنهم لا يؤمنون⁽¹³⁾،
الثالث: إذا لم يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وجب السخط عليهم⁽¹⁴⁾،
والرابع: إذا نزل العذاب⁽¹⁵⁾.

(١) معالم التنزيل (428/3).

(٢) الكشاف (388/3).

(٣) المحرر الوجيز (270/4).

(٤) التفسير اللبيري (186/24).

(٥) أنوار التنزيل (278/4).

(٦) مدارك التنزيل (223/3).

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (100/3).

(٨) تفسير الجلالين ص (504).

(٩) إرشاد العقل السليم (300/6).

(١٠) روح المعاني (21/20).

(١١) في النكت والعيون (226/4).

(١٢) حكاة الماوردي عن قتادة.

(١٣) حكاة عن مجاهد.

(١٤) حكاة عن ابن عمر وأبي سعيد الخدري - رضي الله عنهما -.

(١٥) حكاة عن الكلبي.

والذي يظهر - والله أعلم - صحة إرادة جميع المعاني في بيان المراد بالقول، فكلها « متقاربة »⁽¹⁾ « وعند التأمل ترجع إلى معنى واحد، والدليل عليه آخر الآية ﴿ أَذَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾⁽²⁾، وهذا من دلالة السياق على المعنى⁽³⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني (151/4).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (234/13).

(٣) ضمن قاعدة إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى، انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (125/1)، وقواعد التفسير لخالد السبت (249/1).

معنى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾

44 - ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ إِنَّهُ خَيْرٌ مِمَّا تَفَعَّلُونَ ﴿٨٨﴾﴾

[سورة النمل: 88].

قال ابن الإمام قتيبة - رحمه الله - : « قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ يريد أنها تجمع وتسير، فهي لكثرتها كأنها جامدة واقفة في رأي العين وهي تسير سير السحاب.

وكل جيش غصّ الفضاء به لكثرتة وبعده ما بين أطرافه فقصر عنه البصر؛ فكأنه في حساب الناظر واقف وهو يسير. وإلى هذا المعنى ذهب الجعدي⁽¹⁾ في وصف جيش، فقال:

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقف لحاج والركاب تهملج⁽²⁾

(١) النابغة الجعدي الشاعر المشهور المعمر، اختلف في اسمه، فقيل: قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة ابن جعدة، وقيل: اسم النابغة عبد الله، وقيل غير ذلك، وروى أنه كان يقول الشعر ثم تركه في الجاهلية ثم عاد إليه بعد أن أسلم فقيل: نبغ، وقال أبو حاتم السجستاني في كتاب المعمرين عاش مائتي سنة. وتوفي بأصبهان الإصابة في تمييز الصحابة (537/3)، وتاريخ أصبهان (102/1).

وشرح البيت المذكور: الأرعن: الجيش العظيم، أو هو المضطر لكثرتة، والطود: الجبل العظيم، لحاج: أي لحاجات جمع حاجة، تهملج: من الهملجة وهي حسن سير الدابة في سرعة.

انظر: لسان العرب (394/2)، ومختار الصحاح ص(168).

(٢) تأويل مشكل القرآن ص(49).

الجمهور من المفسرين ذهبوا في بيان المراد من الآية ﴿وَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَمَدًا وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ﴾

السَّحَابِ ﴿إلى مثل ما قاله ابن قتيبة في معناها، وإن اختلفت العبارات قليلاً، فقد قال

أبو جعفر النحاس: «﴿وَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَمَدًا وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ﴾ لأنها قد بست وجمعت

﴿(1)﴾.

السمعاني: «﴿وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ﴾ أي تسير سير السحاب وهذا كما أن سير

السحاب لا يرى لعظمه كذلك سير الجبال يوم القيامة لا يرى لكثرتها» (2).

البعوي: «﴿وَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَمَدًا﴾ قائمة واقفة ﴿وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ﴾ أي تسير سير

السحاب حتى تقع على الأرض فتستوي بها وذلك إن كل شيء عظيم وكل جمع

كثير يقصر عنه البصر لكثرتة وبعده ما بين أطرافه فهو في حساب الناظر واقف وهو

سائر، كذلك سير الجبال لا يرى يوم القيامة لعظمها، كما أن سير السحاب لا

يرى لعظمه وهو سائر» (3).

(1) معاني القرآن (150/5).

(2) تفسير القرآن (117/4).

(3) معالم التنزيل (432/3).

ونحو ذلك جاء تفسير : الزمخشري⁽¹⁾، وابن الجوزي⁽²⁾، والفخر الرازي⁽³⁾، والقرطبي⁽⁴⁾، والبيضاوي⁽⁵⁾، وابن كثير⁽⁶⁾، والثعالبي⁽⁷⁾، وأبو السعود⁽⁸⁾، والشوكاني⁽⁹⁾، وسيد قطب⁽¹⁰⁾، والشنقيطي⁽¹¹⁾.

قال ابن كثير: « ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَمَدًا وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ أي: تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه وهي تمر مر السحاب، أي: تزول عن أماكنها، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۗ ﴿١﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۗ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الطور: 9-10]، وقال تعالى: ﴿ وَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۗ ﴿١٥﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۗ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة طه: 15-16]

(١) الكشاف (392/3).

(٢) زاد المسير (195/6).

(٣) التفسير الكبير (189/24).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (242/13).

(٥) أنوار التنزيل (280/4).

(٦) تفسير القرآن العظيم (389/3).

(٧) الجواهر الحسان (169/3).

(٨) إرشاد العقل السليم (304/6).

(٩) فتح القدير (155/4).

(١٠) في ظلال القرآن (2668/5).

(١١) أضواء البيان (144/6).

[105-107]، وقد قال: ﴿وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [سورة الكهف: 47] «⁽¹⁾».

والشنقيطي بين المعنى الراجح برده على من زعم أن حركة الجبال المذكورة في الآية إنما هي في الدنيا، فقال: « ذلك أن بعض الناس زعم أن قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ يدل على أن الجبال الآن في دار الدنيا يحسبها رأيها جامدة أي واقفة ساكنة غير متحركة وهي تمر مر السحاب » ثم بين عدم صحة هذا القول من وجهين « أما الأول منهما: هو وجود القرينة الدالة على عدم صحته، فهو أن قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ﴾ معطوف على قوله ﴿فَفَزَعَ﴾ وذلك المعطوف عليه مرتب بالفاء على قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُفْخِ فِي الصُّورِ فَفَزَعَنَ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [سورة النمل: 87] أي ويوم ينفخ في الصور فيفزع من في السماوات وترى الجبال، فدللت هذه القرينة القرآنية الواضحة على أن مر الجبال مر السحاب كائن يوم ينفخ الصور لا الآن. وأما الثاني: كون هذا المعنى هو الغالب في القرآن، لأن جميع الآيات التي فيها حركة الجبال كلها في يوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۗ وَسِيرُ الْجِبَالِ سِيرًا﴾ [سورة الطور: 9-10]، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [سورة

(1) تفسير القرآن العظيم (3/379).

الكهف: 47]، وقوله تعالى: ﴿وَسَيَرَتِ الْجِبَالُ كَانَتِ سَرَابًا﴾ [سورة النبأ: 20]، وقوله

تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [سورة التكوير: 3] ⁽¹⁾.

فهاتان قاعدتان في الترجيح بين الأقوال عند المفسرين استدل بهما الشيخ الشنقيطي على ما ذكره، وهما: قاعدة: وجود قرينة في الآية ⁽²⁾، وقاعدة: الترجيح بالغالب من أسلوب القرآن ⁽³⁾. وأضيف إليهما قاعدة: تفسير جمهور السلف مقدم على ما شذ عنهم ⁽⁴⁾، فكل من وقفت على تفسيره من الأئمة ذكر أن تلك الحركة للجبال هي يوم القيامة، والله أعلم بالصواب.

(١) أضواء البيان (144/6).

(٢) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (299/1).

(٣) انظر: المرجع السابق (172/1)، وقواعد التفسير لخالد السبت (798/2).

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرون لحسين الحربي (288/1).

معنى: ﴿فَوَكَرَهُ﴾

45- قال تعالى: ﴿فَأَسْتَعْتَبَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [سورة القصص:

[15].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - : « ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى﴾ أي لكرهه، يقال : وكزته ولكزته ونكزته وهكزته ولهكزته؛ إذ دفعته.

﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ أي: قتله، وكل شيء فرغت منه : فقد قضيته، وقضيت عليه»⁽¹⁾.

معظم المفسرين فسروا معنى ﴿فَوَكَرَهُ﴾: أي ضربه بجمع كفه، وهو المروي عن ابن عباس⁽²⁾، وقول مجاهد⁽³⁾، وقال به النحاس⁽⁴⁾، والسمرقندي⁽⁵⁾،

(1) تفسير غريب القرآن ص(281).

(2) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص(324).

(3) تفسير مجاهد (482/2).

(4) معاني القرآن (166/5).

(5) بحر العلوم (601/2).

والواحدي⁽¹⁾، والسمعاني⁽²⁾، والبعوي⁽³⁾، والقرطبي⁽⁴⁾، والبيضاوي⁽⁵⁾،
 والمحلي⁽⁶⁾، والثعالبي⁽⁷⁾، وأبوالسعود⁽⁸⁾، والشوكاني⁽⁹⁾، والألوسي⁽¹⁰⁾.
 ومن المفسرين من ذكر أكثر من معنى للوكز دون تحديد لمعنى على أنه هو
 الراجح لبيان معنى الآية، كالزمخشري⁽¹¹⁾، والفخر الرازي⁽¹²⁾، والنسفي⁽¹³⁾،
 وابن جزري⁽¹⁴⁾، وابن كثير⁽¹⁵⁾.
 قال الزمخشري: « والوكز الـدفع بأطراف الأصـابع، وقيل : بجمع
 الكف »⁽¹⁶⁾.

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (814/2).

(٢) تفسير القرآن (128/4).

(٣) معالم التنزيل (439/3).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (260/13).

(٥) أنوار التنزيل (286/3).

(٦) تفسير الجلالين ص (509).

(٧) الجواهر الحسان (172/3).

(٨) إرشاد العقل السليم (6/7).

(٩) فتح القدير (163/4).

(١٠) روح المعاني (54/20).

(١١) الكشف (402/3).

(١٢) التفسير الكبير (200/24).

(١٣) مدارك التنزيل (230/3).

(١٤) التسهيل لعلوم التنزيل (103/3).

(١٥) تفسير القرآن العظيم (383/3).

(١٦) الكشف (402/3).

وقال ابن جزى : « فوكزه موسى : أي ضربه، والوكز الدفع بأطراف الأصابع، وقيل: بجمع الكف، فقضى عليه: أي قتله ولم يرد أن يقتله ولكن وافقت وكرته الأجل فندم»⁽¹⁾.

والذي يظهر -والله أعلم- أن يراد بالوكز الدفع بجمع الكف، فهو الأصح عند أهل اللغة العربية -لغة القرآن الكريم-، قال في مختار الصحاح: « وكره ضربه ودفعه بجمع يده على ذقنه»⁽²⁾، وفي تاج العروس: « الوكز الضرب بجمع الكف على الذقن»⁽³⁾. وذكر ابن قتيبة الوكز واللكز والنكر والنهز واللهز وكلها « بمعنى واحد » هذا ما أكده السمعاني⁽⁴⁾، والبغوي⁽⁵⁾، وابن عطية⁽⁶⁾، والقرطبي⁽⁷⁾، والثعالبي⁽⁸⁾.

وفي القاموس المحيط: « الوكز: الدفع والضرب بجمع اليد»⁽⁹⁾.
« واللكز: وهو الوكز والوجء في الصدر والحنك»⁽¹⁰⁾.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (103/3).

(٢) مختار الصحاح للرازي ص(305).

(٣) تاج العروس للزبيدي (375/15).

(٤) تفسير القرآن (128/4).

(٥) معالم التنزيل (439/3).

(٦) المحرر الوجيز (280/4).

(٧) الجامع لأحكام القرآن 260/013.

(٨) الجواهر الحسان (172/3).

(٩) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(680).

(١٠) المرجع السابق ص(674).

« ونكز: ضرب ودفع »⁽¹⁾.

« ونهز: ضرب ودفع »⁽²⁾.

« والملهز: الضارب بالجمع في اللهازم والرقبة »⁽³⁾.

وحمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب⁽⁴⁾، قاعدة مهمة في الترجيح بين الأقوال، متبعة عند أهل الفن من المفسرين، والله أعلم بالصواب.

(١) المرجع السابق ص(678).

(٢) المرجع السابق ص(679).

(٣) المرجع السابق ص(675).

(٤) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (2/369).

معنى: ﴿تُدُونان﴾

46- قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾

[سورة القصص: 23].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ أي تكفان

غنمهما، وحذف الغنم اختصاراً»⁽¹⁾.

وقال القرطبي: « يعني بقوله ﴿تَذُودَانِ﴾ تحبسان غنمهما، يقال منه ذاد فلان

غنمه وماشيته إذا أراد شيء من ذلك يشذ ويذهب فردّه ومنعه، يذودها ذوداً
«⁽²⁾.

النحاس: « تحبسان غنمهما حتى يفرغ الناس فتحلو لهم البئر »⁽³⁾.

الواحدي: « تحبسان غنمهما من الماء حتى يصدر مواشي الناس »⁽⁴⁾.

السمعاني: « تحبسان وتكفان أغنامهما من مخالطة أغنام الناس »⁽⁵⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(382).

(٢) جامع البيان (55/20).

(٣) معاني القرآن (171/5).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (816/2).

(٥) تفسير القرآن (131/4).

البعوي: « تحبسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس، وتخلو لهم البئر »⁽¹⁾.

ابن عطية: « تذودان معناه تمنعان وتحبسان »⁽²⁾.

ونحو عبارات من ذكرتهم قال أيضاً: القرطبي⁽³⁾، والبيضاوي⁽⁴⁾، والنسفي⁽⁵⁾، وابن جزري⁽⁶⁾، وابن كثير⁽⁷⁾، والمحلي⁽⁸⁾، وأبو السعود⁽⁹⁾، والشوكاني⁽¹⁰⁾، والألوسي⁽¹¹⁾، والسعدي⁽¹²⁾.

وعليه تبين اتفاقهم في بيان معنى ﴿تَذُودَانِ﴾، وأن المراد تحبسان وتكفان غنمهما عن مخالطة أغنام الناس حتى يفرغوا من سقي مواشيهم وتخلو لهم البئر، فيسقيان غنمهما، والله أعلم بالصواب.

(١) معالم التنزيل (441/3).

(٢) المحرر الوجيز (283/4).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (268/13).

(٤) أنوار التنزيل (288/4).

(٥) مدارك التنزيل (232/3).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (104/3).

(٧) تفسير القرآن العظيم (384/3).

(٨) تفسير الجلالين ص (510).

(٩) إرشاد العقل السليم (8/7).

(١٠) فتح القدير (165/4).

(١١) روح المعاني (59/20).

(١٢) تيسير الكريم الرحمن ص (614).

معنى: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾

47- قال تعالى: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [سورة القصص: 66].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾ أي: عموا عنها - من

شدة الهول يومئذٍ - فلم يجيبوا، والأنباء: الحجج هاهنا ⁽¹⁾ .

وقال السمرقندي: « ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾ يعني: ألبت عليهم الحجج يومئذٍ

من الهول ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ يعني: لا يسأل بعضهم بعضاً عما يحتجون به رجاء أن

يكون عنده من الحجة ما لم يكن عند غيره؛ لأن الله تعالى أدحض حججهم . وفي

الدنيا إذا اشبهت عليه الحجة ربما يسأل عن غيره فيلقنه الحجة، وفي الآخرة آيس

من ذلك ⁽²⁾ .

(١) تفسير غريب القرآن ص(285).

(٢) بحر العلوم (616/2).

وقال الواحدي: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾ عميت عليهم الحجج؛ لأن الله تعالى قد

أعذر إليهم في الدنيا فلا تكون لهم حجة يومئذ؛ فسكتوا، فذلك قوله ﴿فَهُمْ لَا

يَسْأَلُونَ﴾ أي: لا يسأل بعضهم بعضاً عما يحتجون به ⁽¹⁾.

السمعاني: «وقوله ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: الحجج فكأنهم لما لم يجدوا

حجة فقد عجزوا عنها ⁽²⁾.

الزمخشري: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾ فصارت الأنباء كالعمى عليهم جميعاً لا تهتدي

إليهم ﴿فَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ﴾ لا يسأل بعضهم بعضاً كما يتساءل الناس في المشكلات؛

لأنهم يتساوون جميعاً في عمى الأنباء عليهم والعجز عن الجواب، والمراد بالنبأ الخبر عما
أجاب به المرسل إليه رسوله. وإذا كانت الأنبياء لهول ذلك اليوم يتعتعون في الجواب

عن مثل هذا السؤال، ويفوضون الأمر إلى علم الله ^{عَلَيْكَ} - وذلك قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ

اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ [سورة المائدة: 109]، فما ظنك

بالضلال من أمهم ⁽³⁾.

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (824/2).

(٢) تفسير القرآن (152/4).

(٣) الكشاف (431/3).

البيضاوي: « ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ فصارت الأنباء كالعمي عليهم لا

تتهدي إليهم وأصله فعموا عن الأنباء، لكنه عكس مبالغة ودلالة على أن ما يحضر
الذهن إنما يقبض ويرد عليه من خارج فإذا أخطأه لم يكن له حيلة إلى استحضاره،
والمراد بالأنباء ما أجابوا به الرسل، أو ما يعمها وغيرها، فإذا كانت الرسل يتعتون
في الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون إلى علم الله تعالى فما ظنك بالضلال
من أمهم» (1).

ابن جزى: « ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ عميت: عبارة عن حيرتهم، والأنباء:

الأخبار، أي أظلمت عليهم الأمور فلم يعرفوا ما يقولون، فهم لا يتساءلون أي لا
يسأل بعضهم بعضاً عن الأنباء؛ لأنهم قد تساءلوا في الحيرة والعجز عن الجواب
» (2).

أبو السعود: « ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي صارت كالعمي عنهم لا تتهدي

إليهم وأصله فعموا عن الأنباء، وقد عكس للمبالغة والتنبيه على أن ما يحضر الذهن
يفيض عليه ويصل إليه من خارج فإذا أخطأ لم يكن له حيلة إلى استحضاره،
والمراد بالأنباء إما ما طلب منهم مما أجابوا به الرسل، أو جميع الأنباء وهي داخلة
فيه دخولاً أولياً، وإذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام يفوضون العلم في ذلك
المقام الهائل إلى علام الغيوب مع نزاهتهم عن غاية المسؤول فما ظنك بأولئك
الضلال من الأمم» (3).

(1) أنوار التنزيل (301/4).

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (110/3).

(3) إرشاد العقل السليم (22/7).

الشوكاني: « ﴿فَمَيِّتَ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي خفيت عليهم الحجج حتى صاروا كالعمي الذين لا يهتدون والأصل فعموا عن الأنباء، ولكنه عكس الكلام للمبالغة، والأنباء الأخبار، وإنما سمي حججهم أخباراً لأنها لم تكن من الحجة في شيء وإنما هي أفاصيل وحكايات ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ لا يسأل بعضهم بعضاً ولا ينطقون بحجة ولا يدرون بم يجيبون لأن الله قد أعذر إليهم في الدنيا فلا يكون لهم عذر ولا حجة يوم القيامة ⁽¹⁾ .»

ونحو عبارات من ذكرتهم جاء تفسير الآية أيضاً عند كل من : ابن الجوزي ⁽²⁾ ، والفخر الرازي ⁽³⁾ ، والقرطبي ⁽⁴⁾ ، والنسفي ⁽⁵⁾ ، وابن كثير ⁽⁶⁾ ، والمحلي ⁽⁷⁾ ، والمحلي ⁽⁷⁾ ، والألوسي ⁽⁸⁾ ، والسعدي ⁽⁹⁾ .

وبعرض ما قاله الأئمة في بيان معنى الآية يتضح اتفاقهم مع ابن قنينة فيما ذهب إليه، والله أعلم بالصواب.

(١) فتح القدير (182/4).

(٢) زاد المسير (236/6).

(٣) التفسير الكبير (125/14).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (304/13).

(٥) مدارك التنزيل (244/3).

(٦) تفسير القرآن العظيم (398/3).

(٧) تفسير الجلالين ص (517).

(٨) روح المعاني (102/20).

(٩) تيسير الكريم الرحمن ص (622).

معنى: ﴿مَفَاتِحُهُ﴾

48 - قال تعالى: ﴿وَأَنبَأَهُ مِنَ الكُؤُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَنُؤُوا بِالْعَصْبَةِ أُولَى الْقُرَى﴾ [سورة القصص: 76].

الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - يرى أن المراد بـ ﴿مَفَاتِحُهُ﴾ أي: «

(1) خزائنه» .

وقد وافقه فيما ذهب إليه: السمرقندي (2) ، والزمخشري (3) ، وابن الجوزي (4) ، الجوزي (4) ، والفخر الرازي (5) ، والنسفي (6) .

ويرى فريق آخر من المفسرين أن معنى ﴿مَفَاتِحُهُ﴾: «جمع مفتاح وهو الذي

يفتح به الأبواب» قاله الطبري (7) ، ومثله قال النحاس (8) ، والواحدي (9) ، وابن جزى (1) ، وابن كثير (2) ، والسعدي (3) ، والشنقيطي (4) .

(١) انظر: تفسير غريب القرآن ص(285).

(٢) بحر العلوم (619/2).

(٣) الكشف (434/3).

(٤) زاد المسير (240/6).

(٥) التفسير الكبير (13/25).

(٦) مدارك التنزيل (246/3).

(٧) جامع البيان (106/20).

(٨) معاني القرآن (197/5).

(٩) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (825/2).

وتمَّ فريق لم يجزم بأن أحد القولين هو الراجح في بيان المراد بالمفتاح، وإنما أوردوهما معاً احتمالاً لمعنى الآية، منهم: السمعاني⁽⁵⁾، والبغوي⁽⁶⁾، والقرطبي⁽⁷⁾، والبيضاوي⁽⁸⁾، والثعالبي⁽⁹⁾، وأبو السعود⁽¹⁰⁾، والشوكاني⁽¹¹⁾، والآلوسي⁽¹²⁾. والذي يظهر -والله أعلم- أن الراجح هو ما ذهب إليه ابن قتيبة ومن وافقه، وأن تفسير ﴿مَفَاتِحُ﴾ في الآية بأنها: خزائنه، فإن ابن عطية ردّ بشدة على القول بأنه يراد بها المفاتيح التي يفتح بها، فبعد أن أشار إلى الروايات التي تذكر ذلك؛ قال: « ذلك كله ضعيف، والنظر يشهد بفساد هذا، ومن كان الذي يميز بعضها عن بعض وما الداعي إلى هذا وفي الممكن أن ترجع كلها إلى ما يحصى ويقدر على حصره بسهولة⁽¹³⁾ »، وقال الزمخشري: « يكفي الكوفة مفتاح⁽¹⁴⁾ »، وقال الفخر

-
- (١) التسهيل لعلوم التنزيل (111/3).
 (٢) تفسير القرآن العظيم (400/3).
 (٣) تيسير الكريم الرحمن ص(623).
 (٤) أضواء البيان (228/7).
 (٥) تفسير القرآن (155/4).
 (٦) معالم التنزيل (454/3).
 (٧) الجامع لأحكام القرآن (311/13).
 (٨) أنوار التنزيل (303/3).
 (٩) الجواهر الحسان (182/3).
 (١٠) إرشاد العقل السليم (24/7).
 (١١) فتح القدير (186/4).
 (١٢) روح المعاني (110/20).
 (١٣) المحرر الوجيز (298/4).
 (١٤) الكشاف (434/3).

الرازي: « المفاتيح جمع مفتاح بكسر الميم وهو ما يُفتح به، وقيل: هي الخزائن وقياس واحدها مفتاح بفتح الميم، ويقال: ناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله، والعصبة: الجماعة الكثيرة وإذا عرفت معنى الألفاظ؛ فنقول ههنا قولان: أحدهما: أن المراد بالمفاتيح المفاتيح وهي التي يفتح بها الباب، قالوا كانت مفاتيحه من جلود الإبل وكل مفتاح مثل إصبع وكان لكل خزانة مفتاح وكان إذا ركب قارون حملت المفاتيح على ستين بغلاً. ومن الناس من طعن في هذا القول من وجهين: الأول: أن مال الرجل الواحد لا يبلغ هذا المبلغ ولو أنا قدرنا بلدة مملوءة من الذهب والجواهر لكفاها أعداد قليلة من المفاتيح فأني حاجة إلى تكثير هذه المفاتيح؟.

الثاني: أن الكنوز هي الأموال المدخرة في الأرض فلا يجوز أن يكون لها مفاتيح.

والجواب عن الأول: أن المال إذا كان من جنس العروض لا من جنس النقد جاز أن يبلغ في الكثرة إلى هذا الحد، وأيضاً فهذا الذي يقال إن تلك المفاتيح بلغت ستين حملاً ليس مذكوراً في القرآن فلا تقبل هذه الرواية وتفسير القرآن أن تلك المفاتيح كانت كثيرة وكان كل واحد منها معيناً لشيء آخر فكان يثقل على العصبة ضبطها ومعرفتها بسبب كثرتها وعلى هذا الوجه يزول الاستبعاد. وعن الثاني: أن ظاهر الكنز وإن كان من جهة العرف ما قالوا فقد يقع على المال المجموع في المواضع التي عليها أغلاق.

القول الثاني: وهو اختيار ابن عباس والحسن أن تحمل المفاتيح على نفس المال وهذا أبين وعن الشبهة أبعد، قال ابن عباس: كانت خزائنه يحملها أربعون رجلاً أقوياء⁽¹⁾ « هذا ما تبين في بيان المراد بالمفاتيح، والله أعلم بالصواب.

(1) التفسير الكبير (13/25)، وانظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(330).

معنى: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾

49- قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [سورة القصص: 76].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: «﴿لَا تَفْرَحْ﴾: لا تأشر، ولا تبطر، قال

الشاعر:

ولست بمفراح إذا الدهر سرني ولا جازع من صرفه المتحول⁽¹⁾
 أي لست بأشر، فأما السرور فليس بمكروه⁽²⁾ .
 ولقد ذهب جمهور المفسرين إلى نفس المعنى الذي ذهب إليه ابن قتيبة،
 منهم: النحاس⁽³⁾، والسمرقندي⁽⁴⁾، والواحدي⁽⁵⁾، والسمعاني⁽⁶⁾، والبغوي⁽⁷⁾،
 والزمخشري⁽⁸⁾، وابن عطية⁽⁹⁾، وابن الجوزي⁽¹⁾، والفخر الرازي⁽²⁾، والقرطبي⁽³⁾،

(١) البيت في ديوان ثابت بن جابر ص(6)، وقال (المتقلب) بدل (المتحول)، والشاعر: هو تأبط شرًا ثابت ابن

جابر بن سفيان بن عميشل، وتأبط شرًا لَقَبَ لُقَّبَ. بالنظر: الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني(138/10).

(٢) تفسير غريب القرآن ص(285).

(٣) معاني القرآن (199/5).

(٤) بحر العلوم (620/2).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (825/2).

(٦) تفسير القرآن (156/4).

(٧) معالم التنزيل (454/3).

(٨) الكشاف (434/3).

(٩) المحرر الوجيز (299/4).

والقرطبي⁽³⁾ ، البيضاوي⁽⁴⁾ ، والنسفي⁽⁵⁾ ، وابن كثير⁽⁶⁾ ، والمحلي⁽⁷⁾ ، وأبو السعود⁽⁸⁾ ،
والشوكاني⁽⁹⁾ ، والألوسي⁽¹⁰⁾ .

قال البغوي: «﴿لَا تَفْرَحْ﴾ لا تبطر ولا تأشر ولا تفرح ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾»

الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم»⁽¹¹⁾ .

وقال القرطبي: «﴿لَا تَفْرَحْ﴾ أي: لا تأشر ولا تبطر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ أي:

البطرين»⁽¹²⁾ .

وقال ابن كثير: «﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ أي وعظه فيما هو فيه

صالحو قومه فقالوا على سبيل النصح والإرشاد لا تفرح بما أنت فيه، يعنون لا تبطر
بما أنت فيه من المال»⁽¹⁾ .

(١) زاد المسير (241/6).

(٢) التفسير الكبير (14/25).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (313/13).

(٤) أنوار التنزيل (246/3).

(٥) مدارك التنزيل (246/3).

(٦) تفسير القرآن العظيم (400/3).

(٧) تفسير الجلالين ص (518).

(٨) إرشاد العقل السليم (25/7).

(٩) فتح القدير (186/4).

(١٠) روح المعاني (112/20).

(١١) معالم التنزيل (454/3).

(١٢) الجامع لأحكام القرآن (313/13).

وقال الشوكاني: « ومعنى ﴿لَا تَقْرَحْ﴾ لا تبطر ولا تأشر، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾

البطرين الأشرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم⁽²⁾.
وبذلك يتضح اتفاقهم وإجماعهم على معنى الآية، والله أعلم بالصواب.

(١) تفسير القرآن العظيم (3/400).

(٢) فتح القدير (4/186).

معنى: ﴿الطُّوفَاتُ﴾

50 - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا حَمِيَّتْ عَلَيْهِمْ فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَاتُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾﴾

[سورة العنكبوت: 14].

قل الإمام ابن قتيبة رحمه الله: ﴿الطُّوفَاتُ﴾ المطر الشديد⁽¹⁾. فيلاحظ أن

ابن قتيبة حدد معنى الطوفان في المطر الشديد، ونحو قوله قال المحلّي ﴿فَأَخَذَهُمُ﴾

﴿الطُّوفَاتُ﴾ أي: الماء الكثير طاف بهم وعلاهم فغرقوا⁽²⁾، وقال السعدي: «

﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَاتُ﴾ أي: الماء الذي نزل من السماء بكثرة، ونبع من الأرض

⁽³⁾
بشدة» .

ولكن الغالبية العظمى من المفسرين فسروا الطوفان على العموم بأنه:

«يقال لكل كثير مطيف بالجميع من مطر أو قتل أو موت طوفان» هذا ما قاله

⁽⁴⁾
النحاس .

(١) تفسير غريب القرآن ص(287).

(٢) تفسير الجلالين ص(522).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص(628).

(٤) معاني القرآن (217/5).

ونحوه قال السمرقندي⁽¹⁾، والسمعاني⁽²⁾، والزخشري⁽³⁾، وابن عطية⁽⁴⁾،
والقرطبي⁽⁵⁾، والبيضاوي⁽⁶⁾، والنسفي⁽⁷⁾، والثعالبي⁽⁸⁾، وأبو السعود⁽⁹⁾،
والشوكاني⁽¹⁰⁾، والألوسي⁽¹¹⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - أن الطوفان الوارد ذكره في قصة نوح - **الطوفان** -
يُحمل على الماء الكثير، المطر الشديد النازل من السماء، والينابيع المتفجرة من
الأرض، والتي حصل بها الإغراق للمكذبين من قوم نوح، قال تعالى: ﴿فَنَحْنُ أُولُو

السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّثْمَرٍ ۝۱۱ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝۱۲﴾ [سورة القمر: 11-12]، فلما

حصل الإغراق الكامل توجه الأمر إلى السماء والأرض بإيقاف تدفق الماء، قال

تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأِ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ [سورة هود: 44]، والآيات التي

أشارت إلى إغراق المكذبين؛ كقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ

(١) بحر العلوم (627/2).

(٢) تفسير القرآن (172/4).

(٣) الكشاف (450/3).

(٤) المحرر الوجيز (310/4).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (334/13).

(٦) أنوار التنزيل (310/4).

(٧) مدارك التنزيل (253/3).

(٨) الجواهر الحسان (188/3).

(٩) إرشاد العقل السليم (33/7).

(١٠) فتح القدير (196/4).

(١١) روح المعاني (143/20).

﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ [سورة الأعراف: 64]، وقوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي السَّمَاءِ

وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ [سورة يونس: 73]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ

فِي السَّمَاءِ الْمَسْحُورِينَ ﴾ ١١٩ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴾ [سورة الشعراء: 119-120]، وقوله تعالى: ﴿

مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا مِنْ

المهمة المؤكدة لدى أئمة التفسير أن تفسير القرآن بالقرآن هو أحسن وأفضل أنواع

التفسير⁽¹⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127)، وقواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحارثي

(312/1)، وقواعد التفسير لخالد السبت (109/1).

معنى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

51- قال تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِابْتِغَاءِ الصَّلَاةِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [سورة العنكبوت: 45].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ يقول: ذكر الله العبد

- ما كان في صلاته - أكبر من ذكر العبد لله ⁽¹⁾.

واختلفت أقوال المفسرين في بيان معنى الآية، فقال الطبري: « وأشبهه الأقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل قول من قال ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه ⁽²⁾، وهذا القول مروى عن ابن عباس ⁽³⁾ - رضي الله عنهما -، وقال به النحاس ⁽⁴⁾ أيضاً.

وذكر السمرقندي عدة أقوال ولم يرجح أحدها معنى للآية: « ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ

أَكْبَرُ﴾ يعني: أفضل من سائر العبادات « إلى أن قال: « ولذكر الله إياك أفضل من ذكرك إياه بالصلاة » ثم ذكر قولاً ثالثاً، فقال: « يقول ذكره إياكم بالخير أكبر من

(١) تفسير غريب القرآن ص (288).

(٢) جامع البيان (156/20).

(٣) انظر: المرجع السابق، وتنوير المقباس للفيروز آبادي ص (336).

(٤) معاني القرآن (229/5).

ذكركم إياه» وقولاً رابعاً، قال: « ويقال ذكر الله -عز وجل- بالمغفرة أفضل من ذكرك إياه» ثم ختم بالحديث الذي رواه أبوهريرة عن النبي ﷺ أنه قال: « من ذكر الله تعالى في نفسه ذكره الله تعالى في نفسه، ومن ذكر الله تعالى في ملاً ذكره الله تعالى في ملاً أكثر من الملاً الذين ذكره فيهم وأطيب، ومن تقرب إلى الله تعالى شبراً تقرب الله تعالى منه ذراعاً، ومن تقرب من الله تعالى ذراعاً تقرب الله تعالى منه باعاً، ومن أتى الله تعالى مشياً أتاه هرولة»⁽¹⁾.

وقال الواحدي: « ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من كل شيء في الدنيا وأفضل»⁽²⁾.

السمعاني: « وقوله ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ فيه قولان:

أحدها: ولذكر الله أفضل من كل الطاعات القول الثاني: أن معناه ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه»⁽³⁾.

البغوي: « قوله -عز وجل-: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: ذكر الله أفضل الطاعات»

ثم ذكر حديث أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: « ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق

(1) بحر العلوم (635/2)، والحديث المذكور أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (275/4)،

وقال عنه: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(2) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (834/2).

(3) تفسير القرآن (184/4).

الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى»⁽¹⁾.

ابن عطية قال: «وعندي أن المعنى ولذكر الله أكبر على الإطلاق أي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر، فالجزء الذي منه في الصلاة يفعل ذلك، وكذلك يفعل في غير الصلاة، لأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاكر مراقب، وثواب ذلك الذكر أن يذكره الله تعالى»⁽²⁾.

الفخر الرازي: «ثم قلل تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ لما ذكر

أمرين وهما: تلاوة الكتاب وإقامة الصلاة، بين ما يوجب أن يكون الإتيان بهما على أبلغ وجوه التعظيم، فقال: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ وأنتم إذا ذكرتم آباءكم بما فيهم من الصفات الحسنة تنبشوا لذلك وتذكروهم بملء أفواهكم وقلوبكم لكن ذكر الله أكبر فينبغي أن يكون على أبلغ وجوه التعظيم، وأما الصلاة فكذلك لأن الله يعلم ما تصنعون وهذا أحسن صنعكم فينبغي أن يكون على وجه التعظيم، وفي قوله: ﴿

وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ مع حذف بيان ما هو أكبر منه لطيفة: وهي أن الله تعالى لم يقل

أكبر من ذكر فلان، لأن ما نسب إلى غيره بالكبر فله إليه نسبة، إذ لا يقال الجبل أكبر من خردلة، وإنما يقال هذا الجبل أكبر من ذلك الجبل، فأسقط المنسوب؛ كأنه

(١) معالم التنزيل (469/3)، والحديث المذكور أخرجه الترمذي في سننه (459/5) رقم الحديث

(3377)، وقلل عنه الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) المحرر الوجيز (320/4).

قال ولذكر الله له الكبير لا لغيره، وهذا كما يقال في الصلاة الله أكبر أي: له الكبير لا لغيره»⁽¹⁾.

البيضاوي: «﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ وللصلاة أكبر من سائر الطاعات وإنما عبر عنها به للتعليل بأن اشتغالها على ذكره هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات أو لذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته»⁽²⁾. قال ابن كثير: «وتشمل الصلاة أيضاً على ذكر الله تعالى وهو المطلوب الأكبر ولهذا قال تعالى ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾»⁽³⁾.

قال الشوكاني: «﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي: أكبر من كل شيء أي: أفضل من العبادات كلها بغير ذكر، وقيل: ذكر الله أكبر من الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر مع المداومة عليه، وقيل: المراد بالذكر هنا الصلاة أي: وللصلاة أكبر من سائر الطاعات، وعبر عنها بالذكر كما في قوله تعالى: ﴿فَأَسْعُوا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [سورة الجمعة: 9] للدلالة على أن ما فيها من الذكر هو العمدة في تفضيلها على سائر الطاعات، وقيل المعنى: ولذكر الله لكم بالثواب والثناء عليكم منه أكبر من ذكركم له في عبادتكم وصلواتكم»⁽⁴⁾.

(١) التفسير الكبير (66/25).

(٢) أنوار التنزيل (318/4).

(٣) تفسير القرآن العظيم (416/3).

(٤) فتح القدير (204/4).

وقال السعدي: « ووجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر أن العبد المقيم لها المتمم لأركانها وشروطها وخشوعها يستنير قلبه ويتطهر فؤاده ويزداد إيمانه وتقوى رغبته في الخير وتقل أو تنعدم رغبته في الشر، فبالضرورة مداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه تنهى عن الفحشاء والمنكر فهذا من أعظم مقاصد الصلاة وثمراتها، وثم في الصلاة مقصود أعظم من هذا وأكبر وهو ما اشتملت عليه من ذكر الله بالقلب واللسان والبدن، فإن الله تعالى إنما خلق العباد لعبادته، وأفضل عبادة تقع منهم الصلاة وفيها من عبوديات الجوارح كلها ما ليس في غيرها ولهذا قال: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾⁽¹⁾.

وفي عرض من ذكرت أقوالهم إشارة إلى غيرهم من أئمة التفسير فتشابه وتتداخل أقوالهم، منهم: الماوردي⁽²⁾، والزمخشري⁽³⁾، وابن الجوزي⁽⁴⁾، والقرطبي⁽⁵⁾، والنسفي⁽⁶⁾، وابن جزري⁽⁷⁾، والمحلي⁽⁸⁾، والثعالبي⁽⁹⁾، وأبو السعود⁽¹⁾، وسيد قطب⁽²⁾، وابن عثور⁽³⁾.

-
- (١) تيسير الكريم الرحمن ص(632).
- (٢) انظر: جامع البيان للطبري (156/20)، النكت والعيون (285/4).
- (٣) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (206/1)، الكشاف (461/3).
- (٤) زاد المسير (274/6).
- (٥) الجامع لأحكام القرآن (349/13).
- (٦) مدارك التنزيل (260/3).
- (٧) التسهيل لعلوم التنزيل (117/3).
- (٨) تفسير الجلالين ص(527).
- (٩) الجواهر الحسان (191/3).

وبهذا يظهر -والله أعلم- ترجيح ما رُوي عن حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-، وأن يكون المعنى: ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه⁽⁴⁾، والمؤيد بالحديث المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « من ذكر الله تعالى في نفسه ذكره الله تعالى في نفسه، ومن ذكر الله تعالى في ملاً ذكره الله تعالى في ملاً أكثر من الملاً الذين ذكره فيهم وأطيب، ومن تقرب إلى الله شبراً تقرب الله تعالى منه ذراعاً، ومن تقرب من الله تعالى ذراعاً تقرب الله تعالى منه باعاً، ومن أتى الله تعالى مشياً أتاه هرولة » وهو حديث صحيح كما سبقت الإشارة إلى تخريجه، « وثبوت الحديث في معنى أحد الأقوال مرجح له على غيره »⁽⁵⁾.

وهذا لا يمنع من دخول بقية الأقوال وصحة حمل معنى الآية عليها، فإن المسلم الذاكر لله تعالى يذكره بكل أنواع الذكر ويطيعه بكل أنواع الطاعات « والصلاة أكبر من سائر الطاعات وإنما عبر عنها للتعليل بأن اشتغالها على ذكرها هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات »⁽⁶⁾، « وعبر عنها بالذكر كما في قوله تعالى: ﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [سورة الجمعة: 9] للدلالة على أن

(١) إرشاد العقل السليم (42/7).

(٢) في ظلال القرآن (2738/5).

(٣) التحرير والتنوير (261/20).

(٤) انظر: جامع البيان للطبري (156/20).

(٥) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (206/1).

(٦) أنوار التنزيل للبيضاوي (318/4).

ما فيها من الذكر هو العمدة في تفضيلها على سائر الطاعات⁽¹⁾، «
واشتملت على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان والبدن والصلاة بهذا تعد بنفسها من
أكبر الذكر»⁽²⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) فتح القدير للشوكاني (204/4).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(632).

معنى: ﴿لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾

52- قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة

العنكبوت: 60].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ﴾ أي: كم من دابة ﴿لَّا

تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لا ترفع شيئاً لغد⁽¹⁾.

وقد ذهب إلى مثل ما ذهب إليه من أن معنى ﴿لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ يعني: لا ترفع ولا

تخبئ شيئاً لغد، من أئمة التفسير: الطبري⁽²⁾، والواحدي⁽³⁾، والبغوي⁽⁴⁾،

والفخر الرازي⁽⁵⁾، وابن كثير⁽⁶⁾، والثعالبي⁽⁷⁾.

وقال النحاس « ﴿دَابَّةٍ﴾ تقع لكل الحيوان مما يعقل ولا يعقل، إلا أن معناه ها

هنا الخصوص، أي: وكم من دابة عاجزة الله يرزقها وإياكم⁽⁸⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(288).

(٢) جامع البيان (11/21).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (835/2).

(٤) معالم التنزيل (473/3).

(٥) التفسير الكبير (76/25).

(٦) تفسير القرآن العظيم (421/3).

(٧) الجواهر الحسان (196/3).

(٨) معاني القرآن (235/5).

ونحو قوله قال: الزمخشري⁽¹⁾، وابن جزري⁽²⁾، والمحلي⁽³⁾،
والشنقيطي⁽⁴⁾.

وقيل: إن « المراد بالآية: النبي ﷺ يأكل ولا يخر شيئاً »⁽⁵⁾.

قال القرطبي عن هذا القول: « وليس بشيء، لإطلاق لفظ الدابة، وليس

مستعملاً في العرف إطلاقها على الآدمي، فكيف على النبي ﷺ »⁽⁶⁾.

ويؤيد كلام القرطبي القاعدة الترجيحية « القول الذي يعظم مقام

النبوة »⁽⁷⁾، فعلى هذه القاعدة فلا يحمل معنى الآية على أن يراد بها النبي ﷺ
فيستبعد هذا القول.

وأما القولان الأولان: أن يراد بـ ﴿لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ أي: لا ترفع ولا تدخر شيئاً

لغد، والقول بأن يراد بها أيّ دابة عاجزة ضعيفة لا تحمل رزقها إنما تأكل بأفواهما

فقط، فلا تنافر بينهما، فالدابة التي ليس لديها القدرة والإمكانية على حمل رزقها

بالتالي هي لا يمكنها ادخاره من باب أولى، وعليه فلا خلاف بين القولين وكلاهما

محمّل لمعنى الآية، والله أعلم بالصواب.

(١) الكشاف (466/3).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (119/3).

(٣) تفسير الجلالين ص (529).

(٤) أضواء البيان (162/6).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (360/13) وحكاه عن النقاش.

(٦) المرجع السابق.

(٧) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحري (328/1).

معنى: ﴿يُحَبَّرُونَ﴾

53 - ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحَبَّرُونَ﴾ [سورة الروم: 15].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحَبَّرُونَ﴾ أي: يسرون، والحبرة: السرور»⁽¹⁾.

لقد ذكر نفس المعنى الذي ذكره ابن قتيبة وأن معنى ﴿يُحَبَّرُونَ﴾ أي: يسرون، كل من: الزمخشري⁽²⁾، وابن عطية⁽³⁾، والفخر الرازي⁽⁴⁾، والبيضاوي⁽⁵⁾، والنسفي⁽⁶⁾، وابن جزري⁽⁷⁾، والمحلي⁽⁸⁾، والألوسي⁽⁹⁾، والشوكاني⁽¹⁰⁾. وزاد بعضهم في بيان معنى ﴿يُحَبَّرُونَ﴾ فقال: « يسرون ويلذذون بالسمع

وطيب العيش الهني » هذا قول الطبري⁽¹⁾، ومثله قال النحاس⁽²⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(290).

(٢) الكشاف (476/3).

(٣) المحرر الوجيز (331/4).

(٤) التفسير الكبير (90/25).

(٥) أنوار التنزيل (330/4).

(٦) مدارك التنزيل (269/3).

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (121/3).

(٨) تفسير الجلالين ص (532).

(٩) روح المعاني (26/21).

(١٠) فتح القدير (218/4).

والسمرقندي⁽³⁾، والسمعاني⁽⁴⁾، وأبو السعود⁽⁵⁾، والسعدي⁽⁶⁾، والشنقيطي⁽⁷⁾.
والذي يظهر - والله أعلم - أن المعاني مجتمعة، وما الاختلاف إلا اختلاف
تنوع «لا احتمال له وجوه جمع المسار»⁽⁸⁾ فالمؤمنون في الجنة «يسرون بكل
مسرة»⁽⁹⁾، «والتعبير بالمضارع للإيدان بتجدد السرور لهم، ففي كل ساعة يأتيهم
ما يسرون به من متجددات المأل وأنواعها المختلفة»⁽¹⁰⁾ من «المآكل اللذيذة
والأشربة والحوار الحسان والخدم والولدان والأصوات المطربات والسماع المبهج
والمناظر العجيبة والروائح الطيبة والفرح والسرور واللذة والحبور مما لا يقدر أحد
أن يصفه»⁽¹¹⁾ «والمعنى العربي»⁽¹²⁾ للحبور هو «السرور»⁽¹³⁾، والله أعلم
بالصواب.

(١) جامع البيان (27/21).

(٢) معاني القرآن (248/5).

(٣) بحر العلوم (7/3).

(٤) تفسير القرآن (201/4).

(٥) إرشاد العقل السليم (53/7).

(٦) تيسير الكريم الرحمن ص (638).

(٧) أضواء البيان (143/7).

(٨) انظر: الكشاف للزمخشري (476/3)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (53/7).

(٩) التفسير الكبير للفخر الرازي (90/25).

(١٠) روح المعاني للألوسي (26/21).

(١١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص (638).

(١٢) فتح القدير للشوكاني (218/4).

(١٣) مختار الصحاح للرازي ص (51).

المراد بالرحمة والمراد بالسيئة

54 - ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبَّهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ [سورة الروم: 36].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ﴾ أي:

نعمة، ﴿ وَإِنْ تُصِبَّهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ أي: مصيبة»⁽¹⁾.

ومثلما فسّر ابن قتيبة الرحمة بأنها النعمة، والسيئة أي: المصيبة، فسرها كذلك النحاس⁽²⁾، والفخر الرازي⁽³⁾. أما الطبري فقال: « يقول تعالى ذكره وإذا أصاب الناس من خصب ورخاء وعافية في الأبدان والأموال فرحوا بذلك، وإن تصبهم منّا شدّة من جذب وقحط وبلاء في الأموال والأبدان (بما قدمت أيديهم) يقول: بما أسلفوا من سيئ الأعمال بينهم وبين الله تعالى وركبوا من المعاصي إذا هم يقنطون»⁽⁴⁾. ونحوه قال السمعاني⁽⁵⁾، والقرطبي⁽⁶⁾.

وقال الواحدي « ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا ﴾ هذا من صفة الكافر يطر عند النعمة، ويقنط عند الشدة، لا يشكر في الأولى ولا يحتسب لثانية»⁽⁷⁾ ويشبه قوله قوله قول كل من: ابن جزى⁽¹⁾، وابن كثير⁽²⁾، والسعدي⁽³⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(293).

(٢) معاني القرآن (263/5).

(٣) التفسير الكبير (108/25).

(٤) جامع البيان (44/21).

(٥) تفسير القرآن (214/4).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (34/14).

(٧) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (843/2).

والذي يظهر - والله أعلم - أن لا تعارض بين أقوال الأئمة المفسرين في بيان المراد بالرحمة والمراد بالسيئة، فإن « المعنى متقارب »⁽⁴⁾، فإن الخصب والرخاء والمطر والعافية في الأبدان والأموال كلها من النعمة، وإن الجذب والقحط والبلاء في الأموال والأبدان كلها شر ومصائب.

وأختم بكلام ابن جزى حيث قال عند تفسيره للآية: « إنماء على من يفرح وييطر إذا أصابه الخير، ويقنط إذا أصابه الشر، وانظر كيف قال هنا (إذا) وقال في الشر ﴿وإن تُصِبَّهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ لأن (إذا) للقطع بوقوع الشر بخلاف (إن) فإنها للشك في وقوعه، ففي ذلك إشارة إلى أن الخير الذي يصيب به عباده أكثر من الشر بما قدمت أيديهم؛ المعنى أن ما يصيب الناس من المصائب فإنه بسبب ذنوبهم »⁽⁵⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (123/3).

(٢) تفسير القرآن العظيم (435/3).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص (642).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (34/14).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (123/3).

معنى: ﴿الْمُضْعِفُونَ﴾

55- قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبَا لِيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ [سورة الروم: 39].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ﴾ أي: من صدقة

﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ أي: الذين يجدون التضعيف والزيادة»⁽¹⁾.

والجمهور من المفسرين بينوا معنى الآية بنحو ما ذكره ابن قتيبة مشابهاة أو مقاربة، فمنهم:

الطبري، قال: « ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ﴾ يقول: وما أعطيتكم من صدقة تريدون بها

وجه الله ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ يعني: الذين يتصدقون بأموالهم ملتسرين بذلك وجه الله ﴿هُمُ

الْمُضْعِفُونَ﴾ يقول: هم الذين لهم الضعف من الأجر والثواب»⁽²⁾.

والواحدي: « وقوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ أصحاب الإضعاف، يضاعف لهم

بالواحدة عشراً»⁽¹⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(292).

(٢) جامع البيان (45/21).

البعوي: « ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ فيضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر

أمثالها، فالمضعف ذوا الأضعاف من الحسنات»⁽²⁾.

القرطبي: « ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ أي: ذلك الذي يقبله ويضاعفه له عشرة

أضعافه أو أكثر كما قال ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَلِّعُهُ، لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [سورة

البقرة: 245]، وقال: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتَيْم

بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَأْت أَكْطَاهَا ضِعْفَيْنِ ﴾ [سورة البقرة: 265] وقال: ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾

ولم يقل فأنتم المضعفون لأنه رجع من المخاطبة إلى الغيبة مثل قوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي

الْفَلَاحِ وَجَرِينِ يَوْمَ يُرِيحُ طَبِيبَةٌ ﴾ [سورة يونس: 22] «⁽³⁾.

وقال ابن كثير: ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ أي: الذين يضاعف الله لهم الثواب

والجزاء، كما جاء في الصحيح « وما تصدق أحد بعدل قمره من كسب طيب إلا

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (843/2).

(٢) معالم التنزيل (485/3).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (39/14).

أخذها الرحمن بيمينه فيريها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى
تصير التمرة أعظم من أحد»⁽¹⁾.

وبنحو كلام من ذكرت جاءت عبارات كل من: النحاس⁽²⁾،
والسمرقندي⁽³⁾، والسمعاني⁽⁴⁾، والزمخشري⁽⁵⁾، والفخر الرازي⁽⁶⁾،
والبيضاوي⁽⁷⁾، والنسفي⁽⁸⁾، وابن جزري⁽⁹⁾، والمحلي⁽¹⁰⁾، وأبي السعود⁽¹¹⁾،
السعود⁽¹¹⁾، والألوسي⁽¹²⁾.

وبهذا يتبين إجماع المفسرين - رحمهم الله - على المعنى المذكور، وهو مضاعفة

الحسنات، والمبني على دلالة آيات من القرآن عليه، كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ

(١) تفسير القرآن العظيم (3/435)، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه (6/2702) بلفظ: «من
تصدق بعدل ثمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلى الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها
لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل».

(٢) معاني القرآن (5/265).

(٣) بحر العلوم (3/13).

(٤) تفسير القرآن (4/216).

(٥) الكشف (3/487).

(٦) التفسير الكبير (5/111).

(٧) أنوار التنزيل (4/337).

(٨) مدارك التنزيل (3/275).

(٩) التسهيل لعلوم التنزيل (3/124).

(١٠) تفسير الجلالين ص (536).

(١١) إرشاد العقل السليم (7/72).

(١٢) روح المعاني (21/46).

﴿ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعَفُهُ لَكَ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [سورة البقرة: 245]، وقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ

أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [سورة البقرة:

261]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتِم

بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَأْتَتْ أَكْطَافَهَا ضِعْفَيْنِ ﴾ [سورة البقرة: 265]، وقوله تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي

يُقْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعَفُهُ لَكَ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة الحديد: 11]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُضْذِفِينَ

وَالْمُضْذِفَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة الحديد: 18]، وقوله

تعالى: ﴿ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضْعَفْ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة التغابن: 17]،

وتفسير القرآن بالقرآن أحسن وأفضل أنواع التفسير⁽¹⁾.

فائدة:

مسألة الالتفات الواردة في الآية، قال القرطبي: « وقوله ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾

ولم يقل: فأنت المضعفون لأنه رجع من المخاطبة إلى الغيبة⁽²⁾، وقال البيضاوي:

« والالتفات منه للتعظيم كأنه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفاً لحالهم

(1) انظر: شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

(2) الجامع لأحكام القرآن (39/14).

«⁽¹⁾. وقال النسفي: « التفات حسن لأنه يفيد التعميم كأنه قبل من فعل هذا فسيبه سبيل المخاطبين »⁽²⁾، والله أعلم بالصواب.

(¹) أنوار التنزيل (337/4).

(²) مدارك التنزيل (275/3).

معنى: ﴿يَأْتِيهَا اللَّهُ﴾

56 - قال تعالى: ﴿يَبُئِيٰٓ اِنَّهَا اِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِيْ صَخْرَةٍ اَوْ فِي السَّمٰوٰتِ اَوْ فِي الْاَرْضِ يَأْتِيٰٓهَا اللّٰهُ

اِنَّ اللّٰهَ لَطِيْفٌ خَبِيْرٌ ﴿١٦﴾ [سورة لقمان : 16].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿يَأْتِيهَا اللَّهُ﴾ أي: يظهرها الله تعالى، ولا

تخفى عليه»⁽¹⁾.

وغيره من المفسرين منهم:

النحاس قال: « ﴿يَأْتِيهَا اللَّهُ﴾، هذا على التمثيل كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ [سورة الزلزلة: 7]»⁽²⁾.

وقال السمرقندي: « ﴿يَأْتِيهَا اللَّهُ﴾ يعني: يجازي بها»⁽³⁾.

وقال الواحدي: « ﴿يَأْتِيهَا اللَّهُ﴾ أي: للجزاء عليها»⁽⁴⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص (294).

(٢) معاني القرآن (286/5).

(٣) بحر العلوم (23/3).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (848/2).

ونحو أقوال من ذكرت جاءت عبارات المفسرين: كالسمعاني⁽¹⁾،
والزمخشري⁽²⁾، وابن عطية⁽³⁾، والقرطبي⁽⁴⁾، والبيضاوي⁽⁵⁾، والنسفي⁽⁶⁾،
وابن كثير⁽⁷⁾، والمحلي⁽⁸⁾، وأبي السعود⁽⁹⁾، والشوكاني⁽¹⁰⁾، والألوسي⁽¹¹⁾.
والذي يظهر - والله أعلم - عدم تعارض ما قاله ابن قتيبة مع أقوال غيره من
المفسرين، فقد قال ابن عطية: « إن أراد الجواهر فالمعنى يأتي بها إن احتيج إلى ذلك
أو كانت رزقاً ونحو هذا، وإن أراد الأعمال فمعناه يأتي بذكرها وحفظها فيجازي
عليها بثواب أو عقاب »⁽¹²⁾ والمقصود من هذا « سعة علمه - تعالى - وتمام خبرته
وكمال قدرته، ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ أي: لطف في علمه وخبرته حتى اطلع
على الهواطن والأسرار وخفايا القفار والبحار والمقصود من هذا الحث على مراقبة

(١) تفسير القرآن (232/4).

(٢) الكشاف (502/3).

(٣) المحرر الوجيز (350/4).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (67/14).

(٥) أنوار التنزيل (348/4).

(٦) مدارك التنزيل (283/3).

(٧) تفسير القرآن العظيم (446/3).

(٨) تفسير الجلالين ص (542).

(٩) إرشاد العقل السليم (72/7).

(١٠) فتح القدير (239/4).

(١١) روح المعاني (89/21).

(١٢) المحرر الوجيز (350/4).

الله والعمل بطاعته مهما أمكن والترهيب من عمل القبيح قل أو أكثر⁽¹⁾، والله أعلم بالصواب.

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(649).

معنى: ﴿مَوْجٌ كَالظُّلْلِ﴾

57- قال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلْلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ

بِعَائِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣١﴾ [سورة لقمان: 32].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلْلِ﴾ جمع (ظلة) يريد:

أن بعضه فوق بعض، فله سواد من كثرته، والبحر ذو ظلال لأواجهه»⁽¹⁾.

ووافق السمرقندي فقال: «يعني يأتيهم الموج بعضه فوق بعض وله سواد

لكثرته»⁽²⁾.

أما الغالبية العظمى من المفسرين، فقد فسروا قوله تعالى: ﴿مَوْجٌ كَالظُّلْلِ﴾ يعني:

«كالجبال وقيل كالسحاب» هذا ما قاله الواحدي⁽³⁾.

والبغوي قال: «والظلل جمع الظلة، شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها

وجعل الموج وهو واحد كالظلل وهي جمع لأن الموج يأتي منه شيء بعد

شيء»⁽⁴⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(295).

(٢) بحر العلوم (28/3).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (851/2).

(٤) معالم التنزيل (495/3).

وقال الزمخشري: « يرتفع الموج ويتراكب فيعود مثل الظلل، والظلة كل ما أظلك من جبل أو سحاب أو غيرهما »⁽¹⁾.

ونحو أقوال من ذكرتهم جاءت تفسيرات عدد من المفسرين، منهم: الفخر الرازي⁽²⁾، والقرطبي⁽³⁾، والبيضاوي⁽⁴⁾، والنسفي⁽⁵⁾، وابن كثير⁽⁶⁾، والمحلي⁽⁷⁾، وأبو السعود⁽⁸⁾، والشوكاني⁽⁹⁾.

وقد قال أهل اللغة: « والظلال: ما أظلك من سحاب ونحوه، وظل الليل: سواده »⁽¹⁰⁾. وعليه يظهر -والله أعلم- أن لا تنافر بين ما قاله ابن قتيبة ومن وافقه وما قاله بقية المفسرين فقد « شبه الموج وهو واحد بالظلل وهو جمع لأن الموج يأتي شيئاً بعد شيء ويركب بعضه بعضاً كالظلل »⁽¹¹⁾، فتفسيرهم من باب تفسير الشيء بسببه، فالجبل والسحاب يأتي بالظل وهو سبب له، والله أعلم بالصواب.

(١) الكشاف (510/3).

(٢) التفسير الكبير (142/25).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (80/14).

(٤) أنوار التنزيل (352/4).

(٥) مدارك التنزيل (287/3).

(٦) تفسير القرآن العظيم (453/3).

(٧) تفسير الجلالين ص (544).

(٨) إرشاد العقل السليم (77/7).

(٩) فتح القدير (244/4).

(١٠) انظر: لسان العرب لابن منظور (416/11).

(١١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (80/14).



معنى: ﴿الغُرُورُ﴾

58 - قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفًا رَبُّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّكَ

وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْرَنَكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَعْزَنُكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾ [سورة لقمان: 33].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿الغُرُورُ﴾ بفتح الغين: الشيطان

وبضمها: الباطل»⁽¹⁾.

وجمهور المفسرين وافقوه على نفس المعنى الذي ذهب إليه، منهم:

النحاس⁽²⁾، والسمرقندي⁽³⁾، والسمعاني⁽⁴⁾، والبغوي⁽⁵⁾، والقرطبي⁽⁶⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(295).

(٢) معاني القرآن (293/5).

(٣) بحر العلوم (29/3).

(٤) تفسير القرآن (240/4).

(٥) معالم التنزيل (496/3).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (81/14).

والبيضاوي⁽¹⁾، وابن كثير⁽²⁾، وأبو السعود⁽³⁾،
والشوكانى⁽⁴⁾، والألوسى⁽⁵⁾، والسعدى⁽⁶⁾، وابن عاشور⁽⁷⁾.

قال السمرقندي: « ﴿وَلَا يَغْرَنَكُم بِإِلَهِ الْعَرُورُ﴾ يعني لا يغرنكم الشيطان عن

طاعة الله -عز وجل-، ويقال: كل مضل هو الشيطان، وقال أهل اللغة: العرور بنصب
الغين هو الشيطان، وبالضم أباطيل الدنيا»⁽⁸⁾.

وقال البيضاوي: « ﴿وَلَا يَغْرَنَكُم بِإِلَهِ الْعَرُورُ﴾ الشيطان بأن يرجيكم التوبة

والمغفرة فيحسركم على المعاصي»⁽⁹⁾.

وقال الشوكانى: « والعرور هو الشيطان لأن من شأنه أن يغر الخلق ويمنيهم

بالأماني الباطلة ويلهيهم عن الآخرة ويصددهم عن طريق الحق»⁽¹⁰⁾.

(١) أنوار التنزيل (352/4).

(٢) تفسير القرآن العظيم (454/3).

(٣) إرشاد العقل السليم (77/7).

(٤) فتح القدير (245/4).

(٥) روح المعاني (108/21).

(٦) تيسير الكريم الرحمن ص (652).

(٧) التحرير والتنوير (195/21).

(٨) بحر العلوم (29/3).

(٩) أنوار التنزيل (352/4).

(١٠) فتح القدير (245/4).

وقال السعدي: « ﴿وَلَا يَغْرَبْكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ الذي هو الشيطان ما زال يخدع

الإنسان ولا يغفل عنه في جميع الأوقات»⁽¹⁾.

(1) تيسير الكريم الرحمن ص(652).

وبما عرضته من أقوالهم يتبين اتفاقهم في بيان معنى الآية، وأن ﴿الْفَرْوُ﴾ بفتح

الغين: يراد بها الشيطان، وهذا المعنى أكّده أهل اللغة⁽¹⁾ أيضاً، كما أشار إلى ذلك
السمرقندي⁽²⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (12/5).

(٢) انظر: بحر العلوم (29/3).

معنى: ﴿يُدْنِيكَ عَلَيْنَّ مِنْ جَلْبَيْهِنَّ﴾

59 - ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلًا لَازِئًا مِنْكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْنَّ مِنْ جَلْبَيْهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ وَاللَّهُ

عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾ [سورة الأحزاب: 59].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿يُدْنِيكَ عَلَيْنَّ مِنْ جَلْبَيْهِنَّ﴾ أي: يلبسن

الأردية»⁽¹⁾.

وقد وافقه فيما ذهب إليه كثير من المفسرين، منهم:

السمعاني: « قوله تعالى: ﴿يُدْنِيكَ عَلَيْنَّ مِنْ جَلْبَيْهِنَّ﴾ أي: يشتملن بالجلابيب،

والجلباب هو الرداء، وهو الملائة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار»⁽²⁾.

البعوي: « ﴿يُدْنِيكَ عَلَيْنَّ مِنْ جَلْبَيْهِنَّ﴾ جمع الجلباب وهو الملائة التي تشتمل بها

المرأة فوق الدرع والخمار»⁽³⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(301).

(٢) تفسير القرآن (306/4).

(٣) معالم التنزيل (544/3).

الزمخشري: « الجلباب ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتُبقي منه ما ترسله على صدرها، ومعنى يدين عليهن من جلابيهن يرخينها عليهن ويغطين وجوههن وأعطافهن»⁽¹⁾.

البيضاوي: « ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ﴾ يغطين وجوههن وأبداهن بملاحفهن إذا برزن للحاجة»⁽²⁾.

النسفي: « ﴿مِنْ جَلَابِيهِنَّ﴾ الجلباب ما يستر الكئ مثل الملحفة، ومعنى ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ﴾ يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطافهن»⁽³⁾.

ابن جزري: « ﴿يَتَأْتِيهَا التِّيُّ قُلْ لَأَزْوَجَكَ وَبَنَاتِكَ وَسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ﴾ كان نساء العرب يكشفن وجوههن كما تفعل الإماء وكان ذلك داعياً إلى نظر الرجال لهن فأمرهن الله تعالى بإدناء الجلابيب ليسترن بذلك وجوههن ويفهم الفرق بين الحرائر والإماء، والجلابيب جمع جلباب وهو ثوب أكبر من الخمار، وقيل هو الرداء؛ وصورة إدنائه عند ابن عباس -رضي الله عنهما-: أن تلويه على وجهها حتى لا يظهر منها إلا عين واحدة تبصر بها، وقيل: أن تلويه حتى لا يظهر إلا عيناها، وقيل: أن تغطي نصف وجهها»⁽⁴⁾.

(١) الكشاف (569/3).

(٢) أنوار التنزيل (386/4).

(٣) مدارك التنزيل (315/3).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (144/3).

المحلي: « ﴿يُدْنِينَ عَلَيْنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ﴾ جمع جلباب وهي الملاءة التي تشتمل بها المرأة، أي يرخين بعضها على الوجوه إذا خرجن لحاجتهن إلا عيناً واحدة، ﴿ذَلِكَ أَذَى﴾ أقرب إلى أن يعرفن بأنهن حرائر فلا يؤذين بالتعرض لهن»⁽¹⁾.

أبو السعود: « الجلباب ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء، تلويه المرأة على رأسها، وتبقى منه ما ترسله على صدرها»⁽²⁾.

السعدي: « ﴿يُدْنِينَ عَلَيْنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ﴾ وهن اللاتي يكنّ فوق الثياب من ملحفة وخمار ورداء ونحوه، أي يغطين بها وجوههن وصدورهن»⁽³⁾.

وقد ذكرت أقوال من ذكرت وأكتفي بالإحالة إلى بقية الموافقين طلباً للاختصار، فمنهم: النحاس⁽⁴⁾، والسمرقندي⁽⁵⁾، والواحدي⁽⁶⁾، والقرطبي⁽⁷⁾، والقرطبي⁽⁷⁾، وابن كثير⁽⁸⁾، والشوكاني⁽⁹⁾، وابن عاشور⁽¹⁰⁾.

وللشيخ الشنقيطي بيان في أضوائه وتفصيل في تفسير آية الحجاب هذه، يشفى صدر من في صدره حاجة، وتزيد إيمان المصدّق إيماناً، قال: « من الأدلة

(١) تفسير الجلالين ص(560).

(٢) إرشاد العقل السليم (115/7).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص(672).

(٤) معاني القرآن (377/5).

(٥) بحر العلوم (69/3).

(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (873/2).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (243/14).

(٨) تفسير القرآن العظيم (519/3).

(٩) فتح القدير (304/4).

(١٠) التحرير والتنوير (107/22).

القرآنية على احتجاب المرأة وسترها جميع بدنها حتى وجهها، قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ

قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ﴾، فقد قال غير واحد من أهل العلم: إن

معنى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ﴾: أنهن يسترن بها جميع وجوههن، ولا يظهر منهن

شيء إلا عين واحدة تبصر بها، فإن قيل: لفظ الآية الكريمة، وهو قوله تعالى: ﴿

يُدْنِينَ عَلَيْنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ﴾ لا يستلزم معناه ستر الوجه لغة، ولم يرد نص من كتاب، ولا

سنة، ولا إجماع على استلزامه ذلك، وقول بعض المفسرين: إنه يستلزم معارض

بقول بعضهم: إنه لا يستلزمه، وبهذا يسقط الاستدلال بالآية على وجوب ستر

الوجه.

فالجواب: أن في الآية الكريمة قرينة واضحة على أن قوله تعالى فيها: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْنَّ

مِنْ جَلْبَابِهِنَّ﴾، يدخل في معناه ستر وجوهن بإدناء جلابيبهن عليها، والقرينة المذكورة

هي قوله تعالى: ﴿قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ﴾، ووجوب احتجاب أزواجه وسترهن وجوههن، لا

نزاع فيه بين المسلمين. فذكر الأزواج مع البنات ونساء المؤمنين يدل على

وجوب ستر الوجوه بإدناء الجلابيب، كما ترى.

ومن الأدلة على ذلك أيضاً: هو ما قدمنا في سورة (النور)، في الكلام على

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُدْنِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [سورة النور: 31]، من أن استقراء

القرآن يدل على أن معنى: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ الملاءة فوق الثياب، وأنه لا يصح

تفسير: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ بالوجه والكفين، كما تقدم إيضاحه.

واعلم أن قول من قال: إنه قد قامت قرينة قرآنية على أن قوله تعالى:

﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ﴾، لا يدخل فيه ستر الوجه، وأن القرينة المذكورة هي قوله

تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفَ﴾، قال: وقد دل قوله: ﴿أَنْ يُعْرَفَ﴾ على أنهنّ سافرات

كاشفات عن وجوههن؛ لأن التي تستر وجهها لا تعرف؛ باطل، وبطلانه واضح،

وسياق الآية يمنعه منعاً باتاً؛ لأن قوله: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ﴾، صريح في منع ذلك.

وإيضاحه: أن الإشارة في قوله: ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفَ﴾ راجعة إلى إدنائهن عليهن

من جلابيبهن، وإدناؤهن عليهن من جلابيبهن، لا يمكن بحال أن يكون أدنى أن

يعرفن بسفورهن، وكشفهن عن وجوههن كما ترى، فإدناء الجلابيب مناف لكون

المعرفة معرفة شخصية بالكشف عن الوجوه، كما لا يخفى.

وقوله في الآية الكريمة: ﴿لَا زَوْجَكَ﴾ دليل أيضاً على أن المعرفة المذكورة في

الآية، ليست بكشف الوجوه؛ لأن احتجابهن لا خلاف فيه بين المسلمين.

والحاصل: أن القول المذكور تدلّ على بطلانه أدلة متعددة:

الأول: سياق الآية، كما أوضحناه آنفاً.

الثاني: قوله: ﴿لَا زَوْجَكَ﴾، كما أوضحناه أيضاً.

الثالث: أن عامة المفسرين من الصحابة فمن بعدهم فسروا الآية مع بيانهم سبب نزولها، بأن نساء أهل المدينة كن يخرجن بالليل لقضاء حاجتهن خارج البيوت، وكان بالمدينة بعض الفساق يتعرضون للإماء، ولا يتعرضون للحرائر، وكان بعض نساء المؤمنين يخرجن في زيّ ليس متميّزاً عن زيّ الإماء، فيتعرض لهن أولئك الفساق بالأذى ظناً منهم أنهن إماء، فأمر الله نبيه ﷺ أن يأمر أزواجه وبناته ونساء المؤمنين أن يتميّنن في زيهن عن زيّ الإماء، وذلك بأن يدين عليهن من جلابيهن، فإذا فعلن ذلك وراهن الفساق، علموا أنهن حرائر، ومعرفتهم بأنهن حرائر لا إماء هو معنى قوله: ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفَ﴾ ، فهي معرفة بالصفة لا بالشخص .

وهذا التفسير منسجم مع ظاهر القرآن، كما ترى . فقوله: ﴿يَدْنِيكَ عَلَيْهِنَ مِنْ جَلَابِيهِنَّ﴾ ، لأن إدناءهن عليهن من جلابيهن يشعر بأنهن حرائر، فهو أدنى وأقرب لأن يعرفن، أي يعلم أنهن حرائر، فلا يؤذين من قبل الفساق الذين يتعرضون للإماء، وهذا هو الذي فسّر به أهل العلم بالتفسير هذه الآية، وهو واضح، وليس المراد منه أن تعرض الفساق للإماء جائز بل هو حرام، ولا شك أن المتعرضين لهن من الذين في قلوبهم مرض، وأنهم يدخلون في عموم قوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿لَئِنْ لَرَّ

بَنَاهُ الْمُتَنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَقُلُوا نَفْسِيًّا﴾

[سورة الأحزاب: 60].

ومما يدل على أن المتعرض لما لا يحل من النساء من الذين في قلوبهم مرض،

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ .

ومن الأدلة القرآنية الدالة على الحجاب، قوله تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة النور: 60]، لأن الله جل وعلا بيّن في هذه الآية الكريمة أن القواعد أي العجائز اللاتي لا يرجون نكاحًا، أي: لا يطمعن في النكاح لكبر السن وعدم حاجة الرجال إليهن يرخص لهن برفع الجناح عنهن في وضع ثيابهن، بشرط كونهن غير متبرجات بزينة، ثم إنه جلّ وعلا مع هذا كله قال: ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾، أي: يستعففن عن وضع الثياب خير لهن، أي: واستعففهن عن وضع ثيابهن مع كبر سنهن وانقطاع طمعهن في التزويج، وكونهن غير متبرجات بزينة خير لهن. وأظهر الأقوال في قوله ﴿أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ أنه وضع ما يكون فوق الخمار، والقميص من الجلابيب، التي تكون فوق الخمار والثياب. فقوله جل وعلا في هذه الآية الكريمة: ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾، دليل واضح على أن المرأة التي فيها جمال ولها طمع في النكاح، لا يرخّص لها في وضع شيء من ثيابها ولا الإخلال بشيء من التستر بحضرة الأجانب.

وإذا علمت بما ذكرنا أن حكم آية الحجاب عام، وأن ما ذكرنا معها من الآيات فيه الدلالة على احتجاب جميع بدن المرأة عن الرجال الأجانب، علمت أن القرآن دلّ على الحجاب، ولو فرضنا أن آية الحجاب خاصة بأزواجه ﷺ، فلا شك أنهن خير أسوة لنساء المسلمين في الآداب الكريمة المقتضية للطهارة التامة وعدم التدنّس بأنجاس الريبة، فمن يحاول منع نساء المسلمين كالدعاة للسفور والتبرّج والاختلاط اليوم، من الاقتداء بهنّ في هذا الأدب السماوي الكريم المتضمّن سلامة العرض والطهارة من دنس الريبة غاشّ لأمة محمد ﷺ مريض القلب؛ كما ترى. واعلم أنه مع دلالة القرآن على احتجاب المرأة عن الرجال الأجانب، قد دلّت على ذلك أيضًا أحاديث نبوية، فمن ذلك ما أخرجه الشيخان في صحيحهما

وغيرهما من حديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إياكم والدخول على النساء»، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله ﷺ أفرايت الحموم؟ قال: «الحموم الموت». أخرج البخاري هذا الحديث في كتاب (النكاح)، في باب: لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم، ومسلم في كتاب (السلام)، في باب: تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها، فهذا الحديث الصحيح صرح فيه النبي ﷺ بالتحذير الشديد من الدخول على النساء، فهو دليل واضح على منع الدخول عليهن وسؤالهن متاعاً إلا من وراء حجاب؛ لأن من سألهن متاعاً لا من وراء حجاب فقد دخل عليها، والنبي ﷺ حذره من الدخول عليها، ولما سأله الأنصاري عن الحموم الذي هو قريب الزوج الذي ليس محرماً لزوجته، كأخيه وابن أخيه وعمه وابن عمه ونحو ذلك، قال له ﷺ: «الحموم الموت»، فسمى ﷺ دخول قريب الرجل على امرأته وهو غير محرم لها باسم الموت، ولا شك أن تلك العبارة هي أبلغ عبارات التحذير.

فتحذيره ﷺ هذا التحذير البالغ من دخول الرجال على النساء، وتعبيره عن دخول القريب على زوجة قريبه باسم الموت، دليل صحيح نبوي على أن قوله تعالى: ﴿فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ عام في جميع النساء، كما ترى. إذ لو كان حكمه خاصاً بأزواجه ﷺ لم حذر الرجال هذا التحذير البالغ العام من الدخول على النساء، وظاهر الحديث التحذير من الدخول عليهن ولو لم تحصل الخلوة بينهما، وهو كذلك، فالدخول عليهن والخلوة بهن كلاهما محرّم تحريماً شديداً بانفراده، كما قدّمنا أن مسلماً - رحمه الله - أخرج هذا الحديث في باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها، فدلّ على أن كليهما حرام. وقال ابن حجر في (فتح الباري)، في شرح الحديث المذكور: «إياكم والدخول»، بالنصب على التحذير، وهو تنبيه

المخاطب على محذور ليتحرز عنه؛ كما قيل: إياك والأسد، وقوله: «إياكم»، مفعول لفعل مضمّر تقديره: اتقوا.

وتقدير الكلام: اتقوا أنفسكم أن تدخلوا على النساء، والنساء أن يدخلن عليكم. ووقع في رواية ابن وهب، بلفظ: «لا تدخلوا على النساء»، وتضمن منع الدخول منع الخلوة بها بطريق الأولى، انتهى محل الغرض منه وقال البخاري رحمه الله - في (صحيحه): باب: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ خُفُوهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [سورة النور: 31]. وقال أحمد

بن شبيب: حدثنا أبي عن يونس، قال ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها - قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما نزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ خُفُوهِنَّ عَلَى

جُيُوبِهِنَّ﴾، شققن مروطن فاختمرن بها. حدثنا أبو نعيم حدثنا إبراهيم ابن نافع عن الحسن بن مسلم عن صفية بنت شيبة: أن عائشة - رضي الله عنها - كانت تقول:

لما نزلت هذه الآية ﴿وَلْيَضْرِبْنَ خُفُوهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾، أخذن أزهرن فشققنها من قبل

الحواشي، فاختمرن بها. انتهى من صحيح البخاري. وقال ابن حجر في (الفتح)، في شرح هذا الحديث: قوله: فاختمرن، أي غطين وجوههن، وصفة ذلك أن تضع الخمار على رأسها وترميه من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر، وهو التقنع. قال الفراء: كانوا في الجاهلية تسدل المرأة خمارها من ورائها وتكشف ما قدامها فأمرن بالاستتار. انتهى محل الغرض من (فتح الباري). وهذا الحديث الصحيح صريح في أن

النساء الصحابيات المذكورات يفهمن أن معنى قوله تعالى ﴿وَلْيَضْرِبْنَ خُفُوهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾،

يقتضي ستر وجوههن، وأنهن شققن أزهرن فاختمرن، أي سترن وجوههن بما امتثالاً

لأمر الله في قوله ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، المقتضي ستر وجوههن، وبهذا يتحقق المنصف: أن احتجاب المرأة عن الرجال وسترها وجهها عنهن ثابت في السنة الصحيحة المفسرة لكتاب الله تعالى، وقد أثنت عائشة رضي الله عنها - على تلك النساء بمسارعتهن لامثال أوامر الله في كتابه، ومعلوم أنه ما فهمن ستر الوجوه من قوله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، إلا من النبي ﷺ لأنه موجود وهن يسألنه عن كل ما أشكل عليهن في دينهن، والله جل وعلا يقول: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [سورة النحل: 44]، فلا يمكن أن يفسرها من تلقاء أنفسهن. وقال ابن حجر في (فتح الباري): ولا بن أبي حاتم من طريق عبد الله بن عثمان بن خيثم، عن صفية ما يوضح ذلك، ولفظه: ذكرنا عند عائشة نساء قريش وفضلهن، فقالت: إن لنساء قريش لفضلاً، ولكن والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشدّ تصديقاً بكتاب الله، ولا إيماناً بالتسزيل، ولقد أنزلت سورة (النور): ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، فانقلب رجاهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل فيها، ما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها فأصبحن يصلين الصبح معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان. انتهى محل الغرض من (فتح الباري). ومعنى متعجرات: محتمرات، كما جاء موضحاً في رواية البخاري المذكورة آنفاً، فترى عائشة - رضي الله عنها - مع علمها وفهمها وتقائها، أثنت عليهن هذا الثناء العظيم، وصرحت بأنها ما رأت أشدّ منهن تصديقاً بكتاب الله، ولا إيماناً بالتسزيل، وهو دليل واضح على أن فهمن لزوم ستر الوجوه من قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، من تصديقهن بكتاب الله وإيمانهن بتسزيه،

وهو صريح في أن احتجاب النساء عن الرجال وسترهن وجوههن تصديق بكتاب الله وإيمان بتزويله، كما ترى.

فالعجب كل العجب، ممن يدّعي من المنتسبين للعلم أنه لم يرد في الكتاب ولا السنة ما يدلّ على ستر المرأة وجهها عن الأجانب، مع أن الصحايات فعلمن ذلك ممتثلات أمر الله في كتابه إيماناً بتزويله، ومعنى هذا ثابت في الصحيح، كما تقدم عن البخاري. وهذا من أعظم الأدلة وأصرحها في لزوم الحجاب لجميع نساء المسلمين، كما ترى. وفيما ذكرنا كفاية لمن يريد الحق⁽¹⁾ والله أعلم بالصواب. بالصواب.

(1) أضواء البيان (242/6).

معنى: ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾

60 - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: 70].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ أي: قصداً»⁽¹⁾.

ووافقه في أن سديداً معناها قصداً؛ من المفسرين: الطبري⁽²⁾، والنحاس⁽³⁾،
والزمخشري⁽⁴⁾، وابن عطية⁽⁵⁾، والفخر الرازي⁽⁶⁾، والقرطبي⁽⁷⁾،
والبيضاوي⁽⁸⁾، وابن كثير⁽⁹⁾، والمحلي⁽¹⁰⁾، وأبو السعود⁽¹¹⁾، والألوسي⁽¹²⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(301).

(٢) جامع البيان (53/22).

(٣) معاني القرآن (382/5).

(٤) الكشاف (573/3).

(٥) المحرر الوجيز (401/4).

(٦) التفسير الكبير (202/25).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (253/4).

(٨) أنوار التنزيل (388/4).

(٩) تفسير القرآن العظيم (522/3).

(١٠) تفسير الجلالين ص(561).

(١١) إرشاد العقل السليم (117/7).

(١٢) روح المعاني (95/22).

وقال آخرون: « ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ أي حقًا وصوابًا » قاله الواحدي⁽¹⁾،

والسمعاني⁽²⁾، والبغوي⁽³⁾.

وقال ابن جزى: « وقيل يعني: لا إله إلا الله، واللفظ أعم من ذلك »⁽⁴⁾.

والذي يظهر - والله أعلم أن ﴿سَدِيدًا﴾ « مأخوذ من تسديد السهم ليصاب

به الغرض »⁽⁵⁾، وقال في مختار الصحاح: « التسديد التوفيق للسداد بالفتح، وهو

وهو الصواب والقصد من القول والعمل، والمسدد الذي يعمل بالسداد والقصد،

وسدَّ قوله يسد بالكسر سدادًا بالفتح صار سديدًا، وأمر سديد، والسدد بفتحيتين

الاستقامة، والصواب مثل السد بالفتح، وسد الثلمة ونحوها من باب (رد) أي

أصلحها وأوثقها، والسد بالفتح والضم الجبل والحاجز »⁽⁶⁾. وعليه فإن حمل كلام

كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب »⁽⁷⁾ قاعة متبعة في الترجيح بين

الأقوال عند أئمة التفسير، ولا يمنع هذا من عموم إرادة الحق والصواب والقصد

معنى واحدًا، كما قال ابن جزى: « واللفظ أعم »⁽⁸⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (875/2).

(٢) تفسير القرآن (310/4).

(٣) معالم التنزيل (546/3).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (145/3).

(٥) انظر: النكت والعيون للماوردي (428/4).

(٦) مختار الصحاح للرازي ص (123).

(٧) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (396/2).

(٨) التسهيل لعلوم التنزيل (145/3).

معنى: ﴿أءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾

61 - ﴿وَقَالُوا أءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفُرُونَ﴾ [سورة السجدة:

[10].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَقَالُوا أءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي بطلنا وصرنا ترابًا»⁽¹⁾.

وجمهور المفسرين قد وافقوا في نفس المعنى الذي ذكره ابن قتيبة، منهم: الطبري⁽²⁾، والسمرقندي⁽³⁾، والواحدي⁽⁴⁾، والسمعاني⁽⁵⁾، والبغوي⁽⁶⁾، والزمخشري⁽⁷⁾، وابن عطية⁽⁸⁾، وابن الجوزي⁽⁹⁾، والقرطبي⁽¹⁰⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(296).

(٢) جامع البيان (96/21).

(٣) بحر العلوم (32/3).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العربي (853/2).

(٥) تفسير القرآن (244/4).

(٦) معالم التنزيل (499/3).

(٧) الكشف (516/3).

(٨) المحرر الوجيز (360/4).

(٩) زاد المسير (335/6).

(١٠) الجامع لأحكام القرآن (91/14).

والبيضاوي⁽¹⁾، والنسفي⁽²⁾، وابن جزري⁽³⁾، وابن كثير⁽⁴⁾، والمحلي⁽⁵⁾،
وأبو السعود⁽⁶⁾، والشوكاني⁽⁷⁾، والألوسي⁽⁸⁾، والسعدي⁽⁹⁾.

قال الطبري: « يقول تعالى ذكره وقال المشركون بالله المكذبون بالبعث
(أئذا ضللنا في الأرض)) أي: صارت لحومنا وعظامنا تراباً في الأرض »⁽¹⁰⁾.

وقال البغوي: « وَقَالُوا ﴿ هَلْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ ﴾

وصرنا تراباً، وأصله من قولهم ضل الماء في اللبن إذا ذهب⁽¹¹⁾.

وقال ابن عطية: « والضمير في ﴿ وَقَالُوا ﴾ للكفار الجاحدين بالبعث من القبور

والمستبعدين لذلك دون حجة ولا دليل والمعنى تلفنا وتقطعت أوصالنا فذهبنا حتى
لم نوجد »⁽¹²⁾.

(١) أنوار التنزيل (356/4).

(٢) مدارك التنزيل (290/3).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (130/3).

(٤) تفسير القرآن العظيم (458/3).

(٥) تفسير الجلالين ص (546).

(٦) إرشاد العقل السليم (82/7).

(٧) فتح القدير (250/4).

(٨) روح المعاني (124/21).

(٩) تيسير الكريم الرحمن ص (654).

(١٠) جامع البيان (96/21).

(١١) معالم التنزيل (499/2).

(١٢) المحرر الوجيز (360/4).

وقال القرطبي: « قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾ هذا قول منكري البعث أي: أهلكنا وبطلنا وصرنا تراباً، وأصله من قول العرب بضل الماء في اللبن إذا ذهب، والعرب تقول للشيء غلب عليه غيره حتى خفي أثره قد ضل⁽¹⁾.

قال البيضاوي: « ﴿ وَقَالُوا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: صرنا تراباً مخلوطاً بتراب

الأرض لا تتميز منه أو غبنا فيها⁽²⁾.

قال ابن كثير: « يقول تعالى مخبراً عن المشركين في استبعادهم المعاد حيث

قالوا: ﴿ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: تمزقت أجسامنا وتفرقت في أجزاء الأرض وذهب

﴿ إِنَّا لَنَلْقَىٰ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ أي: أننا لنعود بعد تلك الحال يستبعدون ذلك وهذا إنما هو بعيد

بالنسبة إلى قدرهم العاجزة لا بالنسبة إلى قدرة الذي بدأهم وخلقهم من العدم

الذي إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، ولهذا قال تعالى: ﴿ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ

كَفُرُونَ ﴾⁽³⁾.

السعدي: « أي: قال المكذبون بالبعث على وجه الاستبعاد ﴿ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي

الْأَرْضِ ﴾ أي: بلينا وتمزقنا، وتفرقنا في المواضع التي لا تعلم ﴿ إِنَّا لَنَلْقَىٰ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ أي:

(١) الجامع لأحكام القرآن (91/14).

(٢) أنوار التنزيل (356/4).

(٣) تفسير القرآن العظيم (458/3).

لمبعوثون بعثاً جداً، بزعمهم أن هذا من أبعد الأشياء، وذلك بقياسهم قدرة الخالق جل وعلا، على قدرهم. وكلامهم هذا ليس لطلب الحقيقة، وإنما هو ظلم وعناد، وكفر بلقاء ربهم ووجد، ولذا قال: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ﴾ فكلامهم على مصدره وغايته، وإلا، فلو كان قصدهم بيان الحق، لبين لهم من الأدلة القاطعة على ذلك، ما يجعله مشاهداً للبصيرة بمنزلة الشمس للبصر، ويكفيهم علمهم أنهم قد ابتدءوا من العلوم، فالإعادة أسهل من الابتداء»⁽¹⁾.

وبعرض ما عرضته من أقوال المفسرين بعد سرد إجمالي للموافقين، وعدم وجود قول آخر في بيان معنى الآية، يظهر أن المعنى الذي ذكره ابن قتيبة معنى متفق عليه بين المفسرين، والله أعلم بالصواب.

(1) تيسير الكريم الرحمن ص(654).

معنى: ﴿الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾

كك- قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ

أَفَلَا يَبْصُرُونَ ﴿١٧﴾ [سورة السجدة: كك].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ الغليظة اليابسة التي لا

نبت فيها، وجمعها أجزاز، ويقال: سنون أجزاز إذا كانت سني جذب»^(١).

وجمهور المفسرين ذكروا نفس المعنى الذي قاله ابن قتيبة، منهم: الطبري^(٢)،

والسمرقندي^(٣)، والواحدي^(٤)، والسمعي^(٥)، والبغوي^(٦)، والزمخشري^(٧)،

وابن عطية^(٨)، وابن الجوزي^(٩)،

(١) تفسير غريب القرآن ص(297).

(٢) جامع البيان (114/21).

(٣) بحر العلوم (37/3).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (855/2).

(٥) تفسير القرآن (254/4).

(٦) معالم التنزيل (504/3).

(٧) الكشاف (523/3).

(٨) المحرر الوجيز (365/4).

(٩) زاد المسير (344/6).

..... والقرطبي⁽¹⁾، والبيضاوي⁽²⁾،
والنسفي⁽³⁾، وابن جزري⁽⁴⁾، وابن كثير⁽⁵⁾، والمحلي⁽⁶⁾، وأبو السعود⁽⁷⁾،
والشوكاني⁽⁸⁾، والألوسي⁽⁹⁾، والسعدي⁽¹⁰⁾.

قال الطبري: « القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوفُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ

فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ يقول تعالى ذكره أو لم ير هؤلاء

المكذبون بالبعث بعد الموت، والنشر بعد الفناء أن بقدرتنا نسوق الماء على الأرض
اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها، وأصله من قولهم ناقة جرز إذا كانت تأكل كل
شيء، وكذلك الأرض الجروز التي لا يبقى على ظهرها شيء إلا أفسدته، نظير
أكل الناقة الجراز كل ما وجدته، ومنه قولهم للإنسان الأكل: جروز، ومنه قيل
للسيف إذا كان لا يبقى شيئاً إلا قطعه: سيف جراز»⁽¹¹⁾.

(١) الجامع لأحكام القرآن (110/14).

(٢) أنوار التنزيل (360/4).

(٣) مدارك التنزيل (293/3).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (131/3).

(٥) تفسير القرآن العظيم (464/3).

(٦) تفسير الجلالين ص (548).

(٧) إرشاد العقل السليم (87/7).

(٨) فتح القدير (257/4).

(٩) روح المعاني (139/21).

(١٠) تيسير الكريم الرحمن ص (657).

(١١) جامع البيان (114/21).

وقال الواحدي: « ﴿الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ الغليظة التي لا نبات فيها »⁽¹⁾.

وقال الزمخشري: « ﴿الْجُرُزِ﴾ الأرض التي جرز نباتها: أي قطع؛ إمّا لعدم الماء، وإمّا لأنه رُعي وأزيل، ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ: جرز، ويدل عليه قوله: ﴿فَتَخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾ »⁽²⁾.

قال ابن عطية: « ثم أقام -عجّل- الحجة عليهم في معنى الإيمان بالقدرة وبالبعث بأن نبههم على إحياء الأرض الموات بالماء والنبات و ﴿الْجُرُزِ﴾ الأرض العاطشة التي قد أكلت نباتها من العطش ومن عبر عنها بأنها الأرض التي لا تنبت فإنها عبارة غير مخصصة، وعمّ تعالى كل أرض هي بهذه الصفة لأن الآية فيها والعبرة بيّنة »⁽³⁾.

قال البيضاوي: « ﴿الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ التي جرز نباتها أي: قطع وأزيل لا التي لا تنبت »⁽⁴⁾.

قال ابن جزي: « ﴿الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ يعني: التي لا نبات فيها من شدة العطش »⁽⁵⁾.

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ص(855/2).

(٢) الكشاف (523/3).

(٣) المحرر الوجيز (365/4) بتصرف يسير.

(٤) أنوار التنزيل (360/4).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (131/3).

قال السعدي: « ﴿أَوْلَم يَرَوْا﴾ بأبصارهم نعمتنا، وكمال حكمتنا ﴿أَنَا نُسُقُ الْمَاءَ إِلَى

الْأَرْضِ الْجُرْزِ﴾ التي لا نبات فيها، فيسوق اللتعالى المطر، الذي لم يكن موجوداً فيها،

يفرغ فيها، من السحاب، أو من الأنهار ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾ أي: نباتاً مختلف الأنواع ﴿

تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ﴾ وهو نبات البهائم ﴿وَأَنْفُسُهُمْ﴾ وهو طعام آدميين ﴿أَفَلَا يَبْصُرُونَ﴾ تلك

المنّة، التي أحيا الله بها البلاد والعباد، فيستبصرون فيهددون بذلك البصر وتلك البصيرة إلى الصراط المستقيم، ولكن غلب عليهم العمى، واستولت عليهم الغفلة، فلم يبصروا في ذلك بصر الرجال، وإنما نظروا إلى ذلك نظر الغفلة، ومجرد العادة، فلم يوفقوا للخير»⁽¹⁾.

ولقد أجملت ذكرهم ثم فصلت في ذكر أقوال بعضهم ليتبين اتفاقهم، والله أعلم بالصواب.

(1) تفسير الكريم الوجيه ص(657).

معنى: ﴿يَجِبَالُ أَوْبِي﴾

63- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّارَ الْهَدِيدَ﴾ [سورة سبأ:

.10]

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿يَجِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ﴾ أي: سبّحي، وأصله: التأويب في السير؛ وهو أن تسير النهار كله، وتنزّل ليلًا، كأنه أراد: أوبي النهار كله بالتسبيح إلى الليل»⁽¹⁾.

وهذا الذي قاله ابن قتيبة من أن معنى: ﴿أَوْبِي﴾ أي: سبّحي، هو المروي عن ابن عباس⁽²⁾ - رضي الله عنهما -، ومجاهد⁽³⁾، وقال به: الطبري⁽⁴⁾، والنحاس⁽⁵⁾، والسمرقندي⁽⁶⁾، والواحدي⁽⁷⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(303).

(٢) تنوير المقباس للفيروز آبادي ص(359).

(٣) تفسير مجاهد (523/2).

(٤) جامع البيان (65/22).

(٥) معاني القرآن (395/5).

(٦) بحر العلوم (76/3).

(٧) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (879/2).

والسمعاني⁽¹⁾، والبغوي⁽²⁾، والفخر الرازي⁽³⁾، والقرطبي⁽⁴⁾، والبيضاوي⁽⁵⁾،
والبيضاوي⁽⁵⁾، والنسفي⁽⁶⁾، وابن جزى⁽⁷⁾، وابن كثير⁽⁸⁾، والمحلي⁽⁹⁾،
والثعالبي⁽¹⁰⁾، وأبو السعود⁽¹¹⁾، والشوكاني⁽¹²⁾، والألوسي⁽¹³⁾،
والسعدي⁽¹⁴⁾، وسيط قطب⁽¹⁵⁾، وابن عاشور⁽¹⁶⁾.

قال الطبري: « يقول تعالى ذكره ولقد أعطينا داود منا فضلاً وقلنا للجبال

أوبي معه سبحي معه إذا سبح »⁽¹⁷⁾.

(١) تفسير القرآن (319/4).

(٢) معالم التنزيل (549/3).

(٣) التفسير الكبير (212/25).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (265/4).

(٥) أنوار التنزيل (393/4).

(٦) مدارك التنزيل (321/3).

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (47!/3).

(٨) تفسير القرآن العظيم (527/3).

(٩) تفسير الجلالين ص (563).

(١٠) الجواهر الحسان (240/3).

(١١) إرشاد العقل السليم (124/7).

(١٢) فتح القدير (315/4).

(١٣) روح المعاني (113/22).

(١٤) تيسير الكريم الرحمن ص (676).

(١٥) في ظلال القرآن (2897/5).

(١٦) التحرير والتنوير (156/22) وأيضاً (119/17).

(١٧) جامع البيان (65/22).

النحاس: « والمعروف في اللغة أنه يقال: آب يؤوب إذا رجع وعاد، فيكون معني ﴿أُوبِي﴾ أي: عودي معه في التسبيح »⁽¹⁾.

السمعاني: « وقوله ﴿يَجِبَالُ أُوْبِي مَعَهُ﴾ أكثر أهل التفسير على أن معناه سبّحي معه »⁽²⁾.

القرطبي: « قوله تعالى: ﴿يَجِبَالُ أُوْبِي مَعَهُ﴾ أي: وقلنا يا جبال أوبي معه أي: سبّحي معه، لأنه قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ، يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [سورة ص: 18] »⁽³⁾.

النسفي: « ﴿يَجِبَالُ أُوْبِي مَعَهُ﴾ من التأويب، رجعي معه التسبيح، ومعنى تسبيح الجبال: أن الله يخلق فيها تسبيحاً فيسمع منها كما يسمع من المسبّح معجزة لداود عليه السلام »⁽⁴⁾.

ابن كثير: « يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود عليه الصلوة والسلام مما آتاه من الفضل المبين وجمع له بين النبوة والملك المتمكن والجنود ذوي العدد والعدد وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم الذي كان إذا سبّح به تسبّح معه الجبال

(1) معاني القرآن (395/5).

(2) تفسير القرآن (319/4).

(3) الجامع لأحكام القرآن (265/4).

(4) مدارك التنزيل (321/3).

الراسيات الصم الشاخات، وتقف له الطيور السارحات والغاديات والرائحات، وتجأبه بأنواع اللغات و﴿أَوَّيَّ مَعَهُ﴾ أي: رجعي مسبحة معه»⁽¹⁾.

السعدي: «أي: ولقد مننا على عبدنا ورسولنا داود عليه الصلاة والسلام وآتيناها فضلاً من العلم النافع والعمل الصالح والنعم الدينية والدينية ومن نعمه عليه ما خصه من أمره تعالى الجمادات كالجبال، والحيوانات من الطيور أن تؤوب معه وترجع التسبيح بحمد ربها مجاوبة له، وفي هذا من النعمة عليه أن كان ذلك من خصائصه التي لم تكن لأحد قبله ولا بعده، وأن ذلك يكون منهضاً له ولغيره على التسبيح إذا رأوا هذه الجمادات والحيوانات تتجاوب بتسبيح ربها وتمجيده وتكبيره وتمجيده كان ذلك مما يهيج على ذكر الله تعالى»⁽²⁾.

وبما تم عرضه من أقوال المفسرين يتبين والله أعلم - اتفاقهم في بيان معنى ﴿يَجِبَالٌ أَوَّيَّ مَعَهُ﴾ أي: سبحي ورجعي التسبيح معه، وقد دلت على هذا المعنى آيات أخرى من كتاب الله تعالى، وهي قوله تعالى ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [سورة الأنبياء: 79]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [سورة ص: 18]، كما أشار إلى ذلك القرطبي⁽³⁾، وأعلى درجات التفسير وأحسنه وأفضله تفسير القرآن بالقرآن⁽⁴⁾.

(1) تفسير القرآن العظيم (527/3).

(2) تيسير الكريم الرحمن ص (676).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (265/4).

(4) انظر: شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص (127).

وقد أجمعوا على المعنى المذكور، وقال عنه السمعاني إنه قول: « أكثر أهل التفسير »⁽¹⁾، وإجماعهم قاعدة في الترجيح معتبرة⁽²⁾.
وقاعدة ثالثة أيضاً تؤيده وهي: « حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب »⁽³⁾، فقد قال النحاس: « والمعروف في اللغة أنه يقال: آب يؤوب إذا رجع وعاد، فيكون معنى ﴿أَوْبِي﴾ أي: عودي معه في التسبيح »⁽⁴⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (319/4).

(٢) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (288/1).

(٣) المرجع السابق (369/2).

(٤) انظر: معاني القرآن للنحاس (395/5).

معنى: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرِّ﴾

64- قال تعالى ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَيِّئَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرِّ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة سبأ:

.11].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرِّ﴾ أي: في النسيج، أي لا

تجعل المسامير دقاقاً فتتعلق، ولا غلاظاً فتكسر الحلق، ومنه قيل لصانع حلق

الدروع: سراد وزراد، تبدل من السين الزاي، كما يقال: سراط وزراط»⁽¹⁾.

وقد اتفق جمهور المفسرين مع ابن قتيبة فيما قاله في معنى ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرِّ﴾،

منهم: الطبري⁽²⁾، والنحاس⁽³⁾، والسمرقندي⁽⁴⁾، والواحدي⁽⁵⁾، والسمعاني

⁽⁶⁾، والبغوي⁽⁷⁾، وابن

(١) تفسير غريب القرآن ص(303).

(٢) جامع البيان (67/22).

(٣) معاني القرآن (397/5).

(٤) بحر العلوم (77/3).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب الوجيز (879/2).

(٦) تفسير القرآن (319/4).

(٧) معالم التنزيل (550/3).

عطية⁽¹⁾، والفخر الرازي⁽²⁾، والقردطي⁽³⁾، والبيضاوي⁽⁴⁾، والنسفي⁽⁵⁾، .
⁽⁵⁾، . وابن جزري⁽⁶⁾، وابن كثير⁽⁷⁾، والمحلي⁽⁸⁾، والثعالبي⁽⁹⁾،
 والسعدي⁽¹⁰⁾.

قال الإمام الطبري: « وعنى بقوله ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾ وقدر المسامير في حلق
 الدروع حتى يكون بمقدار لا تغلظ المسمار وتضيق الحلقة فتفصم الحلقة، ولا توسع
 الحلقة وتصغر المسامير وتدقها فتسلس في الحلقة»⁽¹¹⁾.

وقال الواحدي: « ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾ لا تجعل مسمار الدرع دقيقاً فيفلق، ولا
 غليظاً فيغصم الحلق، اجعله على قدر الحاجة، والسرد: نسج الدروع»⁽¹²⁾.

-
- (١) المحرر الوجيز (408/4).
 (٢) التفسير الكبير (213/25).
 (٣) الجامع لأحكام القرآن (267/14).
 (٤) أنوار التنزيل (394/4).
 (٥) مدارك التنزيل (322/3).
 (٦) التسهيل لعلوم التنزيل (147/3).
 (٧) تفسير القرآن العظيم (528/3).
 (٨) تفسير الجلالين ص (564).
 (٩) الجواهر الحسان (240/3).
 (١٠) تيسير الكريم الرحمن ص (676).
 (١١) جامع البيان (67/22).
 (١٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (879/2).

قال البغوي: « والسرد: نسج الدروع، يقال لصانعه: السرد والزراد. يقول قدّر المسمامير في حلق الدرع أي لا تجعل المسمامير دقاً فتفتلت ولا غلاظاً فتكسر الحلق »⁽¹⁾.

قال ابن جزي: « معنى السرد هنا نسج الدروع، وتقديرها: أن لا يعمل الحلقة صغيرة فتضعف، ولا كبيرة فيصاب لابسها من خلالها، وقيل لا يجعل المسمار دقيقاً ولا غليظاً »⁽²⁾.

يظهر - والله أعلم - بما تمت الإشارة إليه من أقوال المفسرين؛ اتفاقهم في بيان معنى ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾ على المعنى المذكور الذي « حُمل على ما هو معروف في لغة العرب »⁽³⁾، وقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين.

قال في مختار الصحاح: « درع مسرودة ومسردة بالتشديد فليل سردها نسجها وهو تداخل الحلق بعضها في بعض، وقيل السرد: الثقب، والمسرودة المثقوبة، وفلان يسرد الحديد إذا كان جيد السياق له »⁽⁴⁾.

وفي القاموس المحيط: « السرد: الخرز في الأديم، كالسرد بالكسر، والثقب، ونسج الدرع، واسم جامع للدروع، وسائر الحلق، وجودة سياق الحديث »⁽⁵⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) معالم التنزيل (550/3).

(٢) التسهيل لعلم التنزيل (147/3).

(٣) قاعدة: حمل كلام الله تعالى على المعروف في لغة العرب. انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحري (369/2).

(٤) مختار الصحاح للرازي ص (124). (س ر د).

(٥) القاموس المحيط للفيروز أبادي ص (366) باب الدال فصل السين.



معنى: ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَةٍ﴾

65- قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَةٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا

وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة سبأ: 13].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَةٍ﴾ ثوابت في أماكنها،

ترك - لعظمتها - ولا تنقل، يقال: رسا الشيء إذا ثبت فهو يرسو، ومنه قيل للجبال: رواسي»⁽¹⁾.

وإلى نفس المعنى ذهب عدد غير قليل من المفسرين، منهم: السمرقندي⁽²⁾، والواحدي⁽³⁾، والسمعاني⁽⁴⁾، والقرطبي⁽⁵⁾، والبيضاوي⁽⁶⁾، والنسفي⁽⁷⁾، وأبو السعود⁽⁸⁾، والسعدي⁽⁹⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(304).

(٢) بحر العلوم (78/3).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (880/2).

(٤) تفسير القرآن (322/4).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (276/14).

(٦) أنوار التنزيل (394/4).

(٧) مدارك التنزيل (322/3).

(٨) إرشاد العقل السليم (126/7).

(٩) تيسير الكريم الرحمن ص(677).

قال الواحدي: «﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ ثوابت لا تحركن عن مكانها

لعظمتها»⁽¹⁾.

وقال القرطبي: «ومعنى راسيات: ثوابت لا تحمل ولا تحرك لعظمتها»⁽²⁾.

«⁽²⁾.

وقال أبو السعود: «﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها

لعظمتها»⁽³⁾.

وقال السعدي: «﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ لا تزول عن أماكنها من عظمتها»⁽⁴⁾.

ولم أقف على قول مخالف لما ذكر، فتبين -والله أعلم- حمل معنى الآية على ما ذكروه إجماعاً منهم، والله أعلم.

فائدة:

ذكرها الفخر الرازي في تفسيره الكبير: «قدم المحاريب على التماثيل لأن النقوش تكون في الأبنية، وقدام الجفان في الذكر على القدور، مع أن القدور آلة الطبخ، والجفان آلة الأكل، والطبخ قبل الأكل؛ فنقول لما بين الأبنية الملكية أراد بيان عظمة السماط الذي يمد في تلك الدور، وأشار إلى الجفان لأنها تكون فيه،

(1) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/880).

(2) الجامع لأحكام القرآن (14/276).

(3) إرشاد العقل السليم (7/126).

(4) تيسير الكريم الرحمن ص(677).

وأما القدور فلا تكون فيه ولا تحضر هناك، ولهذا قال: ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ أي: غير منقولات، ثم لما بيّن حال الجفان العظيمة كان يقع في النفس أن الطعام الذي يكون فيها في أي شيء يطبخ، فأشار إلى القدور المناسبة للجفان⁽¹⁾، والله أعلم بالصواب.

(1) التفسير الكبير (215/25).

معنى: ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾

66- قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قَرْيَ ظَهْرَةَ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَبْرًا فِيهَا لَيَالِي وَأَيَّامًا

ءَامِينَ ﴿١٨﴾ [سورة سبأ: 18].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ أي: جعلنا ما بين

القرية والقرية مقداراً واحداً»⁽¹⁾.

في ضوء ما وقفت عليه من أقوال الأئمة المفسرين في بيان معنى الآية تبين أنه مع تنوع عباراتهم إلا أنها تشير كلها إلى معنى واحد، هو ذكر ما امتن الله تعالى به على أولئك القوم من النعمة في أنس الطريق وعدم وحشته، مع عدم الحاجة إلى حمل زاد يثقلهم في الطريق فلا يغدون ولا يروحون إلا في قرى متقاربة، مع الأمن والأمان من الأعداء وقطاع الطريق ونحوهم. كما أن أقوال المفسرين مكتملة لبعضها في زيادة إيضاح المعنى، ولذا سأكتفي بذكر أقوال بعضهم وأشار إلى البقية اختصاراً.

قال الواحدي: « ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ جعلنا سيرهم بمقدار، إذا غدا أحدهم من

قرية قال في أخرى وإذا راح من قرية أوى إلى أخرى»⁽²⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(306).

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (882/2).

وقال البغوي: « ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّبِيْرَ﴾ أي: قدرنا سيرهم بين هذه القرى وكان مسيرهم في الغدو والرواح على قدر نصف يوم فإذا ساروا نصف يوم وصلوا إلى قرية ذات مياه وأشجار»⁽¹⁾.

وقال الفخر الرازي: « وقوله ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّبِيْرَ﴾ الأماكن المعمورة تكون منازلها معلومة مقدرة لا تتجاوز، فلما كان بين كل قرية مسيرة نصف نهار، وكانوا يغدون إلى قرية ويرحون إلى أخرى ما أمكن في العرف تجاوزها فهو المراد بالتقدير، والمفاوز لا يتقدر السير فيها بل يسير السائر فيها بقدر الطاقة جاداً حتى يطيقها»⁽²⁾.

وقال أبو السعود: « ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّبِيْرَ﴾ أي: جعلناها في نسبة بعضها إلى بعض على مقدار معين يليق بحال أبناء السبيل، قيل كان الغادي من قرية يقيل في أخرى، والرائح منها يبيت في أخرى إلى أن يبلغ الشام كل ذلك كان تكميلاً لما أوتوا من أنواع النعماء وتوفيراً لها في الحضر والسفر»⁽³⁾.

(١) معالم التنزيل (555/3).

(٢) التفسير الكبير (218/25).

(٣) إرشاد العقل السليم (128/7).

وبنحو كلام من ذكرت جاءت عبارات كل من: النحاس⁽¹⁾،
والسمرقندي⁽²⁾، والسمعاني⁽³⁾، والزمخشري⁽⁴⁾، والبيضاوي⁽⁵⁾، والنسفي⁽⁶⁾،
وابن كثير⁽⁷⁾، والشوكاني⁽⁸⁾، والألوسي⁽⁹⁾، والسعدي⁽¹⁰⁾.
وقد ظهر اتفاقهم جميعاً في بيان معنى الآية، والله أعلم بالصواب.

(١) معاني القرآن (410/5).

(٢) بحر العلوم (82/3).

(٣) تفسير القرآن (328/4).

(٤) الكشاف (587/3).

(٥) أنوار التنزيل (397/4).

(٦) مدارك التنزيل (325/3).

(٧) تفسير القرآن العظيم (534/3).

(٨) فتح القدير (321/4).

(٩) روح المعاني (130/22).

(١٠) تيسير الكريم الرحمن ص(677).

معنى: ﴿بُورُ﴾

67- قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ

السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُأُولِيكَ هُوَ بُورُ﴾ [سورة فاطر: 10].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿بُورُ﴾ أي: يبطل»⁽¹⁾.

وبنفس المعنى الذي قاله ابن قتيبة، قال السمعاني⁽²⁾، والبغوي⁽³⁾، والفخر والرازي⁽⁴⁾، والقرطبي⁽⁵⁾، وابن جزري⁽⁶⁾، والمحلي⁽⁷⁾، والشوكاني⁽⁸⁾، والشوكاني⁽⁸⁾، والألوسي⁽⁹⁾، والسعدي⁽¹⁰⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(309).

(٢) تفسير القرآن (305/4).

(٣) معالم التنزيل (567/3).

(٤) التفسير الكبير (9/26).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (332/14).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (155/3).

(٧) تفسير الجلالين ص(572).

(٨) فتح القدير (341/4).

(٩) روح المعاني (176/22).

(١٠) تيسير الكريم الرحمن ص(685).

ومن المفسرين من ذكر أن معنى ﴿بُورٌ﴾ أي: يفسد، كالتحاس⁽¹⁾،
والزخشري⁽²⁾، والبيضاوي⁽³⁾.

ومنهم من قال: إن ﴿بُورٌ﴾ معناها: يبطل ويفسد، كالواحدي⁽⁴⁾، وابن
كثير⁽⁵⁾.

وقد قال أهل اللغة: « بار عمله: بطل والبائر: الفاسد »⁽⁶⁾.
وعليه يظهر - والله أعلم - صحة احتمال القولين معنى للآية، وقد اعتمد
المفسرون قاعدة: إذا كانت الآية تحتمل معانٍ كلها صحيحة، تعين حملها على
الجميع⁽⁷⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) معاني القرآن (443/5).

(٢) الكشاف (612/3).

(٣) أنوار التنزيل (413/4).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (890/2).

(٥) تفسير القرآن العظيم (550/3).

(٦) قاله ابن منظور في لسان العرب (86/4)، وانظر أيضاً: تهذيب اللغة للأزهري (191/15)، ومختار

الصحاح للرازي ص (28/1)،.

(٧) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿جَدْدٌ﴾

68- قال تعالى: ﴿الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ

مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ [سورة فاطر: 27].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: «والجدد: الخطوط والطرائق تكون في الجبال، فبعضها بيض، وبعضها حمر، وبعضها غرابيب سود»⁽¹⁾.
كل ما وقفت عليه من أقوال المفسرين في بيان معنى الجدد متفقة مع ما ذكره ابن قتيبة، فقد قال الطبري: «﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن الجبال طرائق وهي الجدد وهي الخطوط تكون في الجبال بيض وحمر وسود كالطرق، واحدهما جدة»⁽²⁾.

وقال السمرقندي: «﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ﴾ يعني: خلق من الجبال جددًا يعني جماعة الجدة، والجدة هي الطريق التي في الجبل، والجدد هي الطرائق فترى الطريق من البعد منها بيض وبعضها حمر»⁽³⁾.

وقال القرطبي: «الجدد جمع جدة وهي الطرائق المختلفة الألوان وإن كان الجميع حجرًا أو ترابًا»⁽¹⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص (310).

(٢) جامع البيان (131/22).

(٣) بحر العلوم (99/3).

وقال ابن كثير: « وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ أي: وخلف الجبال مختلفة الألوان كما هو المشاهد من بيض وحمرة، وفي بعضها طرائق وهي الجدد جمع جدة مختلفة الألوان»⁽²⁾.

ونحو كلام من ذكرتهن جاءت عبارات كل من: النحاس⁽³⁾، والسمعي⁽⁴⁾، والزمخشري⁽⁵⁾، والفخر الرازي⁽⁶⁾، والشوكاني⁽⁷⁾، والألوسي⁽⁸⁾، وابن عاشور⁽⁹⁾.

ويظهر -والله أعلم- بما ذكرته اتفاقهم في بيان معنى ﴿جُدَدٌ بَيْضٌ﴾، وقد قال أهل اللغة أيضاً في بيان معناها: « أي: طرائق تخالف لون الجبل والجدة: الخطة السوداء في متن الحمار تخالف لونه»⁽¹⁰⁾.

و « حمل كلام الله تعالى على المعروف من لغة العرب»⁽¹¹⁾ قاعدة متبعة عند أهل العلم من المفسرين.

(١) الجامع لأحكام القرآن (342/14).

(٢) تفسير القرآن العظيم (554/3).

(٣) معاني القرآن (453/5).

(٤) تفسير القرآن (356/4).

(٥) الكشاف (618/3).

(٦) التفسير الكبير (19/26).

(٧) فتح القدير (347/4).

(٨) روح المعاني (189/22).

(٩) التحرير والتنوير (302/22).

(١٠) انظر: لسان العرب لابن منظور (108/3)، ومختار الصحاح للرازي ص(40).

(١١) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحري (369/2).

وأختم بكلام الشيخ السعدي عند تفسيره للآية، وبيانه لفضل الله تعالى وعظمته وقدرته تعالى وحكمته في خلق خلقه أنواعاً متفاوتة؛ حيث يقول: « يذكر تعالى خلقه لأشياء والمتضادات التي أصلها واحد ومادتها واحدة وفيها من التفاوت والفرق ما هو مشاهد معروف لهدل العباد على كمال قدرته وبديع حكمته فمن ذلك أن الله تعالى أنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات المختلفات والنباتات المتنوعات ما هو مشاهد للناظرين، والماء واحد والأرض واحدة، ومن ذلك الجبال التي جعلها الله أوتاداً للأرض تجدها جبلاً مشتبكة بل جبلاً واحداً، وفيها ألوان متعددة فيها جدد بيض أي طرائق بيض، وفيها طرائق صفر وحمرة، وفيها غرايب سود أي شديدة السواد جداً، ومن ذلك الناس والدواب والأنعام فيها من اختلاف الألوان والأوصاف والأصوات والهيئات ما هو مرئي بالأبصار مشهود للنظار والكل من أصل واحد ومادة واحدة، فتفاوتها دليل عقلي على مشيئة الله تعالى التي خصصت ما خصصت منها بلونه ووصفه، وقدرة الله تعالى حيث أوجدها كذلك، وحكمته ورحمته حيث كان ذلك الاختلاف وذلك التفاوت فيه من المصالح والمنافع ومعرفة الطرق ومعرفة الناس بعضهم بعضاً ما هو معلوم، وذلك أيضاً دليل على سعة علم الله تعالى وأنه يبعث من في القبور، ولكن الغافل ينظر في هذه الأشياء وغيرها نظر غفلة»⁽¹⁾، والله أعلم بالصواب.

(1) تيسير الكريم الرحمن ص(688).

معنى: ﴿وَعَرَابِيْبُ﴾

69- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ

مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَابِيْبُ سُودٌ﴾ [سورة فاطر: 27].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « وعرايب جمع غريب، وهو: الشديد

السواد، يقال: أسود غريب »⁽¹⁾.

ونفس هذا المعنى الذي ذكره في بيان معنى الغرايب « قال به المفسرون »⁽²⁾،

منهم: النحاس⁽³⁾، والسمرقندي⁽⁴⁾، والسمعاني⁽⁵⁾، والزمخشري⁽⁶⁾، والفخر

(١) تفسير غريب القرآن ص(310).

(٢) انظر: فتح القدير (347/4).

(٣) معاني القرآن (453/5).

(٤) بحر العلوم (99/3).

(٥) تفسير القرآن (356/4).

(٦) الكشاف (618/3).

الرازي⁽¹⁾، والقرطبي⁽²⁾، وابن كثير⁽³⁾،
والشوكاني⁽⁴⁾، والألوسي⁽⁵⁾، والسعدي⁽⁶⁾، وابن عاشور⁽⁷⁾.

قال السمرقندي: « غرايب سود: وهو جمع غريب وهو الشديد السواد
ويقال أسود غريب »⁽⁸⁾.

وقال السمعاني: « غرايب سود: أي سود غرايب على التقديم والتأخير،
يقال: أسود غريب أي شديد السواد »⁽⁹⁾.

وقال الفخر الرازي: « قيل بأن الغريب مؤكد للأسود، يقول: أسود
غريب والمؤكد لا يجيء إلا متأخراً؛ فكيف جاء غرايب سود؟ نقول: قال
الزمخشري⁽¹⁰⁾: غرايب مؤكد لذي لون مقدر في الكلام كأنه تعالى قال سود
غرايب، ثم أعاد السود مرة أخرى وفيه فائدة وهي زيادة التأكيد لأنه تعالى ذكره
مضمراً ومظهراً، ومنهم من قال هو على التقديم والتأخير »⁽¹¹⁾.

(١) التفسير الكبير (19/26).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (342/14).

(٣) تفسير القرآن العظيم (554/3).

(٤) فتح القدير (347/4).

(٥) روح المعاني (189/22).

(٦) تيسير الكريم الرحمن ص (688).

(٧) التحرير والتنوير (302/22).

(٨) بحر العلوم (99/3).

(٩) تفسير القرآن (356/4).

(١٠) انظر: الكشاف للزمخشري (918/3).

(١١) التفسير الكبير (19/26).

وقال ابن كثير: « والعرب إذا وصفوا الأسود بكثرة السواد؛ قالوا: أسود غريب »⁽¹⁾.

ولهذا قال في لسان العرب: « وغريب شديد السواد، وإذا قلت: غريب سود، تجعل السود بدلاً من غريب »⁽²⁾، ونفس القول قاله صاحب مختار الصحاح⁽³⁾.

فتبين بما ذكرت -والله أعلم- اتفاق المفسرين في بيان معنى غريب المستند إلى « ما هو معروف من كلام العرب »⁽⁴⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) تفسير القرآن العظيم (3/554).

(٢) لسان العرب لابن منظور (1/646).

(٣) مختار الصحاح للرازي ص (197).

(٤) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (2/369).

معنى: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾

70- قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [سورة

يس: 9].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ أي: أغشينا عيونهم،

وأعميناهم عن الهدى»⁽¹⁾.

ولقد وافق ابن قتيبة فيما ذهب إليه كثير من المفسرين، منهم: الطبري⁽²⁾،

وابن عطية⁽³⁾، والفخر الرازي⁽⁴⁾، والقرطبي⁽⁵⁾، والبيضاوي⁽⁶⁾، وابن

جزري⁽⁷⁾، وابن كثير⁽⁸⁾، والمحلي⁽⁹⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(312).

(٢) جامع البيان (152/22).

(٣) المحرر الوجيز (446/4).

(٤) التفسير الكبير (40/26).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (10/15).

(٦) أنوار التنزيل (426/4).

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (161/3).

(٨) تفسير القرآن العظيم (565/3).

(٩) تفسير الجلالين ص(579).

..... وأبو السعود⁽¹⁾،

والشوكاني⁽²⁾، والسعدي⁽³⁾، والشنقيطي⁽⁴⁾.

قال الطبري: أي جعلنا عليها غشاوة فهم لا يبصرون هدى ولا ينتفعون به⁽⁵⁾.

وقال ابن عطية: « الآية مستعارة المعاني من منع الله تعالى آباءهم من الإيمان وحوّله بينهم وبينه⁽⁶⁾ ».

قال ابن كثير: « وقوله تعالى: ﴿ فَأَغَشَيْنَاهُمْ ﴾ أي: أغشينا أبصارهم عن الحق

﴿ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ أي لا ينتفعون بخير ولا يهتدون إليه⁽⁷⁾ ».

قال أبو السعود: « ﴿ فَأَغَشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ إما تنمة للتمثيل وتكميل له؛ أي

وجعلنا مع ما ذكر من أمامهم سداً عظيماً ومن ورائهم سداً كذلك فغطينا بها أبصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدرّون على إِبصار شيء ما أصلاً، وإما تمثيل مستقل؛ فإن ما ذكر من جعلهم محصورين بين سدين هائلين قد غطيا أبصارهم

(١) إرشاد العقل السليم (160/7).

(٢) فتح القدير (361/4).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص(693).

(٤) أضواء البيان (288/6).

(٥) جامع البيان (152/22).

(٦) المحرر الوجيز (446/4).

(٧) تفسير القرآن العظيم (565/3).

بجيث لا يبصرون شيئاً قطعاً؛ كافٍ في الكشف عن كمال فظاعة حالهم وكونهم محبوسين في مطمورة الغي والجهالات محرومين عن النظر في الأدلة والآيات»⁽¹⁾.

قال السعدي: «﴿فَأَعَشَيْنَهُمْ فَنَهُمْ لَابِصْرُونَ﴾ قد غمرهم الجهل والشقاء من جميع

جوانبهم فلم تفد فيهم النذارة»⁽²⁾.

قال الشنقيطي: «وقوله: ﴿فَأَعَشَيْنَهُمْ﴾ أي: جعلنا على أبصارهم الغشاوة،

وهي الغطاء الذي يكون على العين يمنعها من الإبصار، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ

أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [سورة البقرة: 7]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِمْ غِشَاوَةً﴾ [سورة الجاثية:

23]، والمراد بالآية الكريمة: أن هؤلاء الأشقياء الذين سبقت لهم الشقاوة في علم

الله المذكورين في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يس: 7]،

صرفهم الله عن الإيمان صرفاً عظيماً مانعاً من وصوله إليهم؛ لأن من جعل في عنقه غللاً، وصار الغللاً إلى ذقنه، حتى صار رأسه مرفوعاً لا يقدر أن يطأطئه، وجعل أمامه سداً، وخلفه سداً، وجعل على بصره الغشاوة ولا حيلة له في التصرف، ولا في جلب نفع لنفسه، ولا في دفع ضرر عنها، فللذين أشقاهم الله بهذه المثابة لا يصل إليهم خير.

وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة من كونه جللاً وعلاً يصرف

الأشقياء الذين سبقت لهم الشقاوة في علمه عن الحق ويحول بينهم وبينه، جاء

(1) إرشاد العقل السليم (160/7).

(2) تيسير الكريم الرحمن ص(693).

موضحاً في آيات كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾

[سورة الكهف: 57]، وقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً﴾

[سورة البقرة: 7]، وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى

بَصَرِهِ غِشْوَةً﴾ [سورة الجاثية: 23]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا

كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [سورة الأنعام: 125]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَيُّ هَادِيَ لَهُ﴾

[سورة الأعراف: 186]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ، فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة

المائدة: 41]، وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ

الْعَاقِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة النحل: 108]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ

يُضَعِّفُ لَهُمْ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [سورة هود: 20]، وقوله تعالى: ﴿

الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [سورة الكهف: 101]، والآيات بمثل

ذلك كثيرة»⁽¹⁾.

(1) أضواء البيان (288/6).

وبما ذكر يتبين أن ما ذهب إليه ابن قتيبة وموافقوه معنى للآية هو
«الأرجح»⁽¹⁾، وهو المبني على دلالة آيات أخرى من القرآن الكريم عليه، وقد مرّ
ذكر عدد من الآيات عند ذكر كلام الشيخ الشنقيطي، والله أعلم بالصواب.

(1) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (4/446).

معنى: ﴿فَعَزَّزْنَا﴾

71- قال تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِشَاكٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة

يس: 14].

قال الإمام ابن قتيبة رحمه الله: «: ﴿فَعَزَّزْنَا بِشَاكٍ﴾ أي: قوينا وشددنا، يقال:

عَزَّزَ مِنْهُ؛ أي قوَّ من قلبه، وتعزز لحم الناقة إذا صلب»⁽¹⁾.

وجمهور المفسرين ذكروا: نفس المعنى الذي ذهب إليه ابن قتيبة، وأن عززنا

معناها: قوينا وشددنا، منهم: الطبري⁽²⁾، والسمرقندي⁽³⁾، والواحدي⁽⁴⁾،

والسمعاني⁽⁵⁾، والبغوي⁽⁶⁾، والزمخشري⁽⁷⁾، وابن عطية⁽⁸⁾، والفخر الرازي⁽⁹⁾،

الرازي⁽⁹⁾، والقرطبي⁽¹⁾، والبيضاوي⁽²⁾، والنسفي⁽³⁾، وابن جزري⁽⁴⁾، وابن

(١) تفسير غريب القرآن ص(313).

(٢) جامع البيان (156/22).

(٣) بحر العلوم (112/3).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (898/2).

(٥) تفسير القرآن (371/4).

(٦) معالم التنزيل (9/4).

(٧) الكشف (11/4).

(٨) المحرر الوجيز (449/4).

(٩) التفسير الكبير (46/26).

وابن كثير⁽⁵⁾، والمحلي⁽⁶⁾، والثعالبي⁽⁷⁾، وأبو السعود⁽⁸⁾، والشوكاني⁽⁹⁾،
والألوسي⁽¹⁰⁾، والسعدي⁽¹¹⁾.

قال الطبري: « وقوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِكِ﴾ يقول تعالى ذكره:

حين أرسلنا إليهم اثنين يدعوانهم إلى الله تعالى فكذبوهما فشددناهما بثالث وقويناهما
به⁽¹²⁾.

قال القرطبي: « ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِكِ﴾ أي: فقويناهم وشددنا الرسالة بثالث⁽¹³⁾.

وقال ابن كثير: « وقوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ أي: بادروهما

بالتكذيب ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِكِ﴾ أي: قويناهما وشددنا أزرهما برسول ثالث⁽¹⁾.

(١) الجامع لأحكام القرآن (14/15).

(٢) أنوار التنزيل (428/4).

(٣) مدارك التنزيل (5/4).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (161/3).

(٥) تفسير القرآن العظيم (568/3).

(٦) تفسير الجلالين ص (580).

(٧) الجواهر الحسان (5/4).

(٨) إرشاد العقل السليم (161/7).

(٩) فتح القدير (364/4).

(١٠) روح المعاني (221/22).

(١١) تيسير الكريم الرحمن ص (694).

(١٢) جامع البيان (156/22).

(١٣) الجامع لأحكام القرآن (14/15).

قال السعدي: « ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِكِ﴾ أي: فقويناهما بثالث

فصاروا ثلاثة رسل اعتناء من الله تعالى بهم وإقامة للحجة بتوالي الرسل إليهم
«(2).

وبما ذكرته تبين اتفاق المفسرين في بيان معنى ﴿فَعَزَّزْنَا﴾، وقد أكد المعنى

المذكور أهل اللغة فقالوا: « والعزة: الشدة والقوة، يقال: عَزَّ يَعَزُّ بِالْفَتْحِ، إِذَا اشْتَدَّ
وَعَزَّزَتِ الْقَوْمَ وَأَعَزَّزْتَهُمْ وَعَزَّزْتَهُمْ: قَوَّيْتَهُمْ وَشَدَّدْتَهُمْ »(3)، والله أعلم بالصواب.

(١) تفسير القرآن العظيم (3/568).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص(694).

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور (5/376)، وتاج العروس للزبيدي (15/219).

معنى: ﴿كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾

72- قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [سورة يس: 39].

قال ابن الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿كَالْعُرْجُونِ﴾ : عود الكِبَاسَةِ، وهو

الإهان أيضاً، و ﴿الْقَدِيمِ﴾ الذي قد أتى عليه حول فاستقوس ودق، وشبّه القمر -
آخر ليلة يطلع - به «⁽¹⁾».

وهذا الذي ذكره ابن قتيبة في بيان معنى العرجون القديم هو الذي عليه

«الأكثرين»⁽²⁾ من المفسرين، وهو الذي «حكاه أهل اللغة»⁽³⁾، وسأجمل في
عرض أسلم المفسرين القائلين به، وأكتفي بنقل أقوال بعضهم، وأختتم بذكر ما قاله
أهل اللغة.

(١) تفسير غريب القرآن ص(313).

(٢) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (378/4).

(٣) انظر: معاني القرآن للنحاس (495/5).

فمن المفسرين القائلين به: النحاس⁽¹⁾، والسمرقندي⁽²⁾، والواحدي⁽³⁾،
والسمعاني⁽⁴⁾، والبغوي⁽⁵⁾، والزمخشري⁽⁶⁾، والفخر الرازي⁽⁷⁾، والقرطبي⁽⁸⁾،
والقرطبي⁽⁸⁾، والبيضاوي⁽⁹⁾، والنسفي⁽¹⁰⁾، وابن جزري⁽¹¹⁾، وابن كثير⁽¹²⁾،
والمحلي⁽¹³⁾، وأبو السعود⁽¹⁴⁾، والشوكاني⁽¹⁵⁾، والألوسي⁽¹⁶⁾، والسعدي⁽¹⁷⁾.

(١) المرجع السابق.

(٢) بحر العلوم (117/3).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (900/2).

(٤) تفسير القرآن (378/4).

(٥) معالم التنزيل (13/4).

(٦) الكشاف (19/4).

(٧) التفسير الكبير (64/26).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (30/15).

(٩) أنوار التنزيل (434/4).

(١٠) مدارك التنزيل (9/4).

(١١) التسهيل لعلوم التنزيل (163/3).

(١٢) تفسير القرآن العظيم (573/3).

(١٣) تفسير الجلالين ص (582).

(١٤) إرشاد العقل السليم (168/7).

(١٥) فتح القدير (369/4).

(١٦) روح المعاني (20/23).

(١٧) تيسير الكريم الرحمن ص (696).

قال السمرقندي: «حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ» يعني: صار كالعدق اليابس

المتقوس الذي حال عليه الحول»⁽¹⁾.

قال البغوي: «والعرجون عود العدق الذي عليه الشماريخ، فإذا قدم عنق

بيس وتقوس واصفر، فشبه القمر في دقته وصفرته في آخر المنازل به»⁽²⁾.

قال القرطبي: «العرجون أصل العدق الذي يعوج وتقطع منه الشماريخ

فيبقى على النخل يابساً فالعرجون إذا عتق ويبس وتقوس شبه القمر في دقته

وصفرته به»⁽³⁾.

قال السعدي: «وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ» يَنْزِلُهَا كُلَّ لَيْلَةٍ يَنْزِلُ مِنْهَا وَاحِدَةٌ»

حَتَّىٰ صَغَرَ جَدًّا و «عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ» أي: عرجون النخلة الذي من قدمه نش

وصغر حجمه وانحنى»⁽⁴⁾.

وأما أهل اللغة فقالوا: «العرجون أصل العدق الذي يعوج ويقطع منه

الشماريخ فيبقى على النخل يابساً»⁽⁵⁾.

(١) بحر العلوم (117/3).

(٢) معالم التنزيل (13/4).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (30/15) بتصرف يسير.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص(696).

(٥) مختار الصحاح للرازي ص(178).

وقالوا: «الكباسة بالكسر العذق التام بشماريخه وبسره، وهو من التمر بمنزلة العنقود من العنب»⁽¹⁾.

وقالوا: الإهان ككتاب العرجون هو ما فوق الشماريخ»⁽²⁾.
فتبين اتفاق المفسرين في بيان معنى العرجون المبني «على ما صح من لغة العرب»⁽³⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) لسان العرب لابن منظور (191/6)، ومختار الصحاح للرازي ص(234).

(٢) تاج العروس للزبيدي (220/24).

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحري (369/2).

معنى: ﴿وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾

73- قال تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ [سورة يس: 57].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ أي: ما يتمنون، ومنه يقول الناس: هو في خير ما ادعى، أي ما تمنى، والعرب تقول: ادّع عليّ ما شئت؛ أي تمنّ عليّ ما شئت»⁽¹⁾.

وافق الإمام ابن قتيبة في أن معنى ﴿مَا يَدْعُونَ﴾ أي: ما يتمنون: الإمام النحاس⁽²⁾، والسمرقندي⁽³⁾، والواحدي⁽⁴⁾، والسمعاني⁽⁵⁾، والبغوي⁽⁶⁾، وابن عطية⁽⁷⁾، وابن كثير⁽⁸⁾، والمحلي⁽⁹⁾،

(1) تفسير غريب القرآن ص(315).

(2) معاني القرآن (509/5).

(3) بحر العلوم (121/3).

(4) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (902/2).

(5) تفسير القرآن (383/4).

(6) معالم التنزيل (16/4).

(7) المحرر الوجيز (459/4).

(8) تفسير القرآن العظيم (576/3).

(9) تفسير الجلالين ص(584).

..... والثعالبي⁽¹⁾، والألوسي⁽²⁾،
والسعدي⁽³⁾.

وقال الزمخشري: «﴿يَدْعُونَ﴾ يفتعلون من الدعاء، أي: يدعون به لأنفسهم
كقولك اشتوى واجتمل إذا شوى وجُمِلَ لنفسه، قال لبيد: فاشتوى ليلة ريح
واجتمل⁽⁴⁾، ويجوز أن يكون بمعنى يتداعونه؛ كقولك: ارتموه وتراموه، وقيل:
يتمنون من قولهم: ادع عليّ ما شئت بمعنى تمنّه عليّ، وفلان في خير ما ادعى؛ أي:
في خير ما تمنى⁽⁵⁾. وتبعه فيما قاله: البيضاوي⁽⁶⁾، والنسفي⁽⁷⁾،
وأبو السعود⁽⁸⁾.

(١) الجواهر الحسان (10/4).

(٢) روح المعاني (37/23).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص(698).

(٤) البيت: أو نهته فأتاه رزقه فاشتوى ليلة ريح واجتمل

في ديوان لبيد بن ربيعة ص(80)، ولبيد: هو ابن ربيعة بن عامر بن مالك العامري، أبو عقيل
الشاعر المشهور، كان فارساً شجاعاً شاعراً سخياً، قال الشعر في الجاهلية دهرًا ثم أسلم. الإصابة في
تمييز الصحابة (326/3)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (324/3). والمقصود: اشتوى إذا شوى
لنفسه، واجتمل إذا جمّل لنفسه، أي جمع الجميل وهو الشحم المذاب وهو الإهالة. انظر: التحرير
والتنوير (131/12).

(٥) الكشف (25/4).

(٦) أنوار التنزيل (438/4).

(٧) مدارك التنزيل (165/3).

(٨) إرشاد العقل السليم (174/7).

وقال الفخر الرازي: « وقوله: ﴿وَلَهُمْ تَائِدَعُونَ﴾ فيه وجوه: أحدها لهم فيها ما يدعون لأنفسهم أي دعاؤهم مستجاب، وحينئذ يكون هذا افتعالاً. بمعنى الفعل، كالاتعمال بمعنى الحمل، والارتحال بمعنى الرحيل، وعلى هذا فليس معناه أنهم يدعون لأنفسهم دعاء فيستجاب دعاؤهم بعد الطلب، بل معناه: ولهم ما يدعون لأنفسهم، أي: ذلك لهم في حاجة لهم إلى الدعاء والطلب، كما أن الملك إذا طلب منه مملوكه شيئاً يقول: لك ذلك، فيفهم منه تارة أن طلبك مجاب وأن هذا أمر هين بأن تعطى ما طلبت، ويفهم تارة منه الرد وبيان أن ذلك لك حاصل فلم تطلبه فقال تعالى: ﴿وَلَهُمْ تَائِدَعُونَ﴾ ويطلبون فلا طلب لهم وتقريره هو أن يكون ما يدعون بمعنى ما يصح أن يطلب، ودعا يعني كل ما يصح أن يطلب فهو حاصل لهم قبل الطلب، أو نقول المراد الطلب والإجابة وذلك لأن الطلب من الله أيضاً فيه لذة فلو قطع الله الأسباب بينهم وبينه لما كان يطيب لهم فأبقى أشياء يعطيهم إياها عند الطلب ليكون لهم عند الطلب لذة وعند العطاء، فإن كون المملوك بحيث يتمكن من أن يخاطب الملك في حوائجه منصب عظيم، والملك الجبار قد يدفع حوائج المماليك بأسرها قصداً منه لئلا يخاطب. الثاني: ما يدعون ما يتداعون وحينئذ يكون افتعالاً. بمعنى التفاعل كالاتعمال بمعنى التقاتل، ومعناه ما ذكرناه أن كل ما يصح أن يدعو أحد صاحبه إليه أو يطلبه أحد من صاحبه فهو حاصل لهم. الثالث: ما يتمنونه. الرابع: بمعنى الدعوى ومعناه حينئذ أنهم كانوا يدعون في الدنيا أن لهم الله تعالى وهو مولاهم وأن الكافرين لا مولى لهم، فقال لهم في الجنة ما يدعون في

الدنيا، فتكون الحكاية محكية في الدنيا، كأنه يقول في يومنا هذا: لكم أيها المؤمنون غداً ما يدعون اليوم»⁽¹⁾.

وقال القرطبي: «﴿وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ الدال الثانية مبدلة من تاء لأهم يفتعلون من

دعا أي: من دعا بشيء أعطيه، فمعنى يدعون يتمنون من الدعاء، وقيل: المعنى أن من ادعى منهم شيئاً فهو له لأن الله تعالى قد طبعهم على ألا يدعى منهم أحد إلا ما يجمل ويحسن أن يدعيه»⁽²⁾.

وقال الشوكاني: «﴿يَدْعُونَ﴾ يتمنون، والعرب تقول ادع عليّ ما شئت أي

تمنّ، وفلان في خير ما يدعي أي ما يتمنى، وقيل: هو من الدعاء؛ أي ما يدعونه أهل الجنة يأتيهم من دعوت غلامي فيكون الافتعال بمعنى الفعل كلاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحل، وقيل: افتعل بمعنى تفاعل أي: ما يتداعونه؛ كقولهم ارتموا وتراموا، وقيل: المعنى إن من ادعى منهم شيئاً فهو له؛ لأن الله تعالى قد طبعهم على أن لا يدعي أحد منهم شيئاً إلا وهو يحسن ويجمل به أن يدعيه»⁽³⁾.

والذي يظهر -والله أعلم- أن لا تنافر بين ما ذكره المفسرون في بيان معنى الآية، وإن كان الأوضح هو ما ذكره ابن قتيبة ومن وافقه، فإن القرطبي -بعد أن ذكر ما ذكره من معان- قال: «والمعنى متقارب»⁽⁴⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) التفسير الكبير (82/26).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (45/15).

(٣) فتح القدير (376/4) بتصرف يسير.

(٤) الجامع لأحكام القرآن (45/15).



معنى: ﴿وَأَمْتَرُوا﴾

74- قال تعالى: ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [سورة يس: 59].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: انقطعوا

عن المؤمنين وتميزوا منهم، يقال: مزت الشيء من الشيء إذا عزلته عنه فانماز
وامتاز، وميزته فتميز «⁽¹⁾.

ونحو ذلك جاءت عبارات عدد غير قليل من المفسرين، منهم: النحاس: «

﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: انفردوا عن المؤمنين، يقال: مزته فانماز وامتاز،
وميزته فتميز «⁽²⁾.

الواحدي: « ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: انفردوا عن المؤمنين «⁽³⁾.

ابن كثير: « يقول تعالى مخبراً عما يؤول إليه حال الكفار يوم القيامة من

أمره لهم بأن يمتازوا بمعنى يتميزون عن المؤمنين في موقفهم، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ

نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَرِيقًا بَيْنَهُمْ

[سورة يونس: 28]، وقال - عجل -

(¹) تفسير غريب القرآن ص(315).

(²) معاني القرآن (511/5).

(³) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (902/2).

: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِّدُ يَنْفَرُونَ ﴾ [سورة الروم: 14]، وقوله: ﴿ يَوْمَ يَصْدَعُونَ ﴾ أي:

يصيرون صدعين فرقتين»⁽¹⁾.

الشوكاني: «أي: ويقال للمجرمين امتازوا أي: انزلوا، من مازه غيره

يقال: مزت الشيء من الشيء إذا عزلته عنه ونحيته»⁽²⁾.

السعدي: «﴿ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ ﴾ أي: تميزوا عن المؤمنين وكونوا على

حدة ليوبخهم ويقرعههم على رؤوس الأشهاد قبل أن يدخلهم النار»⁽³⁾.

ونحو عبارات من ذكرتم جاء فتير: السمرقندي⁽⁴⁾، والسمعاني⁽⁵⁾،

والبغوي⁽⁶⁾، والزخشري⁽⁷⁾، وابن عطية⁽⁸⁾، والفخر الرازي⁽⁹⁾، والقرطبي⁽¹⁰⁾،

والبيضاوي⁽¹¹⁾، والنسفي⁽¹⁾، وابن جزى⁽²⁾، والمحلي⁽³⁾، والثعالبي⁽⁴⁾،

والألوسي⁽⁵⁾.

(١) تفسير القرآن العظيم (577/3).

(٢) فتح القدير (377/4).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص (698).

(٤) بحر العلوم (122/3).

(٥) تفسير القرآن (384/4).

(٦) معالم التنزيل (16/4).

(٧) الكشف (25/4).

(٨) المحرر الوجيز (459/4).

(٩) التفسير الكبير (84/26).

(١٠) الجامع لأحكام القرآن (46/015).

(١١) أنوار التنزيل (438/4).

وبما ذكر يتبين أن المعنى الذي ذكره ابن قتيبة ومعه جمهور المفسرين هو من تفسير القرآن بالقرآن الذي هو « أحسن طرق التفسير »⁽⁶⁾، وقد أجمعوا عليه، وإجماعهم دلالة على المعنى وترجيح له، والله أعلم بالصواب.

(١) مدارك التنزيل (11/4).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (165/3).

(٣) تفسير الجلالين ص (584).

(٤) الجواهر الحسان (11/4).

(٥) روح المعاني (39/23).

(٦) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص (127).

معنى: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾

75- قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُوقَدُونَ﴾ [سورة يس:

. [80].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ

تُوقَدُونَ﴾^(١) أراد الزنود التي توري بها الأعراب من شجر المرخ والعفار^(٢).

وما ذكره ابن قتيبة في بيان معنى الآية هو نفسه الذي ذهب إليه الغالبية

العظمى من المفسرين، منهم: النحاس^(٣)، والواحدي^(٤)، والسمعاني^(٥)،
والبغوي^(٦)، والزخشري^(٧)، وابن عطية^(٨)، والقرطبي^(٩)،

(١) تفسير غريب القرآن ص (316).

(٢) معاني القرآن (520/5).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (905/2).

(٤) تفسير القرآن (390/4).

(٥) معالم التنزيل (21/4).

(٦) الكشاف (33/4).

(٧) المحرر الوجيز (464/4).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (59/015).

..... والبيضاوي⁽¹⁾، والنسفي⁽²⁾، وابن جزى⁽³⁾،
والمحلي⁽⁴⁾، وأبو السعود⁽⁵⁾، والشوكاني⁽⁶⁾، والألوسي⁽⁷⁾.

قال النحاس: « ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ هو المرخ والعفار تستعمل

الأعراب منه الزنود»⁽⁸⁾.

وقال الزمخشري: « ثم ذكر من بدائع خلقه انقذاح النار من الشجر الأخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي ترى بها الأعراض وأكثرها من المرخ والعفار، وفي أمثالهم: في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار، يقطع الرجل منها غصنين مثل السواكين وهما خضروان يقطر منهما الماء؛ فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي أنثى فتندح النار بإذن الله تعالى»⁽⁹⁾.

وقال البيضاوي: « ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾ كالمرخ والعفار ﴿نَارًا﴾ بأن

يسحق المرخ على العفار وهما خضروان يقطر منهما الماء فتندح النار ﴿فَإِذَا أَنشَرْتَهُ

(١) أنوار التنزيل (4/443).

(٢) مدارك التنزيل (4/15).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (3/167).

(٤) تفسير الجلالين ص (586).

(٥) إرشاد العقل السليم (7/182).

(٦) فتح القدير (4/383).

(٧) روح المعاني (23/55).

(٨) معاني القرآن (5/520).

(٩) الكشاف (4/33).

تُوقَدُونَ ﴿ لا تشكون فإنها نار تخرج منه، ومن قدر على إحداث النار من الشجر الأخضر مع ما فيه من المائة المضادة لها بكيفيتها كان أقدر على إعادة الغضاضة فيما كان غضاً فيس وبلي ﴾⁽¹⁾.

وقال الشوكاني: « ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا ﴾ هذا رجوع منه سبحانه إلى تقرير ما تقدم من دفع استبعادهم فبه سبحانه على وحدانيته ودل على قدرته على إحياء الموات بما يشاهدونه من إخراج النار المحرقة من العود الندي الرطب وذلك أن الشجر المعروف بالمرخ والشجر المعروف بالعفار إذا قطع منهما عودان وضرب أحدهما على الآخر انقدحت النار وهما أخضران، قيل: المرخ هو الذكر والعفار هو الأنثى ويسمى الأول الزند والثاني الزنده ﴾⁽²⁾.

هذا ما ذكره الموافقون لما قال به ابن قتيبة في بيان معنى الآية، ولكن ابن

كثير ذكر معنى آخر، حيث قال: « ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُوقَدُونَ ﴾ أي: الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضراً نضراً ذا ثمر وينع، ثم أعاده إلى أن صار حطباً يابساً توقد به النار، كذلك هو فعال لما يشاء قادر على ما يريد لا يمنعه شيء ﴾⁽³⁾.

(١) أنوار التنزيل (4/443).

(٢) فتح القدير (4/383).

(٣) تفسير القرآن العظيم (3/583).

ومع كون ما ذكره ابن قتيبة وموافقوه هو « المشهور »⁽¹⁾ وقول « أكثر أهل التفسير »⁽²⁾، إلا أنه لا يمنع من حمل الآية على ما ذكره ابن كثير فإنه « إذا كان للآية معان كلها صحيحة، صح الحمل عليها جميعاً »⁽³⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: روح المعاني للألوسي (55/23).

(٢) انظر: تفسير القرآن للسمعي (390/4).

(٣) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿دُحُورًا﴾

76- قال تعالى: ﴿وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۖ دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ﴾ [سورة الصافات: 8-9].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿دُحُورًا﴾ يعني: طردًا، يقال: دحرته دحراً ودحوراً؛ أي دفعته »⁽¹⁾.

ونفس هذا المعنى ذكره جمهور المفسرين، منهم: الطبري⁽²⁾، والنحاس⁽³⁾، والسمرقندي⁽⁴⁾، والسمعاني⁽⁵⁾، والبغوي⁽⁶⁾، والزمخشري⁽⁷⁾، وابن عطية⁽⁸⁾، والفخر والفخر الرازي⁽⁹⁾، والقرطبي⁽¹⁰⁾،، والبيضاوي⁽¹¹⁾، والنسفي⁽¹²⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(317).

(٢) جامع البيان (39/23).

(٣) معاني القرآن (11/6).

(٤) بحر العلوم (129/3).

(٥) تفسير القرآن (393/4).

(٦) معالم التنزيل (39/4).

(٧) الكشاف (39/4).

(٨) المحرر الوجيز (466/4).

(٩) التفسير الكبير (108/26).

(١٠) الجامع لأحكام القرآن (65/15).

(١١) أنوار التنزيل (6/5).

(١٢) مدارك التنزيل (17/4).

(1) وابن جزري ، وابن كثير (2) ، والمحلي (3) ، وأبو السعود (4) ، والشوكاني (5) ،
والألوسي (6) ، والسعدي (7) .

قال الطبري: « ﴿ دُحُورًا ﴾ والدحور مصدر، من قولك: دحرته أدحره دحراً

ودحوراً، والدحر: الدفع والإبعاد، يقال منه ادحر عنك الشيطان أي ادفعه عنك
وأبعده (8) .

وقال الزمخشري: « ﴿ دُحُورًا ﴾ مفعول له، أي: ويقذفون للدحور، وهو الطرد

أو مدحورين على الحال، أو لأن القذف والطرد متقاربان في المعنى (9) .

وقال ابن عطية: « ويقذفون معناه ويرجمون، والدحور الإصغار والإهانة

لأن الدحر الدفع بعنف (10) .

وقال ابن جزري: « دحوراً أي طرداً وإبعاداً وإهانة، لأن الدحر الدفع

بعنف (1) .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (168/3).

(٢) تفسير القرآن العظيم (4/4).

(٣) تفسير الجلالين ص (587).

(٤) إرشاد العقل السليم (185/7).

(٥) فتح القدير (387/4).

(٦) روح المعاني (70/23).

(٧) تيسير الكريم الرحمن ص (700).

(٨) جامع البيان (39/23).

(٩) الكشف (39/4).

(١٠) المحرر الوجيز (466/4).

وبما ذكرته من أقوال المفسرين يتبين اتفاقهم في بيان معنى الآية، ونفس المعنى ذكره أهل اللغة أيضاً، فقالوا: « دحره يدحره ودحوراً: دفعه وأبعده، والدحر: تبعيدك الشيء عن الشيء، والدحر: الدفع بعنف على سبيل الإهانة والإذلال، والدحور: الطرد والإبعاد »⁽²⁾.

والوجه المؤيد بما صح في اللغة العربية متبع عند أئمة التفسير⁽³⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (168/3).

(٢) لسان العرب لابن منظور (278/4).

(٣) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).

معنى: ﴿شَهَابٌ ثَابِتٌ﴾

77- قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخَطْمَةَ فَاتَّبَعَهُ، شَهَابٌ ثَابِتٌ﴾ [سورة الصافات: 10].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: «﴿شَهَابٌ ثَابِتٌ﴾ كوكب مضيء بين، يقال:

أثقب نارك، أي أضئها، والثقوب: ما تذكى به النار»⁽¹⁾.

وقال مثله في تفسير الشهاب الثاقب بنفس المعنى الذي ذكره عدد من

المفسرين، منهم: النحاس⁽²⁾، والسمرقندي⁽³⁾، والواحدي⁽⁴⁾، والبغوي⁽⁵⁾، والفخر

الرازي⁽⁶⁾، والقرطبي⁽⁷⁾، وابن كثير⁽⁸⁾، والشوكاني⁽⁹⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(318).

(٢) معاني القرآن (13/6).

(٣) بحر العلوم (130/3).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (907/2).

(٥) معالم التنزيل (23/4).

(٦) التفسير الكبير (108/26).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (66/15).

(٨) تفسير القرآن العظيم (4/4).

(٩) فتح القدير (387/4).

قال البغوي: «﴿شَهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ كوكب مضيء قوي لا يخطئه؛ يقتله أو يحرقه أو

يخبئه، وإنما يعودون إلى استراق السمع مع علمهم بأنهم لا يصلون إليه طمعاً في
السلامة ونيل المراد»⁽¹⁾.

وقال الشوكاني: «﴿شَهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ أي: لحقه وتبعه شهاب ثاقب نجم مضيء

فيحرقه وأصل الثقوب: الإضاءة»⁽²⁾.

وكلام أهل اللغة يدور في فلك ما قاله أهل التفسير في شرح معنى الشهاب
الثاقب؛ يقول ابن منظور: «الشهاب أصل خشبة أو عود فيها نار ساطعة، ويقال
للكوكب الذي ينقض على أثر الشيطان بالليل: شهاب»⁽³⁾، «والكوكب
الثاقب: المضيء، وتثقيب النار: تزكيتها، وثقبت النار تثقب ثقوباً وثقابة: اتقدت،
وثقبها هو وأثقبها وتثقبها، والثقاب والثقوب: ما أثقبها به وأشعلها به من دقاق
العيدان، ويقال: هب لي ثقوباً: أي حراقاً، وهو ما أثقت به النار أي أوقدتها به،
ويقال: ثقب الزند يثقب ثقوباً إذا سقطت الشرارة، وأثقتها أنا إثقاباً، وزند ثاقب:
وهو الذي إذا قدح ظهرت ناره، وشهاب ثاقب: أي مضيء، وثقب الكوكب
ثقوباً: أضاء، والعرب تقول: أثقت نارك أي: أضاءها للموقد»⁽⁴⁾.

(١) معالم التنزيل (23/4).

(٢) فتح القدير (387/4).

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور (509/1).

(٤) المرجع السابق (240/1)، ومختار الصحاح للرازي ص(36).

فيتوصل مما سبق بيانه إلى اتفاق أهل التفسير وأهل اللغة في بيان معنى الشهاب الثاقب، وأنه الكوكب المضيء، ومما تُرمى به الشياطين عند محاولتهم استراق السمع من السماء، وهو الذي يشاهد ليلاً -فيما يُرى لنا نحن سكان الأرض- كأنه نجم أو كوكب يزين السماء، وفجأة ينقض متحرّكاً من مكانه، فانقضاضه ذلك رَمِي للشياطين مسترقي السمع.

وباتفاق أهل اللغة مع أهل التفسير على المعنى والذي عبّر عنه النحاس أنه « مشهور في اللغة »⁽¹⁾، صح حمل الآية عليه، والله أعلم بالصواب.

(1) معاني القرآن (13/6).

معنى: ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾

78- قال تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة

الصفات: 12-14].

قال الإمام ابن قتيبة رحمه الله: « ﴿وَأِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ أي: يسخرون، يقال

سخر واستسخر، كما يقال قر واستقر، ومثله: عجب واستعجب ويجوز أن يكون يسألون غيرهم ممن المشركين- أن يسخروا من النبي ﷺ ، كما تقول استعنته: سألته

العتبي، واستوهبته سألته الهبة، واستعففته سألته العفو»⁽¹⁾.

فيلاحظ إذاً أن ابن قتيبة جعل المعنيين معاً احتمالاً في الآية، فمن ذكرهما معاً

من المفسرين معنىً للآية، فهو موافق لما قاله ابن قتيبة، فمنهم: النحاس⁽²⁾ ،

والسمعاني⁽³⁾ ، والبغوي⁽⁴⁾ ، والزمخشري⁽⁵⁾ ، وابن عطية⁽⁶⁾ ،

والقرطبي⁽⁷⁾ ، والبيضاوي⁽¹⁾ ، والنسفي⁽²⁾ ، وأبو السعود⁽³⁾ ، والألوسي⁽⁴⁾ .

(١) تفسير غريب القرآن ص(318).

(٢) معاني القرآن (17/6).

(٣) تفسير القرآن (395/4).

(٤) معالم التنزيل (24/4).

(٥) الكشاف (41/4).

(٦) المحرر الوجيز (468/4).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (71/15).

ومن المفسرين من ذكر أن معنى: ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ أي: يستهزءون، فقد قال

الطبري: « وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ يقول وإذا رأوا حجة من حجج الله عليهم،

ودلالة على نبوة نبيه محمد ﷺ يستسخرون يقول: يسخرون ويستهزءون »⁽⁵⁾ ، ونحو

ذلك قال أيضاً: السمرقندي⁽⁶⁾ ، والفخر الرازي⁽⁷⁾ ، وابن كثير⁽⁸⁾ ، والمحلي⁽⁹⁾ ،

والثعالبي⁽¹⁰⁾ .

وأما الشوكاني؛ فمع لكونه ذكر أن سخر واستسخر بمعنى واحد، إلا أنه

رجح أن يكون المعنى: « يبالغون في السخرية » وقال: « لأن زيادة البناء تدل على

زيادة المعنى »⁽¹¹⁾ .

والذي يظهر -والله أعلم- إعمال قاعدة: « الآية إن كانت تحتل معانٍ

كلها صحيحة تعين حملها على الجميع »⁽¹²⁾ ، فإذا كان أهل اللغة قالوا: إن «

(١) أنوار التنزيل (8/5).

(٢) مدارك التنزيل (18/4).

(٣) إرشاد العقل السليم (186/7).

(٤) روح المعاني (77/23).

(٥) جامع البيان (44/23).

(٦) بحر العلوم (131/3).

(٧) التفسير الكبير (112/26).

(٨) تفسير القرآن العظيم (5/4).

(٩) تفسير الجلالين ص (588).

(١٠) الجواهر الحسان (14/4).

(١١) فتح القدير (389/4).

(١٢) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

سخر واستسخر بمعنى واحد»⁽¹⁾، فإن من المعروف أيضاً في اللغة العربية أن من معاني الألف والسين والتاء أنها للطلب⁽²⁾، فصح ما قاله المفسرون جميعاً في معنى الآية، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (131/3)، ولسان العرب لابن منظور (353/4).

(٢) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (264/4).

معنى: ﴿نُزُلًا﴾

79- قال تعالى: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ [سورة الصافات: 62].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿نُزُلًا﴾ أي: رزقاً، ومنه: إقامة

الأنزال، وأنزال الجنود: أرزاقها ⁽¹⁾ .

ولتداخل أقوال الأئمة المفسرين في بيان المراد بالآية، سأستعرض أقوالهم أولاً، وأثني بالتعقيب:

قال النحاس: « قوله جل وعز ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نُزُلًا﴾ ونزلاً أي رزقاً، والنزل

أيضاً الربع والفضل ⁽²⁾ .

وقال السمرقندي: « ثم قال: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نُزُلًا﴾ يعني الذي وصفت في الجنة خير

ثواباً، ويقال رزقاً، ويقال منزلاً ⁽³⁾ .

وقال السمعاني: « النزل هو العطاء الدار، ويقال: النزل هو إصلاح ما

ينزل عليهم ⁽⁴⁾ .

(١) تفسير غريب القرآن ص(319).

(٢) معاني القرآن (32/6).

(٣) بحر العلوم (3/135).

(٤) تفسير القرآن (4/401).

ابن كثير: « أهذا الذي ذكره من نعيم الجنة وما فيها من مآكل ومشرب ومناكح وغير ذلك من الملاذ خير ضيافة وعطاء ﴿أَمْ شَجَرَةُ الرَّقْمِ﴾ أي: التي في جهنم »⁽¹⁾

أبو السعود: ﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الرَّقْمِ﴾ أصل النزل الفضل والربع فاستعير للحاصل من الشيء ويقال النزل لما يقال ويُهَيَأُ من الطعام الحاضر النازل والمعنى أن الرزق المعلوم نزل أهل الجنة »⁽²⁾

الشوكاني: « والنزل في اللغة الرزق الذي يصلح أن ينزلوا معه ويقوموا فيه »⁽³⁾

الألوسي: « وأصل النزل الفضل والربع في الطعام ويستعمل في الحاصل من الشيء »⁽⁴⁾

السعدي: « ﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نُزُلًا﴾ أي ذلك النعيم الذي وصفناه لأهل الجنة خير أم العذاب الذي يكون في الجحيم من جميع أصناف العذاب فأبي الطعامين أولى الطعام الذي وصف في الجنة ﴿أَمْ﴾ طعام أهل النار وهو ﴿شَجَرَةُ الرَّقْمِ﴾ »⁽⁵⁾

(١) تفسير القرآن العظيم (11/4).

(٢) إرشاد العقل السليم (193/7).

(٣) فتح القدير (397/4).

(٤) روح المعاني (94/23).

(٥) تيسير الكريم الرحمن ص(704).

ولا شك - والله أعلم - أن كل ما ذكره مجتمعاً هو شرح وبيان لمعنى الآية،
والله أعلم بالصواب.

معنى: ﴿جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً﴾

80- قال تعالى: ﴿أَمْ سَجْرَةُ الرَّقُومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة الصافات: 62-

.63]

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً﴾ أي: عذاباً»⁽¹⁾.

ولم يوافق ابن قتيبة من المفسرين إلا السعدي، حيث قال: « ﴿جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً﴾

أي: عذاباً ونكالاً ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي»⁽²⁾.

أما غلبة المفسرين فقد بينوا المراد بالفتنة هنا بالمعنى المتبادر إلى الذهن في ضوء سياق الآية، وأن الكفار قد افتتنوا بما سمعوه من وصف للشجرة الملعونة، فمثلاً: قال الطبري: « وقوله ﴿أَمْ سَجْرَةُ الرَّقُومِ﴾ ذكر أن الله تعالى لما أنزل هذه الآية قال المشركون: كيف ينبت الشجر في النار والنار تحرق الشجر، فقال الله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ يعني: لهؤلاء المشركين الذين قالوا في ذلك ما قالوا»⁽³⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(319).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص(704).

(٣) جامع البيان (63/23).

ونحو عبارة الطبري قال النحاس⁽¹⁾، والسمرقندي⁽²⁾، والواحدي⁽³⁾،
والسمعاني⁽⁴⁾، والبغوي⁽⁵⁾، وابن عطية⁽⁶⁾، وابن كثير⁽⁷⁾، والشعالبي⁽⁸⁾،
والشنقيطي⁽⁹⁾.

وفريق من المفسرين جمعوا المعنيين معاً؛ واعتبروها تفسيراً للآية، منهم:
الزمخشري⁽¹⁰⁾، والفخر الرازي⁽¹¹⁾، والقرطبي⁽¹²⁾، والبيضاوي⁽¹³⁾،
والنسفي⁽¹⁴⁾، وابن جزري⁽¹⁵⁾، وأبو السعود⁽¹⁶⁾، والشوكاني⁽¹⁾، والألوسي⁽²⁾.
والألوسي⁽²⁾.

(١) معاني القرآن (32/6).

(٢) بحر العلوم (135/3).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (910/2).

(٤) تفسير القرآن (401/4).

(٥) معالم التنزيل (29/4).

(٦) المحرر الوجيز (475/4).

(٧) تفسير القرآن العظيم (11/4).

(٨) الجواهر الحسان (19/4).

(٩) أضواء البيان (315/6) + (165/3).

(١٠) الكشف (48/4).

(١١) التفسير الكبير (123/26).

(١٢) الجامع لأحكام القرآن (86/15).

(١٣) أنوار التنزيل (14/5).

(١٤) مدارك التنزيل (21/4).

(١٥) التسهيل لعلوم التنزيل (171/3).

(١٦) إرشاد العقل السليم (194/7).

قال ابن جزى: «﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴾» قيل: سببها أن أبا جهل وغيره لم سمعوا ذكر شجرة الزقوم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر؛ فالفتنة على هذا الابتلاء في الدنيا، وقيل معناه عذاب الظالمين في الآخرة والمراد بالظالمين هنا الكفار»⁽³⁾.

فعلى ما سبق بيانه، يظهر -والله أعلم- إرادة المعنيين كليهما تفسيراً للآية، فافتنان الكفار بما سمعوا ولم يصدقوه قد حصل في الدنيا، وهي عذابهم في جهنم والعياذ بالله.

وكلا المعنيين دلت عليه آيات أخر من كتاب الله تعالى، «فاستخفافهم في هذا كقوله تعالى ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ [سورة المدثر: 30] ما الذي يخص هذا العدد حتى قال بعضهم: أنا أكفيكم منهم كذا فاكفوني الباقين، فقال الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا عَدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [سورة المدثر: 31]»⁽⁴⁾.

وكون معناها «إنها فتنة أي عقوبة للظالمين كما قال تعالى: ﴿ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا

الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ [سورة الذاريات: 14]»⁽⁵⁾.

(١) فتح القدير (397/4).

(٢) روح المعاني (95/23).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (171/3).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (86/15).

(٥) المرجع السابق.



فكون الآيات دلت على المعنيين⁽¹⁾، والسياق يحتملها⁽²⁾، فصح الحمل
عليهما جميعاً، والله أعلم بالصواب.

(١) فهو من تفسير القرآن بالقرآن، أفضل وأحسن طرق التفسير. انظر: شرح مقدمة التفسير لابن
عثيمين ص(127).

(٢) دلالة السياق على المعنى. قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحري (125/1)، وقواعد التفسير
لخالد السبت (249/1).

معنى: ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾

81- قال تعالى: ﴿فَأَنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِتْمَا فَمَالُونَ مِتْمَا الْبُطُونَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ [سورة

الصفات: 66-67].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي: خلطاً من الماء الحار يشربونه عليها»^(١).

وهذا المعنى الذي ذكره ابن قتيبة وأن الشوب بمعنى الخلط هو ما قاله الأئمة المفسرون، منهم: النحاس^(٢)، والسمرقندي^(٣)، والواحدي^(٤)، والسمعاني^(٥)، والبغوي^(٦)، والزمخشري^(٧)، وابن عطية^(٨)، والفخر الرازي^(٩)، والقرطبي^(١٠)، والقرطبي^(١٠)، والبيضاوي^(١١)، والنسفي^(١)، وابن جزري^(٢)، وابن كثير^(٣)،

(١) تفسير غريب القرآن ص(320).

(٢) معاني القرآن (35/6).

(٣) بحر العلوم (136/3).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (910/2).

(٥) تفسير القرآن (402/4).

(٦) معالم التنزيل (29/4).

(٧) الكشاف (49/4).

(٨) المحرر الوجيز (476/4).

(٩) التفسير الكبير (124/26).

(١٠) الجامع لأحكام القرآن (87/15).

(١١) أنوار التنزيل (15/5).

كثير⁽³⁾، والثعالبي⁽⁴⁾، وأبو السعود⁽⁵⁾، والشوكاني⁽⁶⁾، والألوسي⁽⁷⁾،
والشنقيطي⁽⁸⁾.

قال النحاس: « يقال: شبت الشيء بالشيء أي خلطته به »⁽⁹⁾.

وقال البغوي: « ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا﴾ خلطاً ومزاجاً ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾ من ماء حار

شديد الحرارة يقال إنهم إذا أكلوا الزقوم شربوا عليه الحميم، فيشوب الحميم في
بطونهم الزقوم فيصير شوباً له »⁽¹⁰⁾.

وقال الألوسي: « ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾ أي على الشجرة التي ملئوا منها بطونهم

﴿لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي: لشراباً ممزوجاً بماء شديد الحرارة، والشراب هو الغساق

«⁽¹¹⁾.

(١) مدارك التنزيل (22/4).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (172/3).

(٣) تفسير القرآن العظيم (12/4).

(٤) الجواهر الحسان (20/4).

(٥) إرشاد العقل السليم (149/7).

(٦) فتح القدير (398/4).

(٧) روح المعاني (96/23).

(٨) أضواء البيان (315/6).

(٩) معاني القرآن (35/6).

(١٠) معالم التنزيل (29/4).

(١١) روح المعاني (96/23).

ما ذكرته هو نماذج مما ذكره المفسرون، وأما في اللغة فقالوا: «الشوب: هو الخلط، وسُمِّي العسل شوبًا لأنه كان يمزج بغيره من الأشربة، ومن محاورات العرب: فلان ما عنده شوبٌ ولا رَوْبٌ؛ فالشوب العسل، والرَّوْب اللبن الرائب، والشَّيب اسم ما يُمزج به، ويقال: سقاه الشَّوب بالذَّوْب، أي اللبن بالعسل. ويقال للمخلط في القول والعمل: هو يشوب ويروب؛ وهذا في باب إصابة الرجل في منطِقِه مرَّةً وإخطائه أخرى»⁽¹⁾.

فبما ذكرته يتبين -والله أعلم- صحة ما ذهب إليه ابن قتيبة وغالبية

المفسرين في بيان معنى ﴿لَشَوْبًا﴾ وأنه الخلط، أي: خلط الشيء للشيء، وقد أجمعوا عليه وصَحَّ عند علماء اللغة العربية، والله أعلم بالصواب.

(1) انظر: شواهد القرآن لأبي تراب الظاهري (115/1).

معنى: ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾

82- قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسَلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [سورة الصافات: 103].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ أي: صرعه على جبينه، فصار أحد جبنيه على الأرض، وهما جبينان والجبهة بينهما، وهي: ما أصاب الأرض في السجود»⁽¹⁾.

ومثل رأي ابن قتيبة قال النحاس⁽²⁾، والسمعاني⁽³⁾، والبغوي⁽⁴⁾، والفخر الرازي⁽⁵⁾، والنسفي⁽⁶⁾، وابن جزري⁽⁷⁾، والمحلي⁽⁸⁾، فهؤلاء الأئمة اتفقوا مع ابن قتيبة في أن معنى ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ أي: « صرعه على الأرض بأن جعل أحد جبنيه على الأرض، وللوجه جبينان والجبهة بينهما»⁽⁹⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(321).

(٢) معاني القرآن (51/6).

(٣) تفسير القرآن (142/3).

(٤) معالم التنزيل (33/4).

(٥) التفسير الكبير (137/26).

(٦) مدارك التنزيل (25/4).

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (174/3).

(٨) تفسير الجلالين ص(594).

(٩) انظر: معالم التنزيل للبغوي (33/4)، والتفسير الكبير للرازي (137/26).

ويرى آخرون أن معنى ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ «أي: صرعه على وجهه ليدبجه من

قفاه ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه»⁽¹⁾ وذهب إلى هذا:
السمرقندي⁽²⁾، وابن كثير⁽³⁾.

أما البيضاوي⁽⁴⁾، وأبو السعود⁽⁵⁾، والشوكاني⁽⁶⁾، والألوسي⁽⁷⁾، فأوردوا
فأوردوا القولين معاً عند تفسيرهم للآية.

والذي يظهر -والله أعلم- أن ما ذهب إليه ابن قتيبة وموافقوه هو الأصح،

لاستنادة على «ما صح في اللغة العربية»⁽⁸⁾، فأهل اللغة قالوا: «الجبين: فوق

الصدغ، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها»⁽⁹⁾، «والناس لا يكادون يفرقون

بين الجبين والجبهة، فالجبهة مسجد الرجل الذي يصيبه ندب السجود، والجبينان

يكتنفانها، من كل جانب جبين»⁽¹⁰⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) هذه عبارة ابن كثير في تفسيره (16/4).

(٢) بحر العلوم (142/3).

(٣) تفسير القرآن العظيم (16/4).

(٤) أنوار التنزيل (21/5).

(٥) إرشاد العقل السليم (201/7).

(٦) فتح القدير (404/4).

(٧) روح المعاني (130/23).

(٨) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).

(٩) لسان العرب لابن منظور (85/13).

(١٠) زاد المسير لابن الجوزي (76/7).

معنى: ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾

83- قال تعالى: ﴿فَالْقَمَّةُ الْخَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [سورة الصافات: 142].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: مذنب، يقال: ألامَ

الرجل؛ إذا أذنب ذنباً يلام عليه»⁽¹⁾.

هذا الذي ذهب إليه ابن قتيبة في بيان معنى ﴿مُلِيمٌ﴾ هو المروي عن

مجاهد⁽²⁾، وقول الواحدي⁽³⁾، والسمعاني⁽⁴⁾، والبغوي⁽⁵⁾، والزمخشري⁽⁶⁾،
والزمخشري⁽⁶⁾، والفخر الرازي⁽⁷⁾، والقرطبي⁽⁸⁾، والبيضاوي⁽⁹⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(322).

(٢) تفسير مجاهد ص(545/2).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/914).

(٤) تفسير القرآن (4/414).

(٥) معالم التنزيل (4/43).

(٦) الكشف (4/63).

(٧) التفسير الكبير (26/143).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (15/124).

(٩) أنوار التنزيل (5/27).

والنسفي⁽¹⁾، وابن جزى⁽²⁾، والمحلي⁽³⁾،
وأبو السعود⁽⁴⁾، والشوكاني⁽⁵⁾، والسعدي⁽⁶⁾، والشنقيطي⁽⁷⁾.

قال الواحدي « ﴿وَهُؤُلِيْمٌ﴾ أتى بما يلام عليه »⁽⁸⁾.

وقال الفخر الرازي: « ﴿وَهُؤُلِيْمٌ﴾ يقال: ألام إذا أتى بما يلام عليه، فالمليم

المستحق للوم الآتي بما يلام عليه »⁽⁹⁾.

وقال النسفي: « ﴿وَهُؤُلِيْمٌ﴾ داخل في الملامة »⁽¹⁰⁾.

وقال الشنقيطي: « استحقاق الملامة في قوله ﴿وَهُؤُلِيْمٌ﴾ لأن المليم اسم فاعل

ألام إذا فعل ما يستوجب الملام »⁽¹¹⁾.

(١) مدارك التنزيل (28/4).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (176/3).

(٣) تفسير الجلالين ص (595).

(٤) إرشاد العقل السليم (205/7).

(٥) فتح القدير (410/4).

(٦) تيسير الكريم الرحمن ص (707).

(٧) أضواء البيان (242/4).

(٨) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (914/2).

(٩) التفسير الكبير (143/26).

(١٠) مدارك التنزيل (28/4).

(١١) أضواء البيان (242/4).

فبمن ذكرت أسماءهم اختصاراً ومن عرضت أقوالهم مثلاً، تبين اتفاقهم في بيان معنى الآية، والله أعلم بالصواب.

معنى: ﴿فَبَدَّنَهُ بِالْعَرَاءِ﴾

84- قال تعالى: ﴿فَبَدَّنَهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [سورة الصافات: 145].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿فَبَدَّنَهُ﴾ ألقيناه ﴿بِالْعَرَاءِ﴾ وهي:

الأرض التي لا يُتوارى فيها بشجر ولا غيره، وكأنه من عري الشيء»⁽¹⁾.

وهذا المعنى الذي ذكره ابن قتيبة في بيان معنى ﴿فَبَدَّنَهُ بِالْعَرَاءِ﴾ قال به أكثر

المفسرين، منهم: النحاس⁽²⁾، والزمخشري⁽³⁾، والفخر الرازي⁽⁴⁾، والقرطبي⁽⁵⁾، والقرطبي⁽⁵⁾، والبيضاوي⁽⁶⁾، والنسفي⁽⁷⁾، وابن جزى⁽⁸⁾، وابن كثير⁽⁹⁾، وأبو السعود⁽¹⁰⁾، والشوكاني⁽¹⁾، والألوسي⁽²⁾، والسعدي⁽³⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(322).

(٢) معاني القرآن (58/6).

(٣) الكشاف (63/4).

(٤) التفسير الكبير (144/26).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (128/15).

(٦) أنوار التنزيل (27/5).

(٧) مدارك التنزيل (28/4).

(٨) التسهيل لعلوم التنزيل (176/3).

(٩) تفسير القرآن العظيم (22/4).

(١٠) إرشاد العقل السليم (205/7).

فقال الزمخشري: « والعراء المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء يغطيه »
(4).

وقال أبو السعود: « ﴿فَبَدَّنَهُ بِالْعَرَاءِ﴾ بأن حملنا الحوت على لفظه بالمكان
الخالي عما يغطيه من شجر أو نبت » (5).

وقال السعدي: « ﴿فَبَدَّنَهُ بِالْعَرَاءِ﴾ بأن قذفه الحوت من بطنه بالعراء وهي
الأرض الخالية العارية من كل أحد بل ربما كانت عارية من الأشجار
والظلال » (6).

وفريق من المفسرين ذكروا أن المراد بالعراء: وجه الأرض، على العموم،
وقال بهذا: الواحدي (7)، والمحلي (8).
أما الفريق الثالث فيذكرون المعنيين معاً عند بيانهم لمعنى الآية، منهم:

(١) فتح القدير (410/4).

(٢) روح المعاني (145/23).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص(707).

(٤) الكشاف (63/4).

(٥) إرشاد العقل السليم (205/7).

(٦) تيسير الكريم الرحمن ص(707).

(٧) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (914/2).

(٨) تفسير الجلالين ص(596).

السمرقندي⁽¹⁾، والسمعاني⁽²⁾، والبغوي⁽³⁾، والشنقيطي⁽⁴⁾.

قال السمعاني: « وقوله ﴿يَا عَرَبَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن العراء وجه

الأرض، والآخر: أنه الموضع الخالي»⁽⁵⁾.

والذي يظهر -والله أعلم- أن المعنيين يجتمعان، وقد « قال أهل اللغة: العراء

هو المكان الخالي من البناء والشجر والنبات»⁽⁶⁾، فالمكان الذي طُرح فيه يونس -العليه السلام- كان خالياً من البناء والشجر؛ فإنه على وجه الأرض، وليس تحت الأرض أو تحت الماء.

ولقد أحسن الشنقيطي حين قال: « وقوله ﴿فَبَدَّنْهُ﴾ أي: طرحناه بأن أمرنا

الحوث أن يلقيه بالساحل، والعراء الصحراء؛ وقول من قال العراء الفضاء أو المتسع من الأرض أو المكان الخالي أو وجه الأرض راجع إلى ذلك»⁽⁷⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) بحر العلوم (145/3).

(٢) تفسير القرآن (416/4).

(٣) معالم التنزيل (43/4).

(٤) أضواء البيان (243/4).

(٥) تفسير القرآن (416/4).

(٦) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (145/3).

(٧) أضواء البيان (243/4).

معنى: ﴿ذُو الْأَوْتَادِ﴾

85- قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ [سورة ص: 12].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿فِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾: ذو البناء المحكم،

والعرب تقول: هم في عز ثابت الأوتاد.. وملك ثابت الأوتاد؛ يريدون أنه دائم شديد.. وأصل هذا أن البيت من بيوتهم يثبت بأوتاده، قال الأسود بن يعفر: في ظل ملك ثابت الأوتاد»⁽¹⁾.

وقال قتادة وغيره: هي أوتاد كانت لفرعون، يعذب بها الرجال، فيمده بين أربعة منها حتى يموت»⁽²⁾.

الذي يظهر - والله أعلم - أن ابن قتيبة يرى أن ﴿ذُو الْأَوْتَادِ﴾ معناها: ذو البناء المحكم، كما أنه يرى أن يكون معناها: أي ذو الأوتاد؛ صاحب الأوتاد التي يُعذب بها الناس.

(1) البيت في ديوان الحماسة المغربية (1402/2).

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة

في ظل ملك ثابت الأوتاد

وقائله هو: الأسود بن يعفر النهشلي، شاعر متقدم فصيح من شعراء الجاهلية، ليس بالكثير،

أدرك الإسلام ولم يُسلم. الأغاني للأصبهاني (17/13)، والإكمال لابن ماكولا (335/7).

(2) تفسير غريب القرآن ص(325).

وعليه فإن عدداً غير قليل من المفسرين قالوا كابن قتيبة، فذكروا المعنيين معاً عند تفسيرهم للآية، فهم بذلك موافقون تماماً له، منهم السمرقندي⁽¹⁾، والسمعاني⁽²⁾، .. والبغوي⁽³⁾، والزمخشري⁽⁴⁾، وابن عطية⁽⁵⁾، والفخر الرازي⁽⁶⁾، والقرطبي⁽⁷⁾، والبيضاوي⁽⁸⁾، وابن جزى⁽⁹⁾، وأبو السعود⁽¹⁰⁾، والشوكاني⁽¹¹⁾، والشوكاني⁽¹¹⁾، والألوسي⁽¹²⁾.

فمثلاً قال السمرقندي: « ﴿وَرَعَوْنَ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ يعني: ذو ملك ثابت شديد دائم،

ويقال: وبناء محكم، ويقال: يعني في عز ثابت، والعرب تقول فلان في عز ثابت الأوتاد يريدون دائماً شديداً، وأصل هذا أن بيوت العرب تثبت بأوتاد. ويقال: هي

(١) بحر العلوم (3/153).

(٢) تفسير القرآن (4/427).

(٣) معالم التنزيل (4/49).

(٤) الكشف (4/77).

(٥) المحرر الوجيز (4/495).

(٦) التفسير الكبير (26/158).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (15/154).

(٨) أنوار التنزيل (5/38).

(٩) التسهيل لعلوم التنزيل (3/180).

(١٠) إرشاد العقل السليم (7/217).

(١١) فتح القدير (4/423).

(١٢) روح المعاني (23/170).

أوتاد كانت لفيعون يعذب بها وكان إذا غضب على أحد شد بأربعة أوتاد»⁽¹⁾.
«⁽¹⁾.

وتمّ فريق آخر من المفسرين ذكروا أن ﴿ذُرَّ الْأَوْتَادُ﴾ يراد بها: الأوتاد المعروفة سواء استخدمت للتعذيب أو للعب بها، فمثلاً قال الطبري: «وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال عنى بذلك الأوتاد إما لتعذيب الناس، وإما للعب؛ كان يلعب له بها، وذلك أن ذلك هو المعروف من معنى الوتد»⁽²⁾. ونحوه قال النحاس⁽³⁾، والنسفي⁽⁴⁾، وابن كثير⁽⁵⁾، والمحلي⁽⁶⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - صحة اعتبار المعنيين تفسيراً للآية، فإن يراد بـ ﴿ذُرَّ

الْأَوْتَادُ﴾ البناء المحكم ونحوه «أظهر الأقول»⁽⁷⁾، و «حمل الكلام على هذا الوجه أولى، لأنه لما وصف بتكذيب الرسل فيجب فيما وصف به أن يكون تفخيماً لأمر ملكه ليكون الزجر بما ورد من قبل الله تعالى عليه من الهلاك مع قوة أمره أبلغ»⁽⁸⁾.

(١) بحر العلوم (153/3).

(٢) جامع البيان (130/23).

(٣) معاني القرآن (84/6).

(٤) مدارك التنزيل (34/4).

(٥) تفسير القرآن العظيم (509/4).

(٦) تفسير الجلالين ص (599).

(٧) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (495/4)، وروح المعاني للآلوسي (170/23).

(٨) انظر: التفسير الكبير للرازي (158/26).



وأن يراد بها الأوتاد المعروفة عند الناس، فإن « ذلك هو المعروف من معنى
الوتد »⁽¹⁾.

والقاعدة المعتبرة عند المفسرين « إن كان للآية عدة معان كلها صحيحة
صح الحمل عليها جميعاً »⁽²⁾ تؤيد ذلك، والله أعلم بالصواب.

(1) انظر: جامع البيان للطبري (130/23).

(2) قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿الصَّفِنْتُ﴾

86- قال تعالى: ﴿عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفِنَاتُ لِجَادِ﴾ [سورة ص: 31].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿الصَّفِنْتُ﴾ الخيل، يقال: هي القائمة على ثلاث قوائم، وقد أقامت اليد الأخرى على طرف الحافر من يد كان أو رجل». والصافن في كلام العرب: الواقف من الخيل وغيرها⁽¹⁾. وهذا الذي قاله ابن قتيبة هو ما ذهب إليه جمهور المفسرين، فمنهم من قال مثل ما قال ابن قتيبة، فأشار إلى معنى الصرفون عموماً في اللغة: وأنه الوقوف، وذكر معنى الصافنات المذكور؛ كالسمرقندي⁽²⁾، والسمعاني⁽³⁾، والبغوي⁽⁴⁾. فمثلاً قال السمعاني: «والصافنات هي الخيل التي قامت على ثلاث قوائم وثني إحدى قوائمه وقام على السنبك، وقيل: والصافن في اللغة: هو القائم⁽⁵⁾». وغالبية المهسرين ذكروا معنى الصافنات، وأنها الخيل التي «ترفع إحدى قوائمها عند الوقوف»⁽⁶⁾، سواء اختصروا العبارة أو أطالوها في ذكر نواحي الجمال في الخيل

(1) تفسير غريب القرآن ص(327).

(2) بحر العلوم (3/159).

(3) تفسير القرآن (4/439).

(4) معالم التنزيل (4/60).

(5) تفسير القرآن (4/439).

(6) هذه عبارة السعدي في تيسير الكريم الرحمن ص(712).

وفضيلتها، فهذا هو المروي عن مجاهد⁽¹⁾، وقول النحاس⁽²⁾، والزمخشري⁽³⁾، وابن عطية⁽⁴⁾، والبيضاوي⁽⁵⁾، والنسفي⁽⁶⁾، وابن جزي⁽⁷⁾، وابن كثير⁽⁸⁾، والمحلي⁽⁹⁾، والثعالبي⁽¹⁰⁾، وأبي السعود⁽¹¹⁾، والشوكاني⁽¹²⁾، والألوسي⁽¹³⁾، والسعدي⁽¹⁴⁾.

قال الزمخشري: «فإن قلت ما معنى وصفها بالصفون، قلت: الصفون لا يكاد يكون في الهجن، وإنما هو في العراب الخلل، وقيل: وصفها بالصفون ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية، يعني إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها، وإذا جرت كانت سراعاً»⁽¹⁵⁾.

(١) تفسير مجاهد (549/2).

(٢) معاني القرآن (108/6).

(٣) الكشف (92/4).

(٤) المحرر الوجيز (503/4).

(٥) أنوار التنزيل (45/5).

(٦) مدارك التنزيل (38/4).

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (184/3).

(٨) تفسير القرآن العظيم (34/4).

(٩) تفسير الجلالين ص (601).

(١٠) الجواهر الحسان (38/4).

(١١) إرشاد العقل السليم (225/7).

(١٢) فتح القدير (430/4).

(١٣) روح المعاني (190/23).

(١٤) تيسير الكريم الرحمن ص (712).

(١٥) الكشف (92/4).

وقال ابن عطية: « والصابن الفرس الذي يرفع إحدى يديه ويقف على طرف سنبكه وقد يفعل ذلك برجله »⁽¹⁾.

وقال الفخر الرازي: « والمقصود وصفها بالفضيلة والكمال حالتي وقوفها وحركتها، أما حال وقوفها فوصفها بالصفون، وأما حال حركتها فوصفها بالجودة، يعني أنها إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها على أحسن الأشكال، فإذا جرت كانت سراعاً في جريها، فإذا طَلَبَتْ لحقت، وإذا طَلَبَتْ لم تُلحق »⁽²⁾.

وقال البيضاوي: « الصابن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك⁽³⁾ يد أو رجل، وهو من الصفات المحمودة في الخيل الذي لا يكاد يكون إلا في العراب الخَلَص »⁽⁴⁾.

وعليه فلا خلاف في بيان معنى الصافنات فيما ذكره « المفسرون »⁽⁵⁾ فإنه فإنه هو « المشهور »⁽⁶⁾ عنهم، والله أعلم بالصواب.

(١) المحرر الوجيز (503/4).

(٢) التفسير الكبير (178/26).

(٣) السنبك طرف الحافر وجانباه من قدم، وجمعه سنايك. انظر: لسان العرب لابن منظور (444/10).

(٤) أنوار التنزيل (45/5).

(٥) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص (327).

(٦) انظر: روح المعاني للألوسي (190/23).

معنى: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا﴾

87- قال تعالى: ﴿هَذَا وَرَبُّكَ لِلطَّغْيَانِ لَشَرٌّ مَتَابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُ اللَّهُ أَصْنَافًا ﴿٥٦﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمًا وَغَسَاقًا ﴿٥٧﴾

﴿وَأَخْرَجَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا﴾ [سورة ص: 55-58].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَأَخْرَجَ مِنْ شَكْلِهِ﴾ أي: من نحوه ﴿أَزْوَاجًا﴾

أي: أصناف»⁽¹⁾.

وكل من وقفت على أقوالهم من المفسرين في بيان المراد بلفظ الأزواج في الآية؛ لم يخرجوا عن الأصناف أو الألوان أو الأنواع أو الأجناس.

ومن أمثلة ما قالوه، قال الطبري: « وقوله ﴿أَزْوَاجًا﴾ أي: أصناف وألوان من

العذاب»⁽²⁾.

وقال القرطبي: « و ﴿أَزْوَاجًا﴾ أي: أصناف وألوان من العذاب»⁽³⁾.

وقال الشوكاني: « وحاصل معنى الآية أن لأهل النار حميمًا وغساقًا وأنواعًا

من العذاب من مثل الحميم والغساق»⁽⁴⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(328).

(٢) جامع البيان (178/23).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (222/15).

(٤) فتح القدير (441/4).

وقال السعدي: « ﴿أَزْوَاجٌ﴾ أي: عدة أصناف من أصناف العذاب يعذبون بها»⁽¹⁾.

وأقوال بقية المفسرين نحو أقوال من ذكرت، فمنهم: النحاس⁽²⁾، والفخر الرازي⁽³⁾، وابن جزري⁽⁴⁾، وابن كثير⁽⁵⁾، والألوسي⁽⁶⁾. فظهر بذلك اتفاقهم، والله أعلم بالصواب.

(١) تيسير الكريم الرحمن ص(715).

(٢) معاني القرآن (130/6).

(٣) التفسير الكبير (193/26).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (188/3).

(٥) تفسير القرآن العظيم (42/4).

(٦) روح المعاني (215/23).

معنى: ﴿فَسَلَكُهُ يَنْبِيعٌ﴾

88 - قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ

فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَمًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾ [سورة الزمر: 21].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿فَسَلَكُهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أدخله فيها،

فجعلله ينابيع: عيوناً تنبع»⁽¹⁾.

ونفس هذا المعنى الذي ذهب إليه ابن قتيبة قاله جمهور المفسرين في بيانهم

لمعنى الآية، منهم: النحاس⁽²⁾، والسمرقندي⁽³⁾، والزمخشري⁽⁴⁾، والفخر

الرازي⁽⁵⁾، وابن جزى⁽⁶⁾، وابن كثير⁽⁷⁾، والمحلي⁽⁸⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(329).

(٢) معاني القرآن (164/6).

(٣) بحر العلوم (173/3).

(٤) الكشف (123/4).

(٥) التفسير الكبير (230/26).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (194/3).

(٧) تفسير القرآن العظيم (50/4).

(٨) تفسير الجلالين ص(609).

..... والشوكاني⁽¹⁾، والسعدي⁽²⁾،

والشنقيطي⁽³⁾.

قال النحاس: « وقوله تعالى: ﴿فَسَلَكُوهُ﴾ أي: فأدخله فجعله ﴿يَنْبِيعٍ﴾ جمع

ينبوع يفعل من نبع ينبع»⁽⁴⁾.

وقال ابن جزى: « معنى سلكه أدخله وأجراه، والينابيع جمع ينبوع وهو

العين، وفي هذا دليل على أن ماء العيون من المطر»⁽⁵⁾.

وجاءت عبارة الشوكاني أشمل وأوسع، فقال: « ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾

أي: من السحاب مطراً ﴿فَسَلَكُوهُ يَنْبِيعٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: فأدخله وأسكنه فيها، والينابيع

جمع ينبوع من نبع الماء ينبع، والينبوع عين الماء، والأمكنة التي ينبع منها الماء،

والمعنى أدخل الماء النازل من السماء في الأرض وجعله فيها عيوناً جارياً، أو جعله

ينابيع أي في أمكنة ينبع منها الماء»⁽⁶⁾.

وبما ذكرته يظهر اتفاقهم في بيان معنى الآية على ما ذكره ابن قتيبة - رحمه

الله - ، والله أعلم بالصواب.

(١) فتح القدير (457/4).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص(722).

(٣) أضواء البيان (328/5).

(٤) معاني القرآن (164/6).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (194/3).

(٦) فتح القدير (457/4).



معنى: ﴿مُتَشَكِّسُونَ﴾

89 - قال تعالى ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ [سورة الزمر: 29].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: «﴿شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ﴾ أي: مختلفون يتنازعون

ويتشاحون فيه، يقال: رجل شكس أي: مُتعب الخلق»⁽¹⁾.

وهذا الذي ذكره في معنى متشاكسون هو المروي عن ابن عباس⁽²⁾، وقول

الطبري⁽³⁾، والسمرقندي⁽⁴⁾، والواحدي⁽⁵⁾، والسمعاني⁽⁶⁾، والبغوي⁽⁷⁾،

والزنجشيري⁽⁸⁾، وابن عطية⁽⁹⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(330).

(٢) تنوير المقباس للفيروز أبادي ص(388).

(٣) جامع البيان (558/23).

(٤) بحر العلوم (176/3).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (933/2).

(٦) تفسير القرآن (468/4).

(٧) معالم التنزيل (78/4).

(٨) الكشف (128/4).

(٩) المحرر الوجيز (529/4).

..... والفخر الرازي⁽¹⁾،

والقرطبي⁽²⁾، والبيضاوي⁽³⁾، والنسفي⁽⁴⁾، وابن جزري⁽⁵⁾، وابن كثير⁽⁶⁾،

والمحلي⁽⁷⁾، والثعالبي⁽⁸⁾، والشوكاني⁽⁹⁾، والألوسي⁽¹⁰⁾، والسعدي⁽¹¹⁾.

فاتفقوا في بيان معنى لفظة ﴿مُشْكُونٌ﴾ وأشاروا إلى كونه مثلاً ضربه الله

تعالى لبيان حال المؤمن الموحد، والمشرك الذي يعبد آلهة متعددة، فمثلاً: قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: مثل الله مثلاً للكافر بالله الذي يعبد آلهة شتى ويطيع

جماعة من الشياطين، والمؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد، يقول تعالى ذكره:

ضرب الله مثلاً لهذا الكافر رجلاً فيه شركاء يقول: هو بين جماعة مالكين

متشاكسين يعني مختلفين متنازعين سيئة أخلاقهم؛ من قولهم رجل شكس إذا كان

سيء الخلق وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه وملكه فيه، ورجلاً سلماً

(١) التفسير الكبير (241/26).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (252/15).

(٣) أنوار التنزيل (65/5).

(٤) مدارك التنزيل (53/4).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (195/3).

(٦) تفسير القرآن العظيم (53/4).

(٧) تفسير الجلالين ص (610).

(٨) الجواهر الحسان (56/4).

(٩) فتح القدير (461/4).

(١٠) روح المعاني (262/23).

(١١) تيسير الكريم الرحمن ص (724).

لرجل يقول: ورجلاً خلوصاً لرجل يعني: المؤمن الموحد الذي أخلص عبادته لله لا يعبد غيره ولا يدين لشيء سواه بالربوبية»⁽¹⁾.

وقال البيضاوي: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ للمشرك الموحد ﴿رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا

سَلَمًا رَجُلًا﴾ مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه من أن يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته ويتنازعا فيه؛ يعبد يتشارك فيه جمع يتجادبونه ويتعاورونه في مهماتهم المختلفة في تحيره وتوزع قلبه، والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره على سبيل والتشاكس التشاخص والاختلاف»⁽²⁾.

وقال ابن كثير: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ﴾ أي: يتنازعون في ذلك

العبد المشترك بينهم ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ أي سالماً ﴿رَجُلًا﴾ أي خالصاً لا يملكه أحد غيره ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ أي: لا يستوي هذا وهذا، كذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله؛ والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، فأين هذا من هذا»⁽³⁾.

وقال السعدي: «ثم ضرب مثلاً للشرك والتوحيد فقال: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا﴾

أي: عبداً ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ﴾ فهم كثيرون وليسوا متفقين على أمر من الأمور وحالة

(١) جامع البيان (558/23).

(٢) أنوار التنزيل (65/5).

(٣) تفسير القرآن العظيم (53/4).

من الحالات حتى تمكن راحته بل هم متشاكسون متنازعون فيه، كل له مطلب يريد تنفيذه ويريد الآخر غيره، فما تظن حال هذا الرجل مع هؤلاء الشركاء المتشاكسين ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا رَجُلٍ﴾ أي: خالصاً له قد عرف مقصود سيده وحصلت له الراحة التامة ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ أي: هذان الرجلان ﴿مَثَلًا﴾ لا يستويان، كذلك المشرك فيه شركاء متشاكسون يدعو هذا ثم يدعو هذا فتراه لا يستقر له قرار ولا يطمئن قلبه في موضع، والموحد مخلص لربه قد خلصه الله تعالى من الشركة لغيره فهو في أتم راحة وأكمل طمأنينة ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا لِّحَمْدِ اللَّهِ﴾ على تبيين الحق من الباطل وإرشاد الجهال «⁽¹⁾».

وكلام أهل اللغة في معنى متشاكسون، قالوا: «الشكس: السيء الخلق، وقيل: هو السيء الخلق في المباينة وغيرها والشركاء المتشاكسون: العسرون المختلفون الذين لا يتفقون» «⁽²⁾».

فبناءً على ما صح معناه في اللغة جاء اتفاق المفسرين في بيان معنى

﴿مُشَكِّسُونَ﴾ وإيضاح المثل الذي ضربه الله تعالى للموحد والمشرك، والله أعلم

بالصواب.

(١) تيسير الكريم الرحمن ص(724).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (6/112)، وتهديب اللغة للأزهري (6/10).

معنى: ﴿مَقَالِيدُ﴾

90- قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٦﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا

يَعَانِتُ اللَّهُ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٦﴾ [سورة الزمر: 63].

قال ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مفاتيحها

وخزائنها، واحدها: إقليد»⁽¹⁾.

فابن قتيبة يرى احتمال معنى المقاليد للمفاتيح وللخزائن، ونفس المعنى قاله عدد غير قليل من المفسرين، منهم: الطبري⁽²⁾، والنحاس⁽³⁾، والسمرقندي⁽⁴⁾، والواحدي⁽⁵⁾، والبغوي⁽⁶⁾، والزمخشري⁽⁷⁾، والفخر الرازي⁽⁸⁾، والقرطبي⁽⁹⁾، والقرطبي⁽⁹⁾، والبيضاوي⁽¹⁾، والنسفي⁽²⁾، وابن جزى⁽³⁾، وابن كثير⁽⁴⁾، كثير⁽⁴⁾، والثعالبي⁽⁵⁾، والشوكاني⁽⁶⁾، والألوسي⁽⁷⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(330).

(٢) جامع البيان (13/25).

(٣) معاني القرآن (189/6).

(٤) بحر العاوم (184/3).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (937/2).

(٦) معالم التنزيل (86/4).

(٧) الكشف (143/4).

(٨) التفسير الكبير (133/27).

(٩) الجامع لأحكام القرآن (274/15).

قال الطبري: « له مفاتيح خزائن السموات والأرض، يفتح منها على من يشاء، ويمسكها عن أحب من خلقه، واحدها مقليد »⁽⁸⁾.

وقال السمرقندي: « يعني مفاتيحها وخزائنها وواحدها إقليد »⁽⁹⁾.

وقال البيضاوي: « ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لا يملك أمرها ولا يتمكن من

التصرف فيها غيره، وهو كناية عن قدرته وحفظه لها، وفيها مزيد دلالة على الاختصاص، لأن الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها إلا من بيده مفاتيحها »⁽¹⁰⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - صحة حمل المقاليد على إرادة المفاتيح أو الخزائن، فقد قال ابن كثير - بعد ذكره للقولين -: « والمعنى على كلا القولين أن أزمة الأمور بيده تبارك وتعالى له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير »⁽¹¹⁾.

(١) أنوار التنزيل (75/5).

(٢) مدارك التنزيل (61/4).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (198/3).

(٤) تفسير القرآن العظيم (62/4).

(٥) الجواهر الحسان (62/4).

(٦) فتح القدير (474/4).

(٧) روح المعاني (21/24).

(٨) جامع البيان (13/25).

(٩) بحر العلوم (184/3).

(١٠) أنوار التنزيل (75/5).

(١١) تفسير القرآن العظيم (62/4).

ولا فرق إن كان واحدا إقليد أو مقلید؛ فأهل اللغة ساووا بينهما فقالوا: «الإقليد المفتاح وهو المقلید والمقلد والإقلاد: كالإقليد، والمقلاد: الخزانة، والمقاليد:

الخزائن وقوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يجوز أن تكون المفاتيح ويجوز أن

تكون الخزائن»⁽¹⁾.

فباتفاق المفسرين وتأيد أهل اللغة، فصح الحمل على المعنيين، والله أعلم

بالصواب.

(1) انظر: لسان العرب لابن منظور (3/366).

معنى: ﴿الطَّوْلِ﴾

91- قال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيدِ﴾ [سورة

غافر: 3].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿الطَّوْلِ﴾ التفضل، يقال: طُلُّ عليٌّ

برحمتك، أي تفضل»⁽¹⁾.

ونفس هذا المعنى قال به كثير من المفسرين، فهو المروي عن ابن عباس⁽²⁾

- رضي الله عنهما - وقول الطبري⁽³⁾، وابن عطية⁽⁴⁾، والنسفي⁽⁵⁾، وابن

جزري⁽⁶⁾، والمحلي⁽⁷⁾، والشوكاني⁽⁸⁾، والألوسي⁽⁹⁾، والسعدي⁽¹⁰⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(332).

(٢) تنوير المقباس للفيروز أبادي ص(392).

(٣) جامع البيان (41/24).

(٤) المحرر الوجيز (546/5).

(٥) مدارك التنزيل (65/4).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (2/4).

(٧) تفسير الجلالين ص(618).

(٨) فتح القدير (481/4).

(٩) روح المعاني (42/24).

(١٠) تيسير الكريم الرحمن ص(731).

فقد قال الطبري: « وقوله: ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ يقول ذي الفضل والنعم المبسوطة على من شاء من خلقه، يقال منه إن فلاناً لذو طول على أصحابه إذا كان ذا فضل عليهم»⁽¹⁾.

وقال ابن كثير: « والمعنى أنه المتفضل على عباده المتطول عليهم بما هم فيه من المن والإنعام التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها»⁽²⁾.

وقال الشوكاني: « وأصل الطَّوْلُ الإنعام والتفضل أي ذي الإنعام على عباده والتفضل عليهم»⁽³⁾.

وأهل اللغة قالوا: « والطَّوْلُ: الفضل، يقال: لفلان على فلان طَوْلٌ، أي فضل»⁽⁴⁾.

فكلام أهل اللغة مؤيدٌ لقول أئمة التفسير، فصح حمل معنى اللفظ عليه، والله أعلم بالصواب.

(١) جامع البيان (41/24).

(٢) تفسير القرآن العظيم (71/4).

(٣) فتح القدير (481/4).

(٤) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (15/14)، وأساس البلاغة للزمخشري ص(399).

معنى: ﴿الْأَزْفَةَ﴾

92- قال تعالى: ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمٍ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ

[سورة غافر: 18].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿الْأَزْفَةَ﴾ القيامة، سميت بذلك لقبها،

يقال: أزفت فهي آزفة، وأزف شخص فلان: أي قرب»⁽¹⁾.

هذا الذي قاله ابن قتيبة في بيان معنى الآزفة هو الذي «قاله الجمهور»⁽²⁾،

فهو قول: الطبري⁽³⁾، والواحدي⁽⁴⁾، والسمعاني⁽⁵⁾، والبغوي⁽⁶⁾،

والنوخشري⁽⁷⁾، وابن عطية⁽⁸⁾، والفخر الرازي⁽⁹⁾، والقرطبي⁽¹⁰⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(333).

(٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (212/7).

(٣) جامع البيان (52/24).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (943/2).

(٥) تفسير القرآن (12/5).

(٦) معالم التنزيل (94/4).

(٧) الكشاف (162/4).

(٨) المحرر الوجيز (552/4).

(٩) التفسير الكبير (44/27).

(١٠) الجامع لأحكام القرآن (302/15).

..... والبيضاوي⁽¹⁾، والنسفي⁽²⁾، وابن جزى⁽³⁾،
 وابن كثير⁽⁴⁾، والمحلي⁽⁵⁾، وأبي السعود⁽⁶⁾، والألوسي⁽⁷⁾، والسعدي⁽⁸⁾، وابن
 عاشور⁽⁹⁾، والشنقيطي⁽¹⁰⁾.

قال البغوي: « وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ » يعني: يوم القيامة، سميت بذلك لأنها قريبة،

إذ كل ما هو آت قريب، نظيره قوله -عجل-: « أَزَفَتِ الْأَرْفَةُ » [سورة النجم: 57]
 أي: قربت القيامة»⁽¹¹⁾.

وقال ابن كثير: « يوم الأرفة اسم من أسماء يوم القيامة، وسميت بذلك

لاقترابها، كما قال تعالى: « أَزَفَتِ الْأَرْفَةُ » لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ » [سورة النجم: 57-58]

58]، وقال -عجل-: « أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ » [سورة القمر: 1]، وقال جل

(١) أنوار التنزيل (88/5).

(٢) مدارك التنزيل (70/4).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (4/4).

(٤) تفسير القرآن العظيم (76/4).

(٥) تفسير الجلالين ص (620).

(٦) إرشاد العقل السليم (272/7).

(٧) روح المعاني (58/24).

(٨) تيسير الكريم الرحمن ص (735).

(٩) التحرير والتنوير (113/24).

(١٠) أضواء البيان (380/6).

(١١) معالم التنزيل (94/4).

وعلا ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [سورة الأنبياء: 1]، وقال: ﴿أَنَّ أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [سورة

النحل: 1] «⁽¹⁾.

وقال السعدي: « يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ﴾ أي: يوم

القيامة التي قد أزفت وقربت، وأن الوصول إلى أهوالها، وقلاقلها، وزلازلها»⁽²⁾.

فإجماع الجمهور⁽³⁾ المبني على دلالة آيات أخرى من القرآن⁽⁴⁾ على المعنى

المعنى دليل رجحانه، والله أعلم بالصواب.

(١) تفسير القرآن العظيم (76/4).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص(735).

(٣) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (288/1).

(٤) انظر: شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

معنى: ﴿مَنْ أَكْمَاهَا﴾

93 - قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَاهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءِي قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مَنَا مِنْ شَهِيدٍ ﴿١٧﴾﴾ [سورة فصلت: 47].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَاهَا﴾ أي: من

المواضع التي كانت فيها مستترة، وغلاف كل شيء: كمه، وإنما قيل: كم القميص؛ من هذا»⁽¹⁾.

بدراسة أقوال المفسرين في بيان المراد بالأكماء في هذه الآية يلاحظ اجتماع ما ذكروه على معنى الشيء الذي يستر أو يكون غلافاً أو وعاءً ونحو ذلك. فمثلاً قال النحاس: «أي وما تخرج من ثمرة من غلافها الذي كانت فيه وذلك أول ما تطلع، وغلاف كل شيء كمه»⁽²⁾.

وقال السمرقندي: « ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَاهَا﴾ يعني: حين تطلع وغلاف

كل شيء كمه، أي تخرج من موضعها الذي كانت فيه»⁽³⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(337).

(٢) معاني القرآن (282/6).

(٣) بحر العلوم (220/3).

وقال النسفي: « ﴿مِنْ أَكْمَاهَا﴾ أو عينها قبل أن تنشق، جمع كم⁽¹⁾ ».

وقال السعدي: « ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتِ يَنْ أَكْمَاهَا﴾ أي: وعائها الذي تخرج منه،

وهذا شامل لثمرات جميع الأشجار التي في البلدان والبراري، فلا تخرج ثمرة شجرة من الأشجار إلا وهو يعلمها تفصيلاً⁽²⁾ ».

وقال الشوكاني: « والأكام جمع كم بكسر الكاف وهو وعاء الثمرة،

ويطلق على كل ظرف لمال أو غيره⁽³⁾ ».

ونحو عبارات من ذكرتهم؛ قال: الواحدي⁽⁴⁾، والسمعاني⁽⁵⁾،

والبغوي⁽⁶⁾، والزمخشري⁽⁷⁾، والقرطبي⁽⁸⁾، والبيضاوي⁽⁹⁾، والمحلي⁽¹⁰⁾،

وأبوالسعود⁽¹¹⁾، والألوسي⁽¹²⁾ ».

(١) مدارك التنزيل (93/4).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص(751).

(٣) فتح القدير (521/4).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (958/2).

(٥) تفسير القرآن (58/5).

(٦) معالم التنزيل (117/4).

(٧) الكشف (209/4).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (371/15).

(٩) أنوار التنزيل (118/5).

(١٠) تفسير الجلالين ص(637).

(١١) إرشاد العقل السليم (17/8).

(١٢) روح المعاني (2/25).

فتبين - والله أعلم - بما ذكرته من أقوال بعضهم والإشارة إلى البقية؛
اجتماعهم على المعنى المراد من عباراتهم المتنوعة لفظاً، الموصلة إلى معنى واحد، والله
أعلم بالصواب.

معنى: ﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾

94- قال تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ [سورة الشورى: 11].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ يريد: الإناث،

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ يريد: جعل للأنعام منها أزواجاً؛ أي: إناثاً، ﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾ أي:

يخلقكم في الرحم، أو في الزوج»⁽¹⁾.

تنوع أقوال المفسرين في بيان معنى هذه الآية بناء على مرجع الضمير المتصل

في قوله: ﴿فِيهِ﴾، فمن المفسرين من يرى رجوع الضمير إلى الجعل المدلول عليه

بالفعل ﴿جَعَلَ﴾، منهم:

الواحد قال: « ﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾ أي: يكثر كم يجعله لكن حلائل، لأنهن سبب

النسل»⁽²⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(338).

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/961).

ابن عطية: « وقوله ﴿فِيهِ﴾ الضمير عائد على الجعل الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمْ﴾، وهذا كما تقول: كلمت زيدًا كلامًا أكرمته فيه ⁽¹⁾.

السعدي: « ﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾ أي: يثكم ويكثركم ويكثر مواشيكم، بسبب أن جعل لكم من أنفسكم وجعل لكم من الأنعام أزواجًا ⁽²⁾.

ونحوًا من هذا قال كل من: المحلي ⁽³⁾، وابن عاشور ⁽⁴⁾.
ومن المفسرين من يرى رجوع الضمير إلى التدبير، منهم:
البيضاوي، حيث قال: « ﴿فِيهِ﴾ في هذا التدبير وهو جعل الناس والأنعام أزواجًا يكون بينهم توالد فإنه كالمنبع للث والتكبير ⁽⁵⁾.

النسفي: « ﴿فِيهِ﴾ في هذا التدبير وهو أن جعل الناس والأنعام أزواجًا حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل، واختير (فيه) على (به) لأنه جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للث والتكثير ⁽⁶⁾.

(١) المحرر الوجيز (28/5).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص(754).

(٣) تفسير الجلالين ص(639).

(٤) التحرير والتنوير (45/25).

(٥) أنوار التنزيل (123/5).

(٦) مدارك التنزيل (97/4).

البقاعي: « ﴿يَذَرُوكُمْ﴾ أي: يخلقكم ويكثركم، ولما كان الأزواج في غاية

المحبة للزوج بحيث أنه مستولٍ على القلوب كان كأنه محيط بهم فقال (فيه) أي: في ذلك التزاوج بحيث يجعلكم مولعين به، من قوله ذرأه: خلقه وكثره وأولعه بالشيء، فيكون لكم في الأزواج من البشر نطفًا وجمالاً وولادة، وفي الأنعام غذاءً وشراباً وأكلاً، وغير ذلك مما لكم فيه من المنافع، ولا تزالون في هذا الوجه من الخلق والتزاوج نسلاً بعد نسل وجيلاً بعد جيل»⁽¹⁾.

وبنحو هذا جاء كلام الزمخشري⁽²⁾، والفخر الرازي⁽³⁾.

ومن المفسرين من لم يحدد قولاً واحداً بعينه معنى للآية إنما يذكر عدة أقوال تحت تفسير الآية دون ترجيح بينها، فمنهم:

البعوي قال: « ﴿يَذَرُوكُمْ﴾ يخلقكم ﴿فيه﴾ أي: في الرحم، وقيل: في البطن، وقيل: على هذا الوجه من الخلقة»⁽⁴⁾.

القرطبي: « ﴿يَذَرُوكُمْ﴾ أي: يخلقكم وينشؤكم ﴿فيه﴾ أي: في الرحم، وقيل: في البطن وقيل: إن الهاء في ﴿فيه﴾ للجعل، ودل عليه ﴿جَعَلَ﴾ فكأنه قال: يخلقكم ويكثركم في الجعل»⁽⁵⁾.

(١) نظم الدرر (606/6).

(٢) الكشف (217/4).

(٣) التفسير الكبير (129/27).

(٤) معالم التنزيل (121/4).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (8/16).

ابن جزى: « والضمير الجرور يعود على الجعل الذي يتضمنه قوله ﴿جَعَلَ لَكُمْ﴾، وهذا كما تقول كلمت زيذاً كلاماً أكرمته فيه، وقيل الضمير للتزويج الذي دل عليه قوله أزواجاً»⁽¹⁾.

الشنقيطي: « الضمير في قوله ﴿فِيهِ﴾ راجع إلى ما ذكر من الذكور والإناث من بني آدم والأنعام في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ سواء قلنا إنَّ المعنى: أنه جعل للآدميين إناثاً من أنفسهم أي: من جنسهم وجعل للأنعام أيضاً إناثاً كذلك، أو قلنا إن المراد بالأزواج الذكور والإناث منهنما معاً، وإذا كان ذلك كذلك؛ فمعنى الآية الكريمة يدرؤكم أي يخلقكم ويشكم وينشركم فيه، أي: فيما ذكر من الذكور والإناث، أي في ضمنه، عن طريق التناسل كما هو معروف»⁽²⁾.

ونحو كلامهم كلام ابن الجوزي⁽³⁾، والخازن⁽⁴⁾، والشوكاني⁽⁵⁾.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (18/4).

(٢) أضواء البيان (58/7).

(٣) زاد المسير (275/7).

(٤) لباب التأويل (118/6).

(٥) فتح القدير (528/4).

والذي يظهر - والله أعلم - صحة ما قاله جميع المفسرين، فيصح رجوع الضمير إلى الجعل المدلول عليه بالفعل ﴿جَعَلَ﴾، وكذلك يصح رجوعه إلى التدبير، أو إلى الرحم، أو البطن، أو الزوج، أو ما ذكر في الآية من الذكور والإناث من بني آدم والأنعام، سواء أريد بالأزواج الإناث من الآدميين والأنعام، أو أريد بالأزواج الذكور والإناث منهما معاً.

والسبب في صحة إرجاعه إلى كل ما ذكر أن كل مراجع الضمير التي ذكرها المفسرون ليس فيها أي: مرجع ظاهر مذكور، إنما كلها مراجع مقدرة يستدل عليها بكلمات أو عبارات مذكورة تدل عليها، ولذا فلا مانع من إرجاع الضمير إلى كل ما ذكر من الأقوال، والله أعلم بالصواب.

معنى: ﴿مُقْرِنِينَ﴾

95- قال تعالى: ﴿لَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا

كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ [سورة الزخرف: 13].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ أي: مطيقين، يقال:

أنا مقرون لك؛ أي: مطيق لك»^(١).

ونفس المعنى الذي قاله ابن قتيبة؛ قاله أيضاً: النحاس^(٢)، والسمرقندي^(٣)،
والواحدي^(٤)، والسمعاني^(٥)، والزمخشري^(٦)، والبيضاوي^(٧)، والنسفي^(٨)،
والنسفي^(٨)، والمحلي^(١)، وأبو السعود^(٢)، والشوكاني^(٣)، والألوسي^(٤)،
والسعدي^(٥)، والشنقيطي^(٦).

(١) تفسير غريب القرآن ص(341).

(٢) معاني القرآن (340/6).

(٣) بحر العلوم (240/3).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (971/2).

(٥) تفسير القرآن (93/5).

(٦) الكشف (243/4).

(٧) أنوار التنزيل (140/5).

(٨) مدارك التنزيل (110/4).

قال الواحدي: « ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ أي: مطيقين »⁽⁷⁾.

وقال النسفي: « ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ مطيقين، يقال أقرن الشيء إذا أطاقه،

وحقيقة أقرنه وجده قرينته لأن الصعب لا يكون قرينة للضعيف »⁽⁸⁾.

وقال السعدي: « ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ أي: لولا تسخيرها لنا ما سخر من

الفلك والأنعام ما كنا مطيقين لذلك وقادرين عليه، ولكن من لطفه وكرمه تعالى سخرها وذلّلها ويسر أسبأها، والمقصود من هذا بيان أن الرب الموصوف بما ذكره من إفاضة النعم على العباد هو الذي يسحق أن يُعبد، ويُصلى له ويُسجد »⁽⁹⁾.

ومع ورود معانٍ أخرى للآية؛ فقد قيل في معناها: « مالكين »⁽¹⁰⁾، وقيل:

« ضابطين »⁽¹¹⁾، وقيل: « مقاومين »⁽¹⁾، إلا أن الراجح هو ما ذكره ابن قتيبة

(١) تفسير الجلالين ص(648).

(٢) إرشاد العقل السليم (41/8).

(٣) فتح القدير (550/4).

(٤) روح المعاني (69/25).

(٥) تيسير الكريم الرحمن ص(763).

(٦) أضواء البيان (87/7).

(٧) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (971/2).

(٨) مدارك التنزيل (110/4).

(٩) تيسير الكريم الرحمن ص(763).

(١٠) حكاية السمرقندي في بحر العلوم (240/3).

(١١) حكاية البغوي في معالم التنزيل (135/4).

وموافقوه؛ لتأييد « أهل اللغة »⁽²⁾ له؛ كما حكى ذلك النحاس⁽³⁾،
والسمرقندي⁽⁴⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) حكاه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (124/4).

(٢) انظر: كتاب العين للفراهيدي (143/5).

(٣) معاني القرآن (340/6).

(٤) بحر العلوم (240/3).

معنى: ﴿يَظْهَرُونَ﴾

96 - قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ

عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ [سورة الزخرف: 33].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ أي: يعلون، يقال:

ظهرت على البيت؛ إذا علوت سطحه»⁽¹⁾.

وبمثل عبارة ابن قتيبة قال الزمخشري⁽²⁾، والبيضاوي⁽³⁾، والنسفي⁽⁴⁾،

والمحلي⁽⁵⁾، وأبو السعود⁽⁶⁾، وابن عاشور⁽⁷⁾.

وعبارات غيرهم من المفسرين متنوعة على سبيل الترادف لا التنازع

والتضاد، فمنهم: النحاس⁽⁸⁾، والسمرقندي⁽⁹⁾، والواحدي⁽¹⁾، والسمعي⁽²⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(343).

(٢) الكشاف (253/4).

(٣) أنوار التنزيل (145/5).

(٤) مدارك التنزيل (114/4).

(٥) تفسير الجلالين ص(650).

(٦) إرشاد العقل السليم (46/8).

(٧) التحرير والتنوير (206/25).

(٨) معاني القرآن (354/6).

(٩) بحر العلوم (244/3).

والسمعاني⁽²⁾، والبغوي⁽³⁾، والقرطبي⁽⁴⁾، وابن كثير⁽⁵⁾، والشوكاني⁽⁶⁾،
والألوسي⁽⁷⁾، والسعدي⁽⁸⁾، والشنقيطي⁽⁹⁾.

فمثلاً قال الواحدي: «عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ» يعلون ويصعدون⁽¹⁰⁾.

وقال البغوي: «عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ» يعلون ويرتقون، يقال: ظهرت على السطح

إذا علوته⁽¹¹⁾.

وقال القرطبي: «عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ» أي: على المعارج يرتقون ويصعدون يقال:

ظهرت على البيت، أي: علوت سطحه، وهذا لأن من علا شيئاً وارتفع عليه ظهر
للناظرين⁽¹²⁾.

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (974/2).

(٢) تفسير القرآن (101/5).

(٣) معالم التنزيل (138/4).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (85/16).

(٥) تفسير القرآن العظيم (128/4).

(٦) فتح القدير (554/4).

(٧) روح المعاني (79/25).

(٨) تيسير الكريم الرحمن ص (765).

(٩) أضواء البيان (115/7).

(١٠) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (974/2).

(١١) معالم التنزيل (138/4).

(١٢) الجامع لأحكام القرآن (85/16).

وقال الشنقيطي: «﴿يَظْهَرُونَ﴾ أي: يصعدون ويرتفعون حتى يصيروا على

ظهور البيوت، ومن ذلك المعنى قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (١٧)

[سورة الكهف: 97] «(1).

فالمفسرون متفقون على أن معنى الظهور: العلو والارتفاع، وهو متوافق مع ما ورد في الحديث عن النبي ﷺ وفيه: (اللهم ربّ السموات وربّ الأرض، أنت الظاهر فليس فوقك شيء) (2)، فلا جرم بعد ذلك أن يقول به خطيب أهل السنة الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-، والله أعلم بالصواب.

(1) أضواء البيان (115/7).

(2) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع حديث رقم (2713) عن أبي هريرة ؓ.

معنى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾

97- قال تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة الزخرف:

[55].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ أي: أغضبونا، والأسف:

الغضب، يقال: أسفت آسف أسفاً؛ أي غضبت⁽¹⁾.

وما ذهب إليه ابن قتيبة هو نفسه ما ذهب إليه جمهور المفسرين، فهو المروي

عن ابن عباس⁽²⁾، ومجاهد⁽³⁾، وقول الطبري⁽⁴⁾، والنحاس⁽⁵⁾،

والسمرقندي⁽⁶⁾، والواحدي⁽⁷⁾، والسمعاني⁽⁸⁾، والبغوي⁽⁹⁾، وابن عطية⁽¹⁰⁾،

عطية⁽¹⁰⁾، والقرطبي⁽¹⁾، والبيضاوي⁽²⁾، والنسفي⁽³⁾، وابن كثير⁽⁴⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(344).

(٢) تنوير المقباس للفيروز آبادي ص(414).

(٣) تفسير مجاهد (582/2).

(٤) جامع البيان (84/25).

(٥) معاني القرآن (372/6).

(٦) بحر العلوم (248/3).

(٧) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (976/2).

(٨) تفسير القرآن (110/5).

(٩) معالم التنزيل (142/4).

(١٠) المحرر الوجيز (60/5).

والمحلي⁽⁵⁾، والثعالبي⁽⁶⁾، والبقاعي⁽⁷⁾، وأبي السعود⁽⁸⁾، والشوكاني⁽⁹⁾،
والسعدي⁽¹⁰⁾، وابن عاشور⁽¹¹⁾، والشنقيطي⁽¹²⁾.

قال الواحدي: « ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا ﴾ أغضبونا بكفرهم»⁽¹³⁾.

وقال ابن عطية: « و ﴿ آسَفُونَا ﴾ معناه أغضبونا؛ بلا خلاف، وإغضاب الله

تعالى هو أن تعمل الأعمال الخبيثة التي تظهر من أجلها أفعاله الدالة على إرادة
السوء بمن شاء»⁽¹⁴⁾.

(١) الجامع لأحكام القرآن (101/16).

(٢) أنوار التنزيل (149/5).

(٣) مدارك التنزيل (117/4).

(٤) تفسير القرآن العظيم (131/4).

(٥) تفسير الجلالين ص (653).

(٦) الجواهر الحسان (368/2).

(٧) نظم الدرر (38/7).

(٨) إرشاد العقل السليم (50/8).

(٩) فتح القدير (560/4).

(١٠) تيسير الكريم الرحمن ص (768).

(١١) التحرير والتنوير (234/25).

(١٢) أضواء البيان (122/7).

(١٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (976/2).

(١٤) المحرر الوجيز (60/5).

وقال الشوكاني: « ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا ﴾ قال المفسرون: أغضبونا؛ والأسف:

الغضب، وقيل: أشد الغضب، وقيل: السخط»⁽¹⁾.

وقال الشنقيطي: « قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا أَنْفَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ آسفونا معناه:

أغضبونا وأسخطونا، وكون المراد بالأسف الغضب يدل عليه إطلاق الأسف على

أشد الغضب في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ﴾ [سورة الأعراف: 150]

«⁽²⁾».

فظهر -والله أعلم- اتفاقهم على المعنى المذكور لكونه من تفسير القرآن

بالقرآن⁽³⁾، فقد دلت عليه آية أخرى، وأجمع «المفسرون»⁽⁴⁾ عليه «بلا

خلاف»⁽⁵⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) فتح القدير (560/4).

(٢) أضواء البيان (122/7).

(٣) انظر: شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص (127).

(٤) انظر: فتح القدير للشوكاني (560/4).

(٥) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (60/5).

معنى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾

98 - قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونَّ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [سورة

الزخرف: 61].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي: نزول المسيح -

عليه السلام - يُعلم به قرب الساعة، ومن قرأ « لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ » فإنه يعني العلامة والدليل»⁽¹⁾.

وهذا الذي قاله ابن قتيبة هو الذي أجمع عليه المفسرون، فهو المروي عن ابن

عباس⁽²⁾، ومجاهد⁽³⁾، وقول النحاس⁽⁴⁾، والسمرقندي⁽⁵⁾، والواحدي⁽⁶⁾،
والسمعاني⁽⁷⁾، والبغوي⁽⁸⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(345).

(٢) تنوير المقباس للفيروز آبادي ص(415).

(٣) تفسير مجاهد (583/2).

(٤) معاني القرآن (380/6).

(٥) بحر العلوم (249/3).

(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (977/2).

(٧) تفسير القرآن (113/5).

(٨) معالم التنزيل (143/4).

والزحشري⁽¹⁾، والفخر الرازي⁽²⁾، والقرطبي⁽³⁾، والبيضاوي⁽⁴⁾، والنسفي⁽⁵⁾،
والنسفي⁽⁵⁾، وابن جزى⁽⁶⁾، وابن كثير⁽⁷⁾، وأبي السعود⁽⁸⁾، والشوكاني⁽⁹⁾،
والشوكاني⁽⁹⁾، والألوسي⁽¹⁰⁾، والسعدي⁽¹¹⁾، والشنقيطي⁽¹²⁾.

قال النحاس: « ومعنى ﴿لَعَلَّمْ لِّلسَّاعَةِ﴾ يعلم بنزول عيسى - ﷺ - أن

الساعة قد قربت »⁽¹³⁾.

وقال الفخر الرازي: « ﴿وَأَنَّهُ﴾ أي: عيسى - ﷺ - ﴿لَعَلَّمْ لِّلسَّاعَةِ﴾ شرط

من أشراتها تعلم به، فسمي الشرط الدال على الشيء علماً؛ لحصول العلم به
«⁽¹⁴⁾.

(١) الكشاف (264/4).

(٢) التفسير الكبير (191/27).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (105/16).

(٤) أنوار التنزيل (150/5).

(٥) مدارك التنزيل (118/4).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (32/4).

(٧) تفسير القرآن العظيم (133/4).

(٨) إرشاد العقل السليم (52/8).

(٩) فتح القدير (562/4).

(١٠) روح المعاني (92/25).

(١١) تيسير الكريم الرحمن ص (768).

(١٢) أضواء البيان (128/7).

(١٣) معاني القرآن (380/6).

(١٤) التفسير الكبير (191/27).

وقال أبو السعود: ﴿وَإِنَّهُ﴾ وإن عيسى -عليه السلام- ﴿لَعَلَّمْ لِلسَّاعَةِ﴾ أي: إنه

نزلوه شرط من أشراتها وتسميته علماً لحصوله به ⁽¹⁾.

وأفاض الشنقيطي في بيان المعنى واستطرد، فأقتطع من كلامه موضع الشاهد

منه، حيث قال: « قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمْ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُنَّ بِهَا﴾ التحقيق أن الضمير في

قوله ﴿وَإِنَّهُ﴾ راجع إلى عيسى -عليه السلام-، لا إلى القرآن، ولا إلى النبي ﷺ.

ومعنى قوله ﴿لَعَلَّمْ لِلسَّاعَةِ﴾ على القول الحق الصحيح الذي يشهد له القرآن

العظيم والسنة المتواترة هو أن نزول عيسى -عليه السلام- في آخر الزمان حياً علم

للساعة أي علامة لقرب مجيئها لأنه من أشراتها الدالة على قربها. وإطلاق علم

الساعة على نفس عيسى -عليه السلام- جار على أمرين كلاهما أسلوب عربي معروف:

أحدهما: أن نزول عيسى -عليه السلام- المذكور لما كان علامة لقربها كانت

تلك العلامة سبباً لعلم قربها فأطلق في الآية المسبب وأريد السبب؛ وإطلاق المسبب

وإرادة السبب أسلوب عربي معروف في القرآن وفي كلام العرب، ومن أمثلته في

القرآن قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُم آيَاتِهِ وَيُرْسِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ (13)

[سورة غافر: 13]، فالرزق مسبب عن المطر والمطر سببه فأطلق المسبب الذي هو

الرزق وأريد سببه الذي هو المطر للملابسة القوية التي بين السبب والمسبب.

(1) إرشاد العقل السليم (52/8).

والثاني من الأمرين: أن غاية ما فيه أن الكلام على حذف مضاف والتقدير وإنه لذو علم للساعة أي: وإنه لصاحب إعلام الناس بقرب مجيئها لكونه علامة لذلك وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كثير في القرآن وكلام العرب. أما دلالة القرآن الكريم على هذا القول الصحيح ففي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَأَلَا يُؤْمِنُونَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [سورة النساء: 159]، أي: ليؤمنن بعيسى -عليه السلام- قبل موت عيسى -عليه السلام- وذلك صريح في أن عيسى -عليه السلام- حيّ وقت نزول آية النساء هذه وأنه لا يموت حتى يؤمن به أهل الكتاب، ومعلوم أنهم لا يؤمنون به إلا بعد نزوله إلى الأرض فاتضح مما ذكرنا أن آية الزخرف هذه تبينها آية النساء المذكورة وأن عيسى -عليه السلام- لم يمت وأنه ينزل في آخر الزمان، وإنما قلنا إن قوله تعالى هنا ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِسَاعَةَ﴾ أي: علامة ودليل على قرب مجيئها لأن وقت مجيئها بالفعل لا يعلمه إلا الله -عز وجل- «(1)».

فبما ذكرته تبين اتفاقهم على المعنى الراجح، وأما القول بأنه يراد به القرآن الكريم أو النبي ﷺ، فلم يجزم أحد به معنىً للآية، إنما ذكره الماوردي (2) ضمن أقوال أخرى، وأشار إليه الشنقيطي في كلامه المذكور آنفاً دون ترجيح، والله أعلم بالصواب.

(1) أضواء البيان (128/7) بتصرف.

(2) النكت والعيون (235/5).

معنى: ﴿مُبْلِسُونَ﴾

99- قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة

الزخرف: 74-75].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ أي: يائسون من رحمة

الله»⁽¹⁾.

وبنفس عبارة ابن قتيبة فسرها: السمرقندي⁽²⁾، والقرطبي⁽³⁾.

وقيل في معنى ﴿مُبْلِسُونَ﴾: «آيسون من كل خير» وهذا المعنى مروى عن

ابن عباس⁽⁴⁾، وقال به النحاس⁽⁵⁾، والبغوي⁽⁶⁾، وابن عطية⁽⁷⁾، وابن جزي⁽⁸⁾،
جزي⁽⁸⁾، وابن كثير⁽¹⁾، والسعدي⁽²⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(345).

(٢) بحر العلوم (251/3).

(٣) الجامع لأحكام القرآن 115/016.

(٤) تنوير المقياس للفيروز آبادي ص(416).

(٥) معاني القرآن (385/6).

(٦) معالم التنزيل (314/3).

(٧) المحرر الوجيز (64/5).

(٨) التسهيل لعلوم التنزيل (32/4).

وقيل أيضاً: ﴿مُبْسُونَ﴾ أي: آيسون من النجاة أو الفرج، فاستسلموا للعذاب والبلاء، قاله: الطبري⁽³⁾، والبيضاوي⁽⁴⁾، والنسفي⁽⁵⁾، وأبو السعود⁽⁶⁾.
وقيل معناها: « ساكتون سكوت يأس » وهو قول الواحدي⁽⁷⁾،
والسمعاني⁽⁸⁾، والزمخشري⁽⁹⁾، والفخر الرازي⁽¹⁰⁾، والمحلي⁽¹¹⁾.
أما الشوكاني فقد جمع معنيين معاً اعتبرهما تفسيراً للآية، فقال: « ﴿وَهُمْ فِيهِ﴾

﴿مُبْسُونَ﴾ أي: آيسون من النجاة، وقيل: ساكتون سكوت يأس »⁽¹²⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - أن المعاني كلها الواردة عن الأئمة المفسرين يصح حمل الآية عليها، فإنه لا تنافر بينها وكلها تجتمع على المعنى نفسه، وقد قال أهل اللغة: « وأبلس: سكت، وأبلس من رحمة الله: يئس وندم، والمبلس: اليائس،

(١) تفسير القرآن العظيم (4/136).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص(770).

(٣) جامع البيان (25/98).

(٤) أنوار التنزيل (5/153).

(٥) مدارك التنزيل (4/120).

(٦) إرشاد العقل السليم (8/55).

(٧) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/978).

(٨) تفسير القرآن (5/117).

(٩) الكشاف (4/266).

(١٠) التفسير الكبير (27/194).

(١١) تفسير الجلالين ص(654).

(١٢) فتح القدير (4/565).

ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون عنده جواب: قد أبلس،
والمبلس: الساكت من الحزن أو الخوف، والإبلاس الحيرة، ويقال: أبلس فلان إذا
سكت غمًا⁽¹⁾.

فتبين صحة جميع المعاني، واعتبارها جميعًا معنى للآية⁽²⁾، والله أعلم
بالصواب.

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (29/6).

(٢) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿حُدُوهُ فَأَعْتَلُوهُ﴾

100 - قال تعالى: ﴿حُدُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [سورة الدخان: 47].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿حُدُوهُ فَأَعْتَلُوهُ﴾ أي: قودوه بالعنف؛

يقال: جيء بفلان يعتل إلى السلطان؛ أي: يقاد ﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ وسط

النار»⁽¹⁾.

وهذا المعنى الذي ذكره ابن قتيبة هو الذي ذهب إليه جمهور المفسرين؛ منهم: النحاس⁽²⁾، والسمرقندي⁽³⁾، والسمعاني⁽⁴⁾، والزمخشري⁽⁵⁾، وابن عطية⁽⁶⁾، والفخر الرازي⁽⁷⁾، وابن كثير⁽⁸⁾، والشوكاني⁽⁹⁾، والألوسي⁽¹⁰⁾، وابن عاشور⁽¹¹⁾، والشنقيطي⁽¹⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(347).

(٢) معاني القرآن (413/6).

(٣) بحر العلوم (260/3).

(٤) تفسير القرآن (131/5).

(٥) الكشف (284/4).

(٦) المحرر الوجيز (76/5).

(٧) التفسير الكبير (215/27).

(٨) تفسير القرآن العظيم (146/4).

(٩) فتح القدير (578/4).

(١٠) روح المعاني (133/25).

(١١) التحرير والتنوير (315/25).

قال ابن عطية: «حُدُوهُ فَأَعْتَلُوهُ» والعتل السوق بعنف وإهانة ودفع قوي متصل كما يُساق أبدأً مرتكب الجرائم»⁽²⁾.

وقال ابن كثير: «فَأَعْتَلُوهُ» أي: سوقوه سحباً ودفعاً في ظهره»⁽³⁾.

وقال الشوكاني: «حُدُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ» أي: يقال للملائكة الذين

هم خزنة النار «حُدُوهُ» أي: الأثيم «فَأَعْتَلُوهُ» العتل القود بالعنف يقال: عتله يعتله إذا جرّه وذهب به إلى مكروه»⁽⁴⁾.

فالظاهر -والعلم عند الله تعالى- إجماع المفسرين واتفاقهم على المعنى الذي ذهب إليه ابن قتيبة، فصح حمل معنى الآية عليه، بل إنه أيضاً «قول جميع أهل اللغة»⁽⁵⁾ كما قال ذلك الفخر الرازي⁽⁶⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) أضواء البيان (453/7).

(٢) المحرر الوجيز (76/5).

(٣) تفسير القرآن العظيم (146/4).

(٤) فتح القدير (578/4).

(٥) انظر: كتاب العين للفراهيدي (69/2)، وتهذيب للأزهري (160/2)، ومعجم مقاييس اللغة لابن

فارس (223/4)، ولسان العرب لابن منظور (423/11)، ومختار الصحاح ص(173).

(٦) التفسير الكبير (215/27).

معنى: ﴿عَلَى شَرِيعَةٍ﴾

101- قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ

الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ [سورة الجاثية: 18].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿عَلَى شَرِيعَةٍ﴾ أي: على ملة

ومذهب، ومنه يقال: شرعت لك كذا، وشرع فلان في كذا: إذا أخذ فيه،
ومنه: «مشارع الماء» وهي: الفرض التي يشرع فيها الناس والواردة»⁽¹⁾.

ولقد وافق ابن قتيبة على المعنى الذي ذكره كل من: النحاس⁽²⁾،

والسمعاني⁽³⁾، والقرطبي⁽⁴⁾، والشوكاني⁽⁵⁾.

فمثلاً: قال الشوكاني: « ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ الشريعة

- في اللغة - المذهب والملة والمنهاج، ويقال لمشرعة الماء وهي مورد شاربيه شريعته،
ومنه الشارع لأنه طريق إلى المقصد، فالمراد بالشريعة هنا: ما شرعه الله لعباده من

(١) تفسير غريب القرآن ص(348).

(٢) معاني القرآن (424/6).

(٣) تفسير القرآن (139/5).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (163/16).

(٥) فتح القدير (7/5).

الدين، والجمع شرائع، أي جعلناك يا محمد على منهاج واضح من أمر الدين
يوصلك إلى الحق ﴿فَاتَّبِعَهَا﴾ فاعمل بأحكامها في أمتك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيد الله وشرائه «⁽¹⁾».

وأقوال غيرهم من المفسرين لم تتعد عن ما ذكره، فقال الزمخشري ﴿عَلَى

شَرِيعَةٍ﴾ على طريقة ومنهاج ﴿مِنَ الْأَمْرِ﴾ من أمر الدين فابعد شريعتك الثابتة
بالدلائل والحجج ولا تتبع ما لا حجة عليه من أهواء الجهال ودينهم المبني على
هوى وبدعة «⁽²⁾» ومثله تماماً قال الفخر الرازي «⁽³⁾».

وقال ابن كثير: « ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعَهَا﴾ أي:

اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين «⁽⁴⁾».

وقال السعدي: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ أي: ثم شرعنا لك

شريعة كاملة تدعو إلى كل خير وتنهى عن كل شر من أمرنا الشرعي ﴿فَاتَّبِعَهَا﴾

فإن في اتباعها السعادة الأبدية والصلاح والفلاح «⁽⁵⁾».

(١) المرجع السابق (7/5).

(٢) الكشف (292/4).

(٣) التفسير الكبير (228/27).

(٤) تفسير القرآن العظيم (150/4).

(٥) تيسير الكريم الرحمن ص(777).

فمما ذكر يظهر - والله أعلم - أن اختلاف عبارات المفسرين في بيان المعنى جاءت على سبيل التنوع لا التضاد، واجتمعوا في إيراد المعنى المقصود، والله أعلم بالصواب.

معنى: ﴿جَائِئَةً﴾

102- قال تعالى ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ

تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ [سورة الجاثية: 28].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةً﴾ باركة على

الركب، يراد: أنها غير مطمئنة»^(١).

وهذا المعنى الذي ذكره ابن قتيبة هو المروي عن مجاهد^(٢)، وقول النحاس^(٣)،
والسمرقندي^(٤)، والواحدي^(٥)، والسمعاني^(٦)، والبغوي^(٧)،
والزمخشري^(٨)، وابن عطية^(٩)،

.....والفخر

(١) تفسير غريب القرآن ص(348).

(٢) تفسير مجاهد (592/2).

(٣) معاني القرآن (430/6).

(٤) بحر العلوم (267/3).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (992/2).

(٦) تفسير القرآن (144/5).

(٧) معالم التنزيل (161/4).

(٨) الكشاف (295/4).

(٩) المحرر الوجيز (88/5).

الرازي⁽¹⁾، وابن جزري⁽²⁾، والثعالبي⁽³⁾، وأبو السعود⁽⁴⁾، والشوكاني⁽⁵⁾،
والألوسي⁽⁶⁾، والسعدي⁽⁷⁾، وابن عاشور⁽⁸⁾، والشنقيطي⁽⁹⁾.

قال البغوي: «﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةً﴾ باركة على الركب وهي جلسة

المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء من الله تعالى»⁽¹⁰⁾.

وقال ابن جزري: «﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةً﴾ أي: تجثوا على الركب، وتلك

هيئة الخائف الذليل»⁽¹¹⁾.

(١) التفسير الكبير (233/27).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (40/4).

(٣) الجواهر الحسان (147/4).

(٤) إرشاد العقل السليم (74/8).

(٥) فتح القدير (10/5).

(٦) روح المعاني (155/25).

(٧) تيسير الكريم الرحمن ص(778).

(٨) التحرير والتنوير (147/16) عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ [سورة مريم: 68].

(٩) أضواء البيان (475/3) عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ [سورة مريم: 68].

(١٠) معالم التنزيل (161/4).

(١١) التسهيل لعلوم التنزيل (40/4).

وقال السعدي: « **كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ** » على ركبها خوفاً وذعراً وانتظاراً لحكم الملك الرحمن⁽¹⁾.

وقد وردت معانٍ أخرى للفظ **جَائِيَةٌ** فقيل: « مجتمعة، وقيل: متميزة، وقيل: خاضعة⁽²⁾ » إلا أن « القول الأول أعرف وأشهر⁽³⁾ »، وهو « المختار المعروف⁽⁴⁾ »، وهو « الأولى »، وهو « قول الأكثر⁽⁵⁾ »، ومع ذلك « فلا ينافيه ورود اللفظ لمعنى آخر⁽⁶⁾ »، والله أعلم بالصواب.

(١) تيسير الكريم الرحمن ص(778).

(٢) حكاها الماوردي في النكت والعيون (267/5).

(٣) معاني القرآن للنحاس (430/6).

(٤) تفسير القرآن للسمعي (144/5).

(٥) قاله ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (152/4)، والشوكاني في فتح القدير (10/5).

(٦) أضواء البيان للشنقيطي (475/3).

معنى: ﴿أَثَرَقَ مِنْ عِلْمٍ﴾

103- قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ

أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَقَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ

كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ [سورة الأحقاف: 4].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿أَوْ أَثَرَقَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: بقية من

علم تؤثر عن الأولين »⁽¹⁾.

وإلى نفس هذا المعنى الذي ذكره ابن قتيبة ذهب الغالبية العظمى من
المفسرين، منهم: الطبري⁽²⁾، والنحاس⁽³⁾، والسمعاني⁽⁴⁾، والبغوي⁽⁵⁾،
والزمخشري⁽⁶⁾، وابن عطية⁽⁷⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(350).

(٢) جامع البيان (2/26).

(٣) معاني القرآن (438/6).

(٤) تفسير القرآن (149/5).

(٥) معالم التنزيل (163/4).

(٦) الكشف (298/4).

(٧) المحرر الوجيز (92/5).

والبيضاوي⁽¹⁾، والنسفي⁽²⁾، وابن جزى⁽³⁾، وأبو السعود⁽⁴⁾، والشوكاني⁽⁵⁾،
والشوكاني⁽⁵⁾، والألوسي⁽⁶⁾، والسعدي⁽⁷⁾.

قال الطبري: « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال الأثرية: البقية
من علم »⁽⁸⁾.

وقال الزمخشري: « أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين »⁽⁹⁾.

وقال ابن عطية: « **﴿أَوْ أَثَرَةٍ﴾** معناه: أو بقية قديمة من علم أحد العلماء

يقتضي عبادة الأصنام »⁽¹⁰⁾.

ووردت أقوال أخرى في بيان معنى **﴿أَوْ أَثَرَةٍ﴾** منها: « رواية من علم،

وقيل: أو علم تأثرونه عن غيركم »⁽¹¹⁾.

(١) أنوار التنزيل (177/5).

(٢) مدارك التنزيل (135/4).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (41/4).

(٤) إرشاد العقل السليم (78/8).

(٥) فتح القدير (14/5).

(٦) روح المعاني (5/26).

(٧) تيسير الكريم الرحمن ص (779).

(٨) جامع البيان (2/26).

(٩) الكشف (298/4).

(١٠) المحرر الوجيز (92/5).

(١١) حكاها الماوردي في النكت والعيون (271/5).

لكن الذي يظهر - والله أعلم - أن الأصح في معنى الآية ما ذهب إليه ابن قتيبة وموافقوه « لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب »⁽¹⁾، ولا يمنع أيضاً إرادة المعاني الأخرى فإن كل « الأقوال متقاربة »⁽²⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: جامع البيان للطبري (2/26)، ومعاني القرآن للنحاس (438/6).

(٢) انظر: المرجع السابق (438/6)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (155/4).

معنى: ﴿عَارِضًا﴾

104- قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ

هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ [سورة الأحقاف: 24].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا﴾ العارض:

السحاب»⁽¹⁾.

وأجمع المفسرون على المعنى الذي ذكره ابن قتيبة، وأن العارض المذكور في

الآية يراد به السحاب، لأنه « يعرض في الجو »⁽²⁾، فقد قاله: الطبري⁽³⁾،

والنحاس⁽⁴⁾، والسمرقندي⁽⁵⁾، والواحدي⁽⁶⁾، والسمعاني⁽⁷⁾، والزمخشري⁽⁸⁾،

وابن عطية⁽⁹⁾، والفخر

(١) تفسير غريب القرآن ص(351).

(٢) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (102/5).

(٣) جامع البيان (220/8).

(٤) معاني القرآن (453/6).

(٥) بحر العلوم (276/3).

(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (997/2).

(٧) تفسير القرآن (158/5).

(٨) الكشاف (311/4).

(٩) المحرر الوجيز (102/5).

الرازي⁽¹⁾، والقرطبي⁽²⁾، والبيضاوي⁽³⁾، والنسفي⁽⁴⁾، والمحلي⁽⁵⁾، وأبو السعود⁽⁶⁾،
وأبو السعود⁽⁶⁾، والشوكاني⁽⁷⁾، والسعدي⁽⁸⁾، وابن عاشور⁽⁹⁾.

قال النحاس: « أي فلما رأوا الذي أوعدوا كسحاب عارض قد اعترض فيه
عذاب ولم يعلموا أن فيه عذاباً قالوا هذا عارض ممطرنا »⁽¹⁰⁾.

وقال الزمخشري: « والعارض السحاب الذي يعرض في أفق السماء »⁽¹¹⁾.

وقال النسفي: « فقالوا هذا سحاب يأتينا بالمطر وأظهروا من ذلك

فرحاً »⁽¹²⁾.

وقال السعدي: « ﴿عَارِضٌ مُّطِرُنَا﴾ أي: هذا السحاب سيمطرنا »⁽¹³⁾.

وإجماعهم علامة صحة المعنى ورجحانه بيانياً للمعنى، والله أعلم بالصواب.

(١) التفسير الكبير (24/28).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (205/16).

(٣) أنوار التنزيل (183/5).

(٤) مدارك التنزيل (141/4).

(٥) تفسير الجلالين ص (670).

(٦) إرشاد العقل السليم (86/8).

(٧) فتح القدير (23/5).

(٨) تيسير الكريم الرحمن ص (782).

(٩) التحرير والتنوير (49/26).

(١٠) معاني القرآن (453/6).

(١١) الكشف (311/4).

(١٢) مدارك التنزيل (141/4).

(١٣) تيسير الكريم الرحمن ص (782).

معنى: ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾

105- قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا انْخَضْتُمْوهُمْ فَشُدُّوا

الْوَتَاقَ فَمَا مَنَّا بَعْدُ وَمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ

﴿٤﴾ [سورة محمد: 4].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ أي: يضع

أهل الحرب السلاح، قال الأعشى:

وأعددت للحرب أوزارها رماحاً طوالاً وخيلاً ذكوراً^(١)

وأصل (الوزر) ما حملته؛ فسُمي السلاح أوزاراً لأنه يُحمل^(٢).

إلى مثل ما ذهب إليه ابن قتيبة أن أوزار الحرب يراد بها السلاح ونحوه ذهب

قلة من المفسرين، منهم:

(١) البيت من قصيدة للأعشى مطلعها:

عَشِيَتْ لَلَيْلَى بَلِيلٌ خَدُورَا وَطَالِبَتَهَا وَنَذَرَتْ النَّدُورَا

وقد سبقت ترجمة الأعشى. انظر: شرح ديوان الأعشى ص(89).

(٢) تفسير غريب القرآن ص(352).

ابن عاشور: « والأوزار: الأثقال، ووضع الأوزار تمثيل لانتهاء العمل، فشبهت حالة انتهاء القتال بحالة وضع الحمال أو المسافر أثقاله »⁽¹⁾.

الشنقيطي: « ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ أي: إذا لقيتم الكفار

فاضربوا أعناقهم ﴿ حَتَّىٰ إِذَا انْخَسَمُوا ﴾ قتلاً فأسروهم ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾

أي: حتى تنتهي الحرب. وأظهر الأقوال في معنى وضع الحرب أوزارها أنه وضع

السلاح، والعرب تسمي السلاح وزراً⁽²⁾، وتطلق العرب الأوزار على آلات

الحرب وما يساعد فيها كالخيل، ومنه قول الأعشى:

وأعددت للحرب أوزارها رماحاً طوالاً وخيلاً ذكورا⁽³⁾.

قيل: ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾: الأوزار في هذه الآية الآثام، جمع وزر، لأن

الحرب لا بد أن يكون فيها آثام في أحد الجانبين⁽⁴⁾.

أقول: وعلى هذا القول يُفهم أن أي حرب بين فريقين لا بد أن يكون فيها

جانب مصيب وجانب مخطئ، وهذا بصورة عامة؛ وعليه فسّر لفظ الأوزار هنا،

وإلا فإن الحرب بين المسلمين والكفار واضح فيها أن الآثام على الكفار لعدم

استجابتهم للدعوة إلى الإسلام.

(١) التحرير والتنوير (82/26).

(٢) انظر: كتاب العين للفراهيدي (380/7)، وتهديب اللغة للأزهري (167/13)، ومعجم مقاييس

اللغة لابن فارس (108/6)، ولسان العرب لابن منظور (282/5).

(٣) أضواء البيان (251/7).

(٤) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (110/5).

وَتَمَّ قول آخر في بيان المراد بـ ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ مؤداه: حتى

يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم بأن يهلموا أو يسالموا⁽¹⁾.
أقول: وعلى هذا القول يُراد أن أي حرب يخوضها المسلمون مع المشركين أو الكفار عموماً في أي منطقة، فإذا أسلم كفار تلك المنطقة بأن دخلوا في دين الإسلام، فقد وضعوا عن أنفسهم وزر الكفر، أو يسالموا بأن يدخلوا في الذمة.

وقول أيضاً في معنى: ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ أي: حين يظهر الإسلام

على الدين كله⁽²⁾.

أقول: وهذا القول مبني على عموم العلاقة مع الكفار، فإن المسلمين يقومون بواجب نشر الإسلام في الأرض، فإذا وقف في طريقهم من الكفار من يريد منع نشر الإسلام، قاتلوه، أما إذا أسلم أهل الأرض جميعاً ودخلوا في دين الإسلام ولم يبق كافر، فقد وضعت الحرب أوزارها.

وقول أخير في معنى: ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾: يعني حتى ينزل عيسى بن

مريم -عليه السلام-⁽³⁾.

أقول: وعلى هذا القول فمعلوم من النصوص الواردة في نزول عيسى -عليه السلام-؛ وقتله للدجال، أن يعيش الناس بعد ذلك تحت حكمه في أمن وأمان وإيمان، فلا كافر يُقاتل، ولا ذمِّي تُؤخذ منه الجزية⁽¹⁾.

(١) انظر: معاني التنزيل للبعوي (4/179)، ومدارك التنزيل للرسفي (4/45!).

(٢) انظر: النكت والعيون للماوردي (5/293).

(٣) المرجع السابق.

وبدراسة أقوال المفسرين في بيان معنى الآية لوحظ أن أكثرهم قد جعلوا المراد بوضع الحرب أوزارها شاملاً لأكثر من معنى، فمنهم من يسرد الأقوال كلها عند تفسيره للآية، أو يوجد رابطة بين بعض الأقوال وبعضها يكون بمجملها تفسير الآية، وسأذكر أقوال بعضهم؛ وأشير إلى البقية اختصاراً:

قال الطبري: « وقوله ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ يقول تعالى ذكره فإذا لقيتم

الذين كفروا فاضربوا رقابهم وافعلوا بأسراهم ما بينت لكم حتى تضع الحرب آثامها وأنثال أهلها المشركين بالله -عز وجل- بأن يتوبوا إلى الله -عز وجل- من شركهم فيؤمنوا به وبرسوله ويطيعوه في أمره ونهيه فذلك وضع الحرب أوزارها. وقيل: حتى تضع الحرب أوزارها، والمعنى: حتى تلقي الحرب أوزار أهلها، وقيل: معنى ذلك حتى يضع المحارب أوزاره»⁽²⁾.

وقال الواحدي: « ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ أي: اقتلوهم وأسروهم حتى لا

يبقى كافر يقاتلكم، فتسكن الحرب، وتنقطع، وهو معنى قوله ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ

أَوْزَارَهَا﴾ أي: يضع أهلها آلة الحرب من السلام وغيره، ويدخلوا في الإسلام أو

الذمة»⁽³⁾.

(١) انظر: أشراط الساعة ليوסף الوابل ص(337-364).

(٢) جامع البيان (42/26).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1001/2).

وقال البيضاوي: « **﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾** آلتها وأثقالها التي لا تقوم إلا

بها كالسلاح والكراع، أي تنقضي الحرب ولم يبق إلا مسلم أو مسلم. وقيل: آثامها، والمعنى حتى يضع أهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب أو الشد، أو للمن والفداء، أو للمجموع، بمعنى أن هذه الأحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب من المشركين بزوال شوكتهم. وقيل: بنزول عيسى عليه الصلاة والسلام»⁽¹⁾.

وقال ابن كثير: « **﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾** حتى لا يبقى شرك، وهذا

كقوله تعالى: **﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾** [سورة البقرة:

193]، ثم قال بعضهم حتى تضع الحرب أوزارها أي: أوزار المحاربين وهم المشركون بأن يتوبوا إلى الله -عز وجل-، وقيل: أوزار أهلها بأن يبذلوا الوسع في طاعة الله تعالى»⁽²⁾.

وقال البقاعي: « **﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾** وهي أثقالها، أي الآلات التي

تثقل القائمين بها من النفقات والسلاح والكراع ونحوه، وذلك لا يكون وفي الأرض كافر، وذلك على زمن عيسى عليه الصلاة والسلام حين تخرج الأرض بركاتها، وتكون الملة واحدة وهي الإسلام لله رب العالمين»⁽³⁾.

(1) أنوار التنزيل (189/5).

(2) تفسير القرآن العظيم (174/4).

(3) نظم الدرر (152/7).

ونحو أقوال المذكورين جاءت أقوال كل من الماوردي⁽¹⁾، والبغوي⁽²⁾،
والزمخشري⁽³⁾، وابن عطية⁽⁴⁾، وابن الجوزي⁽⁵⁾، والفخر الرازي⁽⁶⁾،
والقرطبي⁽⁷⁾، وابن جزى⁽⁸⁾، وأبي حيان⁽⁹⁾.

ومنه يظهر -والله أعلم- أن المراد بوضع الحرب أوزارها أحد المعاني الآتية:
أولاً: على القول بأن أوزار الحرب هي آلتها وأثقالها من السلاح والخيول ونحوها،
فالأمر من الله لعباده المؤمنين بأن يقاتلوا الكفار، بعد أن يكون المسلمون قد
دعوهم إلى الإسلام، ورفض الكفار أيضاً دفع الجزية، فلم يبق إلا قتالهم
وإزاحتهم من الطريق لتبليغ دعوة الإسلام لكل الناس، فالمؤمنون عليهم إذا
التقوا مع الكفار في ساحة القتال أن يضربوا رقابهم «وعين من أنواع القتل
أشهره وأعرفه فذكره، والمراد: اقتلوهم بأي وجه أمكن، وقد زادت آية
أخرى: ﴿وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [سورة الأنفال: 12]، وهي من
أنكى ضربات الحرب لأنها تعطل من المضروب جميع جسده، إذ البنان أعظم

(١) النكت والعيون (293/5).

(٢) معالم التنزيل (179/4).

(٣) الكشاف (320/4).

(٤) المحرر الوجيز (110/5).

(٥) زاد المسير (397/7).

(٦) التفسير الكبير (39/28).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (228/16).

(٨) التسهيل لعلوم التنزيل (47/4).

(٩) البحر المحيط (74/8).

آلة المقاتل وأصلها»⁽¹⁾، وعلى المؤمنين أن يثخنوا الكفار بالقتل « والإثخان والإثخان في القوم: أن يكثر فيهم القتلى والجرحى»⁽²⁾، ثم بعد ذلك يشدوا يشدوا وثاق من بقي حياً من الكافرين ليقع أسيراً في يد المسلمين، وبالطبع عندما تنتهي الحرب أو المعركة سيضع المحاربون أسلحتهم وأثقالهم عن كاهلهم.

ثانياً: وعلى القول بأن يراد بوضع الحرب أوزارها؛ إسلام المشركين أو مسالمتهم، فهذا مبني على أن معنى أوزار الحرب: آثامها، فدخول كفار منطقة ما في الإسلام أو رضاهم بدفع الجزية مع استسلامهم لحكم المسلمين، يكونوا قد رفعوا عن أنفسهم إثم الصدّ عن سبيل الله -عزّ وجلّ-، وإثم منع تبليغ دعوة الإسلام.

ثالثاً: وعلى القولين « حتى يظهر الإسلام على الدين كله، ونزول عيسى -عليه السلام-، يدلان -عند حمل الآية عليهما- على دوام مقاتلة المسلمين للكفار إلى يوم القيامة، فإن المعارك بين الإسلام والكفر والحق والباطل لا تتوقف، بناءً على سنة التدافع ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهَادَتِ صَوَامِعُ

وَبِيعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحج: 40]، قال ابن عطية

عند قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ « وظاهر اللفظة أنها استعارة يراد

(1) المحرر الوجيز لابن عطية (110/5).

(2) المرجع السابق.

بها التزام الأمر أبدًا، وذلك أن الحرب بين المؤمنين والكافرين لا تضع أوزارها، فجاء هذا اللفظ كما تقول: أنا أفعل كذا وكذا إلى يوم القيامة، وإنما تريد أنك تفعله دائماً»⁽¹⁾.

فالظاهر صحة حمل الآية على ما ذكرته من المعاني، استنادًا إلى قاعدة: «أن الآية إن كان لها معان كلها صحيحة صح الحمل عليها جميعًا»⁽²⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿عَرَفَهَا لَهُمْ﴾

106- قال تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ [سورة محمد: 6].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ يقال في التفسير: بينها لهم، وعرفهم منازلهم منها. وقال أصحاب اللغة: عرفها لهم: طيبها، يقال: طعام معرّف أي: مطيب⁽¹⁾ .

من المفسرين من سار على نفس المنهج الذي ذكره ابن قتيبة في إيراد المعنيين المذكورين بيانا لمعنى الآية، منهم: الزمخشري⁽²⁾، والقرطبي⁽³⁾، والبيضاوي⁽⁴⁾، والنسفي⁽⁵⁾، وأبو السعود⁽⁶⁾ .

لكن «عامة المفسرين»⁽⁷⁾ على المعنى الأول؛ «أي: بين لهم مساكنهم فيها وعرفهم منازلهم»⁽⁸⁾، فمنهم: النحاس⁽¹⁾، والسمرقندي⁽²⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(352).

(٢) الكشاف (321/4).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (231/16).

(٤) أنوار التنزيل (190/5).

(٥) مدارك التنزيل (146/4).

(٦) إرشاد العقل السليم (93/8).

(٧) حكاية الشوكاني عن الواحدي، انظر: فتح القدير (31/5).

(٨) هذه عبارة الواحدي في الوجيز (1001/2).

والواحدي⁽³⁾، والسمعاني⁽⁴⁾، والبغوي⁽⁵⁾، والفخر الرازي⁽⁶⁾، وابن كثير⁽⁷⁾،
والشوكاني⁽⁸⁾، والسعدي⁽⁹⁾.

وتمَّ قول ثالث: عرفها «معناه: شرفها ورفعها فهو من الأعراف التي هي
الجبال»⁽¹⁰⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - أن القول الأول هو «أحسن الأقوال
وأصحها»⁽¹¹⁾، وهو «القول المشهور»⁽¹²⁾ الذي عليه «أكثر المفسرين
»⁽¹³⁾، ولا يمنع هذا من إرادة الأقوال الأخرى، فإن من المفسرين من ذكروا
الأقوال الثلاثة معاً عند تفسيرهم للآية؛ في إشارة منهم إلى اعتبارها معاً بياناً للمعنى
الآية، فمنهم: ابن عطية⁽¹⁴⁾، وابن جزى⁽¹⁾، والثعالبي⁽²⁾، والألوسي⁽³⁾، فيكون

(١) معاني القرآن (465/6).

(٢) بحر العلوم (283/3).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1001/2).

(٤) تفسير القرآن (170/5).

(٥) معالم التنزيل (179/4).

(٦) التفسير الكبير (42/28).

(٧) تفسير القرآن العظيم (175/4).

(٨) فتح القدير (31/5).

(٩) تيسير الكريم الرحمن ص (785).

(١٠) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى (47/4).

(١١) انظر: معاني القرآن للنحاس (465/6).

(١٢) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (170/5).

(١٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (231/16)، والجواهر الحسان للثعالبي (163/4).

(١٤) المحرر الوجيز (111/5).

فيكون المراد: « أن الله - ﷻ - لم يزل يمدح الجنة لعباده المؤمنين حتى عشقوها فاجتهدوا فيما يوصلهم إليها »⁽⁴⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (47/4).

(٢) الجواهر الحسان (163/4).

(٣) روح المعاني (43/26).

(٤) انظر: المرجع السابق (43/26) بتصرف يسير.

معنى: ﴿ءَاسِنٍ﴾

107- قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ

لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا
مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ

أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ [سورة محمد: 15].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿مِنْ مَاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ أي: غير متغير

الريح والطعم»⁽¹⁾.

وهذا المعنى الذي ذكره ابن قتيبة أجمع المفسرون عليه، منهم: الطبري⁽²⁾،

والنحاس⁽³⁾، والسمرقندي⁽⁴⁾، والواحدي⁽⁵⁾، والسمعاني⁽⁶⁾،

والبغوي⁽⁷⁾، وابن عطية⁽¹⁾، وابن الجوزي⁽²⁾، والفخر الرازي⁽³⁾، والقرطبي⁽⁴⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(353).

(٢) جامع البيان (49/26).

(٣) معاني القرآن (473/6).

(٤) بحر العلوم (285/3).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1002/2).

(٦) تفسير القرآن (173/2).

(٧) معالم التنزيل (181/4).

والقرطبي⁽⁴⁾، والبيضاوي⁽⁵⁾، والنسفي⁽⁶⁾، وابن جزري⁽⁷⁾، وابن كثير⁽⁸⁾،
والمحلي⁽⁹⁾، والثعالبي⁽¹⁰⁾، وأبو السعود⁽¹¹⁾، والألوسي⁽¹²⁾، والسعدي⁽¹³⁾،
والشنقيطي⁽¹⁴⁾.

قال السمعاني: « وقوله ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ أي: غير متغير، يقال

أسن الماء يأسن إذا تغير، وإنما قال ذلك لأن الماء يتغير بطول المكث، وماء الجنة لا
يتغير بطول المكث»⁽¹⁵⁾.

(١) المحرر الوجيز (114/5).

(٢) زاد المسير (401/7).

(٣) التفسير الكبير (48/28).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (236/16).

(٥) أنوار التنزيل (192/5).

(٦) مدارك التنزيل (147/4).

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (48/4).

(٨) تفسير القرآن العظيم (177/4).

(٩) تفسير الجلالين ص (674).

(١٠) الجواهر الحسان (164/4).

(١١) إرشاد العقل السليم (95/8).

(١٢) روح المعاني (48/26).

(١٣) تيسير الكريم الرحمن ص (786).

(١٤) أضواء البيان (254/7).

(١٥) تفسير القرآن (173/5).

وقال السعدي: « ﴿فِيهَا أَنْهَرٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ أي: غير متغير لا بوخم ولا بريح منتنة ولا بجمرة ولا بكدورة بل هو أعذب المياه وأصفاهها وأطيبها ريحًا وألذها شربًا»⁽¹⁾.

ولإجماع المفسرين عليه، وتأيد أهل اللغة⁽²⁾ للمعنى المذكور، صح حمل الآية عليه، والله أعلم بالصواب.

(١) تيسير الكريم الرحمن ص(786).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (17/13).

معنى: ﴿وَلَنْ يَتْرُكُكُمْ﴾

108- قال تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ

يَتْرُكُكُمْ أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٥﴾ [سورة محمد: 35].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَلَنْ يَتْرُكُكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾ أي: لن

ينقصكم، يقال: وترتني حقي؛ أي: بخستنيه»^(١).

وهذا الذي ذكره ابن قتيبة هو المروي عن مجاهد^(٢)، وقول الطبري^(٣)،
والنحاس^(٤)، والسمرقندي^(٥)، والواحدي^(٦)، والسمعاني^(٧)، والبغوي^(٨)،
والزمخشري^(٩)، والفخر

(١) تفسير غريب القرآن ص(354).

(٢) تفسير مجاهد (599/2).

(٣) جامع البيان (64/26).

(٤) معاني القرآن (486/6).

(٥) بحر العلوم (291/3).

(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1005/2).

(٧) تفسير القرآن (185/5).

(٨) معالم التنزيل (186/4).

(٩) الكشاف (332/4).

الرازي⁽¹⁾، والقرطبي⁽²⁾، والبيضاوي⁽³⁾، والنسفي⁽⁴⁾، وابن جزى⁽⁵⁾، وابن كثير⁽⁶⁾، والمحلي⁽⁷⁾، وأبو السعود⁽⁸⁾، والشوكاني⁽⁹⁾، والألوسي⁽¹⁰⁾، والسعدي⁽¹¹⁾، والشنقيطي⁽¹²⁾.

قال الواحدي: « **﴿وَلَنْ يَتْرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾** لن ينقصكم شيئاً من ثواب

أعمالكم»⁽¹³⁾.

وقال الزمخشري: « **﴿وَلَنْ يَتْرَكُمْ﴾** من وترت الرجل إذا قتلت له قتيلاً من

ولد أو أخ أو حميم، وحقيقته أفردته من قريبه أو ماله؛ من الوتر وهو الفرد، فشبه إضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الوتر وهو من فصيح الكلام»⁽¹⁴⁾.

(١) التفسير الكبير (64/28).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (256/16).

(٣) أنوار التنزيل (197/5).

(٤) مدارك التنزيل (151/4).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (50/4).

(٦) تفسير القرآن العظيم (182/4).

(٧) تفسير الجلالين ص (677).

(٨) إرشاد العقل السليم (102/8).

(٩) فتح القدير (42/5).

(١٠) روح المعاني (80/26).

(١١) تيسير الكريم الرحمن ص (790).

(١٢) أضواء البيان (390/7).

(١٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1005/2).

(١٤) الكشاف (332/4).

وقال أبو السعود: « وعبر عن ترك الإثابة في مقابلة الأعمال بالوتر الذي هو إضاعة شيء معتد به من الأنفس والأموال، مع أن الأعمال غير موجبة للثواب على قاعدة أهل السنة إبرازاً لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق وتنزيل ترك الإثابة منزلة إضاعة أعظم الحقوق وإتلافها»⁽¹⁾.

وقال الشنقيطي: « وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿وَلَنْ يَتْرَكُوا﴾

﴿أَعْمَلَكُمْ﴾ أي: لن ينقصكم شيئاً من ثواب أعمالكم، وهذا المعنى الذي تضمنته

هذه الآية الكريمة من عدم نقصه تعالى شيئاً من ثواب الأعمال جاء موضحاً في

آيات أخر كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً﴾

[سورة الحجرات: 14] أي: لا ينقصكم من ثوابها شيئاً، وكقوله تعالى ﴿وَنَضَعُ

الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ

مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ [سورة الأنبياء: 47] والآيات

بمثل ذلك كثيرة معلومة، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿وَلَنْ يَتْرَكُوا﴾ أصله من

الوتر وهو الفرد؛ فأصل قوله لن يترككم لن يفردكم ويجردكم من أعمالكم بل

يوفيكُم إياها»⁽²⁾.

(١) إرشاد العقل السليم (102/8).

(٢) أضواء البيان (390/7).

وفي الحديث المرفوع: (الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله) ⁽¹⁾.
فهذا المعنى الذي أجمع عليه «المفسرون» ⁽²⁾ قد دلت عليه آيات أخرى
من القرآن، وتفسير القرآن بالقرآن أحسن أنواع التفسير وأفضلها ⁽³⁾، ودل عليه
الحديث النبوي فنال بكل ذلك مراتب الصحة، والله أعلم بالصواب.

(¹) متفق عليه. رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة باب إثم من فلقته العصر حديث رقم (527)،
ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة باب التغليظ في تفويت العصر حديث رقم (626) عن ابن عمر
رضي الله عنه ما.

(²) حكى إجماعهم ابن الجوزي في زاد المسير (414/7).

(³) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

معنى: ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾

109- قال تعالى: ﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ

﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا

مُسْتَقِيمًا﴾ [سورة الفتح: 20].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ أي: عن

عيالكم ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾»⁽¹⁾.

أقوال المفسرين في هذه الآية دارت حول معنيين: (عن عيالكم) وهو الذي ذهب إليه ابن قتيبة، ووافقه الطبري⁽²⁾، والنحاس⁽³⁾، والواحدي⁽⁴⁾، والمحلي⁽⁵⁾.

والمعنى الآخر: أن ﴿عَنْكُمْ﴾ على أصله⁽⁶⁾، وقال به فقط معنى للآية:

السمرقندي⁽¹⁾، والسمعاني⁽²⁾، والسعدي⁽³⁾.

(١) تفسر غريب القرآن ص(356).

(٢) جامع البيان (90/26).

(٣) معاني القرآن (507/6).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1011/2).

(٥) تفسير الجلالين ص(782).

(٦) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (435/7).

ولكن غالبية المفسرين يذكرون المعنيين معاً عند تفسيرهم للآية، منهم:
 البغوي⁽⁴⁾، وابن عطية⁽⁵⁾، والقرطبي⁽⁶⁾، والبيضاوي⁽⁷⁾، والنسفي⁽⁸⁾، وابن
 كثير⁽⁹⁾، والثعالبي⁽¹⁰⁾، وأبو السعود⁽¹¹⁾، والشوكاني⁽¹²⁾، والألوسي⁽¹³⁾.
 وقد قال الطبري عند تفسيره للآية، وتأنيده للمعنى الذي ذهب إليه ابن
 قتيبة: إنه « أشبه بتأويل الآية، وذلك أن كف الله تعالى أيدي المشركين من أهل
 الحديبية قد ذكره الله تعالى بعد هذه الآية في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ
 وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ [سورة الفتح: 24]، فعلم بذلك أن الكف الذي ذكره
 الله تعالى في قوله: ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ غير الكف الذي ذكر الله تعالى بعد

(١) بحر العلوم (301/3).

(٢) تفسير القرآن (202/5).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص (794).

(٤) معالم التنزيل (194/4).

(٥) المحرر الوجيز (135/5).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (278/16).

(٧) أنوار التنزيل (205/5).

(٨) مدارك التنزيل (156/4).

(٩) تفسير القرآن العظيم (192/4).

(١٠) الجواهر الحسان (177/4).

(١١) إرشاد العقل السليم (110/8).

(١٢) فتح القدير (51/5).

(١٣) روح المعاني (109/26).

هذه الآية في قوله ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَّنِ مَكَّةَ﴾ [سورة الفتح: 24]، وقوله تعالى ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول وليكون كفه تعالى ذكره أيديهم ع عيالهم آية وعبرة للمؤمنين به فيعلموا أن الله تعالى هو المتولي حياتهم وكلاءهم في مشاهدتهم ومغيبهم ويتقوا الله تعالى في أنفسهم وأموالهم وأهليهم بالحفظ وحسن الولاية ما كانوا مقيمين على طاعته منتهين إلى أمره ونهيه»⁽¹⁾.

ومن ذكر القولين معاً تفسيراً للآية البغوي حيث قال: «﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ

النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ وذلك أن النبي ﷺ لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من بني أسد وغطفان أن يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله تعالى أيديهم بإلقاء الرعب في قلوبهم، وقيل: «﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ يعني: أهل مكة بالصلح ﴿وَلِتَكُونَ﴾ كفهم وسلامتكم ﴿آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ على صدق ويعلموا أن الله تعالى هو المتولي حياتهم وحراستهم في مشاهدتهم ومغيبهم»⁽²⁾.
وحكى ابن الجوزي أن القول بأن ﴿عَنْكُمْ﴾ على أصله أنه قد «قاله

الأكثر»⁽³⁾.

(1) جامع البيان (90/26).

(2) معالم التنزيل (194/4).

(3) زاد المسير (435/7).

والذي يظهر - والله أعلم - صحة حمل الآية على المعنيين، ولقد أحسن ابن كثير حين جمع بينهما بقوله: «﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ أي: لم ينلکم سوء مما كان أعداؤکم أضمره لکم من المحاربة والقتال، وكذلك كف أيدي الناس عنکم الذين خلفتموهم وراء ظهورکم من عیالکم وحريمکم»⁽¹⁾. و «الآية إذا كانت تحتل عدة معانٍ كلها صحيحة صح الحمل عليها جميعاً»⁽²⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) تفسير القرآن العظيم (4/192).

(٢) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (1/204).

معنى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾

110 - قال تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَىٰ

مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ، وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمَّ تَعَلَّمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ [سورة الفتح:

[25].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ لو تميزوا »⁽¹⁾.

وإلى نفس المعنى الذي ذكره ابن قتيبة ذهب كل من: السمرقندي⁽²⁾،

والواحدي⁽³⁾، والسمعاني⁽⁴⁾، والبغوي⁽⁵⁾، والفخر الرازي⁽⁶⁾،

..... وابن كثير⁽⁷⁾، والمحلي⁽¹⁾.

(١) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير (440/7).

(٢) بحر العلوم (303/3).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1012/2).

(٤) تفسير القرآن (205/5).

(٥) معالم التنزيل (204/4).

(٦) التفسير الكبير (87/28).

(٧) تفسير القرآن العظيم (194/4).

وقد روى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن معنى ﴿لَوَزَّيْلُوا﴾: أي: لو تفرقوا⁽²⁾.

وقيل: في معنى: ﴿لَوَزَّيْلُوا﴾: «أي: لو ذهبوا عن مكة، تقول أزلت زيداً عن موضعه إزالة أي أذهبته»⁽³⁾، واختار هذا القول تفسيراً للآية: ابن عطية⁽⁴⁾، والثعالبي⁽⁵⁾، والسعدي⁽⁶⁾.

وإضافة إلى ما سبق فإن عدداً من المفسرين جمعوا بين المعنيين (التميز) و (التفرق) معاً بياناً لمعنى الآية، منهم: الزمخشري⁽⁷⁾، والبيضاوي⁽⁸⁾، والنسفي⁽⁹⁾، وأبو السعود⁽¹⁰⁾، والألوسي⁽¹¹⁾.

وفريق منهم ذكروا المعاني الثلاثة كلها في بيان معنى الآية، منهم: القرطبي⁽¹²⁾، والشوكاني⁽¹⁾.

(١) تفسير الجلالين ص(683).

(٢) تنوير المقباس للفيروز آبادي ص(434).

(٣) هذه عبارة ابن عطية في المحرر الوجيز (137/5).

(٤) المرجع السابق.

(٥) الجواهر الحسان (179/4).

(٦) تيسير الكريم الرحمن ص(794).

(٧) الكشف (345/4).

(٨) أنوار التنزيل (207/5).

(٩) مدارك التنزيل (158/4).

(١٠) إرشاد العقل السليم (112/8).

(١١) روح المعاني (115/26).

(١٢) الجامع لأحكام القرآن (286/16).

وعليه يظهر -والله أعلم- صحة اعتبار المعاني الثلاثة كلها تفسيراً للآية، فإن
« المعاني متقاربة »⁽²⁾ ومتداخلة، والله أعلم بالصواب.

(١) فتح القدير (54/5).

(٢) انظر: المرجع السابق.

معنى: ﴿فَازَرَهُ﴾

111 - قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ

تَرَبَّهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ
أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّورَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ،
فَازَرَهُ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ

اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

[سورة الفتح: 29].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: «﴿فَازَرَهُ﴾ أي: أعانه وقواه»⁽¹⁾.

وهذا المعنى هو المروي عن ابن عباس⁽²⁾، ومجاهد⁽³⁾، وقول الطبري⁽⁴⁾،

والنحاس⁽⁵⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(356).

(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(434).

(٣) تفسير مجاهد (604/2).

(٤) جامع البيان (114/26).

(٥) معاني القرآن (517/6).

والسمرقندي⁽¹⁾، والواحدي⁽²⁾، والبغوي⁽³⁾، والزمخشري⁽⁴⁾، وابن عطية⁽⁵⁾،
والقرطبي⁽⁶⁾، والبيضاوي⁽⁷⁾، والنسفي⁽⁸⁾، وابن جزري⁽⁹⁾، وابن كثير⁽¹⁰⁾،
والمحلي⁽¹¹⁾، وأبي السعود⁽¹²⁾، والشوكاني⁽¹³⁾، والألوسي⁽¹⁴⁾،
والشنقيطي⁽¹⁵⁾.

قال الواحدي: «﴿فَأَزْرَهُ﴾ قواه وأعانه، أي: قوى الشطأ الزرع كما قوى

أمر محمد وأصحابه، والمعنى أنهم يكونون قليلاً ثم يكثرون، وهذا مثل ضربه الله

(١) بحر العلوم (305/3).

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1014/2).

(٣) معالم التنزيل (206/4).

(٤) الكشاف (350/4).

(٥) المحرر الوجيز (142/5).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (295/16).

(٧) أنوار التنزيل (209/5).

(٨) مدارك التنزيل (160/4).

(٩) التسهيل لعلوم التنزيل (57/4).

(١٠) تفسير القرآن العظيم (205/4).

(١١) تفسير الجلالين ص (684).

(١٢) إرشاد العقل السليم (115/8).

(١٣) فتح القدير (65/5).

(١٤) روح المعاني (126/26).

(١٥) أضواء البيان (398/7).

تعالى لنبيه - ﷺ - إذ خرج وحده فأيده بأصحابه كما قوى الطاقة من الزرع بما
يربت حوله»⁽¹⁾.

وقال ابن جزري: «﴿فَأَزْرَهُ﴾ أي: قواه، وهو من الموازنة بمعنى

المعاونة»⁽²⁾.

وقال الشنقيطي: « وهذه الآية الكريمة قد بين الله فيها أنه ضرب المثل في
الإنجيل للنبي ﷺ وأصحابه بأنهم كالزرع يظهر في أول نباته رقيقاً ضعيفاً متفرقاً ثم
ينبت بعضه حول بعض ويغلظ ويتكامل حتى يقوى ويشتد وتعجب جودته
أصحاب الزراعة العارفين بها فكذلك النبي ﷺ وأصحابه كانوا في أول الإسلام في
قلة وضعف ثم لم يزالوا يكثرون ويزدادون قوة حتى بلغوا ما بلغوا»⁽³⁾.
وبما ذكرته تبين - والعلم عند الله تعالى - إجماع المفسرين على هذا المعنى،
مع كونه المعروف عند أهل اللغة⁽⁴⁾، فثبت اعتبار ما ذكره الإمام ابن قتيبة - رحمه
رحمه الله - معنىً للآية، والله أعلم بالصواب.

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/1014).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (4/57).

(٣) أضواء البيان (7/398).

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور (4/17)، وتاج العروس للزبيدي (10/42).

معنى: ﴿لَعْنَتُمْ﴾

112 - قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ

لَعْنَتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْأَيْمَنَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ

وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ [سورة الحجرات:

.[7]

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿لَعْنَتُمْ﴾ من العنت، وهو: الضرر

والفساد»⁽¹⁾.

أقوال المفسرين في بيان معنى ﴿لَعْنَتُمْ﴾ تتشابه في المعنى وتختلف في الألفاظ،

وسأذكر بعضهم بياناً، وأشير لبقيتهم اختصاراً:

قال الطبري: « وقوله ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعْنَتُمْ﴾ يقول تعالى

ذكره: لو كان رسول الله ﷺ يعمل في الأمور بآرائكم ويقبل منكم ما تقولون له

(1) تفسير غريب القرآن ص(359).

فيعطيكُم ﴿لَعْنَتُمْ﴾ يقول لنا لكن عنت؛ يعني: الشدة والمشقة في كثير من الأمور بطاعته إياكم لو أطاعكم» (1).

وقال البغوي: «﴿لَعْنَتُمْ﴾ لأئمتكم وهلكتم، والعنت: الإثم والهلاك» (2).

وقال ابن كثير: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعْنَتُمْ﴾ أي: لو أطاعكم في

جميع ما تختارونه لأدى ذلك إلى عنتكم وحرجمكم، كما قال - ﷺ -: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ

الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [سورة المؤمنون: 71]» (3).

وقال الشوكاني: «والمعنى لو يطيعكم في كثير مما تخبرونه به من الأخبار

الباطلة وتشيرونها عليه من الآراء التي ليست بصواب لوقعتهم في العنت وهو التعب والجهد والإثم والهلاك ولكنه لا يطيعكم في غالب ما تريدون قبل وضوح وجهه له، ولا يسارع إلى العمل بما يبلغه قبل النظر فيه» (4).

وحول هذا المعنى تدور أقوال بقية المفسرين، منهم: السمرقندي (5)،

والواحدي (1)،.....

(1) جامع البيان (125/26).

(2) معالم التنزيل (212/4).

(3) تفسير القرآن العظيم (211/4).

(4) فتح القدير (60/5).

(5) بحر العلوم (309/3).

وابن عطية⁽²⁾، والفخر الرازي⁽³⁾، والقرطبي⁽⁴⁾، والبيضاوي⁽⁵⁾، وابن
جزري⁽⁶⁾، والمحلي⁽⁷⁾، والثعالبي⁽⁸⁾، وأبوالسعود⁽⁹⁾، والألوسي⁽¹⁰⁾،
والسعدي⁽¹¹⁾.

فيظهر -والله أعلم- مما سبق بيانه أن اختلاف المفسرين في بيان معنى هذه
الآية هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، فيصح اعتبار الجميع معنىً للآية، والله
أعلم بالصواب.

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/1017).

(٢) المحرر الوجيز (5/147).

(٣) التفسير الكبير (28/105).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (16/314).

(٥) أنوار التنزيل (5/215).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (4/59).

(٧) تفسير الجلالين ص (686).

(٨) الجواهر الحسان (4/187).

(٩) إرشاد العقل السليم (4/125).

(١٠) روح المعاني (26/148).

(١١) تيسير الكريم الرحمن ص (800).

معنى: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾

113 - قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [سورة

الحجرات: 11].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أي: لا تتداعوا

بها، والألقاب والأنباز واحد⁽¹⁾.

فهذا الذي قاله ابن قتيبة هو الذي ذهب إليه جمهور المفسرين، فهو المروي

عن ابن عباس⁽²⁾ - رضي الله عنهما -، ومجاهد⁽³⁾، وقول الطبري⁽⁴⁾،

والسمرقندي⁽⁵⁾، والواحدي⁽⁶⁾، والسمعاني⁽⁷⁾، والبغوي⁽⁸⁾، والزمخشري⁽⁹⁾،

والزمخشري⁽⁹⁾، وابن عطية⁽¹⁾، والفخر الرازي⁽²⁾، والقرطبي⁽³⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(359).

(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(436).

(٣) تفسير مجاهد (607/2).

(٤) جامع البيان (132/26).

(٥) بحر العلوم (311/3).

(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1018/2).

(٧) تفسير القرآن (222/5).

(٨) معالم التنزيل (215/4).

(٩) الكشاف (372/4).

والبيضاوي⁽⁴⁾، والنسفي⁽⁵⁾، وابن جزى⁽⁶⁾، وابن كثير⁽⁷⁾، والمحلي⁽⁸⁾،
والثعالبي⁽⁹⁾، وأبو السعود⁽¹⁰⁾، والشوكاني⁽¹¹⁾، والألوسي⁽¹²⁾، والسعدي⁽¹³⁾.
حيث اتفقوا على المعنى المراد، وإن وردت اختلافات يسيرة في الألفاظ المعبر
بها.

وسأذكر أمثلة مما قالوه لإيضاح المراد:

قال الطبري: « قوله: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ يقول: ولا تداعوا بالألقاب

والنيز واللقب بمعنى واحد يجمع النيز أنبازاً واللقب ألقاباً [ثم أورد عدداً من
الروايات إلى أن قال:] والذي هو أولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب أن
يقال إن الله تعالى ذكره نهي المؤمنين أن يتنازوا بالألقاب والتناز بالألقاب هو دعاء
المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة وعم الله بنهيه ذلك ولم يخص به بعض

(١) المحرر الوجيز (150/5).

(٢) التفسير الكبير (114/28).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (328/16).

(٤) أنوار التنزيل (217/5).

(٥) مدارك التنزيل (165/4).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (60/4).

(٧) تفسير القرآن العظيم (213/4).

(٨) تفسير الجلالين ص (787).

(٩) الجواهر الحسان (189/4).

(١٠) إرشاد العقل السليم (121/8).

(١١) فتح القدير (64/5).

(١٢) روح المعاني (154/26).

(١٣) تيسير الكريم الرحمن ص (801).

الألقاب دون بعض فغير جائز لأحد من المسلمين أن يبنز أخاه باسم يكرهه أو صفة يكرهها وإذا كان ذلك كذلك صحت الأقوال التي قالها أهل التأويل في ذلك التي ذكرناها كلها ولم يكن بعض ذلك أولى بالصواب من بعض لأن كل ذلك مما نهى الله المسلمين أن يبنز بعضهم بعضاً»⁽¹⁾.

وقال الماوردي: «**وَلَا نَنَابِزُوا بِالْأَلْقَابِ**» في النبز وجهان:

أحدهما: أنه اللقب الثابت.

الثاني: أن النبز القول القبيح، وفيه هنا أربعة أوجه:

أحدها: أنه وضع اللقب المكروه على الرجل ودعاؤه به.

الثاني: أنه تسمية الرجل بالأعمال السيئة بعد الإسلام يا فاسق يا سارق يا زاني.

الثالث: أنه يعيره بعد الإسلام بما سلف من شركه.

الرابع: أن يسميه بعد الإسلام باسم دينه قبل الإسلام، لمن أسلم من اليهود يا يهودي، ومن النصراني يا نصراني.

فأما مستحب الألقاب ومستحسنها فلا يكره، وقد وصف النبي ﷺ عددًا من

أصحابه بأوصاف فصارت لهم من أجمل الألقاب»⁽²⁾، فالأوجه التي ذكرها

اختلفت في ماهية اللقب، واتفقت في أن النبز باللقب هو التداعي به.

قال الواحدي: «**وَلَا نَنَابِزُوا بِالْأَلْقَابِ**» وهو أن يدعى الرجل بلقب

يكرهه؛ نهى الله تعالى عن ذلك»⁽¹⁾.

(١) جامع البيان (132/26).

(٢) النكت والعيون (332/5) بتصرف يسير.

وقال ابن عطية: « والتناز: التلقب، والنبز واللقب واحد، واللقب هو ما يعرف به الإنسان من الأسماء التي يكره سماعها »⁽²⁾.

وقال السعدي: « **﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾** أي لا يعير أحدكم أخاه ويلقبه بلقب يكره أن يقال فيه وهذا هو التناز وأما الألقاب غير المذمومة فلا تدخل في هذا »⁽³⁾.

فيظهر -والله أعلم- بما تم بيانه اجتماعهم على المعنى المذكور، والله أعلم بالصواب.

فائدة:

وأختم بقول القرطبي فيما استثنى من الألقاب التي يبدو في ظاهرها الذم حيث قال: « وقع من ذلك مستثنى من غلب عليه الاستعمال كالأعرج والأحدب ولم يكن له فيه كسب يجد في نفسه منه عليه، فجوزته الأمة واتفق على قوله أهل الملة »⁽⁴⁾.

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/1018).

(٢) المحرر الوجيز (5/150).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص(801).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (16/328).

معنى: ﴿مَرِيحٍ﴾

114 - قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيحٍ﴾ [سورة

ق: 5].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيحٍ﴾ أي: مختلط،

يقال: مرج أمر الناس، ومرج الدين وأصل المرج: أن يقلق الشيء فلا يستقر. يقال:
مرج الخاتم في يدي مرجاً؛ إذا قلق من الهزال»⁽¹⁾.

بدراسة أقوال المفسرين؛ لا يمكن اعتبار أحد من المفسرين خالف بقول لا

يوافق فيه ما قاله «المفسرون»⁽²⁾، فكل ما ورد عنهم من أقوال «في المعنى

متقاربات»⁽³⁾، «والمعنى واحد»⁽⁴⁾.

فقالوا في معنى ﴿مَرِيحٍ﴾: «أي: منكر

وقال آخرون: مختلف

وقال آخرون: ضلالة

(١) تفسير غريب القرآن ص(360).

(٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (6/8).

(٣) انظر: جامع البيان للطبري (150/26).

(٤) انظر: أضواء البيان (438/7).

وقال آخرون: ملتبس⁽¹⁾.

وقال آخرون: مضطرب⁽²⁾.

فهذه مجمل الأقوال الواردة عن أئمة التفسير، منهم: الطبري⁽³⁾،

والسمرقندي⁽⁴⁾، والواحدي⁽⁵⁾، والسمعاني⁽⁶⁾، والبغوي⁽⁷⁾، والزمخشري⁽⁸⁾،

والزمخشري⁽⁸⁾، وابن عطية⁽⁹⁾، والفخر الرازي⁽¹⁰⁾، والقرطبي⁽¹¹⁾،

والبيضاوي⁽¹²⁾، والنسفي⁽¹³⁾، وابن جزى⁽¹⁴⁾، وابن كثير⁽¹⁵⁾، والمحلي⁽¹⁶⁾،

(١) لكها ذكرها الطبري ، انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري (384/4).

(٣) جامع البيان (150/26).

(٤) بحر العلوم (316/3).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1022/2).

(٦) تفسير القرآن (235/5).

(٧) معالم التنزيل (221/4).

(٨) الكشاف (384/4).

(٩) المحرر الوجيز (214/4).

(١٠) التفسير الكبير (133/28).

(١١) الجامع لأحكام القرآن (5/17).

(١٢) أنوار التنزيل (224/5).

(١٣) مدارك التنزيل (170/4).

(١٤) التسهيل لعلوم التنزيل (63/4).

(١٥) تفسير القرآن العظيم (223/4).

(١٦) تفسير الجلالين ص(689).

وأبو السعود⁽¹⁾، والشوكاني⁽²⁾، والألوسي⁽³⁾،
والسعدي⁽⁴⁾، والشنقيطي⁽⁵⁾.

ومن الأمثلة:

قال الواحدي: « ﴿ فِي أَمْرِ مَّرِيحٍ ﴾ ملتبس عليهم، مرة يقولون للنبي ﷺ

ساحر، ومرة شاعر، ومرة معلم»⁽⁶⁾.

وقال ابن كثير: « ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيحٍ ﴾ أي:

وهذا حال كل من خرج عن الحق مهما قال بعد ذلك فهو باطل، والمريخ المختلف

المضطرب الملتبس المنكر، كقوله تعالى: ﴿ إِن كُنتُمْ لِفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴾⁽⁸⁾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ

﴿ [سورة الذاريات: 8-9] ﴾⁽⁷⁾.

وقال الشنقيطي: « ﴿ مَّرِيحٍ ﴾ أي: مختلط، وقال بعضهم: مختلف، والمعنى

واحد»⁽⁸⁾.

(¹) إرشاد العقل السليم (126/8).

(²) فتح القدير (72/5).

(³) روح المعاني (175/26).

(⁴) تيسير الكريم الرحمن ص (803).

(⁵) أضواء البيان (438/7).

(⁶) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1022/2).

(⁷) تفسير القرآن العظيم (223/4).

(⁸) أضواء البيان (438/7).

ولقد أحسن إمام المفسرين الطبري حين أكد أمر تقارب المعاني بقوله:
« وإنما قلت هذه العبارات وإن اختلفت ألفاظها فهي في المعنى متقاربات، لأن
الشيء مختلف ملتبس معناه مشكل، وإذا كان كذلك كان منكراً، لأن المعروف
واضح بيّن، وإذا كان غير معروف كان لا شك ضلالة، لأن الهدى بيّن لا لبس
فيه»⁽¹⁾.

فبهذا العرض والبيان تبين اتفاقهم في بيان معنى الآية، والله أعلم بالصواب.

(1) جامع البيان (150/26).

معنى: ﴿بَاسِقَتٍ﴾

115 - قال تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّمَا طَلَعَ نَضِيدٌ﴾ [سورة ق: 10].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ أي: طوالاً،

يقال: بسق الشيء يسق بسوقاً؛ إذا طال»⁽¹⁾.

وقد وافق المفسرون ابن قتيبة في هذا المعنى، منهم: الطبري⁽²⁾،

والسمرقندي⁽³⁾، والواحدي⁽⁴⁾، والسمعاني⁽⁵⁾، والبغوي⁽⁶⁾، والزمخشري⁽⁷⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(361).

(٢) جامع البيان (152/26).

(٣) بحر العلوم (317/3).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1022/2).

(٥) تفسير القرآن (236/5).

(٦) معالم التنزيل (221/4).

(٧) الكشاف (385/4).

وابن عطية⁽¹⁾، والفخر الرازي⁽²⁾، والقرطبي⁽³⁾، والنسفي⁽⁴⁾، وابن جزري⁽⁵⁾،
جزري⁽⁵⁾، وابن كثير⁽⁶⁾، والمحلي⁽⁷⁾، والشوكاني⁽⁸⁾.

ووافق أهل اللغة على هذا المعنى أيضاً؛ فقالوا: « بسقت النخلة بسوقاً طالت
وكملت⁽⁹⁾»، وقالوا: « الباء والسين والقاف أصل واحد؛ وهو ارتفاع الشيء
وعلوه⁽¹⁰⁾».

وعلى قاعدة: « حمل كلام الله تعالى على المعروف من لغة العرب⁽¹¹⁾»؛
صح حمل الآية على المعنى المذكور، والله أعلم بالصواب.

(١) المحرر الوجيز (158/5).

(٢) التفسير الكبير (136/28).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (6/17).

(٤) مدارك التنزيل (171/4).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (63/4).

(٦) تفسير القرآن العظيم (223/4).

(٧) تفسير الجلالين ص (689).

(٨) فتح القدير (74/5).

(٩) هذه عبارة الفراهيدي في كتاب العين (85/5).

(١٠) هذه عبارة ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (247/1)، وانظر أيضاً: تهذيب اللغة للأزهري

(318/8)، ولسان العرب لابن منظور (20/10)، ومختار الصحاح للرازي ص (21).

(١١) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحري (369/2).

معنى: ﴿قَعِيدٌ﴾

116 - قال تعالى: ﴿إِذْ يَنْفَقُ الْمَتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [سورة ق:

[17].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أراد: قعيداً

من كل جانب، فاكتفى بذكر واحد؛ إذ كان دليلاً على الآخر. و ﴿قَعِيدٌ﴾ بمعنى:

قاعد، كما يقال: (قدير) بمعنى قادر.

ويكون بمنزلة (أكيل وشريب ونديم) أي: مؤاكل ومشارب ومُنادم،

كذلك (قعيد) أي: مُقاعد⁽¹⁾.

فابن قتيبة حمل معنى الآية على الاعتبارين معاً:

الأول: على اعتبار أن ﴿قَعِيدٌ﴾ بمعنى قاعد، والثاني: على اعتبار أن ﴿قَعِيدٌ﴾ بمعنى

مُقاعد. ووافق على هذه الطريقة: القرطبي⁽²⁾، وابن جزى⁽³⁾.

(1) تفسير غريب القرآن ص(361).

(2) الجامع لأحكام القرآن (10/17).

(3) التسهيل لعلوم التنزيل (64/4).

وممن اعتبر أن ﴿قَعِيدٌ﴾ بمعنى قاعد: السمرقندي⁽¹⁾، والواحدي⁽²⁾،
والسمعاني⁽³⁾، والبغوي⁽⁴⁾، والمحلي⁽⁵⁾.

وأما ممن اعتبر أن ﴿قَعِيدٌ﴾ بمعنى مُقَاعِد: الزمخشري⁽⁶⁾، وابن عطية⁽⁷⁾،
والبيضاوي⁽⁸⁾، وأبو السعود⁽⁹⁾، والشوكاني⁽¹⁰⁾، والشنقيطي⁽¹¹⁾.

قال البغوي: « ﴿قَعِيدٌ﴾ أي: قاعد، ولم يقل قعيدان لأنه أراد عن اليمين
قعيد وعن الشمال قعيد فاكتفى بأحدهما عن الآخر وأراد قعودًا كالرسول يجعل
للاثنين والجمع؛ كما قال الله تعالى في الاثنتين: ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
[سورة الشعراء: 16] »⁽¹²⁾.

(١) بحر العلوم (318/3).

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1023/2).

(٣) تفسير القرآن (239/5).

(٤) معالم التنزيل (222/4).

(٥) تفسير الجلالين ص (690).

(٦) الكشاف (388/4).

(٧) المحرر الوجيز (160/5).

(٨) أنوار التنزيل (226/5).

(٩) إرشاد العقل السليم (129/8).

(١٠) فتح القدير (75/5).

(١١) أضواء البيان (427/7).

(١٢) معالم التنزيل (222/4).

قال الزمخشري: « والقعيد المُقَاعِد كالجليس بمعنى المُجَالِس، وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين، فترك أحدهما لدلالة الثاني عليه »⁽¹⁾. وعليه يظهر - والله أعلم - أنه سواء كان على معنى (قاعد) أو على معنى (مُقاعد) فإن المعنى أن المراد بـ ﴿قَعِيدٌ﴾ أي: « الملازم الذي لا يبرح، لا القاعد الذي هو ضد القائم »⁽²⁾.

وإن كان ابن عطية والشنقيطي رجحا أن « الأصوب »⁽³⁾ و « الأظهر »⁽⁴⁾ أن يكون ﴿قَعِيدٌ﴾ بمعنى مُقَاعِد لأن: « المُقَاعِد: إنما يكون مع قعود الإنسان، والقاعد: يكون على جميع هيئة الإنسان »⁽⁵⁾، فهو راجع إلى ما ذكرت، ذكرت، والله أعلم بالصواب.

(١) الكشاف (388/4).

(٢) انظر: معالم التنزيل للبعوي (222/4).

(٣) المحرر الوجيز (160/5).

(٤) أضواء البيان (427/7).

(٥) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (64/4).

معنى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾

117 - قال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَبْلٍ سَمِينٍ﴾ [سورة الذاريات:

[26].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ أي: عدل إليهم في

خفية، ولا يكون الرواغ إلا أن تخفي ذهابك ومجيئك»⁽¹⁾.

وهذا الذي قاله ابن قتيبة هو ما ذهب إليه المفسرون، منهم: الطبري⁽²⁾،

والسمرقندي⁽³⁾، والزخشي⁽⁴⁾، والقرطبي⁽⁵⁾، والبيضاوي⁽⁶⁾، والنسفي⁽⁷⁾،

والنسفي⁽⁷⁾، وابن كثير⁽⁸⁾، وأبو السعود⁽⁹⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(364).

(٢) جامع البيان (208/16).

(٣) بحر العلوم (327/3).

(٤) الكشف (404/4).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (45/17).

(٦) أنوار التنزيل (238/5).

(٧) مدارك التنزيل (179/4).

(٨) تفسير القرآن العظيم (236/4).

(٩) إرشاد العقل السليم (140/8).

..... والشوكاني⁽¹⁾، والألوسي⁽²⁾،
والسعدي⁽³⁾.

قال الزمخشري: «فَرَاغَ إِلَيْكَ أَهْلِيهِ» فذهب إليهم في خفية من ضيوفه، ومن أدب المضيف أن يخفي أمره وأن يبادر بالقرى من غير أن يشعر به الضيف؛ حذرًا من أن يكفه أو يعذره⁽⁴⁾.

وقال ابن كثير: «فَرَاغَ إِلَيْكَ أَهْلِيهِ» أي: انسل خفية في سرعة⁽⁵⁾.
وقال السعدي: «فَرَاغَ إِلَيْكَ أَهْلِيهِ» أي: ذهب سريعًا في خفية ليحضر لهم قراهم⁽⁶⁾.

وما قاله المفسرون أكده أهل اللغة؛ فقالوا: «راغ فلان إلى فلان أي مال إليه سرًا»⁽⁷⁾.

والمعنى الذي صحَّ وجهه في لغة العرب؛ صح حمل كلام الله تعالى عليه، هذه قاعدة عند أهل الفن معتبرة⁽⁸⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) فتح القدير (88/5).

(٢) روح المعاني (12/27).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص(810).

(٤) الكشف (404/4).

(٥) تفسير القرآن العظيم (236/4).

(٦) تيسير الكريم الرحمن ص(810).

(٧) هذه عبارة الفراهيدي في كتاب العين (445/8)، وانظر: لسان العرب لابن منظور (430/8)،

ومختار الصحاح ص(111).

(٨) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).

معنى: ﴿ذُنُوبًا﴾

118 - قال تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ (٥٩)

[سورة الذاريات: 59].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: «الذنوب: الحظ والنصيب، وأصله: الدلو العظيمة، وكانوا يستقون فيكون لكل واحد ذنوب، فجعل (الذنوب) مكان (الحظ والنصيب) على الاستعارة»⁽¹⁾.

كل المفسرين اتفقوا أن معنى الآية: هو أن «للذين أشركوا من أهل مكة نصيباً من العذاب، مثل نصيب الذين مضوا قبلهم وأهلكوا بسبب تكذيبهم، نحو قوم عاد وثمود وغيرهم»⁽²⁾. لكن منهم من اكتفى بذكر هذا المعنى المراد دون توسع واستطراد بذكر أصل المعنى اللغوي للفظ (ذنوب)، وعليه فإن من المفسرين من وافق ابن قتيبة في إشارته إلى المعنى اللغوي للفظ (ذنوب) عند بيانه للمراد بالآية، منهم: الطبري⁽³⁾، والسمرقندي⁽⁴⁾، والسمعي⁽⁵⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(365).

(٢) هذه عبارة السمرقندي في بحر العلوم (331/3).

(٣) جامع البيان (13/27).

(٤) بحر العلوم (331/3).

(٥) تفسير القرآن (265/5).

..... والبغوي⁽¹⁾، والزمخشري⁽²⁾، والقرطبي⁽³⁾، وابن جزري⁽⁴⁾،
والشوكانى⁽⁵⁾، والألوسى⁽⁶⁾، والشنقيطي⁽⁷⁾.

قال الطبري : « وقوله ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا

يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره فإن للذين أشركوا بالله من قريش وغيرهم ذنوباً

وهي الدلو العظيمة وهو السجل أيضاً إذا ملئت أو قاربت الملاء، وإنما أريد
بالذنوب في هذا الموضع الحظ والنصيب ومعنى الكلام فإن للذين ظلموا من عذاب
الله نصيباً وحقاً نازلاً بهم مثل نصيب أصحابهم الذين مضوا قبلهم من الأمم على
منهاجهم من العذاب فلا يستعجلون به »⁽⁸⁾.

وقال الشنقيطي: « أصل الذنوب في لغة الغرب الدلو، وعادة العرب أنهم
يقتسمون ماء الآبار والقلب بالدلو فيأخذ هذا منه ملء دلو ويأخذ الآخر كذلك ومن
هنا أطلقوا اسم الذنوب التي هي الدلو على النصيب ومعنى الآية الكريمة: فإن للذين
ظلموا بتكذيب النبي ﷺ ذنوباً أي: نصيباً من عذاب الله تعالى مثل ذنوب أصحابهم من
الأمم الماضية من العذاب لما كذبوا رسلهم . وهذا المعنى الذي تضمنته هذه الآية

(١) معالم التنزيل (236/4).

(٢) الكشف (409/4).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (57/17).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (71/4).

(٥) فتح القدير (93/5).

(٦) روح المعاني (24/27).

(٧) أضواء البيان (449/7).

(٨) جامع البيان (13/27).

الكريمة جاء موضحاً في آية من كتاب الله تعالى كقوله تعالى ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ

ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة

الزمر: 50-51] «⁽¹⁾.

ومن الفريق الثاني الذين اکتفوا ببيان معنى الآية دون توسع في المعنى اللغوي

للفظ (ذنوب): الواحدي⁽²⁾، والفخر الرازي⁽³⁾، والبيضاوي⁽⁴⁾، والنسفي⁽⁵⁾،

والنسفي⁽⁵⁾، وابن كثير⁽⁶⁾، والمحلي⁽⁷⁾، والثعالبي⁽⁸⁾، وأبو السعود⁽⁹⁾،

والسعدي⁽¹⁰⁾.

قال الواحدي: ﴿ذُنُوبًا﴾ نصيباً من العذاب «⁽¹¹⁾.

(١) أضواء البيان (449/7).

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1032/2).

(٣) التفسير الكبير (204/28).

(٤) أنوار التنزيل (242/5).

(٥) مدارك التنزيل (182/4).

(٦) تفسير القرآن العظيم (239/4).

(٧) تفسير الجلالين ص (696).

(٨) الجواهر الحسان (213/4).

(٩) إرشاد العقل السليم (145/8).

(١٠) تيسير الكريم الرحمن ص (813).

(١١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1032/2).

وقال السعدي: « ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ بتكذيبهم محمداً ﷺ من العذاب

والنكال ﴿ ذُنُوبًا ﴾ أي: نصيباً وقسطاً مثل ما فعل بأصحابهم من أهل الظلم

والتكذيب «⁽¹⁾».

فيظهر اجتماعهم على القول المذكور معنى للآية، والله أعلم بالصواب.

(¹) تيسير الكريم الرحمن ص(813).

معنى: ﴿يُدْعُونَ﴾

119 - قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ [سورة الطور:

. [13]

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿يَوْمَ يُدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾

أي: يُدفعون، يقال: دعتته أدعّه دعاً، أي: دفعته، ومنه ﴿الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ [سورة الماعون: 2] «⁽¹⁾».

إن « الدّع في اللغة هو الدفع بشدة وعنف »⁽²⁾، « وذلك أن خزنة جهنم يُعَلِّون أيدي المكذبين إلى أعناقهم ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم ثم يدفعونهم إلى النار دفعاً على وجوههم وزجاً في أفقيتهم حتى يردوا النار »⁽³⁾.

وهذا المعنى هو ما أجمع عليه المفسرون موافقين في ذلك لما ذهب إليه ابن

قتيبة، فمنهم: الطبري⁽⁴⁾،

والسمرقندي⁽⁵⁾، والواحدي⁽¹⁾، والسمعاني⁽²⁾، والبغوي⁽³⁾، والزمخشري⁽⁴⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(367).

(٢) هذه عبارة السمعاني في تفسير القرآن (269/5)، وانظر: لسان العرب لابن منظور (85/8).

(٣) انظر: معالم التنزيل للبغوي (238/4) بتصرف.

(٤) جامع البيان (22/27).

(٥) بحر العلوم (333/3).

وابن عطية⁽⁵⁾، والقرطبي⁽⁶⁾، والبيضاوي⁽⁷⁾، والنسفي⁽⁸⁾، وابن جزي⁽⁹⁾، وابن كثير⁽¹⁰⁾، والمحلي⁽¹¹⁾، وأبو السعود⁽¹²⁾، والشوكاني⁽¹³⁾، والألوسي⁽¹⁴⁾، والسعدي⁽¹⁵⁾، والشنقيطي⁽¹⁶⁾.

قال السمعاني: « قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ أي:

يُدْفَعُونَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وقوله ﴿دَعَاً﴾ أي: دَفَعًا، والدَّعْ في اللغة هو الدفع بشدة وعرف⁽¹⁷⁾.

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/1034).

(٢) تفسير القرآن (5/269).

(٣) معالم التنزيل (4/238).

(٤) الكشاف (4/412).

(٥) المحرر الوجيز (5/187).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (17/64).

(٧) أنوار التنزيل (5/245).

(٨) مدارك التنزيل (4/183).

(٩) التسهيل لعلوم التنزيل (4/71).

(١٠) تفسير القرآن العظيم (4/242).

(١١) تفسير الجلالين ص (697).

(١٢) إرشاد العقل السليم (8/147).

(١٣) فتح القدير (5/97).

(١٤) روح المعاني (27/30).

(١٥) تيسير الكريم الرحمن ص (814).

(١٦) أضواء البيان (7/452).

(١٧) تفسير القرآن (5/269).

وقال الشنقيطي: « ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ الدَّعَّ في لغة

العرب: الدفع بقوة وعنف، ومنه قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ

﴿٢﴾ [سورة الماعون: 2] أي: يدفعه عن حقه بقوة وعنف وقد جاء هذا الأمر

موضحاً في آيات أخر من كتاب الله تعالى، كقوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ

سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ [سورة الدخان: 47] أي جرّوه بقوة وعنف إلى وسط

النار، والعتل في لغة العرب: الجر بعنف وقوة^(١)، وكقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُ

الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُوْخِذُ بِالنَّوْصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ [سورة الرحمن: 41] أي: تجمع

الزبانية بين ناصية الواحد منهم، أي: مقدم شعر رأسه وقدمه، ثم تدفعه في النار بقوة وشدة.

وقد بين جل وعلا أنهم أيضاً يسحبون في النار على وجوههم في آيات من

كتابه كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾

[سورة القمر: 48]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (423/11).

بِهِ رَسُولًا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ
﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ [سورة غافر: 70-72] «^(١).

فإجماع المفسرين على المعنى بناءً على دلالة الآيات الأخرى عليه من تفسير
القرآن بالقرآن، أفضل طرق التفسير وأحسنها^(٢)، والله أعلم بالصواب.

(١) أضواء البيان (452/7) بتصرف.

(٢) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين - رحمه الله - ص(127).

معنى: ﴿وَلَا تَأْتِمُّوهُ﴾

120- قال تعالى: ﴿يَنْزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِمُّوهُ﴾ [سورة الطور:

.[23]

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِمُّوهُ﴾ أي: لا

تذهب بعقولهم فيلغوا أو يرفثوا؛ فيأثموا، كما يكون ذلك في خمر الدنيا»⁽¹⁾.

لم أجد فيما وقفت عليه من أقوال الأئمة المفسرين من خالفه بل كلهم

موافقون؛ ذكروا نفس المعنى الذي ذكره ابن قتيبة ما بين مُسْتَهْب في الشرح

ومُختَصِر، فمنهم: الطبري⁽²⁾، والسمرقندي⁽³⁾، والواحدي⁽⁴⁾، والسمعاني⁽⁵⁾،

والبغوي⁽⁶⁾، والزمخشري⁽⁷⁾، وابن عطية⁽⁸⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(367).

(٢) جامع البيان (28/27).

(٣) بحر العلوم (334/3).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1035/2).

(٥) تفسير القرآن (275/5).

(٦) معالم التنزيل (239/4).

(٧) الكشف (414/4).

(٨) المحرر الوجيز (190/5).

..... والفخر الرازي⁽¹⁾، والقرطبي⁽²⁾،
والبيضاوي⁽³⁾، والنسفي⁽⁴⁾، وابن جزى⁽⁵⁾، وابن كثير⁽⁶⁾، والمحلي⁽⁷⁾،
والثعالبي⁽⁸⁾، وأبو السعود⁽⁹⁾، والشوكاني⁽¹⁰⁾، والألوسي⁽¹¹⁾، والشنقيطي⁽¹²⁾.
والشنقيطي⁽¹²⁾.

قال الواحدي: « **لَا لَعَوٌّ فِيهَا وَلَا تَأْتِي** » لا يجري بينهم فيها باطل ولا

إثم كما يجري بين شربة الخمر في الدنيا »⁽¹³⁾.

وقال الزمخشري: « **لَا تَأْتِي** » أي: لا يتكلمون في أثناء الشرب بسقط

الحديث ومال لا طائل تحته كفعل المتنادمين في الدنيا على الشراب في سفههم

(١) التفسير الكبير (218/28).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (68/17).

(٣) أنوار التنزيل (247/5).

(٤) مدارك التنزيل (184/4).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (73/4).

(٦) تفسير القرآن العظيم (243/4).

(٧) تفسير الجلالين ص (698).

(٨) الجواهر الحسان (217/4).

(٩) إرشاد العقل السليم (149/8).

(١٠) فتح القدير (98/5).

(١١) روح المعاني (34/27).

(١٢) أضواء البيان (454/7).

(١٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1035/2).

وعربدتهم، ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله أي ينسب إلى الإثم لو فعله في دار التكليف من الكذب والشحّ والفواحش وإنما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن متلذذين بذلك لأن عقولهم ثابتة غير زائلة وهم حكماء علماء»⁽¹⁾.

وقال ابن عطية: « والتأثيم يلحق خمر الدنيا في نفس شربها وفي الأفعال التي تكون من شربها وذلك كله مرتفع في الآخرة »⁽²⁾.

وقال الشنقيطي: « وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا

تَأْثِيمٌ﴾ يعني: أن خمر الجنة التي يتعاطاها المؤمنون فيها مخالفة في جميع الصفات لخمير الدنيا، فخمير الآخرة لا لغو فيها واللغو كل كلام ساقط لا خير فيه فخمير الآخرة لا تحمل شاربها على الكلام الخبيث والهديان لأنها لا تؤثر في عقولهم بخلاف خمر الدنيا فإنهم إن يشربوها سكروا وطاشت عقولهم فتكلموا بالكلام الخبيث والهديان وكل ذلك من اللغو، والتأثيم هو ما ينسب به فاعله إلى الإثم فخمير الآخرة لا يأثم شاربها بشربها لأنها مباحة له فنعم بلذتها كما قال تعالى:

﴿وَأَنْهَرُ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ [سورة محمد: 15]، ولا تحمل شاربها على أن

يفعل إثماً بخلاف خمر الدنيا فشاربها يأثم بشربها ويحمله السكر على الوقوع في المحرمات كالقتل والزنا والقذف.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من مخالفة خمير الآخرة لخمير الدنيا جاء موضحاً

في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكُأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾^(٤٥)

(١) الكشاف (414/4).

(٢) المحرر الوجيز (190/5).

بِضْمَاءٍ لَذَّةٍ لِلشَّرْبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾ [سورة الصافات:

45-47] فقله ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ أي ليس فيها غول يغتال العقول فيذهبها كخمر

الدنيا ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ أي: لا يسكرون، وقله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ

وَلَدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ يَا كُوفٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ

﴿١٩﴾ [سورة الواقعة: 17-19] فقله ﴿لَا يُصَدَّعُونَ﴾ أي: لا يصيبهم الصداع

الذي هو وجع الرأس بسببها»^(١).

فهذا المعنى المذكور أجمع عليه المفسرون لدلالة آيات أخرى من القرآن

الكريم عليه، «أفضل أنواع التفسير وأحسنها»^(٢)، والله أعلم بالصواب.

(١) أضواء البيان (454/7).

(٢) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

معنى: ﴿رَبِّ الْمُنُونِ﴾

121- قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبَرَّصُ بِهِ رِبِّ الْمُنُونِ﴾ [سورة الطور:

.[30]

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿نَّبَرَّصُ بِهِ رِبِّ الْمُنُونِ﴾ أي:

حوادث الدهر وأوجاعه ومصائبه.

و ﴿الْمُنُونِ﴾ الدهر؛ قال أبو ذؤيب:

أمن المنون وريبه تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع⁽¹⁾

هكذا كان الأصمعي يرويه: (وريبه) ويذهب إلى أنه الدهر، قال: وقوله

(والدهر ليس بمعتب) يدل على ذلك، كأنه قال: (أمن الدهر وريبه تتوجع، والدهر لا يعتب من يجزع).

قال الكسائي: « تقول العرب: لا أكلمك آخر المنون، أي آخر الدهر

«⁽²⁾.

(¹) هذا البيت مطلع قصيدة لأبي ذؤيب الهذلي يرثي فيها بنه، ذكر أبياتاً منها ياقوت الحموي في معجم الأدباء (308/3)، وقد تقدمت ترجمة أبي ذؤيب.

(²) تفسير غريب القرآن ص (367).

وما ذهب إليه ابن قتيبة من أن ﴿رَبِّ الْمُنُونِ﴾ تعني: الدهر؛ هو المروي عن مجاهد⁽¹⁾، وقول الطبري⁽²⁾، والسمعاني⁽³⁾، والبغوي⁽⁴⁾، والزمخشري⁽⁵⁾، وابن عطية⁽⁶⁾، والنسفي⁽⁷⁾، والمحلي⁽⁸⁾، والثعالبي⁽⁹⁾، والشوكاني⁽¹⁰⁾، والشنقيطي⁽¹¹⁾.

ومن قال بأن المنون تعني: الموت؛ منهم الواحدي⁽¹²⁾، والسعدي⁽¹³⁾. وعدد من المفسرين جمّعوا القولين معاً عند بيانهم لمعنى الآية، دون تحديد أحد القولين راجحاً دون الآخر في بيان المعنى، وإنما على اعتبار أن كليهما محتمل؛

(١) تفسير مجاهد (626/2).

(٢) جامع البيان (31/27).

(٣) تفسير القرآن (267/5).

(٤) معالم التنزيل (240/4).

(٥) الكشاف (415/4).

(٦) الحرر الوجيز (191/5).

(٧) مدارك التنزيل (185/4).

(٨) تفسير الجلالين ص (698).

(٩) الجواهر الحسان (219/4).

(١٠) فتح القدير (99/5).

(١١) أضواء البيان (459/7).

(١٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1035/2).

(١٣) تيسير الكريم الرحمن ص (816).

فمنهم: السمرقندي⁽¹⁾، والفخر الرازي⁽²⁾، والقرطبي⁽³⁾، والبيضاوي⁽⁴⁾، وابن
وابن جزى⁽⁵⁾، وابن كثير⁽⁶⁾، وأبو السعود⁽⁷⁾، والألوسي⁽⁸⁾.

قال السمعاني: «﴿تَنْزِيصٌ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ﴾ معناه: حوادث الدهر»⁽⁹⁾.

وقال البغوي: «﴿تَنْزِيصٌ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ﴾ حوادث الدهر وصروفه فيموت

ويهلك كما هلك من قبله الشعراء ويتفرق أصحابه»⁽¹⁰⁾.

وقال ابن كثير: «﴿تَنْزِيصٌ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ﴾ أي: قوارع الدهر، والمنون الموت،

يقولون ننتظره ونصبر عليه حتى يأتيه الموت فنستريح منه»⁽¹¹⁾.

وقال الشنقيطي: «﴿تَنْزِيصٌ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ﴾ أي ننتظر به حوادث الدهر حتى يحدث

له منها الموت، فالمنون الدهر، وربيه حوادثه التي يطرأ فيها الهلاك والتغيير»⁽¹²⁾.

(١) بحر العلوم (35/33).

(٢) التفسير الكبير (219/28).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (71/17).

(٤) أنوار التنزيل (248/5).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (73/4).

(٦) تفسير القرآن العظيم (244/4).

(٧) إرشاد العقل السليم (150/8).

(٨) روح المعاني (36/27).

(٩) تفسير القرآن (335/3).

(١٠) معالم التنزيل (240/4).

(١١) تفسير القرآن العظيم (244/4).

(١٢) أضواء البيان (459/7).

والذي يظهر - والله أعلم - في بيان معنى هذه الآية: أن الأقوال الواردة عن المفسرين متشابهة « وإن اختلفت عباراتهم »⁽¹⁾، والله أعلم بالصواب.

معنى: ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾

122- قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [سورة النجم: 5].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ جبريل - عليه السلام -،

وأصله من قوى الحبل: وهي طاقاته، الواحدة: قوة⁽²⁾.

وما ذكره ابن قتيبة من أن المراد بـ ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ أي: جبريل - عليه السلام -،

هذا هو المروي عن ابن عباس⁽³⁾، ومقاتل⁽⁴⁾، وقول الطبري⁽⁵⁾، والماوردي⁽⁶⁾،

والماوردي⁽⁶⁾، والواحدي⁽⁷⁾، والسمعاني⁽⁸⁾، والبيهقي⁽⁹⁾، والزحشري⁽¹⁰⁾،

(١) قال ذلك الإمام الطبري في جامع البيان (31/27).

(٢) تفسير غريب القرآن ص (369).

(٣) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص (446).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (289/3).

(٥) جامع البيان (42/27).

(٦) النكت والعيون (305/5).

(٧) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1038/2).

(٨) تفسير القرآن (285/5).

(٩) معالم التنزيل (245/4).

والزحشري⁽¹⁾، وابن عطية⁽²⁾، والفخر الرازي⁽³⁾، والعز بن عبد السلام⁽⁴⁾،
والقرطبي⁽⁵⁾، والبيضاوي⁽⁶⁾، والنسفي⁽⁷⁾، ونظام الدين النيسابوري⁽⁸⁾، وابن
وابن جزري⁽⁹⁾، وأبي حيان⁽¹⁰⁾، وابن كثير⁽¹¹⁾، والمحلي⁽¹²⁾، والبقاعي⁽¹³⁾،
وأبي السعود⁽¹⁴⁾، والشوكاني⁽¹⁵⁾، والألوسي⁽¹⁶⁾، والسعدي⁽¹⁷⁾، وابن
عاشور⁽¹⁸⁾، والشنقيطي⁽¹⁹⁾.

-
- (١) الكشاف (245/4).
(٢) المحرر الوجيز (196/5).
(٣) التفسير الكبير (196/28).
(٤) تفسير القرآن (243/3).
(٥) الجامع لأحكام القرآن (85/17).
(٦) أنوار التنزيل (252/5).
(٧) مدارك التنزيل (188/4).
(٨) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (188/6).
(٩) التسهيل لعلوم التنزيل (75/4).
(١٠) البحر المحيط (75/8).
(١١) تفسير القرآن العظيم (248/4).
(١٢) تفسير الجلالين ص (700).
(١٣) نظم الدرر (446/7).
(١٤) إرشاد العقل السليم (155/8).
(١٥) فتح القدير (105/5).
(١٦) روح المعاني (47/27).
(١٧) تيسير الكريم الرحمن ص (818).
(١٨) التحرير والتنوير (47/27).
(١٩) أضواء البيان (818/7).

قال الطبري: « وقوله ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ يقول تعالى ذكره علم محمداً ﷺ هذا القرآن جبريل -عليه السلام- « (1).

وقال الشنقيطي: « قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ المراد بـ ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ هو جبريل -عليه السلام-.

وهذه الآية الكريمة قد تضمنت أمرين: أحدهما: أن هذا الوحي الذي من أعظمه هذا القرآن العظيم، علمه جبريل -عليه السلام- النبي ﷺ بأمر من الله -عز وجل- والثاني: أن جبريل -عليه السلام- شديد القوة.

وهذان الأمران جاءا موضحين في غير هذا الموضع:

أما الأول منهما: وهو كون جبريل نزل عليه بهذا الوحي وعلمه إياه، فقد

جاء موضحاً في آيات من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ

فَأَنزَلْنَاهُ نَزْلَهُ، عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: 97]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَاهُ لِنزِيلِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾

[سورة الشعراء: 192-194]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ

يُقَضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، ﴿[سورة طه: 114]. وقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ

(1) جامع البيان (42/27).

لِتَعَجَّلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ﴿ [سورة

القيامة: 16-18] أي: إذا قرأه عليك الملك المرسل به إليك منا مبلغًا له عنا فاتبع قرآنه، أي اقرأ كما سمعته يقرأ.

وأما الأمر الثاني: وهو شدة قوة جبريل -عليه السلام- النازل بهذا الوحي، فقد

ذكره في قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ وقوله في

آية التكوير هذه: ﴿لَقَوْلِ رَسُولٍ﴾ أي: لقوله المبلغ له عن الله، فقريئة ذكر الرسول

تدل على أنه إنما يبلغ شيئًا أرسل به، فالكلام كلام الله بألفاظه ومعانيه، وجبريل مبلغ عن الله، وبهذا الاعتبار نسب القول له، لأن النبي ﷺ ما سمعه إلا منه، فهو

القول الذي أرسله الله به، وأمره بتبليغه، كما تدل عليه قريئة ذكر الرسول «⁽¹⁾».

فهذا القول الذي «اتفق المفسرون»⁽²⁾ عليه، هو «الراجح»⁽³⁾ في بيان

المراد، وقد دلت عليه آيات أخرى من كتاب الله، ذكرت في أثناء كلام الشيخ الشنقيطي، والله أعلم بالصواب.

(١) أضواء البيان (818/7)

(٢) انظر: النكت والعيون للماوردي (305/5)، والتحرير والتنوير (47/27).

(٣) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (75/4).

معنى: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾

123- قال تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [سورة النجم: 9].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أي: قدر

قوسين عربيتين.

وقال قوم: (القوس) الذراع؛ أي: كان ما بينهما قدر ذراعين.

والتفسير الأول أعجب إليّ؛ لقول النبي ﷺ: «لقاب قوس أحدكم من الجنة،

أو موضع قدّه، خير له من الدنيا وما فيها»⁽¹⁾ والقدُّ: السوط»⁽²⁾.

ما ذهب إليه ابن قتيبة من أن ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ تعني: مقدار قوسين عربيتين،

هذا المعنى هو المروي عن ابن عباس⁽³⁾،

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (1029/3) رقم الحديث (2643)، كتاب: الجهاد

والسير، باب: الحور العين وصفتهن بحار فيها الطرف، شديدة سواد العين شديدة بياض العين وزوجناهم أنكحناهم. ونص الحديث الذي رواه أنس بن مالك عن النبي ﷺ لروحة في سبيل الله أو

غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد يعني سوطه خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة أطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها».

(٢) تفسير غريب القرآن ص(370).

(٣) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(446).

ومقاتل⁽¹⁾، وقال به: الطبري⁽²⁾، والواحدي⁽³⁾، والبغوي⁽⁴⁾، والزمخشري⁽⁵⁾،
والفخر الرازي⁽⁶⁾، والقرطبي⁽⁷⁾، والبيضاوي⁽⁸⁾، والنسفي⁽⁹⁾، ونظام الدين
النيسابوري⁽¹⁰⁾، وأبو حيان⁽¹¹⁾، والمحلي⁽¹²⁾، والبقاعي⁽¹³⁾، وأبو السعود⁽¹⁴⁾،
والشوكاني⁽¹⁵⁾، والألوسي⁽¹⁶⁾، والسعدي⁽¹⁷⁾، وابن عاشور⁽¹⁸⁾.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (289/3).

(٢) جامع البيان (45/27).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1039/2).

(٤) معالم التنزيل (246/4).

(٥) الكشاف (420/4).

(٦) التفسير الكبير (248/28).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (90/17).

(٨) أنوار التنزيل (253/5).

(٩) مدارك التنزيل (188/4).

(١٠) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (257/6).

(١١) البحر المحيط (75/8).

(١٢) تفسير الجلالين ص (701).

(١٣) نظم الدرر (315/7).

(١٤) إرشاد العقل السليم (155/8).

(١٥) فتح القدير (106/5).

(١٦) روح المعاني (49/27).

(١٧) تيسير الكريم الرحمن ص (819).

(١٨) التحرير والتنوير (96/27).

والقول بأن ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ تعني: قدر ذراعين، قال به من المفسرين:
 السمرقندي⁽¹⁾، وابن أبي زنين⁽²⁾، وابن عطية⁽³⁾، وابن كثير⁽⁴⁾.
 والذي يظهر - والله أعلم - أن الأصح هو « ما درج عليه أكثر
 المفسرين »⁽⁵⁾، لأنه « ورد على استعمال العرب وعادتهم »⁽⁶⁾، وأصله « أن
 الحليفين من العرب كانا إذا أرادا عقد الصفاء والعهد خرجا بقوسيهما فألصقا
 بينهما يريدان بذلك أنهما متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه »⁽⁷⁾،
 وفي الآية: « إشارة إلى تأكيد المحبة والقربة ورفع المنزلة والمرتبة »⁽⁸⁾، والله أعلم
 أعلم بالصواب.

(١) بحر العلوم (340/3).

(٢) تفسير القرآن العزيز (306/4).

(٣) المحرر الوجيز (198/5).

(٤) تفسير القرآن العظيم (250/4).

(٥) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (96/27).

(٦) انظر: التفسير الكبير للرازي (248/28).

(٧) انظر: معالم التنزيل للبغوي (246/4).

(٨) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (306/9).

معنى: ﴿وَأَكْدَى﴾

124- قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٤﴾﴾ [سورة

النجم: 33-34].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَأَكْدَى﴾ أي: قطع، وهو من: كُدِيَّة

الرَّكِيَّة، وهي: الصلابة فيها، وإذا بلغها الحافر يئس من حفرها، فقطع الحفر، فقليل لكل من طلب شيئاً فلم يبلغ آخره، أو أعطى ولم يتمم: أكدي «⁽¹⁾».

وهذا الذي ذكره ابن قتيبة في بيان معنى أكدي هو ما ذهب إليه جمهور

المفسرين، منهم الطبري⁽²⁾، والسمرقندي⁽³⁾، وابن أبي زمنين⁽⁴⁾، والواحدي⁽⁵⁾، والواحدي⁽⁵⁾، والسمعاني⁽⁶⁾، والبغوي⁽⁷⁾، والزمخشري⁽⁸⁾،

(١) تفسير القرآن ص (371).

(٢) جامع البيان (293/27).

(٣) بحر العلوم (346/3).

(٤) تفسير القرآن العزيز (312/4).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1042/2).

(٦) تفسير القرآن (299/5).

(٧) معالم التنزيل (253/4).

(٨) الكشاف (427/4).

.....وابن عطية⁽¹⁾، والفخر الرازي⁽²⁾،

والقرطبي⁽³⁾، والبيضاوي⁽⁴⁾، والنسفي⁽⁵⁾، وابن جزري⁽⁶⁾، وأبو حيان⁽⁷⁾،

وأبو حيان⁽⁷⁾، وابن كثير⁽⁸⁾، والمحلي⁽⁹⁾، والبقاعي⁽¹⁰⁾، وأبو السعود⁽¹¹⁾،

والشوكانى⁽¹²⁾، والألوسى⁽¹³⁾، وابن عاشور⁽¹⁴⁾، والشنقيطي⁽¹⁵⁾.

قال الطبري: « وذكر أن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة من أجل أنه

عاتبه بعض المشركين وكان قد التبع رسول الله ﷺ على دينه فضمن له الذي عاتبه

إن هو أعطاه شيئاً من ماله إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الآخرة، ففعل فأعطى

الذي عاتبه على ذلك بعض ما كان ضمن له ثم بخل عليه ومنعه تمام ما ضمن له

(١) المحرر الوجيز (205/5).

(٢) التفسير الكبير (205/29).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (112/17).

(٤) أنوار التنزيل (259/5).

(٥) مدارك التنزيل (191/4).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (78/4).

(٧) البحر المحيط (164/8).

(٨) تفسير القرآن العظيم (258/4).

(٩) تفسير الجلالين ص (703).

(١٠) نظم الدرر (330/7).

(١١) إرشاد العقل السليم (162/8).

(١٢) فتح القدير (114/5).

(١٣) روح المعاني (65/27).

(١٤) التحرير والتنوير (128/27).

(١٥) أضواء البيان (467/7).

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول: اشتق قوله: أكدى من كدية الركبة؛ وهو أن يحفر حتى ييأس من الماء، فيقال حينئذ: بلغنا كُدَيْتَهَا»⁽¹⁾.

وقال السمرقندي « ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا﴾ يعني: وأنفق قليلاً من ماله ﴿وَأَكْدَى﴾

يعني: أمسك عن النفقة»⁽²⁾.

وقال الشوكاني: «وأصل أكدى من الكدية وهي الصلابة، يقال لمن حفر بئراً بلغ فيها إلى حجر لا يتهيأ له فيه حفر؛ قد أكدى، ثم استعمله العرب لمن أعطى فلم يتم، ولمن طلب شيئاً فلم يبلغ آخره»⁽³⁾.

وإجماع المفسرين على المعنى دلالة صحة حمل الآية عليه، والعمل به، والله أعلم بالصواب.

(1) جامع البيان (293/27).

(2) بحر العلوم (436/3).

(3) فتح القدير (114/5).

معنى: ﴿وَأَنَّ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾

125- قال تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾ ﴿٤١﴾

[سورة النجم: 40-41].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - « ﴿وَأَنَّ سَعِيَهُ﴾: عمله، ﴿سَوْفَ يُرَى﴾ أي: يعلم،

﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ﴾: يجزى به «⁽¹⁾».

وبدراسة أقوال المفسرين في بيان معنى الآية لوحظ أنهم فسروا ﴿سَوْفَ يُرَى﴾

على معناها الأصلي المتبادر إلى الذهن، سواء « كان من الرؤية فكقوله تعالى: ﴿وَقُلْ

أَعْمَلُوا فَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة التوبة: 105]، أو إن كان من الإراءة فالفائدة في

إراءته وعرضه عليه أن يفرح به هو ويحزن الكافر» ⁽²⁾، « كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ

يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ﴿٨﴾ [سورة الزلزلة: 7-8] «⁽³⁾».

ومنهم: الطبري⁽⁴⁾، والسمرقندي⁽⁵⁾، وابن أبي زمنين⁽⁶⁾، والسلمي⁽⁷⁾،

والواحدي⁽¹⁾، والسمعاني⁽²⁾، والبغوي⁽³⁾، والرازي⁽⁴⁾، والقرطبي⁽⁵⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(371).

(٢) هذه عبارة النيسابوري في تفسيره غرائب القرآن ورغائب الفرقان (192/6).

(٣) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (78/4).

(٤) جامع البيان (74/27).

(٥) بحر العلوم (346/3).

(٦) تفسير القرآن العزيز (313/4).

(٧) حقائق التفسير (288/2).

والبيضاوي⁽⁶⁾، والنسفي⁽⁷⁾، ونظام الدين النيسابوري⁽⁸⁾، وابن جزري⁽⁹⁾، وابن كثير⁽¹⁰⁾، والمحلي⁽¹¹⁾، وأبو السعود⁽¹²⁾، والشوكاني⁽¹³⁾، والألوسي⁽¹⁴⁾، والشنقيطي⁽¹⁵⁾.

قال الطبري: « قوله جل ثناؤه ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ يقول تعالى

ذكره وأن عمل كل عامل سوف يراه يوم القيامة مَنْ وَرَدَ القيامة بالجزاء الذي يجازى عليه خيراً كان أو شراً، لا يؤخذ بعقوبة ذنب غير عامله، ولا يثاب على صالح عمله عامل غيره»⁽¹⁶⁾.

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/1042).

(٢) تفسير القرآن (5/301).

(٣) معالم التنزيل (4/254).

(٤) التفسير الكبير (29/14).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (17/115).

(٦) أنوار التنزيل (5/259).

(٧) مدارك التنزيل (4/192).

(٨) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (6/192).

(٩) التسهيل لعلوم التنزيل (4/78).

(١٠) تفسير القرآن العظيم (4/259).

(١١) تفسير الجلالين ص (703).

(١٢) إرشاد العقل السليم (8/164).

(١٣) فتح القدير (5/114).

(١٤) روح المعاني (27/67).

(١٥) أضواء البيان (7/471).

(١٦) جامع البيان (27/74).

وقال الواحدي: « ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ﴾ عمله ﴿سَوْفَ يُرَى﴾ في ميزانه من
خير وشر»⁽¹⁾.
وبما ذكرته يتبين اتفاق ابن قتيبة مع بقية المفسرين في بيان معنى الآية، لا
خلاف في ذلك، والله أعلم بالصواب.

(1) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/1042).

المراد بـ ﴿الشَّعْرَى﴾

126- قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ [سورة النجم: 49].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾: الكوكب

المضيئ الذي يطلع بعد الجوزاء، وكان ناس في الجاهلية يعبدونها»⁽¹⁾.

جمهور المفسرين ذكروا نفس المعنى أيضاً، فهذا المعنى هو المروي عن ابن عباس⁽²⁾ - رضي الله عنهما -، وقال به الطبري⁽³⁾، والسمرقندي⁽⁴⁾، وابن أبي زمنين⁽⁵⁾، والماوردي⁽⁶⁾، والواحدي⁽⁷⁾، والسمعاني⁽⁸⁾، والبغوي⁽⁹⁾، والزمخشري⁽¹⁰⁾،

(١) تفسير غريب قرآن ص(372).

(٢) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(448).

(٣) جامع البيان (76/27).

(٤) بحر العلوم (347/3).

(٥) تفسير القرآن العزيز (313/4).

(٦) النكت والعيون (405/5).

(٧) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1043/2).

(٨) تفسير القرآن (302/5).

(٩) معالم التنزيل (256/4).

(١٠) الكشف (429/4).

وابن عطية⁽¹⁾، والفخر الرازي⁽²⁾، والقرطبي⁽³⁾، والبيضاوي⁽⁴⁾، والنسفي⁽⁵⁾،
والنسفي⁽⁵⁾، والخازن⁽⁶⁾، ونظام الدين النيسابوري⁽⁷⁾، وابن جزي⁽⁸⁾،
وأبو حيان⁽⁹⁾، وابن كثير⁽¹⁰⁾، والمحلي⁽¹¹⁾، وابن عادل⁽¹²⁾، والبقاعي⁽¹³⁾،
وأبو السعود⁽¹⁴⁾، والشوكاني⁽¹⁵⁾، والسعدي⁽¹⁶⁾، وابن عاشور⁽¹⁷⁾.

-
- (١) المحرر الوجيز (208/5).
(٢) التفسير الكبير (21/29).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (119/17).
(٤) أنوار التنزيل (260/5).
(٥) مدارك التنزيل (192/4).
(٦) لباب التأويل (271/6).
(٧) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (212/6).
(٨) التسهيل لعلوم التنزيل (79/4).
(٩) البحر المحيط (153/8).
(١٠) تفسير القرآن العظيم (260/4).
(١١) تفسير الجلالين ص (704).
(١٢) اللباب في علوم الكتاب (215/18).
(١٣) نظم الدرر (334/7).
(١٤) إرشاد العقل السليم (164/8).
(١٥) فتح القدير (117/5).
(١٦) تيسير الكريم الرحمن ص (822).
(١٧) التحرير والتنوير (150/27).

قال الطبري: « قوله ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ يقول تعالى ذكره: وأن ربك

يا محمد هو رب الشعري، يعني بالشعري النجم الذي يسمى هذا الاسم، وهو نجم كان بعض أهل الجاهلية يعبدونه من دون الله»⁽¹⁾.

وقال الماوردي: « وإنما ذكر أنه رب الشعري وإن كان رباً لغيره، لأن

العرب كان تعبدونه، فأعلموا أن الشعري مربوب وليس برب»⁽²⁾.

وقال السعدي: « ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ وهو النجم المعروف بالشعري

البور، المسماة بالمرزم، وخصها الله بالذكر، وإن كان هو رب كل شيء، لأن هذا النجم مما عبد في الجاهلية، فأخبر تعالى أن جنس ما يعبد المشركون، مربوب مدبر مخلوق، فكيف يتخذ مع الله آلهة»⁽³⁾.

فظهر بذلك اتفاقهم على بيان معنى الآية، بلا خلاف بينهم، والله أعلم

بالصواب.

(١) جامع البيان (76/27).

(٢) النكت والعيون (405/5).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص(822).

معنى: ﴿مُنْهَمِرٍ﴾

127- قال تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ [سورة القمر: 11].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ أي: كثير سريع

الانصباب، ومنه يقال: همر الرجل؛ إذا أكثر من الكلام وأسرع»⁽¹⁾.

لقد أجمع «المفسرون»⁽²⁾ في بيان معنى ﴿بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ على نفس المعنى

الذي ذكره ابن قتيبة، فمنهم: الطبري⁽³⁾، والسمرقندي⁽⁴⁾، وابن أبي زمين⁽⁵⁾،
والسمعاني⁽⁶⁾، والبغوي⁽⁷⁾، والزمخشري⁽⁸⁾، وابن عطية⁽⁹⁾، والفخر
الرازي⁽¹⁰⁾، والقرطبي⁽¹⁾، والبيضاوي⁽²⁾، والنسفي⁽³⁾، ونظام الدين

(١) تفسير غريب القرآن ص(373).

(٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (92/8).

(٣) جامع البيان (92/27).

(٤) بحر العلوم (351/3).

(٥) تفسير القرآن العزيز (318/4).

(٦) تفسير القرآن (311/5).

(٧) معالم التنزيل (260/4).

(٨) الكشف (434/4).

(٩) المحرر الوجيز (214/5).

(١٠) التفسير الكبير (33/29).

اليسابوري⁽⁴⁾، والحازن⁽⁵⁾، وابن جزري⁽⁶⁾، وأبو حيان⁽⁷⁾، وابن كثير⁽⁸⁾،
والمحلي⁽⁹⁾، وابن عادل⁽¹⁰⁾، والبقاعي⁽¹¹⁾، وأبو السعود⁽¹²⁾، والشوكاني⁽¹³⁾،
والألوسي⁽¹⁴⁾، والسعدي⁽¹⁵⁾، وابن عاشور⁽¹⁶⁾، والشنقيطي⁽¹⁷⁾.

قال الطبري: « يقول تعالى ذكره: ففتحنا لما دعانا نوح مستغيثاً بنا على

قومه أبواب السماء. بماء منهمر وهو المندفق »⁽¹⁸⁾.

وقال ابن عطية: « والمنهمر: الشديد الوقوع العزيز »⁽¹⁾.

(١) الجامع لأحكام القرآن (131/17).

(٢) أنوار التنزيل (265/5).

(٣) مدارك التنزيل (195/4).

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (218/6).

(٥) لباب التأويل (274/6).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (80/4).

(٧) البحر المحيط (170/8).

(٨) تفسير القرآن العظيم (264/4).

(٩) تفسير الجلالين ص (705).

(١٠) اللباب في علوم الكتاب (246/18).

(١١) نظم الدرر (350/7).

(١٢) إرشاد العقل السليم (164/9).

(١٣) فتح القدير (122/5).

(١٤) روح المعاني (81/27).

(١٥) تيسير الكريم الرحمن ص (825).

(١٦) التحرير والتنوير (182/27).

(١٧) أضواء البيان (477/7).

(١٨) جامع البيان (92/27).

وقال البيضاوي: « **مُنْهَمِرٌ** منصبّ، وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الأمطار
وشدة انصباها »⁽²⁾.

وقال البقاعي: « **مُنْهَمِرٌ** أي: منصبّ بأبلغ ما يكون من السيالان
والصبّ عظمًا وكثرة، ولذلك لم يقل: بمطر، لأنه خارج عن تلك العادة، واستمر
ذلك أربعين يومًا »⁽³⁾.

وفيمن ذكرت كلامهم إشارة إلى البقية للدلالة على اتفاقهم واجتماعهم
على المعنى، والله أعلم بالصواب.

(١) المحرر الوجيز (214/5).

(٢) أنوار التنزيل (265/5).

(٣) نظم الدرر (350/7).

معنى: ﴿أَشْرٌ﴾

128- قال تعالى: ﴿أَلْفَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشْرٌ﴾ ﴿٢٥﴾ سَيَعْمُونَ غَدًا

مِّنَ الْكُذَّابِ الْأَشْرِ ﴿٢٦﴾ [سورة القمر: 25-26].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « و ﴿أَشْرٌ﴾: المرح المتكبر »^(١).

المعنى الذي ذكره ابن قتيبة هو المروي عن ابن عباس^(٢) - رضي الله عنهما - ومقاتل^(٣)، وقال به الطبري^(٤)، وابن أبي زمنين^(٥)، والواحدي^(٦)، والسمعاني^(٧)، والزمخشري^(٨)، والفخر الرازي^(٩)، والقرطبي^(١٠)،

(١) تفسير غريب القرآن ص(375).

(٢) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(449).

(٣) تفسير مقاتل (299/3).

(٤) جامع البيان (100/27).

(٥) تفسير القرآن العزيز (320/4).

(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1048/2).

(٧) تفسير القرآن (313/5).

(٨) الكشاف (437/4).

(٩) التفسير الكبير (46/29).

(١٠) الجامع لأحكام القرآن (138/17).

والبيضاوي⁽¹⁾، والنسفي⁽²⁾، والخازن⁽³⁾، وابن جزري⁽⁴⁾،
والمحلي⁽⁵⁾، وابن عادل⁽⁶⁾، وأبو السعود⁽⁷⁾، والشوكاني⁽⁸⁾، والألوسي⁽⁹⁾، وابن
عاشور⁽¹⁰⁾.

قال الطبري: « وقوله ﴿بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ﴾ يقول: قالوا ما ذلك كذلك بل

هو كذاب أشر يعنون بالأشر: المرح ذا التجبر والكبرياء »⁽¹¹⁾.

وقال الواحدي: « ﴿بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ﴾ بطر يريد أن يتعظم علينا »⁽¹²⁾.

وقال الخازن: « ﴿أَشْرٌ﴾ أي: بطر متكبد يريد أن يتعظم علينا بادعائه

النبوة »⁽¹³⁾.

(١) أنوار التنزيل (268/5).

(٢) مدارك التنزيل (196/4).

(٣) لباب التأويل (276/6).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (81/4).

(٥) تفسير الجلالين ص (706).

(٦) اللباب في علوم الكتاب (262/18).

(٧) إرشاد العقل السليم (171/8).

(٨) فتح القدير (126/5).

(٩) روح المعاني (88/27).

(١٠) التحرير والتنوير (198/27).

(١١) جامع البيان (100/27).

(١٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1048/2).

(١٣) لباب التأويل (276/6).

وقال ابن عاشور: « ﴿بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ﴾ إضراب عما أنكروه بقولهم:

﴿أَلْفَى الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾ أي: لم ينزل الذكر عليه من بيننا، بل هو كذاب

فيما ادّعاه، بطر متكبر. والأشر: بكسر الشين وتخفيف الراء: اسم فاعل أشر؛ إذا

مرح وبطر، والمعنى: هو معجب بنفسه مدّع ما ليس فيه»⁽¹⁾.

فلا خلاف بين المفسرين فيما ذكروه من معنى الآية، والله أعلم بالصواب.

(١) التحرير والتنوير (198/27).

معنى: ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾

129 - قال تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ [سورة القمر: 53].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾ أي: مكتوب، مفتعل من

سطرت؛ إذا كتبت، وهو مثل مسطور»⁽¹⁾.

كل المفسرين فسّروا الآية بنفس المعنى الذي ذكره ابن قتيبة، منهم:

الطبري⁽²⁾، والسمرقندي⁽³⁾، وابن أبي زمنين⁽⁴⁾، والقشيري⁽⁵⁾، والواحدي⁽⁶⁾،
والبغوي⁽⁷⁾، والزمخشري⁽⁸⁾، وابن عطية⁽⁹⁾، والقرطبي⁽¹⁰⁾، والبيضاوي⁽¹¹⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(376).

(٢) جامع البيان (112/27).

(٣) بحر العلوم (357/3).

(٤) تفسير القرآن العزيز (324/4).

(٥) لطائف الإشارات (260/3).

(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1050/2).

(٧) معالم التنزيل (266/4).

(٨) الكشاف (441/4).

(٩) المحرر الوجيز (222/5).

(١٠) الجامع لأحكام القرآن (149/17).

(١١) أنوار التنزيل (199/4).

والنسفي⁽¹⁾، ونظام الدين النيسابوري⁽²⁾، والحازن⁽³⁾، وابن جزي⁽⁴⁾،
وأبو حيان⁽⁵⁾، وابن كثير⁽⁶⁾، والمحلي⁽⁷⁾، وابن عادل⁽⁸⁾، والبقاعي⁽⁹⁾،
وأبو السعود⁽¹⁰⁾، والشوكاني⁽¹¹⁾، والألوسي⁽¹²⁾، والسعدي⁽¹³⁾، وابن
عاشور⁽¹⁴⁾، والشنقيطي⁽¹⁵⁾.

قال ابن عطية: «**مُسْتَطَرٌّ** مفتعل من السطر تقول سطرت واستطرت

بمعنى⁽¹⁶⁾».

(١) مدارك التنزيل (199/4).

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (224/6).

(٣) لباب التأويل (281/6).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (83/4).

(٥) البحر المحيط (182/8).

(٦) تفسير القرآن العظيم (269/4).

(٧) تفسير الجلالين ص (708).

(٨) اللباب في علوم الكتاب (285/18).

(٩) نظم الدرر (368/7).

(١٠) إرشاد العقل السليم (175/8).

(١١) فتح القدير (130/5).

(١٢) روح المعاني (95/27).

(١٣) تيسير الكريم الرحمن ص (828).

(١٤) التحرير والتنوير (224/27).

(١٥) أضواء البيان (486/7).

(١٦) المحرر الوجيز (222/5).

وقال القرطبي: « ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ أي: كل ذنب كبير

وصغير مكتوب على عامله قبل أن يفعله ليجازى به، ومكتوب إذا فعله، سطر
يسطر سطرًا: كتب، واستطر مثله»⁽¹⁾.

وقال ابن كثير: « ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾ أي: مجموع عليهم ومسطر في صحائفهم

لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها»⁽²⁾.

وقال الشنقيطي: « ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ أي: مكتوب عليهم لا

يترك منه شيء، وهذا المعنى جاء موضحًا في آيات من كتاب الله، كقوله تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ يَتَوَلَّوْنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا

وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَٰضِرًا﴾ [سورة الكهف: 49]، وكقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ

كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ

أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [سورة آل عمران: 30]، والمس—تطر معناه المس—طور أي

المكتوب»⁽³⁾.

(١) الجامع لأحكام القرآن (149/17).

(٢) تفسير القرآن العظيم (269/4).

(٣) أضواء البيان (486/7).

فعلى قاعدة: أن تفسير القرآن بالقرآن أفضل أنواع التفسير وأحسنها⁽¹⁾،
وإجماع المفسرين عليه، تبين صحة حمل الآية على المعنى المذكور، والله أعلم
بالصواب.

(1) انظر: شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

معنى: ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾

130 - قال تعالى: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ [سورة الرحمن: 12].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿الْعَصْفِ﴾: ورق الزرع؛ ثم يصير إذا

جف ودرس تبنًا»⁽¹⁾.

ولقد وافق ابن قتيبة على نفس المعنى الذي ذكره في بيان ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾ من

المفسرين: الطبري⁽²⁾، والواحدي⁽³⁾، والسمعاني⁽⁴⁾، وابن عطية⁽⁵⁾، ونظام الدين النيسابوري⁽⁶⁾، وابن كثير⁽⁷⁾، والمحلي⁽⁸⁾، وابن عادل⁽⁹⁾، والبقاعي⁽¹⁰⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(378).

(٢) جامع البيان (120/27).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1053/2).

(٤) تفسير القرآن (324/5).

(٥) المحرر الوجيز (225/5).

(٦) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (229/6).

(٧) تفسير القرآن العظيم (272/4).

(٨) تفسير الجلالين ص(709).

(٩) اللباب في علوم الكتاب (307/18).

والبقاعي⁽¹⁾، والألوسي⁽²⁾، والسعدي⁽³⁾، وابن عاشور⁽⁴⁾، والشنقيطي⁽⁵⁾.
والشنقيطي⁽⁵⁾.

قال نظام الدين النيسابوري: « والعصف ورق الزرع الذي يبقى في الأرض بعد الحصاد تفتته الرياح وتأكله المواشي »⁽⁶⁾.

وقال ابن عاشور: « وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ »: هو الحب الذي لنباته سنابل

ولها ورق وقصب فيصير تبنًا، وذلك الورق والقصب هو العصب، أي الذي تعصفه الرياح وهذا وصف حبّ الشعير والحنطة وبهما قوام حياة معظم الناس، وكذلك ما أشبهها من نحو السلت والأرز. وسمي العصف عصفًا لأن الرياح تعصفه، أي تحركه، ووصف الحب بأنه ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾ للتحسين وللتذكير بمنة جمال الزرع حين ظهوره في سنبله في حقوله نظير وصف النخل بذات الأكمام، ولأن في الموصوف ووصفه أقوات البشر وحيوانهم »⁽⁷⁾.

(١) نظم الدرر (377/7).

(٢) روح المعاني (103/27).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص(829).

(٤) التحرير والتنوير (242/27).

(٥) أضواء البيان (493/7).

(٦) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (229/6).

(٧) التحرير والتنوير (242/27).

ومن المفسرين من ذكر أن المراد بـ ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾: ورق الزرع دون

تحديد ييس أم لا، قال السمرقندي: «وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ» يعني: والورق «

(1)، ومثله قال القشيري (2)، والبغوي (3)، وأبو حيان (4).

وزاد الفخر الرازي قولاً ثالثاً ولم يرجحه -بعد أن ذكر القولين السابقين-

فقال: «العصف: هو ورق ما يؤكل فحسب» (5).

والذي يظهر -والله أعلم- أن الأصح في بيان معنى الآية هو ما ذهب إليه

ابن قنينة وموافقوه؛ لأنه المعنى الذي أيده علماء اللغة؛ بقولهم: «العصف: ما على

ساق الزرع من الورق الذي ييس فتفتت» (6)، وهذا جارٍ على قاعدة: حمل كلام

كلام الله تعالى على المعروف من لغة العرب» (7)، والله أعلم بالصواب.

(1) بحر العلوم (359/3).

(2) لطائف الإشارات (264/3).

(3) معالم التنزيل (268/4).

(4) البحر المحيط (184/8).

(5) التفسير الكبير (84/29).

(6) انظر: العين للفراهيدي (306/1)، وتهذيب اللغة للأزهري (26/6)، ومعجم مقاييس اللغة لابن

فارس (328/4)، ولسان العرب لابن منظور (247/9).

(7) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).

معنى: ﴿ءالآء﴾

131 - قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءالآءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ﴾ [سورة الرحمن: 13].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: «الآء: النعم»⁽¹⁾.

وكل من وقفت على أقوالهم من المفسرين فسروا الآء بالنعم، فهو مروى عن ابن عباس⁽²⁾ - رضي الله عنهما -، وقال به: الطبري⁽³⁾، والسمرقندي⁽⁴⁾، وابن أبي زمنين⁽⁵⁾، والقشيري⁽⁶⁾، والواحدي⁽⁷⁾، والسمعاني⁽⁸⁾، والبغوي⁽⁹⁾، والبغوي⁽⁹⁾، والقرطبي⁽¹⁰⁾، والنسفي⁽¹¹⁾، وابن تيمية⁽¹²⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص (378).

(٢) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص (451).

(٣) جامع البيان (123/27).

(٤) بحر العلوم (359/3).

(٥) تفسير القرآن العزيز (327/4).

(٦) لطائف الإشارات (265/3).

(٧) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1053/2).

(٨) تفسير القرآن (324/5).

(٩) معالم التنزيل (268/4).

(١٠) الجامع لأحكام القرآن (159/17).

(١١) مدارك التنزيل (201/4).

(١٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (170/16).

..... ونظام الدين النيسابوري⁽¹⁾، والحازن⁽²⁾، وابن
 وابن جزى⁽³⁾، وأبو حيان⁽⁴⁾، وابن كثير⁽⁵⁾، والمحلي⁽⁶⁾، وابن عادل⁽⁷⁾،
 والبقاعي⁽⁸⁾، والشوكاني⁽⁹⁾، والألوسي⁽¹⁰⁾، والسعدي⁽¹¹⁾، وابن عاشور⁽¹²⁾،
 عاشور⁽¹²⁾، والشنقيطي⁽¹³⁾.

قال الطبري: « يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَبِأَيِّ نَعَمٍ رَبِّكَ مَا تُكذِّبَانِ﴾

فبأي نعم ربك ما تكذبان من هذه النعم تكذبان»⁽¹⁴⁾.

وفي لسان العرب: « الآلاء: النعم، واحدها آلى؛ بالفتح، وقد تكسر وتكتب

بالياء»⁽¹⁾.

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (227/6).

(٢) لباب التأويل (3/7).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (83/4).

(٤) البحر المحيط (189/8).

(٥) تفسير القرآن العظيم (272/4).

(٦) تفسير الجلالين ص (709).

(٧) اللباب في علوم الكتاب (311/18).

(٨) نظم الدرر (453/7).

(٩) فتح القدير (133/5).

(١٠) روح المعاني (104/27).

(١١) تيسير الكريم الرحمن ص (829).

(١٢) التحرير والتنوير (156/27).

(١٣) أضواء البيان (492/7).

(١٤) جامع البيان (123/27).

وفي المعجم الوسيط: «الإلى والألى: النعمة، جمعها: آلاء»⁽²⁾.
وقد روي عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قرأ على أصحابه سورة الرحمن، فسكت القوم، فقال الربيعي ﷺ: «الجن كانوا أحسن رداً منكم ما قرأت عليهم ﴿فِي آيِ آءِ آءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد»⁽³⁾.

فبدلالة الحديث النبوي⁽⁴⁾، ثم ما صح في لغة العرب⁽⁵⁾، وأجمعوا عليه؛
يصح ما ذكره الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- معنى للآية، والله أعلم بالصواب.

(١) لسان العرب لابن منظور (44/14).

(٢) المعجم الوسيط (25/1).

(٣) أخرجه الترمذي (399/5) رقم الحديث (3291)، وقال: «حديث غريب»، والحاكم في المستدرک (473/2)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي، والصحيح ما قاله الترمذي -رحمه الله-، إلا أن للحديث شواهد ترتقي به إلى الحسن، انظر: الصحيحة للألباني (2150).

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحري (191/1).

(٥) المرجع السابق (369/2).

معنى: ﴿مَارِجٍ﴾

132 - قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [سورة الرحمن: 15].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « والمارج ههنا: لهب النار؛ من قولك: مرج الشيء؛ إذا اضطرب ولم يستقر »⁽¹⁾.
تنوعت أقوال المفسرين في بيان معنى الآية نوعاً ما، وسأسوق أقوال بعضهم وأشير إلى البقية.

قال الطبري: « وقوله ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وخلق الجان من مارج من نار وهو ما اختلط بعضه ببعض من بين أحمر وأصفر وأخضر، من قولهم مرج أمر القوم إذا اختلط »⁽²⁾.

وابن أبي زمنين: « قوله ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾ إبليس ﴿مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ أي: من لسان النار ولهبها ويقال للهب النار: مارج لاضطرابه، من مرج الشيء يعني اضطرب ولم يستقر »⁽³⁾.

(1) تفسير غريب القرآن ص (379).

(2) جامع البيان (125/27).

(3) تفسير القرآن العزيز (327/4).

والبغوي: « **﴿مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾** وهو الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه وهو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت؛ من قولهم مرج أمر القوم إذا اختلط ⁽¹⁾». وقال الفخر الرازي: « والمارج المختلط ثم فيه وجهان أحدهما: أن المارج هو النار المشوبة بدخان، والثاني: النار الصافية.

والثاني أصح من حيث اللفظ والمعنى، أما اللفظ: فلأنه تعالى قال: **﴿مِنْ**

مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾ أي: نار مارجة، وهذا كقول القائل: هو مصوغ من ذهب، فإن قوله من ذهب؛ فيه بيان تناسب الأخلاط فيكون المعنى الكل من ذهب غير أنه يكون أنواعاً مختلفة مختلطة بخلاف ما إذا قلت: هذا قمح مختلط فلك أن تقول: مختلط بماذا فيقول: من كذا وكذا فلو اقتصر على قوله: من قمح وكان منه ومن وغيره أيضاً لكان اقتصاره عليه مختلط بم طلب من البيان، وأما المعنى: فلأنه تعالى

كما قال: **﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ﴾** [سورة الرحمن: 14] أي: من طين حر كذلك بين أن خلق الجان من نار خالصة. فإن قيل: فكيف يصح قوله:

﴿مَّارِجٍ﴾ بمعنى مختلط مع أنه خالص؟ نقول: النار إذا قويت التهبت، ودخل

بعضها في بعض كالشيء الممتزج امتزاجاً جيداً لا تميز فيه بين الأجزاء المختلطة وكأنه من حقيقة واحدة ⁽²⁾.

(١) معالم التنزيل (268/4).

(٢) التفسير الكبير (87/29).

قال نظام الدين النيسابوري: « والمارج اللهب الصافي الذي لا دخان فيه من مرج إذا اضطرب ولعلها المخلوطة بسواد النار من مرج الشيء اختلط وقوله ﴿مِّن نَّارٍ﴾ بيان لمارج كأنه قيل: من صاف من نار»⁽¹⁾.

وقل أبوحيان: « والمارج: ما اختلط من أصفر وأحمر وأخضر، أو اللهب، أو الخالص، أو الحمرة في طرف النار، أو المختلط بسواد، أو المضطرب بلا دخان، أقوال»⁽²⁾.

وقال البقاعي: « ﴿مِّن مَّارِجٍ﴾ أي: شيء صاف خالص مضطرب شديد الاضطراب جداً والاختلاط ومرجت نارهم -أي اختلطت- ببرد الزومهير. ولما كان المارج عاماً في النار وغيرها؛ بينه بقوله: ﴿مِّن نَّارٍ﴾ هي أغلب من عناصر، فتعين المراد بذكر النار، لأن الملائكة عليهم السلام من نور لا من نار، وليس عندهم مروج ولا اضطراب، بل هم في غاية الثبات على الطاعة فيما أمروا به، وقد عرف بهذا كل مضطرب قدره لثلاً يتعدى طوره»⁽³⁾.

وقال الألوسي: « ﴿مِّن مَّارِجٍ﴾ من لهب لا دخان، وقيل: هو اللهب المختلط بسواد النار أو بخضرة وصفرة وحمرة وقوله تعالى: ﴿مِّن نَّارٍ﴾ بيان لمارج

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (229/6).

(٢) البحر المحيط (189/8).

(٣) نظم الدرر (380/7).

والتنكير للمطابقة فالتنكير لأنه أريد نار مخصوصة متميزة من بين النيران لا هذه المعروفة»⁽¹⁾.

وأقوال بقية المفسرين نحو أقوال من ذكرت، منهم: وابن عطية⁽²⁾، والقرطبي⁽³⁾، والبيضاوي⁽⁴⁾، والنسفي⁽⁵⁾، والخازن⁽⁶⁾، وابن جزي⁽⁷⁾، وابن كثير⁽⁸⁾، والمحلي⁽⁹⁾، وابن عادل⁽¹⁰⁾، وأبو السعود⁽¹¹⁾، والشوكاني⁽¹²⁾، والشنقيطي⁽¹³⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - في الأمر أنها «أقوال»⁽¹⁴⁾ كلها «متقاربة المعنى»⁽¹⁵⁾ يجمعها أن المراد هو «الصابي من لهب النار الذي لا دخان فيه وكان

(١) روح المعاني (105/27).

(٢) المحرر الوجيز (226/5).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (161/17).

(٤) أنوار التنزيل (274/5).

(٥) مدارك التنزيل (201/4).

(٦) لباب التأويل (4/7).

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (84/4).

(٨) تفسير القرآن العظيم (272/4).

(٩) تفسير الجلالين ص (709).

(١٠) اللباب في علوم الكتاب (314/18).

(١١) إرشاد العقل السليم (179/8).

(١٢) فتح القدير (133/5).

(١٣) أضواء البيان (499/7).

(١٤) انظر: البحر المحيط لأبي حيان (189/8).

(١٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (161/17).

مختلط اللون من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت
«⁽¹⁾، والله أعلم بالصواب.

(¹) انظر: معالم التنزيل للبخاري (268/4)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي ص(262).

معنى: ﴿الْمُنَشَّاتُ﴾

133 - قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنَشَّاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾ [سورة الرحمن: 24].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿الْجَوَارِ﴾: السفن، و ﴿الْمُنَشَّاتُ﴾: اللواتي أنشئن، أي ابتدئ بهن ﴿فِي الْبَحْرِ﴾، ومن قرأ ﴿الْمُنَشَّاتُ﴾ جعلهن اللواتي ابتدأن، يقال: أنشأت السحابة تُمطر؛ أي ابتدأت، وأنشأ الشاعر يقول «⁽¹⁾».

فابن قتيبة بين معنى الآية على كلا القراءتين؛ بفتح الشين وبكسرهما⁽²⁾، فمن ذكر المعنى من المفسرين على كلا القراءتين فهو موافق له، منهم: السمرقندي⁽³⁾، والسمعاني⁽⁴⁾، والزمخشري⁽⁵⁾، وابن عطية⁽⁶⁾، ونظام الدين النيسابوري⁽⁷⁾، وابن جزي⁽⁸⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(379).

(٢) انظر: القراءات العشر المتواترة لحمد كريم راجح ص(532).

(٣) بحر العلوم (361/3).

(٤) تفسير القرآن (327/5).

(٥) الكشف (445/4).

(٦) المحرر الوجيز (228/5).

(٧) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (230/6).

(٨) التسهيل لعلوم التنزيل (84/4).

وأبو حيان⁽¹⁾، وابن عادل⁽²⁾، واليقاعي⁽³⁾، وأبو السعود⁽⁴⁾، والألوسي⁽⁵⁾،
والألوسي⁽⁵⁾، وابن عاشور⁽⁶⁾.

قال ابن جزى: «**﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾** يعني: السفن،

وسماها منشآت لأن الناس ينشئونها، وقرىء بكسر الشين بمعنى أنها تنشئ السير أو
تنشئ الموج، والأعلام: الجبال؛ شبه السفن بها»⁽⁷⁾.

وقال ابن عاشور: «**﴿الْمُنشآتُ﴾** بفتح الشين، فهو اسم مفعول، إذا أُوجد

وصنع، أي التي أنشأها الناس بإلهام من الله تعالى فحصل من الكلام مِتَّانِفَةٌ تسخير
السفن للسير في البحر ومِنَّةُ إلهام الناس لإنشائها وقرىء بكسر الشين فهو اسم فاعل،
فيجوز أن يكون المنشآت مشتقاً من أنشأ السير إذا أسرع، ألهي يسيّر بها الناس سيراً
سريعاً والآية تحتمل المعنيين على القراءتين باستعمال الاشتقاق في معنيي المشتق منه
ويكون في ذلك تذكير بنعمة إلهام الناس إلى اختراع الشراع لإسراع سير السفن وهي
مما اخترع بعد صنع سفينة نوح ووصفت الجوارى بأنها كالأعلام، أي الجبال صوفاً

(١) البحر المحيط (191/8).

(٢) الباب في علوم الكتاب (321/18).

(٣) نظم الدرر (384/7).

(٤) إرشاد العقل السليم (180/8).

(٥) روح المعاني (108/27).

(٦) التحرير والتنوير (251/27).

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (84/4).

يفيد تعظيم شأنها في صنعها المقتضي بداعة إلهام عقول البشر لصنعها، والمقتضي عظم
المتة بها لأن السفن العظيمة أمكن لحمل العدد الكثير من الناس والمتة⁽¹⁾.

ومن ذكر قولاً واحداً فقط؛ منهم: ابن أبي زمنين قال: « معني المنشآت:
التي أنشئت »⁽²⁾.

والسعدي قال: « ينشئها الآدميون، فتكون من عظيمها وكبرها كالأعلام؛
وهي الجبال العظيمة »⁽³⁾.

فتفسيرهم منصبّ على قراءة واحدة دون الالتفات إلى القراءة الأخرى،
وليس نفيًا للمعنى على القراءة الأخرى.

والذي يظهر - والله أعلم - أن الأمر كما قال ابن عاشور أن « الآية تحتمل
المعنيين على القراءتين باستعمال الاشتقاق في معني المشتق منه »⁽⁴⁾، وهذا على
قاعدة متبعة في الترجيح عند المفسرين، « أن الآية إن كانت تحتمل معانٍ كلها
صحيحة صح الحمل عليها جميعاً »⁽⁵⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) التحرير والتنوير (251/27).

(٢) تفسير القرآن العزيز (329/4).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص (380).

(٤) التحرير والتنوير (251/27).

(٥) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿وَرْدَةٌ كَالِدِهَانِ﴾

134 - قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالِدِهَانِ﴾ [سورة

الرحمن: 37].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالِدِهَانِ﴾ أي:

حمراء في لون الفرس الوردية، والدهان: جمع دهن، ويقال: الدهان: الأديم الأحمر⁽¹⁾.

فابن قتيبة يرى أن المراد بلفظ: ﴿وَرْدَةٌ﴾ يعني: كلون الفرس الوردية، فهو تشبيه لتغير لون السماء في أحوالها يوم القيامة بلون الفرس في الأزمنة المختلفة، وأن لفظ: (الدهان) يحمل على المعنيين: إما الدهن المعروف؛ وهو الزيت، أو يراد به الأديم الأحمر، وهو الجلد.

وقد وافق ابن قتيبة فيما ذهب إليه، من أن لفظ ﴿وَرْدَةٌ﴾ يراد به: أي

كلون الفرس الوردية، من المفسرين: الطبري⁽²⁾، والسمرقندي⁽³⁾.

(1) تفسير غريب القرآن ص(380).

(2) جامع البيان (142/27).

(3) بحر العلوم (364/3).

ووافقه في أن ﴿كَالِدِهَانٍ﴾ جمع دهن، أو يراد به الأديم الأحمر، من

المفسرين: الزمخشري⁽¹⁾، والفخر الرازي⁽²⁾، والقرطبي⁽³⁾، والخازن⁽⁴⁾، وابن جزري⁽⁵⁾، وابن كثير⁽⁶⁾، والبقاعي⁽⁷⁾، والشوكاني⁽⁸⁾.

ومن المفسرين من حمل لفظ ﴿وَرْدَةً﴾ على المعنى المتبادر إلى الذهن، وأن

المراد هو الوردة المعروفة التي يضرب بها المثل في لون الحمرة، فمنهم: الجصاص⁽⁹⁾، الجصاص⁽⁹⁾، والزمخشري⁽¹⁰⁾، وأبو حيان⁽¹¹⁾، والبقاعي⁽¹²⁾، والشنقيطي⁽¹³⁾. والشنقيطي⁽¹³⁾.

(١) الكشاف (436/4).

(٢) التفسير الكبير (103/29).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (173/17).

(٤) لباب التأويل (7/7).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (85/4).

(٦) تفسير القرآن العظيم (276/4).

(٧) نظم الدرر (390/7).

(٨) فتح القدير (137/5).

(٩) أحكام القرآن (299/5).

(١٠) الكشاف (436/4).

(١١) البحر المحيط (184/8).

(١٢) نظم الدرر (390/7).

(١٣) أضواء البيان (501/7).

وبعضهم حمل لفظ ﴿وَرْدَةٌ﴾ على المعنيين معاً، منهم: الماوردي⁽¹⁾،
والفخر الرازي⁽²⁾، وابن جزى⁽³⁾، والشوكاني⁽⁴⁾.

قال الماوردي: «﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وردة البستان، وهي حمراء، وقد تختلف ألوانها لكن الأغلب من
ألوانها الحمرة، وبها يضرب المثل في لون الحمرة، كذلك تصير السماء يوم القيامة
حمراء كالورد⁽⁵⁾.

الثاني: أنه أراد بالوردة الفرس الورد يكون في الربيع أصفر وفي الشتاء أغبر،
فشبه السماء يوم القيامة في اختلاف ألوانها بالفرس الورد، لاختلاف ألوانه⁽⁶⁾
«⁽⁷⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - أن «القول بأن الوردة تشبیه بالفرس الكميّة
وهو الأحمر لأن حمرة تتلون باختلاف الفصول، فتشتد حمرة في فصل، وتميل إلى
الصفرة في فصل، وإلى الغبرة في فصل، وأن المراد بالتشبيه كون السماء عند

(١) النكت والعيون (435/5).

(٢) التفسير الكبير (103/29).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (85/4).

(٤) فتح القدير (137/5).

(٥) حكاة عن ابن بحر.

(٦) حكاة عن الكلبي والفرّاء.

(٧) النكت والعيون (435/5).

انشقاقها تتلون بألوان مختلفة؛ واضح البعد عن ظاهر الآية «⁽¹⁾»، والقاعدة لدى علماء التفسير: أنه « لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن الكريم إلا بدليل »⁽²⁾.

« وقوله: ﴿كَالِدِهَانٍ﴾: فيه قولان معروفان للعلماء:

الأول منهما: أن الدهان هو الجلد الأحمر، وعليه فالمعنى أنها تصير وردة متصفة بلون الورد مشابهة للجلد الأحمر في لونه.

والثاني: أن الدهان هو ما يدهن به، وعليه، فالدهان؛ قيل: هو جمع دهن، وقيل: هو مفرد، لأن العرب تسمي ما يدهن به دهاناً، وهو مفرد.

وحقيقة الفرق بين القولين أنه على القول بأن الدهان هو الجلد الأحمر،

يكون الله وصف السماء عند انشقاقها يوم القيام بوصف واحد وهو الحمرة فشبهها بجمرة الوردية، وحمرة الأديم الأحمر وأما على القول بأن الدهان هو ما يدهن به، فإن الله قد وصف السماء عند انشقاقها بوصفين أحدهما: حمرة لونها، والثاني: أنها تذوب وتصير مائعة كالدهن. أما على القول الأول، فلم نعلم آية من كتاب الله تبين هذه الآية، بأن السماء ستحمر يوم القيامة حتى تكون كلون الجلد الأحمر. وأما على القول الثاني الذي هو أنها تذوب وتصير مائعة، فقد أوضحه الله

في غير هذا الموضع وذلك في قوله تعالى في المعارج ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۖ وَرَأَوْهُ

قَرِيبًا ۗ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۗ﴾ [سورة المعارج: 6-8]، والمهل شيء

ذائب على كلا القولين سواء قلنا: إنه دردي الزيت وهو عكره، أو قلنا إنه الذائب

(١) قاله الشنقيطي في أضواء البيان (501/7).

(٢) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (137/1)، وقواعد التفسير لخالد السبت

(843/2).

من حديد أو نحاس أو نحوهما. وقد أوضح تعالى في الكهف أن المهل شيء ذائب

يشبه الماء شديد الحرارة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ

كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهُ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [سورة الكهف: 29]

«⁽¹⁾».

وعلى قاعدة: تفسير القرآن بالقرآن أفضل أنواع التفسير وأحسنها⁽²⁾،

فيحمل لفظ (الدهان) على أن يراد به: الدهن، و « لأن ذلك هو المعروف من

كلام العرب »⁽³⁾، والله أعلم بالصواب.

(¹) قاله الشنقيطي في أضواء البيان (501/7).

(²) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

(³) انظر: جامع البيان للطبري (142/27).

معنى: ﴿حَمِيمٍ أَيْنِ﴾

135 - قال تعالى ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ أَيْنِ﴾ [سورة الرحمن: 44].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « والحميم: الماء المغلي، والآني: الذي قد انتهت شدة حره »⁽¹⁾.

وقد ذكر الماوردي في النكت والعيون أن « قوله تعالى: ﴿أَيْنِ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هو الذي انتهى حره وحميمه⁽²⁾.

الثاني: أنه الحاضر⁽³⁾.

الثالث: أنه الذي قد آن شربه وبلغ غايته⁽⁴⁾ «⁽⁵⁾.

ولكن الذي عليه جمهور المفسرين، وهو « الأظهر »⁽⁶⁾ هو ما ذهب إليه

ابن قتيبة وموافقوه من أن ﴿أَيْنِ﴾ تعني: الذي قد انتهت شدة حره، فهو المروي

(١) تفسير غريب القرآن ص(380).

(٢) حكاة عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي.

(٣) حكاة عن محمد بن كعب.

(٤) حكاة عن مجاهد.

(٥) انظر: النكت والعيون (437/5).

(٦) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (85/4).

عن ابن عباس⁽¹⁾ - رضي الله عنهما - حبر الأمة وترجمان القرآن، وقاله
 الطبري⁽²⁾، والسمرقندي⁽³⁾، وابن أبي زمنين⁽⁴⁾، والواحدي⁽⁵⁾،
 والسمعاني⁽⁶⁾، والبغوي⁽⁷⁾، وابن عطية⁽⁸⁾، والفخر الرازي⁽⁹⁾، والقرطبي⁽¹⁰⁾،
 والقرطبي⁽¹⁰⁾، ونظام الدين النيسابوري⁽¹¹⁾، والحازن⁽¹²⁾، وابن جزري⁽¹³⁾،
 وابن كثير⁽¹⁴⁾، وابن عادل⁽¹⁵⁾، والبقاعي⁽¹⁶⁾، وأبو السعود⁽¹⁷⁾،

(١) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(452).

(٢) جامع البيان (143/27).

(٣) بحر العلوم (365/3).

(٤) تفسير القرآن العزيز (332/4).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1056/2).

(٦) تفسير القرآن (332/5).

(٧) معالم التنزيل (273/4).

(٨) المحرر الوجيز (473/5).

(٩) التفسير الكبير (107/29).

(١٠) الجامع لأحكام القرآن (175/17).

(١١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (232/6).

(١٢) لباب التأويل (8/7).

(١٣) التسهيل لعلوم التنزيل (85/4).

(١٤) تفسير القرآن العظيم (277/4).

(١٥) اللباب في علوم الكتاب (317/18).

(١٦) نظم الدرر (392/7).

(١٧) إرشاد العقل السليم (183/8).

والشوكاني⁽¹⁾، والألوسي⁽²⁾، والسعدي⁽³⁾، وابن عاشور⁽⁴⁾، والشنقيطي⁽⁵⁾.
والشنقيطي⁽⁵⁾.

وأيد أهل اللغة ما ذهب إليه المفسرون، فقالوا: «﴿حَمِيمٌ﴾» قد انتهى

حره⁽⁶⁾، فصح حمل الآية على المعنى الذي أجمعوا عليه، والله أعلم بالصواب.

(١) فتح القدير (138/5).

(٢) روح المعاني (115/27).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص (831).

(٤) التحرير والتنوير (264/27).

(٥) أضواء البيان (505/7) وأيضاً (289/4).

(٦) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (143/1).

معنى: ﴿نَضَّاحَتَانِ﴾

136 - قال تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ﴾ ﴿٦٦﴾ [سورة الرحمن: 66].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿نَضَّاحَتَانِ﴾ تفوران بالماء، والنضخ

أكثر من النضح»^(١).

وهذا الذي ذكره ابن قتيبة هو المروي عن ابن عباس^(٢) - رضي الله عنهما - ، وقاله الطبري^(٣)، والسمرقندي^(٤)، وابن أبي زمنين^(٥)، والسمعاني^(٦)، والبغوي^(٧)، والزنجشيري^(٨)، والفخر الرازي^(٩)، والقرطبي^(١٠)، والبيضاوي^(١١)، والنسفي^(١)، والحازن^(٢)، وابن جزي^(٣)،

(١) تفسير غريب القرآن ص(383).

(٢) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(452).

(٣) جامع البيان (157/27).

(٤) بحر العلوم (367/3).

(٥) تفسير القرآن العزيز (334/4).

(٦) تفسير القرآن (337/5).

(٧) معالم التنزيل (276/4).

(٨) الكشف (451/4).

(٩) التفسير الكبير (117/29).

(١٠) الجامع لأحكام القرآن (183/17).

(١١) أنوار التنزيل (281/5).

والمحلي⁽⁴⁾، وابن عادل⁽⁵⁾، والبقاعي⁽⁶⁾، وأبو السعود⁽⁷⁾، والألوسي⁽⁸⁾،
والسعدي⁽⁹⁾، وابن عاشور⁽¹⁰⁾.

وقد أورد الماوردي وجوهاً أخرى في معناها: «ممتلئان لا تنقطعان، أو جاريتان»⁽¹¹⁾، لكن الذي يظهر - والله أعلم أن الراجح هو قول الجمهور، لأنه «الظاهر»⁽¹²⁾ و «المعروف»⁽¹³⁾ في لغة العرب حيث قالوا: «نضخ الماء: اشتد فورانه من ينبوعه، وما كان منه من سفلى إلى علو»⁽¹⁴⁾، والله أعلم بالصواب.

معنى: ﴿وَعَبَقْرِي حَسَانٍ﴾

- (١) مدارك التنزيل (5/4).
- (٢) لباب التأويل (12/7).
- (٣) التسهيل لعلوم التنزي (86/4).
- (٤) تفسير الجلالين ص (712).
- (٥) اللباب في علوم الكتاب (354/18).
- (٦) نظم الدرر (397/7).
- (٧) إرشاد العقل السليم (186/8).
- (٨) روح المعاني (122/27).
- (٩) تيسير الكريم الرحمن ص (831).
- (١٠) التحرير والتنوير (272/27).
- (١١) انظر: النكت والعيون للماوردي (441/5).
- (١٢) انظر: روح المعاني للألوسي (122/27).
- (١٣) انظر: جامع البيان للطبري (157/27).
- (١٤) هذه عبارة الفيروز آبادي في القاموس المحيط ص (334)، وانظر أيضاً: العين للفراهيدي (177/4)، ولسان العرب لابن منظور (62/3)، وتاج العروس للزبيدي (357/7).

137- قال تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرَ وَعَبَقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [سورة

الرحمن: 76].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « والعبقري: الطنافس الثخان، يقال لكل شيء من البُسط: عبقري، ويذكر أن عبقر: أرض كان يعمل فيها الوشي؛ فنسب إليها كل شيء جيد »⁽¹⁾.

وقد وافق ابن قتيبة في أن العبقري: الطنافس الثخان، وعلى اعتبار أن كل شيء من البسط عند العرب يسمى: عبقري، عدد من المفسرين، منهم: الطبري⁽²⁾، والواحدي⁽³⁾، والبغوي⁽⁴⁾، والمحلي⁽⁵⁾.

لكن غالبية المفسرين فسروا الآية على احتمال أن ﴿وَعَبَقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ يراد بها: الطنافس الثخان، أو يراد بها: الزرابي، أو يراد بها: الديباج يعني الثياب الموشاة، دون ترجيح لأحد الأقوال، منهم: السمرقندي⁽⁶⁾، والسمعاني⁽⁷⁾، وابن عطية⁽⁸⁾، والقرطبي⁽¹⁾، والبيضاوي⁽²⁾، والنسفي⁽³⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(383).

(٢) جامع البيان (164/27).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1057/2).

(٤) معالم التنزيل (278/4).

(٥) تفسير الجلالين ص(713).

(٦) بحر العلوم (368/3).

(٧) تفسير القرآن (339/5).

(٨) المحرر الوجيز (236/5).

ونظام الدين النيسابوري⁽⁴⁾، والهازم⁽⁵⁾، وابن جزري⁽⁶⁾، وأبو حيان⁽⁷⁾، وابن كثير⁽⁸⁾، وابن عادل⁽⁹⁾، والبقاعي⁽¹⁰⁾، والشوكاني⁽¹¹⁾، والألوسي⁽¹²⁾.

قال النسفي: « **﴿وَعَبْقَرِيَّ حَسَانٍ﴾** ديباج أو طنافس »⁽¹³⁾.

وقال ابن جزري: « **﴿وَعَبْقَرِيَّ حَسَانٍ﴾** العبقرى: الطنفس، وقيل: الزرابي،

وقيل: الديباج الغليظ »⁽¹⁴⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - استناداً إلى قاعدة مراعاة السياق القرآني، -
«إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعد أولى من الخروج به عن ذلك»⁽¹⁵⁾؛ أن

(١) الجامع لأحكام القرآن (191/17).

(٢) أنوار التنزيل (282/5).

(٣) مدارك التنزيل (205/4).

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (234/6).

(٥) لباب التأويل (13/7).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (87/4).

(٧) البحر المحيط (198/8).

(٨) تفسير القرآن العظيم (281/4).

(٩) اللباب في علوم الكتاب (364/18).

(١٠) نظم الدرر (400/7).

(١١) فتح القدير (143/5).

(١٢) روح المعاني (146/27).

(١٣) مدارك التنزيل (205/4).

(١٤) التسهيل لعلوم التنزيل (87/4).

(١٥) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحريري (125/1)، وقواعد التفسير لخالد السبت

(249/1).

الراجح هو ما ذهب إليه ابن قتيبة وموافقوه وأن يراد بها الطنافس الشخان، لأن الآية في الجلوس والاتكاء، وهو على البسط أوضح منه على الثياب، والله أعلم بالصواب.

معنى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾

138- قال تعالى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾ [سورة

الواقعة: 5-6].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾: فتت،

حتى صارت كالدقيق والسويق المبسوس»⁽¹⁾.

هذا المعنى الذي ذكره ابن قتيبة وافقه عليه عدد من المفسرين، منهم:

الطبري⁽²⁾، وابن أبي زمنين⁽³⁾، والواحدي⁽⁴⁾، والمحلي⁽⁵⁾، والسعدي⁽⁶⁾.

لكن غالبية المفسرين يذكرون أكثر من معنى عند تفسير الآية، وربما جعلها

بعضهم مترابطة أو يسردها سرداً لبيان المعاني الواردة فقط، فمنهم:

السمرقندي⁽⁷⁾، والماوردي⁽⁸⁾، والسمعاني⁽⁹⁾، والبغوي⁽¹⁾، والزمخشري⁽²⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(384).

(٢) جامع البيان (317/27).

(٣) تفسير القرآن العزيز (336/4).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1058/2).

(٥) تفسير الجلالين ص(713).

(٦) تيسير الكريم الرحمن ص(832).

(٧) بحر العلوم (369/3).

(٨) النكت والعيون (446/5).

(٩) تفسير القرآن (342/5).

والزحشري⁽²⁾، والقرطبي⁽³⁾، والبيضاوي⁽⁴⁾، والنسفي⁽⁵⁾، والحازن⁽⁶⁾، وابن جزري⁽⁷⁾، وأبو حيان⁽⁸⁾، وابن كثير⁽⁹⁾، وابن عادل⁽¹⁰⁾، والبقاعي⁽¹¹⁾، وأبو السعود⁽¹²⁾، والشوكاني⁽¹³⁾، والألوسي⁽¹⁴⁾، وابن عاشور⁽¹⁵⁾، والشنقيطي⁽¹⁶⁾.

فمثلاً قال السمرقندي: « **وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا** » يعني: فتت الجبال فتاً،

ويقال: قلعت الجبال قلعاً، ويقال: كسرت الجبال كسراً⁽¹⁷⁾.

(١) معالم التنزيل (279/4).

(٢) الكشاف (455/4).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (196/3).

(٤) أنوار التنزيل (206/4).

(٥) مدارك التنزيل (206/4).

(٦) لباب التأويل (15/7).

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (88/4).

(٨) البحر المحيط (201/8).

(٩) تفسير القرآن العظيم (283/4).

(١٠) اللباب في علوم الكتاب (374/18).

(١١) نظم الدرر (403/7).

(١٢) إرشاد العقل السليم (188/8).

(١٣) فتح القدير (147/5).

(١٤) روح المعاني (131/27).

(١٥) التحرير والتنوير (284/27).

(١٦) أضواء البيان (511/7).

(١٧) بحر العلوم (369/3).

وقال الزمخشري: « ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ﴾ وفتت حتى تعود كالسويق، أو

سيقت؛ من بس الغنم إذا ساقها، كقوله تعالى: ﴿وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا

﴿سورة النبأ: 20﴾⁽¹⁾.

وقال البقاعي: « ولما ذكر حركتها المزعجة، أتبعها غايتها، فقال:

﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ﴾ أي: فتت على صلابتها وعظمتها بأدنى إشارة، وخلط

حجرها بترابها حتى صار شيئاً واحداً، وصارت كالعهن المنفوش، وسيرت وكانت
تمرّ مرّ السحاب»⁽²⁾.

وقد قال القرطبي بعد ذكره لعدد من المعاني: « والمعنى المتقارب»⁽³⁾.

وما أحسن ما بين به الشنقيطي معنى الآية في الأضواء، فلقد أجاد وأفاد،
وأشبع وأمتع، وفصلّ وجمل، حتى جاء البيان مضيئاً، والضوء لامعاً فريداً، فقال:

« وقوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ في معناه لأهل العلم أوج—ه متقاربة،

لا يكذب بعضها بعضاً وكلها حق، وكلها يشهد له قرآن.

قال أكثر المفسرين: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ أي: فتت تفتيتاً حتى صارت

كالبيسة، وهي دقيق ملتوت بسمن، وهذا الوجه يشهد له قرآن كقوله تعالى:

(1) الكشاف (4/455).

(2) نظم الدرر (7/403).

(3) الجامع لأحكام القرآن (17/196).

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [سورة المزمل: 14]،

فقوله: ﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ أي: رملاً متهايلاً، ومشابهة الدقيق المسوس بالرمل المتهايل

واضحة، فقوله: ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ مطابق في المعنى لتفسير ﴿وَبُسَّتِ

الْجِبَالُ بَسًّا﴾ بأن بسها هو تفتيتها وطحنها كما ترى.

وما دلت عليه هذه الآيات من أنها تقرب عنها قوة الحجرية وتتصف بعد الصلابة والقوة باللين الشديد الذي هو كلين الدقيق، والرمل المتهايل بشهد له في الجملة تشبيها في بعض الآيات بالصوف المنفوش الذي هو العهن، كقوله تعالى:

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [سورة القارعة: 5]، وقوله

تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [سورة المعارج: 9] وأصل العهن

أخص من مطلق الصوف لأنه الصوف المصبوغ خاصة.

وقال بعضهم: الجبال منها جدد بيض وحممر مختلف ألوانها وغرايب سود، فإذا بست وفتت يوم القيامة وطيرت في الجو أشبهت العهن إذا طيرته الريح في

الهوى، وهذا الوجه يدل عليه ترتيب كينونتها ﴿هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ بالفاء على قوله:

﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ لأن الهباء هو ما ينزل من الكوة من شعاع الشمس

إذا قابلتها: ﴿مُنْبَثًّا﴾ أي: متفرقا، ووصفها بالهباء المنبث أنسب لتكون البس بمعنى

التفتيت والطحين.

الوجه الثاني: أن معنى قوله: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ أي: سيرت بين السماء والأرض، وعلى هذا فالمراد ببسها سوقها وتسييرها من قول العرب: بست الإبل أبسها، بضم الباء وأبستها أبسها بضم الهمزة وكسر الباء، لغتان. بمعنى سقتها⁽¹⁾، وهذا الوجه تشهد له آيات من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسِّرُ الْجِبَالَ﴾

[سورة الكهف: 47]، وقوله: ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [سورة الطور: 10]، وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة النمل⁽²⁾، في الكلام على قوله: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [سورة النمل: 88].

الوجه الثالث: أن معنى ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ نزعت من أماكنها وقلعت، وقد أوضحنا أن هذا الوجه راجع للوجه الأول مع الإيضاح التام لأحوال الجبال يوم القيامة، وأطوارها، بالآيات القرآنية، في سورة طه⁽³⁾، في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [سورة طه: 105].

(¹) انظر: لسان العرب لابن منظور (27/6).

(²) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (145/6) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ [سورة النحل: 88].

(³) انظر: المرجع السابق (97/4) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [سورة طه: 105].

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا﴾ كقوله تعالى:

﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [سورة النبأ: 20]، والهباء إذا انبث، أي:

تفرق، واضمحل وصار لا شيء كالسراب⁽¹⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) المرجع السابق (511/7).

معنى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾

139 - قال تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ [سورة الواقعة: 15].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ أي: منسوجة، كأن بعضها أدخل في بعض، أو نُضِدَّ بعضها على بعض، ومنه قيل للدَّرْع: موضونة، ومنه قيل: وضين الناقة؛ وهو بطان من سيور يرصّ ويدخل بعضه في بعض»⁽¹⁾.

وما قاله ابن قتيبة في معنى ﴿مَّوْضُونَةٍ﴾ هو الذي « به قال الأكثرون »⁽²⁾،

فهو المروي عن ابن عباس⁽³⁾، ومقاتل⁽⁴⁾، وقال به: الطبري⁽⁵⁾، والسمرقندي⁽⁶⁾، وابن أبي زمنين⁽⁷⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(385).

(٢) هذه عبارة ابن الجوزي في زاد المسير (135/8).

(٣) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(453).

(٤) تفسير مقاتل (312/3).

(٥) جامع البيان (172/27).

(٦) بحر العلوم (370/3).

(٧) تفسير القرآن العزيز (337/4).

..... والواحدى⁽¹⁾،
 والسرعاني⁽²⁾، والبغوي⁽³⁾، وابن عطية⁽⁴⁾، والفخر الرازي⁽⁵⁾، والقرطبي⁽⁶⁾،
 والقرطبي⁽⁶⁾، والبيضاوي⁽⁷⁾، والنسفي⁽⁸⁾، ونظام الدين النيسابوري⁽⁹⁾،
 والخازن⁽¹⁰⁾، وابن جزى⁽¹¹⁾، وأبو حيان⁽¹²⁾، وابن كثير⁽¹³⁾، والمحلي⁽¹⁴⁾،
 وابن عادل⁽¹⁵⁾، والبقاعي⁽¹⁶⁾، وأبو السعود⁽¹⁷⁾، والشوكاني⁽¹⁸⁾،

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/1059).

(٢) تفسير القرآن (5/345).

(٣) معالم التنزيل (4/280).

(٤) المحرر الوجيز (5/241).

(٥) التفسير الكبير (130/029).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (17/21).

(٧) أنوار التنزيل (5/285).

(٨) مدارك التنزيل (4/207).

(٩) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (6/240).

(١٠) لباب التأويل (7/16).

(١١) التسهيل لعلوم التنزيل (4/88).

(١٢) البحر المحيط (8/205).

(١٣) تفسير القرآن العظيم (4/287).

(١٤) تفسير الجلالين ص (714).

(١٥) اللباب في علوم الكتاب (18/384).

(١٦) نظم الدرر (7/406).

(١٧) إرشاد العقل السليم (8/191).

(١٨) فتح القدير (5/149).

والألوسي⁽¹⁾، والسعدي⁽²⁾، وابن عاشور⁽³⁾، والشنقيطي⁽⁴⁾.
والشنقيطي⁽⁴⁾.

قال الطبري: « **عَلَى سُرْرِ مَوْضُونَةٍ** » يقول: فوق سرر منسوجة قد أدخل بعضها في بعض كما يوضن حلق الدرع بعضها فوق بعض مضاعفة، ومنه: وذين الناقة وهو البطان من السـيور إذا نسـج بعضه على بعض مضاعفاً كحلق الدرع⁽⁵⁾.

وقال الشنقيطي: « **مَوْضُونَةٍ** » منسوجة بالذهب، وبعضهم يقول بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت، وكل نسج أحكم ودخل بعضه في بعض، تسميه العرب: وضنا، وتسمي المنسوج به موضوناً ووضيناً، ومنه الدرع الموضونة إذا أحكم نسجها ودخل بعض حلقاتها في بعض. ومن هذا القبيل نسميه البطان الذي ينسج من السيور؛ مع إدخال بعضها في بعض وضيناً⁽⁶⁾.
وفيمن ذكرت كلامهم إشارة إلى البقية، تدل على إجماعهم على المعنى المراد تفسيراً أو بياناً للآية، والله أعلم بالصواب.

(١) روح المعاني (135/27).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص(833).

(٣) التحرير والتنوير (293/27).

(٤) أضواء البيان (517/7).

(٥) جامع البيان (172/27).

(٦) أضواء البيان (517/7).

معنى: ﴿عُرَبًا﴾

140 - قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرَبًا أْتَرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الواقعة 36 -

[37].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: ﴿عُرَبًا﴾ جمع عروب: وهي المتحبة إلى

زوجها، ويقال: الغنجة⁽¹⁾ «⁽²⁾».

وقال المفسرون في معنى العروب أيضاً: «الحسنة التبعل، وقيل: الحسنة الكلام، وقيل: العاشقة لزوجها؛ لأن عشقها له يزيده «مياً إليها وشغفاً بها، وقيل: إنهن المتحبات من الضرائر ليقفن على طاعته ويتساعدن على مشايعته، أو أن معنى عُرَبًا: كلامهم عربي»⁽³⁾.

ولقد ذهب كثير من المفسرين إلى مثل ما ذهب إليه ابن قتيبة في بيان معنى الآية، فمنهم:

(١) الغنجة (بلغة أهل المدينة) الشكلة (بلغة أهل مكة)، انظر: النكت والعيون للماوردي (455/5).

وقال في القاموس المحيط ص(256): الغنج: الشُّكْلُ.

والشُّكْلُ: بالكسر والفتح: غنج المرأة ودُّلُّها وغزلها، فهي شِكْلَةٌ. انظر: القاموس المحيط

للفيروز آبادي ص(1318).

(٢) تفسير غريب القرآن ص(387).

(٣) ذكر الأقوال كلها الماوردي في النكت والعيون (455/5).

- الطبري: « وقوله ﴿عُرْبًا﴾ يقول تعالى ذكره: فجعلناهن أبقاراً غنجات متحبات إلى أزواجهن بحسن التبعل، وهي جمع واحدهن عروب»⁽¹⁾.
- وابن أبي زمنين: « ﴿عُرْبًا﴾ متحبات إلى أزواجهن»⁽²⁾.
- والواحدي: « ﴿عُرْبًا﴾ متحبات إلى الأزواج، عواشق لهن»⁽³⁾.
- والزخشري: « ﴿عُرْبًا﴾: جمع عروب وهي المتحبة إلى زوجها الحسنة التبعل»⁽⁴⁾.
- والبيضاوي: « ﴿عُرْبًا﴾ متحبات إلى أزواجهن، جمع عروب»⁽⁵⁾.
- والنسفي: « ﴿عُرْبًا﴾ جمع عروب: وهي المتحبة إلى زوجها الحسنة التبعل»⁽⁶⁾.
- ونظام الدين النيسابوري: « ﴿عُرْبًا﴾ جمع عروب: وهي المتحبة إلى زوجها الحسنة التبعل»⁽¹⁾.

(١) جامع البيان (186/27).

(٢) تفسير القرآن العزيز (339/4).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1061/02).

(٤) الكشاف (461/4).

(٥) أنوار التنزيل (287/5).

(٦) مدارك التنزيل (208/4).

والحلي «عُرْبًا» بضم الراء وسكونها جمع عروب وهي المتحبة إلى زوجها عشقاً له «(2)».

والبقاعي: «أَبْكَارًا» أي بكاره دائمة لأنه لا تغيير في الجنة ولا نقص. ولما كان مما جرت به العادة أن البكر تتضرر من الزوج لما يلحقها من الوجع بإزالة البكاره، دل على أنه لا نكد هناك أصلاً بوجع ولا غيره بقوله «عُرْبًا» جمع عروب، وهي الغنجة المتحبة إلى زوجها «(3)».

وأبو السعود: «عُرْبًا» جمع عروب: وهي المتحبة إلى زوجها الحسنة التبعل «(4)».

والألوسي: «عُرْبًا» متحبات إلى أزواجهن، جمع عروب كصبور وصبر، روي هذا عن جماعة من السلف، وفسرها جماعة أخرى بغنجات، ولا يخفى أن الغنج ألطف أسباب التحب «(5)».

والسعدي: «والعروب: هي المرأة المتحبة إلى بعليها بحسن لفظها، وحسن هيئتها ودلالها وجمالها ومحبتها، فهي التي إن تكلمت سببت العقول، ووَد السامع أن

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (241/6).

(٢) تفسير الجلالين ص(715).

(٣) نظم الدرر (410/7).

(٤) إرشاد العقل السليم (194/8).

(٥) روح المعاني (142/27).

كلامها لا ينقضي، خصوصاً عند غنائهن بتلك الأصوات الرخيمة والنعيمات المطربة، إن نظر إلى أدبها وسمتها ودلها ملأت قلب بعلها فرحاً وسروراً، وإن برزت من محل إلى آخر، امتلأت ذلك الموت منها ريجاً طيباً ونوراً، ويدخل في ذلك الغنجة عند الجماع»⁽¹⁾.

وسيد قطب: «﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ لم يمسن ﴿عُرْبًا﴾ متحبات إلى أزواجهن»⁽²⁾.

وابن عاشور: «العروب المرأة المتحبة إلى الرجل، أو التي لها كيفية المتحبة وإن لم تقصد التحب، بأن تكثر الضحك بمرأى الرجل أو المزاح أو اللهو أو الخضوع في القول أو اللثغ في الكلام بدون علة أو التغزل في الرجل والمساهلة في مجالسته والتدلل وإظهار معاكسة أميال الرجل لعباً لا جدّاً. وإنما فسروها بالمتحبة لأنهم لما رأوا هاته الأعمال تجلب محبة الرجل للمرأة؛ ظنوا أن المرأة تفعلها لاكتساب محبة الرجل. ولذلك فسر بعضهم: العروب بأنها المغتلمة، وإنما تلك حالة من أحوال بعض العروب»⁽³⁾.

والشنقيطي: «قوله: ﴿عُرْبًا﴾ جمع عروب، وهي المتحبة إلى زوجها الحسنة التبعل، ومنه قول لبيد⁽⁴⁾:

(1) تيسير الكريم الرحمن ص(834).

(2) سيد قطب (3464/6).

(3) التحرير والتنوير (301/27).

(4) البيت في شرح ديوان لبيد، للدكتور إحسان عباس ص(61)، ولكنه قال (الحدوج) بدل (الخباء)، في قصيدة مطلعها:

وفي الخباء عروب غير فاحشة رياً الروادف يعشى دونها البصر»⁽¹⁾.
 وفريق من المفسرين لم يكتفوا بذكر عند بيانهم لمعنى الآية، إنما يذكرون كلَّ
 الأقوال الواردة؛ ما ذكره ابن قتيبة وما سبقت الإشارة إليه بعد كلام ابن قتيبة، أو
 يذكرون معظمها أو بعضها، فمنهم: السمرقندي⁽²⁾، والماوردي⁽³⁾،
 والقشيري⁽⁴⁾، والسمعاني⁽⁵⁾، والبعوي⁽⁶⁾، وابن عطية⁽⁷⁾، وابن الجوزي⁽⁸⁾،
 والقرطبي⁽⁹⁾، والحازن⁽¹⁰⁾، وابن جزى⁽¹¹⁾، وأبو حيان⁽¹²⁾،
 وابن كثير⁽¹³⁾، والشوكاني⁽¹⁴⁾.

فما توصله سلمى وما تذر

راح القطين بهجر بعدما ابتكروا

وتقدمت ترجمة لبيد.

(١) أضواء البيان (520/7).

(٢) بحر العلوم (372/3).

(٣) النكت والعيون (455/5).

(٤) لطائف الإشارات (276/3).

(٥) تفسير القرآن (350/5).

(٦) معالم التنزيل (284/4).

(٧) الحرر الوجيز (245/5).

(٨) زاد المسير (142/8).

(٩) الجامع لأحكام القرآن (211/17).

(١٠) لباب التأويل (19/7).

(١١) التسهيل لعلوم التنزيل (90/4).

(١٢) البحر المحيط (207/8).

(١٣) تفسير القرآن العظيم (292/4).

(١٤) فتح القدير (153/5).

قال البغوي: «عُرْبًا» جمع عروب: أي عواشق محبات إلى أزواجهن،

وقيل: غنجة، وقيل عرباً: حسنة الكلام»⁽¹⁾.

وقال ابن جزى: «عُرْبًا» جمع عروب: وهي المتوددة إلى زوجها بإظهار

محبتة، وقيل: العواشق لأزواجهن، وقيل: هي الحسنة الكلام»⁽²⁾.

الظاهر - والله أعلم - أن الراجح هو ما ذهب إليه ابن قتيبة وموافقوه من أن لفظة

«عُرْبًا» يراد بها جمع عروب؛ وهي المتحبة إلى زوجها بحسب التبعل، بما يشمله

حسن التبعل، من حسن في الأقوال والأفعال، يدل لذلك

أولاً: كون هذا هو اختيار الجمهور، صرح بذلك الألوسي بقوله عنه إنه

«هو الذي عليه الأكثر»⁽³⁾، والشنقيطي قال: «هو قول الجمهور»⁽⁴⁾.

ثانياً: دلالة اللغة العربية عليه، فإن «عُرْبًا» جمع عروب «واشتقاقه من

أعرب إذا بين، فالعروب تبين محبتها لزوجها بشكل وحنج وحسن كلام»⁽⁵⁾.

أما الذين اکتفوا بسرد الأقوال كلها أو بعضها عند تفسيرهم للآية، يلاحظ

أنهم جميعاً متفقون على ذكر عدد من الأقوال، هي:

1- المتحبات إلى أزواجهن.

(1) معالم التنزيل (284/4) بتصرف.

(2) التسهيل لعلوم التنزيل (90/4) بتصرف.

(3) روح المعاني (142/27).

(4) أضواء البيان (520/7).

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (211/17).

2- الحسنة التبعل.

3- الحسنة الكلام.

4- العاشقة لزوجها.

وكما هو واضح أنه لا تنافر بين الأقوال المذكورة بل كلها تؤدي معنىً واحداً، فإن المرأة العروب: هي المتحبة إلى زوجها؛ بحسن التبعل (عمل)، وحسن الكلام (قول)، وعشقها لزوجها (محبة قلبية)، فإذا اجتمعت هذه الصفات في امرأة فهي عروب، وهي صفة نساء أهل الجنة. جعلنا الله -عز وجل- وإياكم وجميع المسلمين من أهل الجنة.

وإليك كلام بعض المفسرين مما يوضح هذا الترابط الشديد بين الأقوال، يقول الماوردي -بعد ذكر أن من معاني العروب: العاشقة لزوجها- «لأن عشقها له يزيده ميلاً إليها وشغفاً بها»⁽¹⁾، ويقول النيسابوري: «العروب: الحسنة التبعل، الفطنة بمراد الزوج كفطنة العرب»⁽²⁾، فكونها تفتن لمراد زوجها يعني أنها تحسن تصرفاتها وأقوالها ومشاعرها معه، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: النكت والعيون للماوردي (455/5).

(٢) انظر: إيجاز البيان لابن أبي الحسن النيسابوري (238/2).

معنى: ﴿شُرْبَ أَلِيمٍ﴾

141 - قال تعالى: ﴿فَشَرِبُونَ شُرْبَ أَلِيمٍ﴾ [سورة الواقعة: 55].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿أَلِيمٍ﴾ : الإبل يصيبها داء فلا تروى

من الماء، يقال: بعير أهيم، وناقة هيماء»⁽¹⁾.

ووافقه على نفس المعنى الذي ذكره: الطبري⁽²⁾، وابن أبي زمنين⁽³⁾،
والواحدي⁽⁴⁾، والفخر الرازي⁽⁵⁾، والنسفي⁽⁶⁾، وابن كثير⁽⁷⁾، والمحلي⁽⁸⁾،
والسعدي⁽⁹⁾، وابن عاشور⁽¹⁰⁾، والشرقيطي⁽¹¹⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(388).

(٢) جامع البيان (195/27).

(٣) تفسير القرآن العزيز (341/4).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1062/2).

(٥) التفسير الكبير (152/29).

(٦) مدارك التنزيل (209/4).

(٧) تفسير القرآن العظيم (296/4).

(٨) تفسير الجلالين ص(716).

(٩) تيسير الكريم الرحمن ص(834).

(١٠) التحرير والتنوير (311/27).

(١١) أضواء البيان (315/6).

قال الشنقيطي: « وقوله ﴿شُرِبَ أَلِيمٌ﴾ الهميم: جمع أهيم وهيماء وهي الناقة مثلاً التي أصابها الهيام، وهو شدة العطش بحيث لا يرويها كثرة شراب الماء، فهي تشرب كثيراً من الماء، ولا تزال مع ذلك في شدة العطش»⁽¹⁾.

لكن فريقاً آخر من المفسرين -عند بيانهم لمعنى الآية- يذكرون هذا القول الذي ذكره ابن قتيبة وموافقوه، وقولاً آخر معه؛ مؤداه أن ﴿أَلِيمٌ﴾: « الأرض الرملية التي لا تروي الماء، وهي هيام الأرض»⁽²⁾، وكلا القولين مرويين عن ابن عباس -رضي الله عنهما-⁽³⁾، وحكاهما معاً معنى للآية من المفسرين: السمرقندي⁽⁴⁾، والقشيري⁽⁵⁾، والسمعاني⁽⁶⁾، والزمخشري⁽⁷⁾، وابن عطية⁽⁸⁾، عطية⁽⁸⁾، والقرطبي⁽⁹⁾، والبيضاوي⁽¹⁰⁾، ونظام الدين النيسابوري⁽¹¹⁾،

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: النكت والعيون (457/5).

(٣) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(454).

(٤) بحر العلوم (374/3).

(٥) لطائف الإشارات (276/3).

(٦) تفسير القرآن (354/5).

(٧) الكشف (462/4).

(٨) المحرر الوجيز (247/5).

(٩) الجامع لأحكام القرآن (214/17).

(١٠) أنوار التنزيل (289/5).

(١١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (242/6).

..... والخازن⁽¹⁾، وابن جزى⁽²⁾، وأبو حيان⁽³⁾، وابن عادل⁽⁴⁾،
والبقاعي⁽⁵⁾، وأبو السعود⁽⁶⁾، والشوكاني⁽⁷⁾، والألوسي⁽⁸⁾.

قال السمرقندي: « **فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ** » يعني: كشرب الهيم وهي الإبل التي يصيبها داء فلا تروى من الشراب، ويقال: الأرض التي أصابتها الشمس وهي أرض سهلة من الرملة «⁽⁹⁾».

وقال نظام الدين النيسابوري « والهيم: الإبل التي بها الهيام وإذا شربت فلا تروى، واحدها هيم، والمؤنث هيماء، وجوز أن يكون جمع الهيام بفتحها: وهو الرمل الذي لا يتماسك والمعنى أنه يسלט عليهم الجوع حتى يضطروا إلى أكل الزقوم، ثم يسלט عليهم العطش إلى أن يضطروا إلى شرب الحميم كالإبل الهيم⁽¹⁰⁾».

والذي يظهر - والله أعلم - جواز حمل الآية على المعنيين، لأن كليهما وجه معروف في لغة العرب⁽¹¹⁾، و « حمل كلام الله تعالى على المعروف من لغة

(١) لباب التأويل (22/7).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (90/4).

(٣) البحر المحيط (207/8).

(٤) اللباب في علوم الكتاب (412/18).

(٥) نظم الدرر (414/7).

(٦) إرشاد العقل السليم (196/8).

(٧) فتح القدير (154/5).

(٨) روح المعاني (146/27).

(٩) بحر العلوم (374/3).

(١٠) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (242/6).

(١١) انظر: لسان العرب لابن منظور (627/12).

العرب»⁽¹⁾، قاعدة متبعة عند علماء التفسير، والمقصود منهما معاً بيان حال من
أحوال عذاب الكفار في النار يوم القيامة، فهم «شاربون من الحميم شرباً لا
ينقطع فهو مستمرة آلامه»⁽²⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (311/27).

معنى: ﴿تَفَكَّهُونَ﴾

142 - قال تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ

تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة

الواقعة: 65].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « تعجبون مما نزل بكم في زرعكم إذا

صار حطاما. ويقال ﴿تَفَكَّهُونَ﴾: تندمون⁽¹⁾.

فابن قتيبة حمل لفظ ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ على المعنيين: تعجبون مما نزل في

الزرع، وتندمون.

وقد وافقه على نفس المعنيين المذكورين: الواحدي⁽²⁾، والسمعاني⁽³⁾،

والزخشري⁽⁴⁾، والبيضاوي⁽⁵⁾، والنسفي⁽⁶⁾، ونظام الدين النيسابوري⁽⁷⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(388).

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/1062).

(٣) تفسير القرآن (5/355).

(٤) الكشاف (4/288).

(٥) أنوار التنزيل (5/290).

(٦) مدارك التنزيل (4/210).

(٧) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (6/243).

قال الواحدي: «﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ تعجبون وتندمون مما نزل بكم ومما

عملتم من الحرث»⁽¹⁾.

ومن المفسرين من حمل اللفظ على معنى: تعجبون رُوي ذلك عن ابن

عباس⁽²⁾ - رضي الله عنهما-، وقال به: الطبري⁽³⁾، وابن أبي زمنين⁽⁴⁾،

والمحلي⁽⁵⁾، والبقاعي⁽⁶⁾، وأبو السعود⁽⁷⁾، والألوسي⁽⁸⁾.

فقد روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما-: «﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾

فصرتم تعجبون من يبوسته وهلاكه»⁽⁹⁾.

ومن المفسرين من زاد على المعنيين المذكورين غيرها، ف قيل « تفكّهون:

تحزنون، وقيل: تلاومون»⁽¹⁰⁾، منهم البغوي⁽¹¹⁾، وابن عطية⁽¹²⁾،

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/1062).

(٢) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(455).

(٣) جامع البيان (27/198).

(٤) تفسير القرآن العزيز (4/342).

(٥) تفسير الجلالين ص(716).

(٦) نظم الدرر (7/418).

(٧) إرشاد العقل السليم (8/198).

(٨) روح المعاني (27/148).

(٩) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(455).

(١٠) ذكرهما الماوردي مع بقية الأقوال المذكورة، انظر النكت والعيون (5/461).

(١١) معالم التنزيل (4/287).

(١٢) المحرر الوجيز (5/249).

..... والقرطبي⁽¹⁾، والخازن⁽²⁾، وابن جزى⁽³⁾، وأبو حيان⁽⁴⁾، وابن
 وابن كثير⁽⁵⁾، وابن عادل⁽⁶⁾، والشوكاني⁽⁷⁾، وابن عاشور⁽⁸⁾.
 والذي يظهر - والله أعلم - أنه لا مانع من حمل اللفظ على المعاني الواردة،
 فكلها «متقاربة»⁽⁹⁾، فعلى معنى (تتعجبون) يكون المراد: «تعجبون مما نزل
 بزرعكم، وأصله من التفكه بالحديث إذا حدث الرجل الرجل بالحديث يعجب منه
 ويلهى به، فكذلك ذلك، وكأن معنى الكلام قأقمتم تتعجبون يعجب بعضكم
 بعضاً مما نزل بكم»⁽¹⁰⁾. وعلى معنى (تندمون) فالمراد: «تندمون على ما
 سلف منكم من معصية الله تعالى التي أوجبت لكم عقوبته حتى نالكم في زرعكم
 ما نالكم»⁽¹¹⁾. وعلى معنى (تلاومون) أي: «تلاومون وتندمون على ما سلف
 منكم من معصية الله تعالى التي أوجبت عقوبتكم حتى نالتكم في زرعكم»⁽¹²⁾.

(١) الجامع لأحكام القرآن (219/17).

(٢) لباب التأويل (23/7).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (91/4).

(٤) البحر المحيط (211/8).

(٥) تفسير القرآن العظيم (297/4).

(٦) اللباب في علوم الكتاب (421/18).

(٧) فتح القدير (157/5).

(٨) التحرير والتنوير (322/27).

(٩) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى (91/4).

(١٠) انظر: جامع البيان للطبري (198/27).

(١١) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (216/9).

(١٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (219/17).

فهم يعجبون ويحزنون ويدمون ويتلاومون، فلا مانع من إرادة جميع المعاني، والله أعلم بالصواب.

معنى: ﴿لَمُغْرَمُونَ﴾

143 - قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ [سورة الواقعة: 66].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿لَمُغْرَمُونَ﴾ أي: معذبون، من قوله -

عَلَى -: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [سورة الفرقان: 65]. أي: هلكة»⁽¹⁾.

وما ذهب إليه ابن قتيبة من أن (مغرمون) معناها: معذبون، قد رُوي عن ابن

عباس⁽²⁾ - رضي الله عنهما -، قال به الطبري⁽³⁾، والسمرقندي⁽⁴⁾، وابن أبي

زمنين⁽⁵⁾، والقرطبي⁽⁶⁾، والألوسي⁽⁷⁾، وابن عاشور⁽⁸⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(388).

(٢) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(455).

(٣) جامع البيان (199/27).

(٤) بحر العلوم (375/3).

(٥) تفسير القرآن العزيز (266/4).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (219/17).

(٧) روح المعاني (148/27).

(٨) التحرير والتنوير (323/27).

وحمل بعض المفسرين لفظ ﴿لَمُغْرَمُونَ﴾ على معنى: «الملزومون غرامة ما

أنفقنا في الزرع، وقد صار ذلك غرمًا علينا، فالمغرم من ذهب إنفاقه بغير عوض»⁽¹⁾. ومثله قال: الواحدي⁽²⁾، والمحلي⁽³⁾.

وعدد غير قليل من المفسرين ذكروا المعنيين معًا عند تفسيرهم للآية، منهم: السمعاني⁽⁴⁾، والبغوي⁽⁵⁾، والزمخشري⁽⁶⁾، وابن عطية⁽⁷⁾، والفخر الرازي⁽⁸⁾، الرازي⁽⁸⁾، والبيضاوي⁽⁹⁾، والنسفي⁽¹⁰⁾، ونظام الدين النيسابوري⁽¹¹⁾، والخازن⁽¹²⁾، وابن جزى⁽¹³⁾، وأبو حيان⁽¹⁴⁾، وابن كثير⁽¹⁵⁾، والبقاعي⁽¹⁾، وأبو السعود⁽²⁾، والشوكاني⁽³⁾.

(١) قاله القشيري في لطائف الإشارات (278/3).

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1063/2).

(٣) تفسير الجلالين ص (716).

(٤) تفسير القرآن (356/5).

(٥) معالم التنزيل (288/4).

(٦) الكشاف (464/4).

(٧) المحرر الوجيز (249/5).

(٨) التفسير الكبير (159/29).

(٩) أنوار التنزيل (290/5).

(١٠) مدارك التنزيل (210/4).

(١١) غرائب القرآن ورجائب الفرقان (243/6).

(١٢) لباب التأويل (23/7).

(١٣) التسهيل لعلوم التنزيل (91/4).

(١٤) البحر المحيط (211/8).

(١٥) تفسير القرآن العظيم (297/4).

قال الزمخشري: « **إِنَّا لَمُعْرَمُونَ** »: ملزمون غرامة ما أنفقنا، ومهلكون

لهلاك رزقنا؛ من الغرام: وهو الهلاك⁽⁴⁾.

وقال ابن عطية: « والمعنى يحتمل أن يكون إنا لمعذبون؛ من الغرام وهو أشد

العذاب، ومنه قوله تعالى: **﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾** [سورة الفرقان: 65]،

ويحتمل أن يكون إنا لمحملون الغرم أي: غرمننا في النفقة وذهب زرعنا⁽⁵⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - صحة حمل اللفظ على المعنيين فهما مترابطان في

بيان معنى الآية، فالأول مبني على دلالة آية أخرى من القرآن الكريم، وهي قوله

تعالى: **﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾** [سورة الفرقان: 65]، وهذا من تفسير

القرآن بالقرآن أفضل أنواع التفسير وأحسنها⁽⁶⁾، والثاني: مبني على المعنى المتبادر

المعروف للغرم في لغة العرب من « أداء شيء لزم من قبل كفالة، ولزوم نائبة في

(١) نظم الدرر (419/7).

(٢) إرشاد العقل السليم (198/8).

(٣) فتح القدير (157/5).

(٤) الكشف (464/4).

(٥) المحرر الوجيز (249/5).

(٦) انظر: شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص (127).

ماله من غير جناية»⁽¹⁾، و «حمل كلام الله تعالى على المعروف من لغة العرب»
(²) قاعدة مهمة يبنى عليها فهم المعنى هنا.

وعليه فلا مانع من إرادة المعنيين معاً: فغرّمهم بضياح ما أنفقوه على زرعهم
هلاك معاً: فغرّمهم بضياح ما أنفقوه على زرعهم هلاك وعذاب لهم نتيجة
معاصيهم وكفرهم، والله أعلم بالصواب.

(¹) هذه عبارة الفراهيدي في كتاب العين (418/4)، وانظر أيضاً: لسان العرب لابن منظور
(436/12).

(²) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).

معنى: ﴿للمُقَوِّينَ﴾

144 - قال تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقَوِّينَ﴾ [سورة الواقعة

. [73]

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿للمُقَوِّينَ﴾ يعني: المسافرين، سَمَّوا بذلك: لنزولهم القواء، وهو القفر. وقال أبو عبيدة: « المقوي: الذي لا زاد معه؛ يقال: أقوى الرجل؛ إذا نفذ زاده ».

ولا أرى التفسير إلا الأول، ولا أرى الذي لا زاد معه أولى بالنار ولا أحوج إليها من الذي معه الزاد، بل صاحب [الزاد]⁽¹⁾ أولى بها، وإليها أحوج⁽²⁾. الذي ذهب إليه ابن قتيبة، من أن لفظ ﴿للمُقَوِّينَ﴾ يراد به: المسافرون، هو المروي عن ابن عباس⁽³⁾ - رضي الله عنهما -، ومقاتل⁽⁴⁾، وقال به: الطبري⁽⁵⁾، والسمرقندي⁽⁶⁾، وابن أبي زمنين⁽⁷⁾،

(١) سقطت هذه لكلمة من الطبعة التي اعتمدت عليها مع حاجة السياق إليها فاستدركتها من طبعة أخرى انظر: غريب القرآن طبعة دار الكتب العلمية بتحقيق أحمد صقرص (451).

(٢) تفسير غريب القرآن ص (389).

(٣) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص (455).

(٤) تفسير مقاتل (317/3).

(٥) جامع البيان (201/27).

(٦) بحر العلوم (375/3).

(٧) تفسير القرآن العزيز (343/4).

..... والقشيري⁽¹⁾، والواحدي⁽²⁾،
والسمعاني⁽³⁾، والبغوي⁽⁴⁾، وأبو حيان⁽⁵⁾، والمحلي⁽⁶⁾، وسيد قطب⁽⁷⁾،
والشنقيطي⁽⁸⁾.

قال البغوي: «**لِلْمُقَوِّينَ**» المسافرين، والمقوي النازل في الأرض القواء وهي القفر الخالية البعيدة من العمران، يقال: أقوت الدار: إذا خلت من سكانها، والمعنى أنه ينتفع بها أهل البوادي والأسفار فإن منفعتهم بها أكثر من منفعة المقيم، وذلك أنهم يوفدونها ليلاً لتهرب منهم السباع ويهتدي بها الضلال، وغير ذلك من المنافع، هذا قول أكثر المفسرين⁽⁹⁾.

وقال الشنقيطي: «**وَمَتَعًا لِلْمُقَوِّينَ**» أي: منفعة للنازلين بالقواء من الأرض وهو الخلاء والفلاة التي ليس بها أحد، وهم المسافرون؛ لأنهم ينتفعون بالنار انتفاعاً عظيماً في الاستدفاء بها والاستضاءة وإصلاح الزاد.

(١) لطائف الإشارات (279/3).

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1063/2).

(٣) تفسير القرآن (357/5).

(٤) معالم التنزيل (288/4).

(٥) البحر المحيط (212/8).

(٦) تفسير الجلالين ص (717).

(٧) في ظلال القرآن (3470/6).

(٨) أضواء البيان (536/7).

(٩) معالم التنزيل (288/4).

وقد تقرر في الأصول أن من موانع اعتبار مفهوم المخالفة كون اللفظ واردًا للامتنان. وبه تعلم أنه لا يعتبر مفهومًا للمقوين؛ لأنه جيء به للامتنان أي وهي متاع أيضًا لغير المقوين من الحاضرين بالعمران، وكل شيء خلا من الناس يقال له أقوى؛ فالرجل إذا كان في الخلاء يقال له أقوى، والدار إذا حلت من أهلها قيل لها أقوت، ومنه قول نابغة ذبيان:

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد⁽¹⁾

وقول عنترة:

حييت من طلل تقدم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيثم⁽²⁾

وقيل: للمقوين؛ أي للجائعين، وقيل غير ذلك، والذي عليه الجمهور هو ما ذكرنا⁽³⁾.

وقيل في معنى: ﴿لِلْمُقْوِينَ﴾ أقوال أخر، منها: «المستمعين من حاضر

ومسافر⁽⁴⁾، وقيل: للجائعين في إصلاح طعامهم⁽⁵⁾، وقيل: للضعفاء والمساكين، والمساكين، مأخوذ من قولهم قد أقوت الدار، إذا حلت من أهلها⁽¹⁾»⁽²⁾.

(١) البيت هو معلقة النابغة الذبياني، وهو زياد بن معاوية بن ذبيان الغطفاني، من شعراء الجاهلية المشهورين، مات قبل مبعث النبي ﷺ، والعلياء والسند موضعان وأولهما أوسعهما. انظر: المعلقة العشر ص(263).

(٢) البيت في معلقة عنترة بن شداد العبسي، من فحول شعراء الجاهلية وفرسانهم، عربي الأب، حبشي الأم. انظر: شرح المعلقة السبعة ص(108).

(٣) أضواء البيان (536/7).

(٤) حكاة الماوردي عن مجاهد.

(٥) حكاة الماوردي عن ابن زيد.

وقيل: «المقوي من الأضداد، يقال للفقيد مقوٍ لخلوه من المال، ويقال للغني مقوٍ لقوته على ما يريد، والمعنى: أن فيها متاع للأغنياء والفقراء جميعاً، لا غنى لأحد عنها»⁽³⁾.

قال الزمخشري: «**لِلْمُقْوِينَ**» للذين ينزلون القواء، وهي القفر، أو الذين

ضلت بطونهم أو مزادهم من الطعام، يقال: أقويت من أيام، أي لم آكل شيئاً⁽⁴⁾. ومثل عبارته قال: البيضاوي⁽⁵⁾، والنسفي⁽⁶⁾، وابن جزى⁽⁷⁾، وابن عاشور⁽⁸⁾.

ومنهم من ذكر كل الأقوال أو معظمها عند تفسيره للآية دون ترجيح قول منها على الآخر، منهم: الماوردي⁽⁹⁾، وابن الجوزي⁽¹⁰⁾، والقرطبي⁽¹¹⁾، والخازن⁽¹²⁾، والألوسي⁽¹⁾.

(١) حكاه الماوردي عن ابن عيسى.

(٢) انظر: النكت والعيون للماوردي (461/5).

(٣) حكاه البغوي عن قطرب، انظر: معالم التنزيل (288/4).

(٤) الكشاف (289/4).

(٥) أنوار التنزيل (291/5).

(٦) مدارك التنزيل (211/4).

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (92/4).

(٨) التحرير والتنوير (327/27).

(٩) النكت والعيون (461/5).

(١٠) زاد المسير (149/8).

(١١) الجامع لأحكام القرآن (221/17).

(١٢) لباب التأويل (24/7).

والذي يظهر - والله أعلم - صحة حمل لفظ ﴿للمُقَوِّينَ﴾ على جميع المعاني

الواردة عن المفسرين، وذلك لأمر:

1- أن من فسر ﴿للمُقَوِّينَ﴾ بالمسافرين جعل اشتقاق اللفظ من: «الأرض القواء،

يعني الخلاء والفلاة التي ليس فيها أحد»⁽²⁾، والمسافر في أثناء سفره يقطع أراضي وفيافي خالية من البشر غالباً؛ وهي الأرض القواء، فصح أن يقال عن المسافرين (مقوين).

2- من فسّر ﴿للمُقَوِّينَ﴾ بأنهم الجائعون، أو الفقراء والمساكين، جعل اشتقاق اللفظ

من قوله: «أقويت منذ كذا وكذا أي ما أكلت شيئاً»⁽³⁾. فصح إطلاق

﴿للمُقَوِّينَ﴾ على الجائعين عموماً أو الفقراء والمساكين خصوصاً لخلو بطونهم من الطعام.

3- من حمل لفظ ﴿للمُقَوِّينَ﴾ على أنه يراد به المستمتعین المنتفعين بالنار عموماً؛

فإن مؤديهم إلى ذلك «ما تقرر في الأصول أن من موانع اعتبار مفهوم المخالفة كون اللفظ وارداً للامتنان. وعليه لا يعتبر مفهوماً للمقوين؛ لأنه جيء به للامتنان، أي: وهي متاع أيضاً لغير المقوين من الحاضرين بال عمران»⁽⁴⁾.

(١) روح المعاني (159/27).

(٢) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (536/7).

(٣) انظر: معالم التنزيل للبغوي (288/4).

(٤) انظر: مذكرة أصول الفقه للشنقيطي ص(241)، وأضواء البيان له (536/7).

وإنما خص المسافرين بالذكر لأن « أهل البوادي والأسفار منفعتهم بها أكثر من منفعة المقيم وذلك أنهم يوقدونه ليلاً لتهرب منهم السباع، ويعتدي بها الضال، وغير ذلك من المنافع »⁽¹⁾.

- 4- ومن حمل لفظ ﴿الْمُقْوِينَ﴾ على صحة إطلاقه على الغني والفقير، فإنهم اعتبروه من الأضداد « يقال للفقير مقوٍ لخلوه من المال، ويقال للغني مقوٍ لقوته على ما يريد، يقال: أقوى الرجل إذا قويت دوابه وكثر ماله، وصار إلى حال القوة، والمعنى أن فيها متاعاً للأغنياء والفقراء جميعاً لا غنى لأحد عنها »⁽²⁾.
- 5- وعموماً فقد صرحوا بأن « الآية تصلح للجميع؛ لأن النار يحتاج إليها المسافر والمقيم، والغني والفقير »⁽³⁾.

6- فائدتان:

- أ - يقول الفخر الرازي: « قدم - ﷺ - كونها تذكرة على كونها متاعاً ليعلم أن الفائدة الأخروية أتم وبالذكر أهم »⁽⁴⁾.
- ب- يقول ابن القيم: « وخص المقوين بالذكر وإن كانت منفعتهم عامة للمسافرين والمقيمين تنبيهاً لعباده - والله أعلم بمراده من كلامه - على أنهم كلهم مسافرون

(١) انظر: معالم التنزيل للبغوي (288/4).

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (221/17)، وحكاة عن المهروي.

(٤) انظر: التفسير الكبير للرازي (160/29).

وأَنهم في هذه الدار على جناح سفر ليسوا هم مقيمين ولا مستوطنين وأنهم عابروا سبيل وأبناء سفر»⁽¹⁾.

ج- يقول السعدي: « وخص الله تعالى المسافرين لأن نفع المسافر أعظم من غيره، ولعل السبب في ذلك لأن الدنيا كلها دار سفر، والعبد من حين يولد هو مسافر إلى ربه، فهذه النار جعلها الله متاعاً للمسافرين في هذه الدار، وتذكرة لهم بدار القرار»⁽²⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: بدائع التفسير لابن القيم (4/356).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص(835).

معنى: ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾

145 - قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ

أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصُرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾

تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ [سورة الواقعة: 83-87].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي: غير مملوكين أذلاء،

من قولك: دنت له بالطاعة. وقال أبو عبيدة: ﴿مَدِينِينَ﴾: مجزيين ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾

أي: تردون النفس»⁽¹⁾.

يظهر أن ابن قتيبة يرى احتمال حمل اللفظ على المعنيين مملوكين أو

مجزيين).

والذي لوحظ من خلال الدراسة أن غالبية المفسرين دارت تفسيراتهم حول

ثلاثة معانٍ رئيسة، هي: (مملوكين ومجزيين ومحاسبين)، ما بين مفرد منهم وقارن

لأكثر من معنى، وعلى رأسهم إمامهم الصحابي الجليل عبدالله بن عباس⁽²⁾ - رضي

الله عنهما -، وروي عن مقاتل⁽³⁾، وقول الطبري⁽¹⁾، والسمرقندي⁽²⁾، وابن أبي

(١) تفسير غريب القرآن ص(389).

(٢) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(455).

(٣) تفسير مقاتل (318/3).

زمين⁽³⁾، وابن عطية⁽⁴⁾، والسمعاني⁽⁵⁾، والبغوي⁽⁶⁾، والفخر الرازي⁽⁷⁾،
والقرطبي⁽⁸⁾، والبيضاوي⁽⁹⁾، ونظام الدين النيسابوري⁽¹⁰⁾، والخازن⁽¹¹⁾، وأبي
حيان⁽¹²⁾، وابن عادل⁽¹³⁾، والبقاعي⁽¹⁴⁾، والشوكاني⁽¹⁵⁾، والسعدي⁽¹⁶⁾،
وابن عاشور⁽¹⁷⁾.

-
- (١) جامع البيان (210/27).
(٢) بحر العلوم (377/3).
(٣) تفسير القرآن العزيز (345/4).
(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1064/2).
(٥) تفسير القرآن (361/5).
(٦) معالم التنزيل (291/4).
(٧) التفسير الكبير (174/29).
(٨) الجامع لأحكام القرآن (231/17).
(٩) أنوار التنزيل (293/5).
(١٠) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (245/6).
(١١) لباب التأويل (27/7).
(١٢) البحر المحيط (214/8)، وانظر: (139/1) عند تفسير سورة الفاتحة.
(١٣) اللباب في علوم الكتاب (444/18).
(١٤) نظم الدرر (428/7).
(١٥) فتح القدير (161/5).
(١٦) تيسير الكريم الرحمن ص (836).
(١٧) التحرير والتنوير (345/27).

قال الطبري: « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال غير محاسبين فمجزيين بأعمالكم؛ من قولهم كما تدين تدان، ومن قول الله تعالى : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [سورة الفاتحة: 4]»⁽¹⁾.

وقال السمرقندي: « ﴿عَيْرَ مَدِينٍ﴾ يعني: غير محاسبين، ويقال: غير مملوكين أذلاء، ويقال: غير مجزيين»⁽²⁾.

وقال ابن أبي زمنين: « ﴿عَيْرَ مَدِينٍ﴾ غير محاسبين»⁽³⁾.

وقال الواحدي: « ﴿مَدِينٍ﴾ مملوكين ومجزيين»⁽⁴⁾.

وقال البغوي: « ﴿مَدِينٍ﴾ مملوكين، وقال أكثرهم: محاسبين ومجزيين»⁽⁵⁾.
وتم أقوال أخرى في بيان معنى الآية؛ فقليل: « مبعوثين، أو مصدقين، أو مقهورين، أو موقنين»⁽⁶⁾.

وقيل أيضاً: « مربويين»⁽⁷⁾،

وقيل: « مقيمين»⁽⁸⁾، وقيل: « معدين»⁽¹⁾.

(١) جامع البيان (210/27).

(٢) بحر العلوم (377/3) بتصرف.

(٣) تفسير القرآن العزيز (345/4).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1064/2).

(٥) معالم التنزيل (291/4).

(٦) ذكرها الماروي إضافة إلى الأقوال الثلاث السابقة، انظر: النكت والعيون (465/5) بتصرف.

(٧) انظر: الكشف للزمخشري (468/4).

(٨) انظر: التفسير الكبير للرازي (174/29).

والذي يظهر - والله أعلم - حمل اللفظ على المعاني الثلاثة الرئيسة (مملوكين، مخيين، محاسبين)، لأنها «ألصق بمعنى الآية»⁽²⁾ و «عند التحقيق ترجع إلى كلام واحد»⁽³⁾، ولأنه قول «أكثر المفسرين»⁽⁴⁾، وعليه «جمهور المتقدمين والمتأخرين من المفسرين»⁽⁵⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) ذكره ابن كثير مع أقوال آخر، انظر: تفسير القرآن العظيم (301/4).

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني (161/5).

(٣) انظر: التفسير الكبير للرازي (174/29).

(٤) انظر: معالم التنزيل للبعوي (291/4).

(٥) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (345/27).

معنى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾

146 - قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ

الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ

وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ [سورة الحديد: 16].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: ألم يحن،

يقال: أنى الشيء يأنى؛ إذا حان»⁽¹⁾.

وهذا المعنى الذي قاله ابن قتيبة ذهب إليه غالبية المفسرين، منهم:

الطبري⁽²⁾، وابن أبي زمنين⁽³⁾، والماوردي⁽⁴⁾، والقشيري⁽⁵⁾، والواحدي⁽⁶⁾،
والسمعاني⁽⁷⁾، وابن عطية⁽⁸⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص (390).

(٢) جامع البيان (228/27).

(٣) تفسير القرآن العزيز (352/4).

(٤) النكت والعيون (478/5).

(٥) لطائف الإشارات (289/3).

(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1068/2).

(٧) تفسير القرآن (372/5).

(٨) المحرر الوجيز (265/5).

والقرطبي⁽¹⁾، والحازن⁽²⁾، وابن جزى⁽³⁾، وأبو حيان⁽⁴⁾، والمحلي⁽⁵⁾، وابن عاشور⁽⁶⁾، والشنقيطي⁽⁷⁾.

وقال غيرهم: « **أَلَمْ يَأْنِ** » ألم يجيء « هذا قول السمرقندي⁽⁸⁾،

والزحشري⁽⁹⁾، والبيضاوي⁽¹⁰⁾، والنسفي⁽¹¹⁾، ونظام الدين النيسابوري⁽¹²⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - أنه لا مانع من إرادة المعنيين، وإن كان الأول

أوضح في الدلالة؛ « وأن **أَلَمْ يَأْنِ** يعني: يحن⁽¹³⁾ ».

وعلى المعنى الآخر: « تأتي بمعنى (متى) نحو: أنى جئت⁽¹⁾ » فكأن معنى

الآية عليه: ألم يجيء الوقت الذي تخشع فيه القلوب.

(١) الجامع لأحكام القرآن (248/17).

(٢) لباب التأويل (34/7).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (97/4).

(٤) البحر المحيط (222/8).

(٥) تفسير الجلالين ص (721).

(٦) التحرير والتنوير (390/27).

(٧) أضواء البيان (547/7).

(٨) بحر العلوم (384/3).

(٩) الكشف (475/4).

(١٠) أنوار التنزيل (300/5).

(١١) مدارك التنزيل (217/4).

(١٢) غرائب القرآن و رغائب الفرقان (256/6).

(١٣) انظر: تاج العروس للزبيدي (106/27) بتصرف.

وما أجمل ما جمع به الشنقيطي بين المعنيين؛ فقال: « والمعنى على كلا القولين: أنه حان للمؤمنين، وأنى لهم أن تخشع قلوبهم لذكر الله تعالى، أي جاء الحين والأوان لذلك، لكثرة ما تردد عليهم من زواجر القرآن الكريم ومواعظه⁽²⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، (31/1).

(٢) أضواء البيان (547/7).

معنى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾

147- قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ

وَعَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَّةً

أَبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا

فَعَاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ [سورة

الحديد: 27].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ

رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ أي: ما أمرناهم بها إلا ابتغاء رضوان الله تعالى، أي أمرنا منها بما

يرضي الله - ~~وعجل~~ - ، لا غير ذلك «⁽¹⁾.

وهذا الذي قاله ابن قتيبة؛ قد رُوي عن مقاتل⁽²⁾، وقاله: الطبري⁽³⁾،

والسمرقندي⁽¹⁾،

والواحدي⁽²⁾، والبغوي⁽³⁾، ونظام الدين النيسابوري⁽⁴⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(391).

(٢) تفسير مقاتل (327/3).

(٣) جامع البيان (238/27).

وأما فريق آخر، منهم: ابن أبي زمنين⁽⁵⁾، والزمخشري⁽⁶⁾، وابن عطية⁽⁷⁾،
والبيضاوي⁽⁸⁾، والنسفي⁽⁹⁾، والخازن⁽¹⁰⁾، وابن جزري⁽¹¹⁾، وأبو السعود⁽¹²⁾،
وابن عاشور⁽¹³⁾، فيرون أن معنى الآية: «﴿مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ

رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ أي: لم نكتبها عليهم، إنما ابتدعوها ابتغاء رضوان الله تعالى ليتقربوا
بها إلى الله تعالى، ففرضها الله تعالى عليهم حين ابتدعوها»⁽¹⁴⁾.

ولكن جمعاً آخر جمعوا القولين معاً عند تفسير الآية، على اعتبار احتمالهما
معاً معنى للآية، فقد روي القولان عن الصحابي الجليل عبدالله بن عباس⁽¹⁵⁾ -

(١) بحر العلوم (389/3).

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1071/2).

(٣) معالم التنزيل (300/4).

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (262/6).

(٥) تفسير القرآن العزيز (356/4).

(٦) الكشاف (480/4).

(٧) المحرر الوجيز (270/5).

(٨) أنوار التنزيل (305/5).

(٩) مدارك التنزيل (221/4).

(١٠) لباب التأويل (38/7).

(١١) التسهيل لعلوم التنزيل (100/4).

(١٢) إرشاد العقل السليم (213/8).

(١٣) التحرير والتنوير (424/27).

(١٤) هذه عبارة ابن أبي زمنين في تفسير القرآن العزيز (356/4) بتصرف.

(١٥) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(459).

رضي الله عنهما-، وقالهما الفخر الرازي⁽¹⁾، والقرطبي⁽²⁾، وأبو حيان⁽³⁾، وابن
وابن كثير⁽⁴⁾، وابن عادل⁽⁵⁾، والشوكاني⁽⁶⁾، والألوسي⁽⁷⁾.

فمثلاً قال ابن كثير: « وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم قصدوا بذلك رضوان الله تعالى، والآخر: ما كتبنا عليهم ذلك، إنما
كتبنا عليهم رضوان الله»⁽⁸⁾.

والذي يظهر - في ضوء دراسة أقوال المفسرين - أن لا مانع من إرادة القولين
تفسيراً للآية، فإن الأول وهو ما ذهب إليه ابن قتيبة وموافقوه؛ مبني على أن
الاستثناء متصل، وعليه يكون المعنى: « أنا ما تعبدناهم إلا على وجه ابتغاء مرضاة
الله تعالى»⁽⁹⁾. والآخر مبني على أن الاستثناء منقطع، وعليه يكون تقدير الكلام:
الكلام: ما كتبنا عليهم الرهبانية، لكن فعلوها من تلقاء أنفسهم وابتدعوها ابتغاء
رضوان الله تعالى، ففرضها الله تعالى عليهم⁽¹⁰⁾.

(١) التفسير الكبير (214/29).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (263/17).

(٣) البحر المحيط (227/8).

(٤) تفسير القرآن العظيم (316/4).

(٥) اللباب في علوم الكتاب (505/18).

(٦) فتح القدير (178/5).

(٧) روح المعاني (191/27).

(٨) تفسير القرآن العظيم (316/4) بتصرف.

(٩) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (263/17).

(١٠) انظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (4356)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي

(263/17)، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (100/4).

وفي ظل القاعدة المتبعة عند أهل التفسير: « أن الآية إن كانت تحمل على عدة معان كلها صحيحة، صح الحمل عليها جميعها »⁽¹⁾، والله أعلم بالصواب.

(1) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾

148 - قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِمَّنِ نَسَايَهُمْ مَا هُمْ بِأُمَّهَاتِهِمْ إِنَّ

أُمَّهَاتِهِمْ إِلَّا اللَّيْءُ وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ

لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ

مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ ذَلِكُمْ تَوْعُظُونَ بِهِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ [سورة

المجادلة: 2-3].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « وقوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ يتوهم

قوم: أن الظهار لا يُحسب ولا يقع حتى يتكرر اللفظ به؛ لقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ

يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾، وقد أجمع الناس على أن الظهار يقع بلفظ واحد.

فأما تأويل قوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ فإن أهل الجاهلية كانوا يطلقون

بالظهار؛ فجعل الله تعالى حكم الظهار في الإسلام خلاف حكمه عندهم في

الجاهلية، وأنزل: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَابِهِمْ﴾ في الجاهلية ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾⁽¹⁾.

فابن قتيبة يرى إذا أن المراد بـ ﴿يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ أي: يعودون إلى ما كانوا يقولونه من كلام في جاهليتهم قبل إسلامهم. حيث كان الظهار في الجاهلية عندهم طلاقاً، فاعتبر تلفظهم به بعد إسلامهم عودة لما كانوا عليه سابقاً. ولقد اتفق مع ابن قتيبة في ردّ القول بالترار؛ أي: أن الظهار لا يُحسب ولا يقع حتى يتكرر اللفظ به، من المفسرين: السمرقندي، حيث قال عنه إنه: «خلاف جميع أهل العلم»⁽²⁾، ووصفه ابن عطية⁽³⁾، والفخر الرازي⁽⁴⁾، وابن جزري⁽⁵⁾، بأنه: «ضعيف»، ونقل ابن الجوزي عن الزجاج قوله عنه بأنه «قول من لا يدري اللغة»⁽⁶⁾. وقال عنه ابن كثير إنه «قول باطل»⁽⁷⁾. وقال الفخر الرازي عن القول بأن المراد من العود: هو العود إلى ما كانوا عليه في الجاهلية من نفس الظهار⁽⁸⁾، بأن «هذا القول ضعيف، لأنه تعالى ذكر

(١) تفسير غريب القرآن ص(392).

(٢) انظر: بحر العلوم (7/28).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (273/5).

(٤) انظر: التفسير الكبير (218/29).

(٥) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (10/4).

(٦) انظر: زاد المسير (182/8).

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم (320/4).

(٨) حكاة البغوي ضمن أقوال ولم يرجحه، انظر: معالم التنزيل (304/4).

الظهار وذكر العودة بعده بكلمة (ثم) وهذا يقضي أن يكون المراد من العود شيئاً غير الظهار، فإن قالوا: المراد والذين كانوا يظاهرون من نسائهم قبل الإسلام،

والعرب تضر لفظ (كان)، كما في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾

[سورة البقرة: 102] أي: ما كانت تتلوا الشياطين، قلنا: الإضمار خلاف

الأصل⁽¹⁾ «⁽²⁾».

وقال الطبري في تفسير الآية: « وقوله ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ اختلف أهل

العلم في معنى العود لما قال المظاهر؛ فقال بعضهم: هو الرجوع في تحريم ما حرم على نفسه من زوجته التي كانت له حلالاً قبل تظاهره فيحلها بعد تحريمه إياها على نفسه بعزمه على غشيانها ووطئها وقال آخرون نحو هذا القول إلا أنهم قالوا: إمساكه إياها بعد تظهيره منها وتركه فراقها عود منه لما قال؛ عزم على الوطء أو لم يعزم.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: معنى اللام في قوله لما قالوا بمعنى إلى أو في، لأن معنى الكلام: ثم يعودون لنقض ما قالوا من التحريم فيحللونه، وإن قيل معناه: ثم يعودون إلى تحليل ما حرموا أو في تحليل ما حرموا فصواب، لأن كل ذلك عود له، فتأويل الكلام: ثم يعودون لتحليل ما حرموا على أنفسهم مما أحله الله تعالى لهم⁽³⁾ «⁽³⁾» فهذا قول.

(١) وهي قاعدة: القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار، فإن حمل الآية على الاستقلال مقدم لأجل موافقة الأصل. انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (2/421).

(٢) التفسير الكبير (29/218).

(٣) جامع البيان (28/7).

واختار الواحدي أن في الآية تقديمًا وتأخيرًا، فقال: « وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا » في الآية تقديم وتأخير؛ تقديرها: والذين يظاهرون من نسائهم فتحريرون ربة لما قالوا ثم يعودون، أي: على المظاهر عتق ربة لقوله لامرأته أنت علي كظهر أمي ثم يعود إلى استباحة الوطاء ولا تحل له قبل الكفارة»⁽¹⁾.

وقال السمعاني: « ومذهب الشافعي - رحمه الله - في العود: أنه يمسكها على النكاح عقيب الظهر ولا يطلقها، قال: وإنما يكون هذا عودًا؛ لأن الظهر قصد التحريم، فإذا مضى وقت عقيب الظهر ولم يحرمها على نفسه بالطلاق؛ فهو عائد عما قال. وأما مذهب أبي حنيفة - رحمه الله - فإنه قال: العود هو أن يعزم على إمساكها، فإذا فعل ذلك فقد تحقق العود. والفرق بين هذا وبين قول الشافعي أنه إذا مضى عقيب الظهر وقت يمكنه أن يطلقها فيه ولم يطلق فهو عائد، وإن لم يعزم على إمساكها، وعند أبي حنيفة ما لم يعزم على إمساكها لا يكون عائدًا»⁽²⁾.

وجمع عدد من المفسرين معظم الأقوال أو بعضها عند تفسيرهم للآية، دون تحديد أحدها راجحًا، فمنهم:

السمرقندي⁽³⁾، والبغوي⁽⁴⁾، والزمخشري⁽⁵⁾، وابن عطية⁽¹⁾، وابن الجوزي⁽²⁾، والفخر الرازي⁽³⁾، والبيضاوي⁽⁴⁾، والنسفي⁽⁵⁾، وابن جزي⁽⁶⁾، جزي⁽⁶⁾، وابن كثير⁽⁷⁾، والشوكاني⁽⁸⁾، والألوسي⁽⁹⁾.

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/1074).

(٢) تفسير القرآن (5/383).

(٣) بحر العلوم (3/392).

(٤) معالم التنزيل (4/304).

(٥) الكشف (4/484).

وقد ردّ ابن عطية القول بالتقديم والتأخير، أي كان تقديرها: (فتحير رقبة لما قالوا ثم يعودون) بأنه: « يفسد نظر الآية، وغير قوي »⁽¹⁰⁾.
وعليه فيظهر -والله أعلم- أن الراجح الذي يصح حمل معنى الآية عليه القول الذي قاله « جماعة كثيرة من أهل العلم »⁽¹¹⁾، و « ذهب إليه أكثر المجتهدين »⁽¹²⁾، وهو القول بأن المراد بالعود « الرجوع في تحريم ما حرم على نفسه من زوجته التي كانت له حلالاً قبل تظايره فيحلبها بعد تحريمه إياها على نفسه بعزمه على غشيانها ووطئها وقال آخرون نحو هذا القول إلا أنهم قالوا إمساكه إياها بعد تظهيره منها وتركه فراقها عود منه لما قال عزم على الوطاء أو لم يعزم »⁽¹³⁾.

(١) المحرر الوجيز (273/5).

(٢) زاد المسير (182/8).

(٣) التفسير الكبير (218/29).

(٤) أنوار التنزيل (307/5).

(٥) مدارك التنزيل (222/4).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (101/4).

(٧) تفسير القرآن العظيم (320/4).

(٨) فتح القدير (182/5).

(٩) روح المعاني (4/28).

(١٠) انظر: المحرر الوجيز (273/5).

(١١) انظر: المرجع السابق.

(١٢) انظر: التفسير الكبير للرازي (218/29).

(١٣) انظر: جامع البيان للطبري (7/28).

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال معنى اللام في قوله ﴿لَمَّا﴾

قَالُوا ﴿.معنى: إلى أو في لأن معنى الكلام ثم يعودون لنقض ما قالوا من التحريم

فيحللونه، وإن قيل معناه ثم يعودون إلى تحليل ما حرّموا أو في تحليل ما حرّموا

فصواب لأن كل ذلك عود له فتأويل الكلام ثم يعودون لتحليل ما حرّموا على

أنفسهم مما أحله الله لهم»⁽¹⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) المرجع السابق.

معنى: ﴿أَوْجَفْتُمْ﴾

149 - قال تعالى: ﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا

رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿٦﴾ [سورة الحشر: 6].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ﴾ من الإيجاف،

يقال: وجف الفرس والبعير وأوجفته، ومثله: الإيضاع؛ وهو الإسراع»⁽¹⁾.

وهذا المعنى نفسه ذكره جمهور المفسرين، منهم: السمرقندي⁽²⁾،

والماوردي⁽³⁾، والواحدي⁽⁴⁾، والبغوي⁽⁵⁾، والزمخشري⁽⁶⁾، والفخر الرازي⁽⁷⁾،

والقرطبي⁽⁸⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(394).

(٢) بحر العلوم (404/3).

(٣) النكت والعيون (503/5).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1082/2).

(٥) معالم التنزيل (316/4).

(٦) الكشاف (501/4).

(٧) التفسير الكبير (247/29).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (10/18).

والبيضاوي⁽¹⁾، والنسفي⁽²⁾، والخازن⁽³⁾، وابن جزري⁽⁴⁾، والمحلي⁽⁵⁾، وابن عادل⁽⁶⁾، والبقاعي⁽⁷⁾، وأبو السعود⁽⁸⁾، والشوكاني⁽⁹⁾، والألوسي⁽¹⁰⁾.
قال الماوردي: « والإيجاف: الإيضاع في السير، وهو الإسراع »⁽¹¹⁾.

وقال الواحدي: « ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ أي: ما

حملتم خيلكم ولا إبلكم على الوجيف إليه وهو السير السريع، والمعنى: لم تركبوا إليه خيلاً ولا إبلاً، ولا قطعتم إليه شقة، فهو خالص لرسول الله ﷺ يعمل فيه ما أحب، وليس كالغنيمة التي تكون للغنمين »⁽¹²⁾.

(١) أنوار التنزيل (318/5).

(٢) مدارك التنزيل (230/4).

(٣) لباب التأويل (59/7).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (107/4).

(٥) تفسير الجلالين ص (730).

(٦) اللباب في علوم الكتاب (573/18).

(٧) نظم الدرر (517/7).

(٨) إرشاد العقل السليم (227/8).

(٩) فتح القدير (197/5).

(١٠) روح المعاني (45/28).

(١١) النكت والعيون (503/5).

(١٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1082/2).

وقال البغوي: « ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾ وضمتم ﴿عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾

يقال: وجف الفرس والبعير يَجِفُّ وِجْفًا وهو سرعة السير، وأوجفه صاحبه إذا حمّله على السير، وأراد بالركاب الإبل التي تحمل القوم»⁽¹⁾.

وما جاء عن المفسرين مؤيد بكلام أهل اللغة في بيان معنى الإيجاف والإيضاع، فإنهما مترادفان، فقالوا في الإيجاف: «الوجف: سرعة السير، وجف البعير والفرس يجف وجفا ووجيفًا: أسرع، وأوجف دابته: إذا حثها وراكب البعير يوضع، وراكب الفرس يوجف وقيل: الوجيف يصلح للبعير والفرس»⁽²⁾. وفي الإيضاع قالوا: «وضع البعير وأوضعه راكمه إذا حمّله على سرعة السير وهو ضرب من سير الإبل دون الشد؛ قيل هو فوق الخب»⁽³⁾.

فتبين بما تقدم بيانه اتفاقهم على المعنى، وموافقة قول أهل اللغة، وصحة حمل معنى الآية عليه، والله أعلم بالصواب.

(١) معالم التنزيل (316/4).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (352/9) بتصرف.

(٣) المرجع السابق (399/8) بتصرف.

معنى: تلقون وتسرون بالمودة

150 - قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ

إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا
بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ
وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾

[سورة الممتحنة: 1].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ﴾ أي: تلقون

إليهم المودة، وكذلك: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ﴾، والمعنى: كيف تستسرون بمودتكم

لهم مني، وأنا أعلم بما تضمرون وما تظهرون»^(١).

فابن قتيبة يرى أن المراد بالآية: الإسرار بالمودة إلى الكفار ومحاولة إخفائها،

وهذا أحد المعنيين الواردين في تفسيرها، وقد وافقه عليه من المفسرين، الطبري^(٢)،

والسمرقندي^(٣)،.....

(١) تفسير غريب القرآن ص(396).

(٢) جامع البيان (58/28).

(٣) بحر العلوم (413/3).

وابن أبي زمين⁽¹⁾، والسمعاني⁽²⁾، والبغوي⁽³⁾، والفخر الرازي⁽⁴⁾، وابن كثير⁽⁵⁾، والألوسي⁽⁶⁾، والسعدي⁽⁷⁾.

قال الطبري: « وقوله ﴿تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين من

أصحاب رسول الله ﷺ: تسرون أيها المؤمنون بالموودة إلى المشركين بالله ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ

بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾ يقول وأنا أعلم أيضاً منكم ما أعلنه بعضكم لبعض ﴿وَمَنْ

يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ يقول جل ثناؤه: ومن يسر منكم إلى المشركين

بالمودة أيها المؤمنون ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ يقول: فقد جار عن قصد السبيل التي جعلها الله

تعالى طريقاً إلى الجنة ومحجة إليها»⁽⁸⁾.

(١) تفسير القرآن العزيز (375/4).

(٢) تفسير القرآن (414/5).

(٣) معالم التنزيل (329/4).

(٤) التفسير الكبير (259/29).

(٥) تفسير القرآن العظيم (348/4).

(٦) روح المعاني (68/28).

(٧) تيسير الكريم الرحمن ص (855).

(٨) جامع البيان (58/28).

والمعنى الآخر المحتمل للآية: « تعلمونهم سرّاً بأحوال النبي ﷺ لمودة بينكم وبينهم »⁽¹⁾، وقال به معنى للآية: القرطبي⁽²⁾، والمحلي⁽³⁾، والشوكاني⁽⁴⁾. وعدد منهم جعلوا القولين معاً محتملين لمعنى الآية، منهم: الماوردي⁽⁵⁾، والزمخشري⁽⁶⁾، والبيضاوي⁽⁷⁾، والنسفي⁽⁸⁾، وأبو السعود⁽⁹⁾.

قال الماوردي: « وفي قوله تعالى: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ﴾ وجهان:

أحدهما: تعلمونهم سرّاً أن بينكم وبينهم مودة، الثاني: تعلمونهم سرّاً بأحوال النبي ﷺ بمودة بينكم وبينهم »⁽¹⁰⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - من تأمل المعنيين صحة اعتبارها معاً معنى للآية لشمول لفظ الآية لهما، على قاعدة أن « الآية إن كانت تحتل معان كلها صحيحة، صح الحمل عليها جميعاً »⁽¹¹⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) حكاه الماوردي مع القول الأول أيضاً في النكت والعيون (517/5).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (52/18).

(٣) تفسير الجلالين ص (735).

(٤) فتح القدير (210/5).

(٥) النكت والعيون (517/5).

(٦) الكشاف (511/4).

(٧) أنوار التنزيل (326/5).

(٨) مدارك التنزيل (236/4).

(٩) إرشاد العقل السليم (236/8).

(١٠) النكت والعيون (517/5).

(١١) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿ظَاهِرِينَ﴾

151 - قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّنْتَ طَائِفَةٌ
مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ ءَايَدَنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ

[سورة الصف: 14].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ غالبين عالين عليهم،

من قولك: ظهرت على فلان؛ إذا علوته، وظهرت على السطح: إذا صرت
(1) فوقه » .

أن يكون معنى ﴿ظَاهِرِينَ﴾ أي غالبين عالين عليهم هو نفسه قاله أيضاً الأئمة

المفسرون، منهم: الطبري (2)، والسمرقندي (3)، وابن أبي زمنين (4)، والواحدي (5)،
والواحدي (5)، والسمعاني (1)، والبغوي (2)، والزمخشري (3)، والفخر الرازي (4)،

(١) تفسير غريب القرآن ص(398).

(٢) جامع البيان (92/28).

(٣) بحر العلوم (423/3).

(٤) تفسير القرآن العزيز (389/4).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1094/2).

- (5) والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، وابن جزي ،
 (6) وأبو حيان ، والمحلي ، وابن عادل ، والبقاعي ، وأبو السعود ،
 (7) والشوكاني ، والألوسي ، والسعدي ، وابن عاشور .
 (8) (9) (10) (11) (12) (13) (14) (15) (16) (17) (18)

قال الطبري: « وَقَوْلُهُ ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلٰى عَدُوِّهِمْ﴾ يقول فقوينا الذين

آمنوا من الطائفتين من بني إسرائيل على عدوهم الذين كفروا منهم بمحمد ﷺ
 لتصديقه إياهم أن عيسى - عليه السلام - عبدالله ورسوله، وتكذيبه من قال هو إله ومن

- (١) تفسير القرآن (429/5).
 (٢) معالم التنزيل (339/4).
 (٣) الكشاف (528/4).
 (٤) التفسير الكبير (277/29).
 (٥) الجامع لأحكام القرآن (90/18).
 (٦) أنوار التنزيل (336/5).
 (٧) مدارك التنزيل (244/4).
 (٨) لباب التأويل (86/7).
 (٩) التسهيل لعلوم التنزيل (118/4).
 (١٠) البحر المحيط (261/8).
 (١١) تفسير الجلالين ص(740).
 (١٢) اللباب في علوم الكتاب (67/19).
 (١٣) نظم الدرر (589/7).
 (١٤) إرشاد العقل السليم (246/8).
 (١٥) فتح القدير (223/5).
 (١٦) روح المعاني (92/28).
 (١٧) تيسير الكريم الرحمن ص(861).
 (١٨) التحرير والتنوير (203/28).

قال هو ابن الله تعالى ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ فأصبحت الطائفة المؤمنون ظاهرين على

عدوهم الكافرين منهم» (1).

وقال السمرقندي: «﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ فصاروا غالبين بالنصرة

والحجة» (2).

وقال البقاعي: «ولما كان الظفر بالمحجوب أحب ما يكون إذا كان أول النهار،

تسبب عن تأييده قوله ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ أي: صاروا بعدما كانوا فيه من الظل ﴿ظَاهِرِينَ﴾

أي عالين غالبين قاهرين في أقوالهم وأفعولهم لا يخافون أحداً إلا الله عز وجل، ولا

يستخفون منه» (3).

وقال السعدي: «﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ أي: قويناهم ونصرناهم

عليهم ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ عليهم قاهرين لهم» (4).

وأهل اللغة كـلامهم وكـلام أهل النفس—ير في فلك واحد يدور، فقالوا:

«ظهرت على فلان أي علوته وغلبته، يقال: أظهر الله تعالى المسلمين على

الكافرين أي أعلاهم عليهم» (5).

فتبين بما مرَّ بيانه صحة حمل الآية على المعنى المذكور، والله أعلم بالصواب.

(١) جامع البيان (92/28).

(٢) بحر العلوم (423/3).

(٣) نظم الدرر (589/7).

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص(861).

(٥) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (471/3)، ولسان العرب، لابن منظور (526/4).

معنى: ﴿يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾

152 - قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ

يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ [سورة الجمعة: 5].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ أي: كتبًا، واحدها:

سِفْر. يريد: أن اليهود يحملون التوراة ولا يعلمون بها؛ فمثلهم كمثل حمار يحمل كتبًا من العلم وهو لا يعقلها »⁽¹⁾.

كل المفسرين في بيان معنى هذه الآية ذكروا نفس المعنى الذي ذهب إليه ابن

قتيبة، فهو المروي عن ابن عباس⁽²⁾ - رضي الله عنهما -، ومقاتل⁽³⁾، وقاله:

الطبري⁽⁴⁾، والسمرقندي⁽⁵⁾، وابن أبي زمنين⁽⁶⁾،

..... والواحدي⁽⁷⁾، والسمعاني⁽¹⁾، والبغوي⁽²⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(399).

(٢) انظر: تروير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروزآبادي ص(471).

(٣) تفسير مقاتل (360/3).

(٤) جامع البيان (97/28).

(٥) بحر العلوم (425/3).

(٦) تفسير القرآن العزيز (391/4).

(٧) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1096/2).

(3) وابن عطية ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والبيضاوي ،
 والنسفي ، والخازن ، وابن كثير ، والمحلي ، والثعالبي ، وابن عادل ،
 والبقاعي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والألوسي ، والسعدي .

قال ابن كثير: « يقول تعالى ذاماً لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل

بها ثم لم يعملوا بها مثلهم في ذلك: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ أي كمثل

الحمار إذا حمل كتباً لا يدري ما فيها فهو يحملها حملاً حسيماً لا يدري ما عليه،

- (١) تفسير القرآن (432/5).
 (٢) معالم التنزيل (340/4).
 (٣) الكشف (531/4).
 (٤) المحرر الوجيز (307/5).
 (٥) زاد المسير (260/8).
 (٦) الجامع لأحكام القرآن (94/18).
 (٧) أنوار التنزيل (338/5).
 (٨) مدارك التنزيل (245/4).
 (٩) لباب التأويل (87/7).
 (١٠) تفسير القرآن العظيم (365/4).
 (١١) تفسير الجلالين ص (741).
 (١٢) الجواهر الحسان (307/9).
 (١٣) اللباب في علوم الكتاب (74/19).
 (١٤) نظم الدرر (596/7).
 (١٥) إرشاد العقل السليم (248/8).
 (١٦) فتح القدير (225/5).
 (١٧) روح المعاني (95/28).
 (١٨) تيسير الكريم الرحمن ص (863).

وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه حفظوه لفظاً ولم يتفهموه ولا عملوا بمقتضاه بل أولوه وحرفوه وبدلوه فهم أسوأ حالاً من الحمير؛ لأن الحمار لا فهم له

وهؤلاء لهم فهم لم يستعملوها ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿أُولَئِكَ

كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [سورة الأعراف: 179]، وقال

تعالى هنا: ﴿يَسْئَلُ مَثَلِ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الظالمين﴾⁽¹⁾.

وقال البقاعي: «يَحْمِلُ أَسْفَاراً» أي كتباً من العلم كاشفة للأمور تنفع

الألباء، جمع سفر وهو الكتاب الكبير المسفر عما فيه، ولما كان المثل الجامع لهما - وهو وجه الشبه - شخصاً مثقلاً متعباً جداً بشيء لا نفع له به أصلاً فهو ضرر عليه صرف لا يدرك ما هو حامله غير أنه متعب ولا يدري أصخر هو أم كتب، أنتج قوله معبراً بالأداة التي هي لجامع الذم ترهيباً للآدميين من أن يتهاونوا بشيء من أحكام فيكونوا أسوأ مثلاً من أهل الكتاب فيكونوا دون الحمار؛ لأن رسولهم ﷺ أعظم وكتائبهم أعلى وأفخم»⁽²⁾.

وقال السعدي: «لما ذكر تعالى منته على هذه الأمة، الذين بعث فيها النبي

الأمي، وما خصهم الله من المزايا والمناقب، التي لا يلحقهم فيها أحد، وهم الأمة الأمية فاقوا الأولين والآخرين، حتى أهل الكتاب، الذين يزعمون أنهم العلماء

(1) تفسير القرآن العظيم (365/4).

(2) نظم الدرر (596/7).

الربانيون، والأحبار المتقدمون، ذكر أن الذين حملهم الله تعالى التوراة من اليهود والنصارى، وأمرهم أن يتعلموها، ويعملوا بها فلم يحملوها ولم يقوموا بما حملوا به أنهم لا فضيلة لهم، وأن مثلهم كمثل الحمار الذي يحمل فوق ظهره أسفاراً من كتب العلم، فهل يستفيد الحمار من تلك الكتب التي فوق ظهره؟ وهل تلحقه فضيلة بسبب ذلك؟ أم حظه منها حملها فقط؟ فهذا مثل علماء أهل الكتاب، الذين لم يعملوا بما في التوراة، الذي من أجله وأعظمه الأمر باتباع محمد ﷺ، والبشارة به، والإيمان بما جاء به من القرآن، فهل استفاد من هذا وصفه، من التوراة إلا الخيبة والخسران، وإقامة الحجة عليه؟ فهذا المثل مطابق لأحوالهم⁽¹⁾.

فتبين بما تم عرضه من أقوال الأئمة المفسرين، ومن أشرت إليهم اختصاراً، إجماعهم على معنى الآية، ومثل هذا الإجماع قاعدة⁽²⁾ يعتد به في معرفة المعنى المراد للآية، والله أعلم بالصواب.

(١) تيسير الكريم الرحمن ص(863).

(٢) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (1/288).

معنى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾

153 - قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ [سورة المنافقون: 2].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ أي: استتروا

بالحلف؛ كلما ظهر - النبي ﷺ - على شيء منهم يوجب معاقبتهم؛ حلفوا
لأذنين» (1).

الذي يظهر - والله أعلم - من خلال دراسة أقوال الأئمة المفسرين في بيان
معنى الآية اتفاهم في تفسيرها وإن اختلفت العبارات قليلاً بل لا يكاد يكون
اختلافاً، فهم متفقون أن لفظ (الأيمان) المذكور في الآية يراد به الحلف؛ وخصوصاً
الحلف الكاذب، حيث إن المنافقين يلجأون إلى هذا الحلف، وهم بالفعل مذنبون
ليعدوا التهمة والشبهة عن أنفسهم، فهم بالحلف الكاذب استتروا فكأن حلفهم
الكاذب ترساً يترسون خلفه، ويظنون أنه نافعهم.

فهذا المعنى بألفاظه ونحوها مروى عن ابن عباس (2) - رضي الله عنهما - ،
ومقاتل (3) ، وقاله: الطبري (1) ، والسمرقندي (2) ، وابن أبي زمنين (3) ، والواحدي (4) ،

(1) تفسير غريب القرآن ص (401).

(2) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروزآبادي ص (462).

(3) تفسير مقاتل (363/3).

(5) والسمعاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي ،
 (6) ، (7) ، (8) ، (9) ،
 (10) والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، والخازن ، وابن جزي ،
 (11) ، (12) ، (13) ، (14) ،
 (15) وأبوحيان ، وابن كثير ، والمحلي ، وابن عادل ،
 (16) ، (17) ، (18) ،
 (19) والبقاعي ، وأبوالسعود ، والشوكاني ، والألوسي ، والسعدي .
 (20) ، (21) ، (1) ، (2)

(١) جامع البيان (106/28).

(٢) بحر العلوم (428/3).

(٣) تفسير القرآن العزيز (394/4).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1098/2).

(٥) تفسير القرآن (391/5).

(٦) معالم التنزيل (347/4).

(٧) الكشاف (495/4).

(٨) زاد المسير (197/8).

(٩) التفسير الكبير (13/30).

(١٠) الجامع لأحكام القرآن (123/18).

(١١) أنوار التنزيل (341/5).

(١٢) مدارك التنزيل (247/4).

(١٣) لباب التأويل (97/7).

(١٤) التسهيل لعلوم التنزيل (105/4).

(١٥) البحر المحيط (267/8).

(١٦) تفسير القرآن العظيم (369/4).

(١٧) تفسير الجلالين ص (743).

(١٨) اللباب في علوم الكتاب (104/19).

(١٩) نظم الدرر (607/7).

(٢٠) إرشاد العقل السليم (251/8).

(٢١) فتح القدير (192/5).

وهناك بعض أقوالهم ليتضح المقال:

قال الطبري: « يقول تعالى ذكره اتخذ المنافقون أيمانهم جنة وهي حلفهم وقوله جنة سترة يستترون بها كما يستتر المستجن بجنته في حرب وقتال فيمنعون بها أنفسهم وذراريهم وأموالهم ويدفعون بها عنها »⁽³⁾.

وقال ابن أبي زمنين: « **اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جَنَّةً** » اجتنوا بها، أي: استتروا

حتى لا يقتلوا ولا تسبى ذراريهم »⁽⁴⁾.

وقال الخازن: « **اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جَنَّةً** » أي: سترة يستترون بها من القتل،

ومعنى أيمانهم: ما أخبر الله تعالى عنهم من حلفهم إني لمنكم وقولهم نشهد إنك لرسول الله »⁽⁵⁾.

وقال السعدي: « **اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جَنَّةً** » أي: ترساً يتترسون بها، من

نسبتهم إلى النفاق »⁽⁶⁾.

فظهر بما ذكرت اتفاقهم على حمل الآية على المعنى المذكور، والله أعلم بالصواب.

(١) روح المعاني (109/28).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص(864).

(٣) جامع البيان (106/28).

(٤) تفسير القرآن العظيم (394/4).

(٥) لباب التأويل (97/7).

(٦) تيسير الكريم الرحمن ص(864).

معنى: ﴿فِتْنَةٌ﴾

154 - قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ

﴿١٥﴾ [سورة التغابن: 15].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: «﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي

إغرام، كما يقال: فُتِنَ فلان بالمرأة وشُغِفَ بها [أي أغرم بها] ⁽¹⁾، وأصل الفتنة: البلوى والاختبار» ⁽²⁾.

وبدراسة أقوال المفسرين تبين أن بيانهم لمعنى الفتنة في هذه الآية دار حول أشهر معاني الفتنة؛ وهو: الابتلاء والامتحان والاختبار.

قال الطبري: «القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ

﴿فِتْنَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره ما أموالكم أيها الناس وأولادكم إلا فتنة، يعني بلاء عليكم في الدنيا» ⁽³⁾.

(١) إضافة توضيحية وجدتها في زاد المسير لابن الجوزي (8/285).

(٢) تفسير غريب القرآن ص (402).

(٣) جامع البيان (28/126).

وقال ابن أبي زمين: « **﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾** أي: اختبار؛

(1) لينظر كيف تعملون » .

وقال الماوردي: « **﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾** فيه وجهان: أحدهما:

(2) بلاء، الثاني: محنة » .

وقال البغوي: « **﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾** بلاء واختبار وشغل

عن الآخرة يقع بسببها الإنسان في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام **﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ**

أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ قال بعضهم: لما ذكر الله تعالى العداوة أدخل فيه (من) للتبعيض

فقال: **﴿ إِبْتٍ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ ﴾** لأن كلهم ليسوا

بأعداء، ولم يذكر (من) في قوله **﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾** لأنها لا تخلو

(3) عن الفتنة واشتغال القلب » .

وقال أبو السعود: « **﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾** بلاء ومحنة

(4) يوقعونكم في الإثم من حيث لا تحسبون » .

(١) تفسير القرآن العزيز (399/4).

(٢) النكت والعيون (25/6).

(٣) معالم التنزيل (354/4).

(٤) إرشاد العقل السليم (259/8).

ونحو أقوال من ذكرتهم قال غيرهم، منهم: السمرقندي⁽¹⁾، والقشيري⁽²⁾،
 والواحدي⁽³⁾، والزمخشري⁽⁴⁾، وابن العربي⁽⁵⁾، وابن عطية⁽⁶⁾، والقرطبي⁽⁷⁾،
 والبيضاوي⁽⁸⁾، والنسفي⁽⁹⁾، ونظام الدين النيسابوري⁽¹⁰⁾، والحازن⁽¹¹⁾،
 وأبوحيان⁽¹²⁾، وابن كثير⁽¹³⁾، وابن عادل⁽¹⁴⁾، والبقاعي⁽¹⁵⁾، والشوكاني⁽¹⁶⁾،
 والألوسي⁽¹⁷⁾.

فإن «جماع معنى الفتنة في كلام العرب: الابتلاء، والامتحان»⁽¹⁸⁾.

(١) بحر العلوم (435/3).

(٢) لطائف الإشارات (326/3).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1104/2).

(٤) الكشف (551/4).

(٥) أحكام القرآن (266/4).

(٦) المحرر الوجيز (320/5).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (143/18).

(٨) أنوار التنزيل (347/5).

(٩) مدارك التنزيل (253/4).

(١٠) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (391/3).

(١١) لباب التأويل (105/7).

(١٢) البحر المحيط (276/8).

(١٣) تفسير القرآن العظيم (377/4).

(١٤) اللباب في علوم الكتاب (137/19).

(١٥) نظم الدرر (19/8).

(١٦) فتح القدير (238/5).

(١٧) روح المعاني (127/28).

(١٨) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (211/14).

وإن « الفاء والتاء والنون أصل صحيح يدل على الابتلاء والاختبار »⁽¹⁾ .
 وقد دل سبب النزول على المعنى المراد، فقد ذكر السيوطي⁽²⁾ في لباب
 النقول: « عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: نزلت هذه الآية ﴿إِن مِّنْ
 أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ في قوم من أهل مكة أسلموا
 فأبى أزواجهم وأولادهم، أن يدعوهم يأتوا المدينة، فلما قدموا على رسول الله ﷺ
 رأوا الناس قد فقهوا، فهموا أن يعاقبهم فأنزل الله تعالى ﴿وَإِن تَعَفَّوْا
 وَتَصَفَّحُوا﴾ الآية »⁽³⁾ .

وأختم بكلام الشيخ السعدي في التيسير حيث قال : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا إِن مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا
 وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ
 فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ^(١٥) ﴿ هذا تحذير من الله للمؤمنين، عن الاغترار
 بالأزواج والأولاد، فإن بعضهم عدو لكم، والعدو هو الذي يريد لك الشر،
 فوظيفتك الحذر من هذه صفته، والنفس مجبولة على محبة الأزواج والأولاد . فنصح

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (4/472).

(٢) لباب النقول في أسباب النزول ص(214).

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في سننه (5/419) وقال: حسن صحيح، والحاكم في المستدرک

(532/2) وقال عنه: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

تعالى عباده، أن توجب لهم هذه المحبة، الانقياد لمطالب الأزواج والأولاد، التي فيها محذور شرعي، ورغبتهم في امتثال أوامره، وتقديم مرضاته بما عنده، من الأجر العظيم المشتمل على المطالب العالية، والمحبّ الغالية، وأن يؤثروا الآخرة على الدنيا الفانية المنقضية. ولما كان النهي عن طاعة الأزواج والأولاد، فيما هو ضرر على العبد، والتحذير من ذلك، قد يوهم الغلظة عليهم وعقابهم، أمر تعالى بالحدز منهم، والصفح عنهم والعفو، فإن في ذلك من المصالح ما لا يمكن حصره، فق ال: ﴿وَإِنْ

تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ لأن الجزاء من جنس

العمل. فمن عفا، عفا الله عنه، ومن صفح، صفح عنه، ومن عامل الله فيما يجب، وعامل عباده بما يحبون، وينفعهم، نال محبة الله، ومحبة عباده، واستوثق له أمره ﴿١﴾، والله أعلم بالصواب.

(١) تيسير الكريم الرحمن ص(868).

معنى: ﴿مَنْ وَجَدَكُمْ﴾

155 - قال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجَدِكُمْ وَلَا نُضَازُوهُنَّ لِئَضْيَقُوا

عَلَيْهِنَّ﴾ [سورة الطلاق: 6].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - : « ﴿مَنْ وَجَدَكُمْ﴾ أي: بقدر سعتكم،

والوُجْد: المقدرة والغنى، يقال: افتقر فلان بعد وُجد ⁽¹⁾ .

وقد روي هذا المعنى عن ابن عباس ⁽²⁾ - رضي الله عنهما -، ومقاتل ⁽³⁾ ، وقال

به: الطبري ⁽⁴⁾ ، والسمرقندي ⁽⁵⁾ ، وابن أبي زمنين ⁽⁶⁾ ، والواحدي ⁽⁷⁾ ، والسمعاني ⁽⁸⁾ ،

والبغوي ⁽⁹⁾ ،

(١) تفسير غريب القرآن ص(403).

(٢) انظر: تنوير المقياس من تفسير ابن عباس للفيروزآبادي ص(476).

(٣) تفسير مقاتل (373/3).

(٤) جامع البيان (145/28).

(٥) بحر العلوم (440/3).

(٦) تفسير القرآن العزيز (403/4).

(٧) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1108/2).

(٨) تفسير القرآن (465/5).

(٩) معالم التنزيل (359/4).

(1) والزخشري ، والفخر الرازي ، (2) والقرطبي ، (3) والبيضاوي ، (4) والنسفي ، (5) والخازن (6) ، وابن جزى (7) ، وأبوحيان (8) ، وابن كثير (9) ، والمجلى (10) ، وابن عادل (11) ، والبقاعي (12) ، وأبوالسعود (13) ، والشوكاني (14) ، والألوسي (15) ، والسعدي (16) .

(١) الكشاف (561/4).

(٢) التفسير الكبير (33/30).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (168/18).

(٤) أنوار التنزيل (352/5).

(٥) مدارك التنزيل (256/4).

(٦) لباب التأويل (111/7).

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (128/4).

(٨) البحر المحيط (280/8).

(٩) تفسير القرآن العظيم (384/4).

(١٠) تفسير الجلالين ص(750).

(١١) اللباب في علوم الكتاب (167/19).

(١٢) نظم الدرر (33/8).

(١٣) إرشاد العقل السليم (263/8).

(١٤) فتح القدير (245/5).

(١٥) روح المعاني.

(١٦) تيسير الكريم الرحمن ص(871).

فمثلاً قال ابن جزى: «**مِنْ وَجْدِكُمْ**» الوجد هو الطاقة والسعة في المال،

فالمعنى أسكنوهم مسكناً مما تقدرون عليه، ويجوز في الوجد ضم الواو وفتحها وكسرها؛ وهو بمعنى واحد والضم أكثر وأشهر⁽¹⁾.

وكان الماوردي قد أورد أوجهاً أخرى في بيان معنى الآية، فقال: « وفي

قوله **مِنْ وَجْدِكُمْ** أربعة أوجه: أحدها: من قوتكم، الثاني: من سعيكم، الثالث:

من طاقتكم، الرابع: مما تجدون⁽²⁾، إلا أنه ختم بقوله: « ومعانيها متقاربة⁽³⁾ » .
«⁽³⁾

وأهل اللغة لم يخالفوا، فقالوا: « وجدت المال وُجْدًا ووَجْدًا، أي صرت ذا

مال، والوجد: الغنى، و**مِنْ وَجْدِكُمْ** أي: من سعتكم وما ملكتم⁽⁴⁾ » .

فبالاتفاق تبين المعنى المراد من الآية، والله أعلم بالصواب.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (128/4).

(٢) حكى القول الأول عن الأعمش، والثاني عن الأخفش، والثالث عن قطرب، والرابع عن الفراء.

(٣) النكت والعيون (33/6).

(٤) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (110/11)، ولسان العرب لابن منظور (445/3)، وتاج العروس

للزبيدي (259/9).

معنى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾

156 - قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ

وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ

مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ [سورة التحريم: 6].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « قوله ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ أي قوا أنفسكم

النار بطاعة الله ورسوله، وقوا أهليكم النار: بتعليمهم وأخذهم بما ينجيهم منها

(1) « .

ولقد ذكر الماوردي عند تفسيره للآية أن فيها « ثلاثة أوجه: الأول: قوا

أنفسكم، وأهلوكم فليقوا أنفسهم نارا (2) .

الثاني: قوا أنفسكم ومروا أهليكم بالذكر والدعاء حتى يقيمكم الله بهم (3) .

الثالث: قوا أنفسكم بأفعالكم، وقوا أهليكم بوصيتكم (4) (5) « .

لكن عبارات عامة المفسرين دارت كلها حول الوجه الثالث الذي هو موافق

بمعناه لما ذهب إليه ابن قتيبة، وقال به: الطبري (1)، والسمرقندي (2)، وابن أبي

(١) تفسير غريب القرآن ص(405).

(٢) حكاه عن الضحاك.

(٣) حكاه برواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٤) حكاه عن علي بن أبي طالب وقتادة ومجاهد.

(٥) انظر: النكت والعيون (43/6).

(3) زمنين ، والسلمي ، والقشيري ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي ،
 (4) والزمخشري ، وابن العربي ، وابن عطية ، وابن الجوزي ، والفخر
 (5) الرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، ونظام الدين
 (6) النيسابوري ،
 (7) والخازن ، وابن جزري ، وأبو حيان ، وابن كثير ، والمحلي ، والشعالبي ،
 (8) (9) (10) (11) (12) (13) (14) (15) (16) (17)

- (١) جامع البيان (165/28).
 (٢) بحر العلوم (447/3).
 (٣) تفسير القرآن العزيز (7/5).
 (٤) حقائق التفسير (336/2).
 (٥) لطائف الإشارات (334/3).
 (٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1113/2).
 (٧) تفسير القرآن (475/5).
 (٨) معالم التنزيل (367/4).
 (٩) الكشاف (572/4).
 (١٠) أحكام القرآن (300/4).
 (١١) المحرر الوجيز (333/5).
 (١٢) زاد المسير (312/8).
 (١٣) التفسير الكبير (41/30).
 (١٤) الجامع لأحكام القرآن (194/18).
 (١٥) أنوار التنزيل (357/5).
 (١٦) مدارك التنزيل (260/4).
 (١٧) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (321/6).
 (١٨) لباب التأويل (121/7).
 (١٩) التسهيل لعلوم التنزيل (132/4).
 (٢٠) البحر المحيط (288/8).

(3) والثعالبي ، والبقاعي (4) ، وأبو السعود (5) ، والشوكاني (6) ، والألوسي (7) ،
والسعدي (8) .

وسأذكر عبارات بعضهم لإيضاح اتفاهم على المعنى، بما يغني عن سرد
أقوال الجميع:

قال السمرقندي: « قوله - **يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْا أَنفُسِكُمْ** ﴾ يعني:

بعدوا أنفسكم عن النار بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ **﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾** يعني: وقوا

أهليكم **﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾** بتعليمهم ما ينجيهم منها » (9) .

والبغوي: « أي بالانتهاء عما هاكم الله تعالى عنه والعمل بعبته **﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾**

ناراً ﴾ يعني: مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وأدبوهم تقوهنم لك

ناراً » (10) .

(١) تفسير القرآن العظيم (4/392).

(٢) تفسير الجلالين ص(752).

(٣) الجواهر الحسان (4/316).

(٤) نظم الدرر (8/51).

(٥) إرشاد العقل السليم (8/268).

(٦) فتح القدير (5/253).

(٧) روح المعاني (28/156).

(٨) تيسير الكريم الرحمن ص(874).

(٩) بحر العلوم (3/447).

(١٠) معالم التنزيل (4/367).

وابن العربي سرد الأقوال الثلاثة - كما فعل الماوردي - لكنه قال: « الثالث قوا أنفسكم بفعالكم وأهليكم بوصيتكم إياهم وهو الصحيح »⁽¹⁾.

وقال ابن الجوزي: « قوله تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ وقاية

النفس بامثال الأوامر واجتناب النواهي، ووقاية الأهل بأن يؤمروا بالطاعة وينهوا عن المعصية »⁽²⁾.

وقال البيضاوي: « ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ بترك المعاصي وفعل

الطاعات ﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾ بالنصح والتأديب »⁽³⁾.

وقال البقاعي: « ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: اجعلوا لها وقاية بالتأسي به ﷺ في

أدبه مع الخلق والخالق في لينه لمن يستحق اللين من الخلق تعظيماً للخالق فعاملوه قبل كل شيء بما يعاملكم به من الأدب، وكذا كونوا مع بقية الخلق. ولما كان

الإنسان راعياً آل بيته مسؤولاً عن رعيته قال تعالى: ﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾ من النساء

والأولاد وكل من يدخل في هذا الاسم؛ قوهم ﴿نَارًا﴾ بالنصح والتأديب ليكونوا

متحلقين بأخلاق أهل النبي ﷺ »⁽⁴⁾.

(١) أحكام القرآن (300/4).

(٢) زاد المسير (312/8).

(٣) أنوار التنزيل (357/5).

(٤) نظم الدرر (51/8).

وقال السعدي: «أي: يا من منَّ الله تعالى عليهم بالإيمان، قوموا بلوازمه وشروطه؛ فـ ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ موصوفة بهذه الأوصاف الفضيعة، ووقاية الأنفس بإلزامها أمر الله، امتثالاً، ونهيه اجتناباً، والتوبة عما يسخط الله، ويوجب العذاب، ووقاية الأهل والأولاد، بتأديبهم وتعليمهم، وإجبارهم على أمر الله، فلا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به في نفسه، وفيمن تحت ولايته وتصرفه» (1).

واتضح بما عرضته إجماعهم واتفاقهم على المراد تفسيراً للآية؛ وإن اختلفت العبارات، فهو اختلاف تنوع لا تضاد، والله أعلم بالصواب.

(1) تيسير الكريم الرحمن ص(874).

معنى: ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾

157- قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ

أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ
بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا رَبَّنَا نُورًا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ [سورة التحريم: 8].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ أي: تنصحون فيها

للَّهِ، ولا تدهنون⁽¹⁾ »⁽²⁾.

روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير التوبة النصوح: أي
« خالصاً صادقاً من قلوبكم، وهو الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع
بالبدن، والضمير على أن لا يعودوا إليه أبداً⁽³⁾ ».

(١) المداهنة كالمصانعة، وداهن: أي وارب، وأدهن: أي غش. انظر: مختار الصحاح للرازي ص(89).

(٢) تفسير غريب القرآن ص(405).

(٣) انظر: تنوير الموقبل من تفسير ابن عباس للفيروزآبادي ص(477).

وقال الطبري: « يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله توبوا إلى الله، يقول ارجعوا من ذنوبكم إلى طاعة الله وإلى ما يرضيه عنكم؛ توبة نصوحًا، يقول رجوعاً لا تعودون فيها أبداً⁽¹⁾ . »

وقال الماوردي: « ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ فيه

خمسة تأويلات: أحدها: أن التوبة النصوح هي الصادقة الناصحة⁽²⁾ ، والثاني: أن النصوح أن يبغض الذنب الذي أحبه ويستغفر منه إذا ذكره⁽³⁾ ، الثالث: أن لا يثق بقبولها ويكون على وجل منها، الرابع: أن النصوح هي التي لا يحتاج معها إلى توبة، الخامس: أن يتوب من الذنب ولا يعود إليه أبداً⁽⁴⁾ ، وهي على هذه التأويلات مأخوذة من النصيحة وهي الخياطة⁽⁵⁾ .

وفي أخذها منها وجهان: أحدهما: لأنها توبة قد أحكمت طاعته وأوثقتها كما يُحكَم الخياط الثوب بخياطته وتوثيقه، الثاني: لأنها قد جمعت بينه وبين أولياء الله - ﷻ - وألصقته بهم كما يجمع الخياط الثوب ويلصق بعضه ببعض⁽⁶⁾ .

وقال الزمخشري: « ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ ووصفت التوبة بالنصح على الإسناد

المجازي؛ والنصح: صفة التائبين، وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم، فيأتوا على

(١) جامع البيان (167/28).

(٢) حكاة عن قتادة.

(٣) حكاة عن الحسن.

(٤) حكاة عن الصحابي الجليل: عمر بن الخطاب - ﷻ - .

(٥) انظر: لسان العرب لابن منظور (617/2).

(٦) النكت والعيون (351/6).

طريقتها متداركة للفرطات ماحية للسيئات، وذلك: أن يتوبوا عن القبائح لقبحها، نادمين عليها، مغتمين أشدّ الاغتمام لارتكابها، عازمين على أنهم لا يعودون في قبيح من القبائح، إلى أن يعود اللبن في الضرع، موطنين أنفسهم على ذلك. وعن علي -عليه السلام-: أنه سمع أعرابياً يقول: اللهم إني استغفرك وأتوب إليك، فقال: يا هذا، إن سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين، قال: وما التوبة؟ قال: يجمعها ستة أشياء: على الماضي من الذنوب: الندامة، وللفرائض الإعادة، وردّ المظالم، واستحلال الخصوم، وأن تعزم على أن لا تعود، وأن تذيب نفسك في طاعة الله، كما ربيتها في المعصية، وأن تذيبها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصي»⁽¹⁾.

وقال القرطبي: «اختلف عبارة العلماء وأرباب القلوب في التوبة النصوح على ثلاثة وعشرين قولاً:

ف قيل: هي التي لا عودة بعدها كما لا يعود اللبن إلى الضرع؛ روى عن عمر وابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل -عليهم السلام- ورفع معاذ إلى النبي ﷺ.⁽²⁾
وقيل: النصوح الصادقة الناصحة.⁽³⁾
وقيل: الخالصة يقال: نصح أي أخلص له القول.
وقيل: النصوح أن يبغض الذنب الذي أحبه ويستغفر منه إذا ذكره.⁽¹⁾

(١) الكشاف (573/4).

(٢) الأثر رفعه حذيفة لا معاذ، أخرجه عنه أبو الحسين بن المنادي في الملاحم، كما في اللآلي المصنوعة (49/1) قال السيوطي عقب إيراده بطوله: «موضوع، في إسناده مجاهيل وضعفاء، قلت: [أي السيوطي] مسلمة بن الصلت متروك، وعمر بن صبيح مشهور بالوضع. ا.هـ. وانظر أيضاً: تنزيه الشريعة للكناني (183/1).

(٣) حكاة عن قتادة.

وقيل: هي التي لا يثق بقبولها ويكون على وجل منها.

وقيل: هي التي لا يحتاج معها إلى توبة.

وقيل: التوبة النصوح بالقلب والاستغفار باللسان والإقلاع عن الذنب والاطمئنان على أنه لا يعود⁽²⁾.

وقيل: هي التوبة المقبولة ولا تقبل ما لم يكن فيها ثلاثة شروط: خوف ألا تقبل ورجاء أن تقبل وإدمان الطاعات⁽³⁾.

وقيل: توبة تنصحون بها أنفسكم⁽⁴⁾.

وقيل: يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان وإقلاع بالأبدان وإضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيء الخلان⁽⁵⁾.

وقيل: علامة التوبة النصوح أربعة: القلة والعلة والذلة والغربة⁽⁶⁾.

وقيل: هو أن يكون الذنب بين عينيه فلا يزال كأنه ينظر إليه⁽⁷⁾.

وقيل: أن تنصب الذنب الذي أقللت فيه الحياء من الله أمام عينك وتستعد لمنتظرك⁽⁸⁾.

(١) حكاة عن الحسن.

(٢) حكاة عن الكلبي.

(٣) حكاة عن سعيد بن جبير.

(٤) حكاة عن سعيد بن المسيب.

(٥) حكاة عن القرظي.

(٦) حكاة عن سفيان الثوري.

(٧) حكاة عن الفضيل بن عياض.

(٨) حكاة عن ابن السماك.

وقيل: هو أن تضيق عليك الأرض بما رحبت وتضيق عليك نفسك كالثلاثة الذي خلفوا⁽¹⁾.

وقيل: هي توبة لا لفقد عوض لأن من أذنب في الدنيا لرفاهية نفسه ثم تاب طلباً لرفاهيتها في الآخرة فتوبته على حفظ نفسه لا لله⁽²⁾.

وقيل: التوبة النصوح هي رد المظالم واستحلال الخصوم وإدمان الطاعات⁽³⁾.

وقيل: هو أن تكون لله وجهاً بلا قفا كما كنت له عند المعصية قفاً بلا وجه⁽⁴⁾.

وقيل: علامة التوبة النصوح ثلاث: قلة الكلام وقلة الطعام وقلة المنام⁽⁵⁾.
وقيل: هو أن يكثر صاحبها لنفسه الملامة ولا ينفك من الندامة لينجو من آفاتهما بالسلامة⁽⁶⁾.

وقيل: لا تصلح التوبة النصوح إلا بنصيحة النفس والمؤمنين لأن من صحب توبته أحب أن يكون الناس مثله⁽⁷⁾.

وقيل: التوبة النصوح هو أن ينسى الذنب فلا يذكره أبداً لأن من صحت توبته صار محباً لله ومن أحب الله نسي ما دون الله⁽¹⁾.

(١) حكاة عن أبي بكر الوراق.

(٢) حكاة عن أبي بكر الواسطي.

(٣) حكاة عن أبي بكر الدقاق المصري.

(٤) حكاة عن رويم.

(٥) حكاة عن ذي النون.

(٦) حكاة عن شقيق.

(٧) حكاة عن سري السقطي.

وقيل: هو أن يكون لصاحبها دمع مسفوح وقلب عن المعاصي جموح⁽²⁾.
 وقيل: علامتها ثلاث: مخالفة الهوى وكثرة البكاء ومكابدة الجوع
 والظماً⁽³⁾.

وقيل: هي التوبة لأهل السنة والجماعة لأن المبتدع لا توبة له⁽⁴⁾، بدليل قوله
 ﷺ: «حجب الله على كل صاحب بدعة أن يتوب»⁽⁵⁾.

وقيل: أصل التوبة النصوح من الخلوص يقال: هذا غسل ناصح إذا خلص
 من الشمع.

وقيل: هي مأخوذة من النصيحة وهي الخياطة؛ وفي أخذها منها وجهان:
 أحدهما: لأنها توبة قد أحكمت طاعته وأوثقتها كما يحكم الخياط الثوب بخياطته
 ويوثقه، والثاني: لأنها قد جمعت بينه وبين أولياء الله وألصقته بهم كما يجمع الخياط
 الثوب ويلصق بعضه ببعض⁽⁶⁾.

وقال ابن تيمية: «(نصوح) صفة للتوبة وهي مشتقة من النصح والنصيحة،
 وأصل ذلك هو الخلوص يقال: فلان ينصح لفلان إذا كان يريد له الخير إرادة
 خالصة لا غش فيها، وفلان يغشه إذا كان باطنه يريد السوء وهو يظهر إرادة

(١) حكاة عن الجنيد.

(٢) حكاة عن ذي الأذنين.

(٣) حكاة عن فتح الموصلي.

(٤) حكاة عن سهل بن عبد الله التستري.

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (59/7) رقم (9456) (9457)، وصححه الألباني في الصحيحة
 رقم (1620).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (197/18).

الخير، كالدرهم المغشوش، ومنه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [سورة التوبة: 91].

أي: أخلصوا لله ورسوله قصدهم وحبهم فالتوبة النصوح هي الخالصة من كل غش وإذا كانت كذلك كائنة فإن العبد إنما يعود إلى الذنب لبقايا في نفسه فمن خرج من قلبه الشبهة والشهوة لم يعد إلى الذنب، فهذه التوبة النصوح، وهي واجبة بما أمر الله تعالى، ولو تاب العبد ثم عاد إلى الذنب قبل الله توبته الأولى، ثم إذا عاد استحق العقوبة، فإن تاب؛ تاب الله عليه أيضاً، ولا يجوز للمسلم إذا تاب ثم عاد أن يصبر، بل يتوب ولو عاد في اليوم مائة مرة، ففي الحديث: « ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم مائة مرة »⁽¹⁾ .⁽²⁾

وقال ابن كثير: « **تَوْبَةٌ نَصُوحًا** » أي توبة صادقة جازمة تمحو ما قبلها من السيئات، وتلم شعث التائب وتجمعه، وتكفه عما كان يتعاطاه من الدنئات، ولهذا قال العلماء: التوبة النصوح: هو أن يقلع عن الذنب في الحاضر، ويندم على ما سلف منه في الماضي، ويعزم على أن لا يفعل في المستقبل، ثم إن كان الحق لآدمي رده إليه »⁽³⁾ .

(١) رواه أبو داود رقم (1516)، والترمذي رقم (3559) عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، وقال: هذا حديث غريب إنما نعرفه من حديث أبي نضرة وليس إسناده بالقوي. اهـ، وضعفه الألباني في الضعيفة رقم (4474).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (57/16).

(٣) تفسير القرآن العظيم (392/4).

ونظرت أيضاً فيما قاله: السمرقندي⁽¹⁾ ، وابن أبي زمنين⁽²⁾ ، والسلمي⁽³⁾ ،
والقشيري⁽⁴⁾ ، والواحدي⁽⁵⁾ ، والسمعاني⁽⁶⁾ ، والبغوي⁽⁷⁾ ، وابن الجوزي⁽⁸⁾ ، والفخر
والفخر الرازي⁽⁹⁾ ، والبيضاوي⁽¹⁰⁾ ، والنسفي⁽¹¹⁾ ، والحازن⁽¹²⁾ ، وابن جزي⁽¹³⁾ ،
وأبوحيان⁽¹⁴⁾ ، والمحلي⁽¹⁵⁾ ، والثعالبي⁽¹⁶⁾ ، وابن عادل⁽¹⁷⁾ ، والبقاعي⁽¹⁸⁾ ،
وأبوالسعود⁽¹⁹⁾ ، والشوكاني⁽²⁰⁾ ، والألوسي⁽¹⁾ .

-
- (١) بحر العلوم (447/3).
 (٢) تفسير القرآن العزيز (8/5).
 (٣) حقائق التفسير (338/2).
 (٤) لطائف الإشارات (334/3).
 (٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1113/2).
 (٦) تفسير القرآن (477/5).
 (٧) معالم التنزيلى (367/4).
 (٨) زاد المسير (313/8).
 (٩) التفسير الكبير (357/5).
 (١٠) أنوار التنزيل (357/5).
 (١١) مدارك التنزيل (261/4).
 (١٢) لباب التأويل (121/7).
 (١٣) التسهيل لعلوم التنزيل (132/4).
 (١٤) البحر المحيط (288/8).
 (١٥) تفسير الجلالين ص (753).
 (١٦) الجواهر الحسان (316/4).
 (١٧) اللباب في علوم الكتاب (209/19).
 (١٨) نظم الدرر (53/8).
 (١٩) إرشاد العقل السليم (269/8).
 (٢٠) فتح القدير (254/5).

فلم تخرج عباراتهم عما قاله مَنْ ذكرت أقوالهم، وليس بقول أولى من قول
في بيان المعنى، وكلها متفقة في إيضاح المراد، وإن اختلفت الألفاظ، والله أعلم
بالصواب.

معنى: ﴿تَفَوُّتٍ﴾

158- قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن

تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [سورة الملك: 3].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿مِن تَفَوُّتٍ﴾ أي: اضطراب

واختلاف، وأصله من الفوت؛ وهو: أن يفوت شيء شيئاً، فيقع الخلل ولكنه متصل بعضه ببعض» (1).

وهذا الذي ذهب إليه ابن قتيبة قد قاله أيضاً من المفسرين: الطبري (2)، والسمرقندي (3)، وابن أبي زمنين (4)، والواحدي (5)، والبغوي (6)، والزمخشري (7)، وابن عطية (8)،

(١) تفسير غريب القرآن ص(406).

(٢) جامع البيان (2/29).

(٣) بحر العلوم (452/3).

(٤) تفسير القرآن العزيز (11/5).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1116/2).

(٦) معالم التنزيل (370/4).

(٧) الكشف (480/4).

(٨) المحرر الوجيز (338/5).

(1) والبيضاوي ، والنسفي ، ونظام الدين النيسابوري ، (2) والخازن ، (3) والشعالبي ، (4) والشعالبي ، (5) والشعالبي ، (6) والبقاعي ، وابن عاشور . (7)

وإنه قد وردن معانٍ أحر للـ (تفاوت) غير الاضطراب والاختلاف، فمثلاً:

قال الماوردي: «**﴿مِنْ تَفَوُّتٍ﴾** فيه أربعة أوجه: أحدها: من اختلاف⁽⁸⁾ ، الثاني:

من عيب⁽⁹⁾ ، الثالث: من تفرق⁽¹⁰⁾ ، الرابع: لا يفوت بعضه ببعضاً⁽¹¹⁾ » . (12)

وقال ابن عطية: «**﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ﴾** معناه: من قلة

تناسب، ومن خروج عن اتقان، والأمر المتفاوت هو الذي يجاوز الحدود التي
توجب له زيادة أو نقصاناً⁽¹³⁾ » .

(١) أنوار التنزيل (263/4).

(٢) مدارك التنزيل (263/4).

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (325/6).

(٤) لباب التأويل (125/7).

(٥) الجواهر الحسان (320/4).

(٦) نظم الدرر (66/8).

(٧) التحرير والتنوير (17/29).

(٨) حكاة عن قتادة.

(٩) حكاة عن السدي.

(١٠) حكاة عن ابن عباس.

(١١) حكاة عن عطاء بن أبي مسلم.

(١٢) النكت والعيون (51/6).

(١٣) المحرر الوجيز (338/5).

وقال ابن كثير: « وقوله تعالى: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ﴾

أي: بل هو مصطحب مستو ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا مخالفة ولا نقص ولا عيب ولا خلل ⁽¹⁾.

ومع اختلاف القراءة في اللفظ، فقريء (تَفَوُّت) ⁽²⁾، وقريء (تفاوت) ⁽³⁾، إلا إلا « أنهما قراءتان معروفتان بمعنى واحد ⁽⁴⁾ »، « وهما لغتان: مثل التعاهد والتعهد، والتعهد، والتحمل والتحمل، والتظهر والتظاهر، وتصاغر وتصغر، وتضاعف وتضعف، وتباعد وتبعد، كله بمعنى ⁽⁵⁾ »، واحد ⁽⁶⁾.

وقال الشوكاني: « والمعنى على القراءتين: ما ترى في خلق الرحمن من تناقض ولا تباين ولا اعوجاج ولا تخالف، بل هي مستوية مستقيمة دالة على خالقها، وإن اختلفت صورها وصفاتها فقد اتفقت من هذه الحيثية ⁽⁷⁾ ».

وسواء أريد بـ ﴿خَلْقِ الرَّحْمَنِ﴾ المخلوقات عموماً، أو السماوات

خصوصاً؛ قال القرطبي: « والمعنى: ما ترى في خلق الرحمن من اعوجاج ولا تناقض ولا تباين بل هي مستقيمة مستوية دالة على خالقها وإن اختلفت صورته وصفاته،

(١) تفسير القرآن العظيم (397/4).

(٢) (تَفَوُّت) حمزة والكسائي.

(٣) (تفاوت) بقية القراء العشرة، انظر: القراءات العشر المتواترة لمحمد كريم راجح ص(562).

(٤) انظر: جامع البيان للطبري (2/29).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (208/18).

(٦) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (235/14)، ولسان العرب لابن منظور (69/2).

(٧) فتح القدير (259/5).

وقيل: المراد بذلك السماوات خاصة؛ أي ما ترى في خلق السماوات من عيب وأصله من الفوت، وهو أن يفوت شيء شيئاً فيقع الخلل لقلّة استوائها ⁽¹⁾.

فكل ما ورد من معانٍ عن المفسرين في بيان معنى ﴿تَفَوُّتٍ﴾ فهي على

سبيل التنوع والترادف لا على سبيل التناقض والتضاد، والله أعلم بالصواب.

(١) الجامع لأحكام القرآن (208/18).

معنى: ﴿مَنَاكِبِهَا﴾

159- قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا

مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ [سورة الملك: 15].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿مَنَاكِبِهَا﴾ أي: جوانبها، ومنكبا

(1) الرجل: جانباه » .

وفسر المناكب بأنها الجوانب - متفقين مع ابن قتيبة في ذلك - من المفسرين:
(2) الطبري ، (3) والسمرقندي ، (4) والواحدي ، (5) والمحلي .

قال الطبري - بعد أن أورد قولاً آخر أن مناكبها يراد بها: جبالها - « وأولى القولين عندي بالصواب: قول من قال: معنى ذلك فامشوا في نواحيها وجوانبها، وذلك أن نواحيها نظير مناكب الإنسان التي هي من أطرافه » (6) .

(١) تفسير غريب القرآن ص(406).

(٢) جامع البيان (7/29).

(٣) بحر العلوم (454/3).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1118/2).

(٥) تفسير الجلالين ص(755).

(٦) جامع البيان (7/29).

والذي روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه ذكر عدة أقوال في بيان

معنى ﴿مَنَاجِبَهَا﴾ فقال: «نواحيها وأطرافها، ويقال: طرفها، ويقال: في جبالها

وآكامها وفجاجها»⁽¹⁾.

وقال السمعاني: «وقوله: ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاجِبِهَا﴾ أي: في جوانبها، ويقال:

في فجاجها، ويقال: في طرفها، وقيل: في جبالها»⁽²⁾.

وبمثل هذا التعداد في سرد المعاني جاءت عبارات المفسرين، منهم:

(3) البغوي ، (4) والزمخشري ، (5) والفخر الرازي ، (6) والقرطبي ، (7) والبيضاوي ،
(8) والنسفي ، (9) ونظام الدين النيسابوري ، (10) والخازن ، (11) وابن جزي ،

(١) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروزآبادي ص(479).

(٢) تفسير القرآن (11/6).

(٣) معالم التنزيل (371/4).

(٤) الكشف (585/4).

(٥) التفسير الكبير (61/30).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (215/18).

(٧) أنوار التنزيل (364/5).

(٨) مدارك التنزيل (265/4).

(٩) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (328/6).

(١٠) لباب التأويل (126/7).

(١١) التسهيل لعلوم التنزيل (135/4).

وأبو حيان⁽¹⁾، وابن

وابن كثير⁽²⁾، والثعالبي⁽³⁾، وأبو السعود⁽⁴⁾، والشوكاني⁽⁵⁾.

وما حكاه أهل اللغة⁽⁶⁾ من معانٍ للفظ المناكب لا يخرج عن دائرة ما قاله
المفسرون.

والذي يظهر - والله أعلم - صحة اعتبار جميع المعاني بياناً لمعنى الآية، فقد
قال القرطبي - بعد أن أورد عدداً من الأقوال: « امشوا حيث أردتم فقد جعلتها
ذلولاً لا تمتنع⁽⁷⁾ ».

وقال ابن جزى: « والمعنى تعديد النعمة في تسهيل المشي على الأرض
فاستعار لها الذل والمناكب تشبيهاً بالدواب⁽⁸⁾، فلا مانع من حمل اللفظ على
جميع المعاني، والله أعلم بالصواب.

(١) البحر المحيط (295/8).

(٢) تفسير القرآن العظيم (399/4).

(٣) الجواهر الحسان (321/4).

(٤) إرشاد العقل السليم (7/9).

(٥) فتح القدير (262/5).

(٦) انظر: لسان العرب لابن منظور (772/1).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (215/18).

(٨) التسهيل لعلوم التنزيل (135/4).

معنى: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾

160- قال تعالى: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [سورة القلم: 16].

وقول الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - أي: « سنلحق به شيئاً لا يفارقه »⁽¹⁾.
العقوبة التي أشار سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريم أنها ستقع على الوليد ابن المغيرة⁽²⁾، اختلفت أقوال المفسرين في تحديد ما إذا كانت العقوبة حاصلة في الدنيا أو هي ستكون يوم القيامة، وهل هي جدد الأنف أو سواد الوجه فالقشيري حدد أنها سمة على الأنف يوم القيامة، فقال: « ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ أي:

سنجعل له في القيامة على أنفه تشويهاً لصورته كي يعرف بها »⁽³⁾.

والواحد حدد أنها سمة على الأنف في الدنيا، فقال: « ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾

سنجعل على أنفه علامة باقية ما عاش؛ نخطم أنفه بالسيف يوم بدر »⁽⁴⁾.

(١) انظر: تفسير غريب القرآن ص(409)، وأورده ابن الجوزي في زاد المسير (334/8) حكاية عن ابن قتيبة.

(٢) هذا على قول معظم المفسرين، كما حكى ذلك ابن عاشور في التحرير والتنوير (77/29).

(٣) لطائف الإشارات (343/3).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1121/2).

وذكر الماوردي عددًا من الأقوال في تفسير الآية، فقال: « ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى

الْخُزُومِ﴾ فيه أربعة أقاويل: أحدها: سمة سوداء، تكون على أنفه يوم القيامة

يتميز بها الكافر، كما قال تعالى: ﴿يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ [سورة الرحمن:

41]، الثاني: أنه يضرب في النار على أنفه يوم القيامة⁽¹⁾، الثالث: أنه إشهار ذكره بالقبائح، فيصير موسومًا بالذکر لا بالأثر، الرابع: هو ما يتليه الله تعالى في الدنيا في نفسه وماله وولده من سوء وذل وصغار⁽²⁾ «⁽³⁾.

ومن سرد الأقوال أيضًا دون ترجيح: السمرقندي⁽⁴⁾، والبغوي⁽⁵⁾،

والزمخشري⁽⁶⁾، وابن عطية⁽⁷⁾، والفخر الرازي⁽⁸⁾، والقرطبي⁽⁹⁾، والبيضاوي⁽¹⁰⁾،
والبيضاوي⁽¹⁰⁾،

والنسفي⁽¹¹⁾،

(١) حكاه عن الكلبي.

(٢) حكاه عن ابن بحر.

(٣) النكت والعيون (66/6).

(٤) بحر العلوم (460/3).

(٥) معالم التنزيل (379/4).

(٦) الكشف (593/4).

(٧) المحرر الوجيز (348/5).

(٨) التفسير الكبير (76/30).

(٩) الجامع لأحكام القرآن (236/18).

(١٠) أنوار التنزيل (371/5).

(١١) مدارك التنزيل (269/4).

- (1) وابن تيمية ، ونظام الدين النيسابوري ، والخازن ، وابن جزري ،⁽⁴⁾
 وأبوحيان ،⁽⁵⁾ وابن كثير ،⁽⁶⁾ والثعالبي ،⁽⁷⁾ وابن عادل ،⁽⁸⁾ والبقاعي ،⁽⁹⁾
 وأبوالسعود ،⁽¹⁰⁾ والشوكاني ،⁽¹¹⁾ والألوسي ،⁽¹²⁾ وابن عاشور .⁽¹³⁾

قال البيضاوي: « **سَنَسِمُهُ** بالكي **عَلَى الْخُرْطُومِ** على الأنف وقد

أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقي أثره، وقيل: هو عبارة عن أن يذله غاية الإذلال كقولهم: جدع أنفه، رغم أنفه، لأن السمة على الوجه سيما على الأنف شين ظاهر، أو نسود وجهه يوم القيامة »⁽¹⁴⁾.

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (68/16).

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (336/6).

(٣) لباب التأويل (133/7).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (138/4).

(٥) البحر المحيط (305/8).

(٦) تفسير القرآن العظيم (406/4).

(٧) الجواهر الحسان (327/4).

(٨) اللباب في علوم الكتاب (283/19).

(٩) نظم الدرر (103/8).

(١٠) إرشاد العقل السليم (12/9).

(١١) فتح القدير (269/5).

(١٢) روح المعاني (29/29).

(١٣) التحرير والتنوير (77/29).

(١٤) أنوار التنزيل (371/5).

وقال ابن جزري: « ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ أصل الخرطوم: أنف السبع، ثم استعير للإنسان استخفافاً به وتقبيحاً له، والمعنى: نجعل له سمة؛ وهي العلامة على خرطومه، واختلف في هذه السمة: قيل: هي الضربة بالسيف يوم بدر، وقيل: علامة من نار تجعل على أنفه في جهنم، وقيل: علامة تجعل على أنفه يوم القيامة (1) ليعرف بها » .

أو ربما يذكر المفسرون كلاماً على العموم، يفهم منه أنه ستجعل عليه علامة، والكلام محتمل لكل الأوجه، كما قال الطبري: « معنى ذلك سنين أمره بيئاً واضحاً حتى يعرفوه فلا يخفى عليهم كما لا تخفى السمة على الخرطوم » (2) .

وقال ابن تيمية: « ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ فيه إطلاق يتضمن الوسم في الآخرة وفي الدنيا أيضاً، فإن الله تعالى جعل للصالحين سيما، وجعل للفاجرين سيما، قال تعالى: ﴿سِيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [سورة الفتح: 29]

وقال: « ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيَمَاهُمْ﴾ [سورة معجذ: 30]، [إلى أن قال:] فأخبر سبحانه أنه لا بد أن يسم صاحب هذه الأخلاق الخبيثة على خرطومه وهو أنفه الذي وعضوه البارز الذي يسبق البصر إليه عند مشاهدته لتكون السيمة ظاهرة من أول ما يرى » (3) .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (138/4).

(2) جامع البيان (28/29).

(3) مجموع فتاوى ابن تيمية (68/16).

وقال البقاعي: « ولما كان هذا المذكور قد أغرق في الشر فتوقع السامع جزاءه، قال معلماً أنه يجعل له من الخزي والفضائح ما يصير به شهرة بين الخلائق في الدنيا والآخرة: ﴿سَنَسِمُهُ﴾ أي: نجعل ما يلحق به من العار في الدارين كالوسم الذي لا ينمحي أثره، تقول العرب: وسمه ميسم سوء، ولما كان الوسم منكئاً، وكان جعله في موضع لا يُستر أنكأ، وكان الوجه أشرف ما في الإنسان، وكان أظهر ما فيه وأكرمه الأنف، ولذلك جعلوه مكان العز والحمية، واشتقوا منه الأنفة، قال: ﴿عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ أي: الأنف الطويل جميعه وما قاربه من الحنكين وسماً متسعياً عليه بوضوح جداً ليكون هتكه بين الناس وفضيحة لقومه وذلاً وعاراً، وكذا كان لعمرى له بهذا الذكر الشنيع والذنب القبيح من الكفر وما معه، وسيكون له يوم الجمع الأعظم ما هو أشنع من هذا ⁽¹⁾ .

والذي يظهر -والله أعلم- صحة اعتبار جميع الأقوال مجتمعة بياناً لمعنى الآية، فإنه « لا مانع من اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة » ⁽²⁾ ، « ولا نعلم أن الله تعالى بلغ من ذكر عيوب أحد ما بلغه منه ⁽³⁾ فألحقه به عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة كالوسم على الخرطوم » ⁽⁴⁾ ، والله أعلم بالصواب.

(١) نظم الدرر (103/8).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (406/4).

(٣) أي: الوليد بن المغيرة.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (236/18).

معنى: ﴿كَالصَّرِيمِ﴾

161- قال تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ

﴿٢٠﴾ [سورة القلم: 19-20].

قال الإمام ابن قتيبة- رحمه الله-: « ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ أي: سوداء كالليل

محتركة، والليل هو: الصريم؛ والصبح أيضاً: صريم، لأن كل واحد منهما ينصرم من صاحبه. ويقال: أصبحت وقد ذهب ما فيها من الثمر؛ فكأنه صُرِم: أي قُطِع وجُزَّ»^(١).

غير ما ذكره ابن قتيبة في بيان معنى الصريم، قيل أيضاً: إن «معنى ذلك

فأصبحت كأرض تدعى الصريم معروفة بهذا الاسم»^(٢).

وقيل أيضاً من معاني الصريم: «كالرماد الأسود»^(٣).

(١) تفسير غريب القرآن ص(409).

(٢) ذكره الطبري ولم يرجحه، جامع البيان (30/29).

(٣) حكاها الماوردي وكذلك ابن الجوزي عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، انظر: النكت والعيون

(67/6)، وزاد المسير (336/8).

فالسمرقندي⁽¹⁾، والسمعاني⁽²⁾، والنسفي⁽³⁾ ذكروا نفس المعاني التي ذكرها ابن قتيبة.

وحدد ابن أبي زمنين البيان في معنى واحد، فقال: « فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ »

الصريم بمعنى المصروم، وهو الهالك الذاهب⁽⁴⁾.

ومعنى واحد أيضاً؛ وهو أن يراد بالصريم: « الليل المظلم الأسود » اختاره:

القشيري⁽⁵⁾، والواحدي⁽⁶⁾، وابن كثير⁽⁷⁾، والمحلي⁽⁸⁾، والسعدي⁽⁹⁾.

ولكن الماوردي عند تفسيره للآية ذكر ثلاثة معانٍ، فقال: « فَأَصْبَحَتْ

كَالصَّرِيمِ » فيه ثلاثة أوجه: أحدها: كالرماد الأسود⁽¹⁰⁾، الثاني: كالليل المظلم،

الثالث: كالمصروم الذي لم يبق فيه ثمر⁽¹¹⁾.

(١) بحر العلوم (461/3).

(٢) تفسير القرآن (24/6).

(٣) مدارك التنزيل (270/4).

(٤) تفسير القرآن العزيز (21/5).

(٥) لطائف الإشارات (344/3).

(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1122/2).

(٧) تفسير القرآن العظيم (183/2) و (407/4).

(٨) تفسير الجلالين ص (758).

(٩) تيسير الكريم الرحمن ص (880).

(١٠) حكاة عن ابن عباس.

(١١) النكت والعيون (76/6).

وهذه الأقوال الثلاثة نفسها ذكرها جمع من المفسرين، منهم: البغوي⁽¹⁾،
والزمخشري⁽²⁾، وابن عطية⁽³⁾، وابن الجوزي⁽⁴⁾، والفخر الرازي⁽⁵⁾،
والقرطبي⁽⁶⁾، والبيضاوي⁽⁷⁾، والخازن⁽⁸⁾، وابن جزي⁽⁹⁾، والبقاعي⁽¹⁰⁾،
وأبو السعود⁽¹¹⁾، والشوكاني⁽¹²⁾، والألوسي⁽¹³⁾.

قال البقاعي: «**كَالصَّرِيمِ**» أي كالأشجار التي صرم عنها ثمرها أو كالشيء

الذي انقطع ما بينه وبين قاصده فلا وصول إليه بوجه، وقيل: كالليل المظلم
الأسود، وقيل: كالرماد الأسود، ليس بها ثمرة، لأن ذلك الطائف أتلفها لم يدع

(١) معالم التنزيل (379/4).

(٢) الكشاف (594/4).

(٣) المحرر الوجيز (349/5).

(٤) زاد المسير (336/8).

(٥) التفسير الكبير (78/30).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (239/18).

(٧) أنوار التنزيل (372/5).

(٨) لباب التأويل (134/7).

(٩) التسهيل لعلوم التنزيل (139/4).

(١٠) نظم الدرر (105/8).

(١١) إرشاد العقل السليم (15/9).

(١٢) فتح القدير (271/5).

(١٣) روح المعاني (30/29).

فيها شيئاً، لأنهم طلبوا الكل فلم يزكوه بما يمنع عنه الطوارق، بضد ما كان لأبيهم من ثمرة عمله الصالح من الدفع عن ماله والبركة في جميع أحواله»⁽¹⁾.
والذي يظهر - والله أعلم - صحة اعتبار جميع الأقوال بياناً لمعنى الآية، فإن لفظة الصريم تحمل كل المعاني المذكورة من ناحية اللغة⁽²⁾، وقال ابن عاشور: « وإيثار كلمة الصريم هنا لكثرة معانيها وصلاحية جميع تلك المعاني لأن تُراد في الآية»⁽³⁾، عملاً بالقاعدة المتبعة في التفسير: أن « الآية إن كان لها معانٍ كلها صحيحة، صح الحمل عليها جميعها»⁽⁴⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) نظم الدرر (105/8).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (345/3)، ولسان العرب لابن منظور (338/12).

(٣) التحرير والتنوير (82/29).

(٤) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿لِيُزْلِقُونَكَ﴾

162- قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ

لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ [سورة القلم: 51].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « قال الفراء: يعتانونك أي يصيبونك بأعينهم، وذكر: أن الرجل من العرب كان يمثّل على طريق الإبل - إذا صدرت عن الماء - فيصيب مرها ما أراد بعينه، حتى يهلكه. ولم يرد الله جل وعز - في هذا الموضع - أنهم يصيبونك بأعينهم، كما يصيب العائن بعينه ما يستحسنه ويعجب منه، وإنما أراد: أنهم ينظرون إليك - إذا قرأت القرآن - نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء؛ يكاد يزلقك: أي يسقطك، كما قال الشاعر: يتقارضون - إذا التقوا في موطن - نظراً يزيل مواطئ الأقدام⁽¹⁾ »⁽²⁾.

(١) وجدت البيت في عدد من كتب التفاسير واللغة دون عزو لقائل، ومما يمكن التعلق به منها ما وجدته في تهذيب اللغة للأزهري (327/8) وتاج العروس للزبيدي (413/25)، قولهم: « وقال القتيبي: أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك، وأنشد [أقول: ربما أنشد لنفسه أو لغيره فقد عزاه بعضهم إلى (بعض العرب) وهو من الكامل]:

يتقارضون إذا التقوا في موطن نظراً يزيل مواطئ الأقدام

(٢) تفسير غريب القرآن ص(411)، وتأويل مختلف الحديث ص(232).

لقد وافق ابن قتيبة فيما ذهب إليه من المفسرين: السمرقندي⁽¹⁾، وابن أبي زمنين⁽²⁾، والواحدي⁽³⁾، والسمعاني⁽⁴⁾، والبغوي⁽⁵⁾، وابن الجوزي⁽⁶⁾، والخازن⁽⁷⁾، والمحلي⁽⁸⁾، وابن عاشور⁽⁹⁾.

قال الواحدي: « **﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾** أي:

أنهم لشدة إبغاضهم وعداوتهم لك إذا قرأت القرآن ينظرون إليك نظراً شديداً يكاد يصرعك ويسقطك عن مكانك»⁽¹⁰⁾.

وتم قول آخر ورد عن المفسرين في بيان معنى الآية، وهو أن معنى

﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾ أي: «يعتانونك، ومعناه: يصيبونك بأعينهم»⁽¹¹⁾.

وذكر القولين معاً في بيان معنى الآية دون ترجيح أحدهما على الآخر، من

المفسرين: الطبري⁽¹⁾، والزخشري⁽²⁾،

(١) بحر العلوم (3/465).

(٢) تفسير القرآن العزيز (5/24).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/1125).

(٤) تفسير القرآن (6/32).

(٥) معالم التنزيل (4/384).

(٦) زاد المسير (8/343).

(٧) لباب التأويل (7/141).

(٨) تفسير الجلالين ص (761).

(٩) التحرير والتنوير (29/107).

(١٠) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/1125).

(١١) حكاية السمعاني في تفسير القرآن (6/32) عن الكلبي ومقاتل، والفراء.

..... والبيضاوي⁽³⁾، والنسفي⁽⁴⁾، وابن جزري⁽⁵⁾، وأبو حيان⁽⁶⁾، والثعالبي⁽⁷⁾، والبقاعي⁽⁸⁾، وأبو السعود⁽⁹⁾، والشوكاني⁽¹⁰⁾.

فمثلاً قال البيضاوي: « والمعنى أنهم لشدة عداوتهم ينظرون إليك شزراً بحيث يكادون يزلون قدمك أو يهلكونك، من قولهم: نظر إليّ نظراً يكاد يصرعني؛ أي: لو أمكنه بنظره الصرع لفعله، أو أنهم يكادون يصيبونك بالعيب؛ إذ روي أنه كان في بني أسد عيانون فأراد بعضهم أن يعين رسول الله ﷺ؛ فنزلت⁽¹¹⁾.
لكن الذي يظهر -والله أعلم- أن الأصح حمل الآية على المعنى الذي ذهب إليه ابن قتيبة وموافقوه، « يدل على صحة هذا المعنى أنه -تعالى- قرن هذا النظر

(١) جامع البيان (46/29).

(٢) الكشف (600/4).

(٣) أنوار التنزيل (376/5).

(٤) مدارك التنزيل (273/4).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (141/4).

(٦) البحر المحيط (311/8).

(٧) الجواهر الحسان (331/4).

(٨) نظم الدرر (711/8).

(٩) إرشاد العقل السليم (20/9).

(١٠) فتح القدير (277/5).

(١١) أنوار التنزيل (376/5).

بسماع القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ وهم كانوا يكرهون ذلك أشد

الكراهية فيُحدّون إليه النظر بالبغضاء»⁽¹⁾.

وهذا جار على القاعدة الترجيحية: «القول الذي تؤيده قرينة في السياق

مقدم على غيره»⁽²⁾، والله أعلم بالصواب.

(1) ذكر هذا الدليل: البغوي في معالم التنزيل (384/4)، وابن الجوزي في زاد المسير (343/8)،

والخازن في لباب التأويل (141/7).

(2) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (299/1).

معنى: ﴿غَسَلِينَ﴾

163- قال تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ﴾ [سورة الحاقة: 36].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ﴾ وهو فعْلين من

غسلت؛ كأنه غسالة. ويقال: هو ما يسيل من صديد أجسام المعذيين »⁽¹⁾.

الذي ذهب إليه ابن قتيبة في بيان معنى غسلين هو المروي عن ابن عباس⁽²⁾

- رضي الله عنهما -، ومقاتل⁽³⁾، وقول الطبري⁽⁴⁾، والسمرقندي⁽⁵⁾، وابن أبي

زمين⁽⁶⁾، والواحدي⁽⁷⁾، والزمخشري⁽⁸⁾، والفخر الرازي⁽⁹⁾، والبيضاوي⁽¹⁰⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(413).

(٢) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(484).

(٣) تفسير مقاتل (395/3).

(٤) جامع البيان (65/29).

(٥) بحر العلوم (469/3).

(٦) تفسير القرآن العزيز (32/5).

(٧) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1129/2).

(٨) الكشف (609/4).

(٩) التفسير الكبير (102/30).

والبيضاوي⁽¹⁾، والنسفي⁽²⁾، والبقاعي⁽³⁾، وأبي السعود⁽⁴⁾، والألوسي⁽⁵⁾،
والألوسي⁽⁵⁾، والسعدي⁽⁶⁾، وابن عاشور⁽⁷⁾.

قال الطبري: « **وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلِينَ** » يقول جل ثناؤه: ولا له طعام؛
كما كان لا يحض في الدنيا على طعام المسكين إلا طعام من غسلين، وذلك ما
يسيل من صديد أهل النار⁽⁸⁾.

وقال ابن أبي زمنين: « **وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلِينَ** » يعني: غسالة أهل النار:
القيح والدم⁽⁹⁾.

وقال الزمخشري: « والغسلين: غسالة أهل النار وما يسيل من أبدانهم من
الصدید والدم؛ فعلى من الغسل⁽¹⁰⁾ ».
وأورد السمعاني إضافة إلى القول السابق أن الغسلين هو: « شجرة تخرج
طعاماً هو أخبث أطعمة أهل النار⁽¹⁾ ».

(١) أنوار التنزيل (383/5).

(٢) مدارك التنزيل (276/4).

(٣) نظم الدرر (136/8).

(٤) إرشاد العقل السليم (26/9).

(٥) روح المعاني (51/29).

(٦) تيسير الكريم الرحمن ص (884).

(٧) التحرير والتنوير (140/29).

(٨) جامع البيان (65/29).

(٩) تفسير القرآن العزيز (32/5).

(١٠) الكشاف (609/4).

وهذين القولين ذكرهما أيضاً: البغوي⁽²⁾، وابن عطية⁽³⁾، والخازن⁽⁴⁾،
وابن جزري⁽⁵⁾، وابن كثير⁽⁶⁾، والثعالبي⁽⁷⁾، والشوكاني⁽⁸⁾.

قال الخازن: «﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ﴾ يعني: صديد أهل النار، مأخوذ من

الغسل كأنه غسالة جروحهم وقروحهم، وقيل: هو شجر يأكله أهل النار»⁽⁹⁾.

أبوحيان ذكر أن الغسلين ربما يكون هو الضريع المذكور في سورة الغاشية «

في قوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾ [سورة الغاشية: 6] فهما شيء واحد

أو متداخلان، قيل: ويجوز أن يكونا متباينين، وأخبر بكل واحد منهما عن طائفة
غير الطائفة التي الآخر طعامها وإذا كان ثم غيره من الطعام، وكان الأكل غير أكل
آخر، صح الحصر بالنسبة إلى اختلاف الأكلين. وأما إن كان الضريع هو الغسلين،
كما قال بعضهم، فلا تناقض، إذ المحصور في الآيتين هو شيء واحد»⁽¹⁰⁾.

(١) تفسير القرآن (41/6).

(٢) معالم التنزيل (390/4).

(٣) المحرر الوجيز (361/5).

(٤) لباب التأويل (146/7).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (144/4).

(٦) تفسير القرآن العظيم (417/4).

(٧) الجواهر الحسان (336/4).

(٨) فتح القدير (285/5).

(٩) لباب التأويل (146/7).

(١٠) البحر المحيط (320/8).

والذي يظهر - والله أعلم - أن الأصح حملة على أن يراد بالغسلين؛ غسالة أهل النار أي ما يجري من جراحهم من قيح وصدید ودم، فهو الأصح من ناحية اللغة⁽¹⁾، وتؤيده قاعدة: حمل كلام الله تعالى على المعروف من لغة العرب⁽²⁾، «⁽²⁾ بل إنه قاله «الأكثر»⁽³⁾ من المفسرين، فهو الأولى بالحمل عليه، والله والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (361/5)، ولسان العرب لابن منظور (495/11).

(٢) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).

(٣) انظر: روح المعاني للألوسي (51/29).

معنى: ﴿المعارج﴾

164- قال تعالى: ﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٢﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ

فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [سورة المعارج: 3-4].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿المعارج﴾ يريد: معارج الملائكة،

وأصل المعارج: الدرج؛ وهو من: عَرَجَ: إذا صعد»^(١).

وقد وافق ابن قتيبة في المعنى الذي ذكره، من المفسرين: ابن أبي زمنين^(٢)،

والزخشري^(٣)، والبيضاوي^(٤)، والنسفي^(٥)، وابن جزى^(٦)، والمحلي^(٧)،

والبقاعي^(٨)، وأبو السعود^(٩).

(١) تفسير غريب القرآن ص(414).

(٢) تفسير القرآن العزيز (34/5).

(٣) الكشاف (611/4).

(٤) أنوار التنزيل (386/5).

(٥) مدارك التنزيل (387/5).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (146/4).

(٧) تفسير الجلالين ص(765).

(٨) نظم الدرر (145/8).

(٩) إرشاد العقل السليم (29/9).

وقد أورد الماوردي - إضافة إلى القول المذكور - أقوالاً أخرى في بيان معنى

الآية، فقال: « ﴿مَنْ أَلَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ فيه خمسة تأويلات: أحدها: ذي

الدرجات⁽¹⁾، الثاني: ذي الفواضل والنعم⁽²⁾، الثالث: ذي العظمة والعلاء،

الرابع: ذي الملائكة؛ لأنهم كانوا يعرجون إليه، الخامس: أنها معارج

السماء⁽³⁾ «⁽⁴⁾.

وزاد الفخر الرازي إيضاحاً لبعض المعاني، فقال: « وقوله: ﴿ذِي

الْمَعَارِجِ﴾ المعارج جمع معرج وهو المصعد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا

يُظْهِرُونَ﴾ [سورة الزخرف: 33]، والمفسرون ذكروا فيها وجوهاً: أحدها:

﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ أي: ذي السماوات، وسمها معارج لأن الملائكة يعرجون فيها،

وثانيها: ذي الفواضل والنعم، وذلك لأن لأيديه ووجوه إنعامه مراتب، وهي تصل

إلى الناس على مراتب مختلفة، وثالثها: أن المعارج هي الدرجات التي يعطيها أولياءه

في الجنة «⁽⁵⁾.

(١) حكاه عن ابن عباس - رضي الله عنهما -.

(٢) حكاه عن قتادة.

(٣) حكاه عن مجاهد.

(٤) النكت والعيون (90/6).

(٥) التفسير الكبير (108/30) بتصرف.

وعليه فإن عددًا من المفسرين لم يحددوا قولاً واحداً لبيان المعنى، وإنما يذكرون قولين أو أكثر مما سبق بيانه؛ عند تفسيرهم للآية، منهم: الطبري⁽¹⁾، والسمرقندي⁽²⁾، والسمعاني⁽³⁾، والبغوي⁽⁴⁾، والقرطبي⁽⁵⁾، ونظام الدين النيسابوري⁽⁶⁾، والخازن⁽⁷⁾، وأبو حيان⁽⁸⁾، وابن كثير⁽⁹⁾، وابن عادل⁽¹⁰⁾، والشوكاني⁽¹¹⁾، والألوسي⁽¹²⁾، والسعدي⁽¹³⁾.

قال الطبري: « وقوله ﴿زِي الْمَعَارِجِ﴾ يعني: ذا العلو والدرجات

والفواضل والنعم»⁽¹⁴⁾.

-
- (١) جامع البيان (70/29).
 (٢) بحر العلوم (471/3).
 (٣) تفسير القرآن (45/6).
 (٤) معالم التنزيل (392/4).
 (٥) الجامع لأحكام القرآن (281/18).
 (٦) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (356/6).
 (٧) لباب التأويل (148/7).
 (٨) البحر المحيط (327/8).
 (٩) تفسير القرآن العظيم (419/4).
 (١٠) اللباب في علوم الكتاب (353/19).
 (١١) فتح القدير (288/5).
 (١٢) روح المعاني (56/29).
 (١٣) تيسير الكريم الرحمن ص(885).
 (١٤) جامع البيان (70/29).

وقال نظام الدين النيسابوري: «﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ المصاعد، قيل: إنها

السموات لأن الملائكة يعرجون فيها⁽¹⁾، وقيل: ذي الفواضل والنعم بحسب الأرواح ومراتب الاستحقاق والاستعداد⁽²⁾، وقيل: هي الجنة لأنها درجات⁽³⁾.
«⁽³⁾».

وقال السعدي: «﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ»

أي: ذو العلو، والجلال، والعظمة، والتدبير لسائر الخلق، الذي تعرج إليه الملائكة، بما جعلها على تدبيره⁽⁴⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - أن ما ذهب إليه ابن قتيبة وموافقوه هو الأرجح لحمل معنى الآية عليه، وذلك: «لأنه فسرها بما بعدها من عروج الملائكة»⁽⁵⁾،

قال تعالى: «﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ» وهذا ضمن

قاعدة أساسية في الترجيح بين الأقوال عند المفسرين، وهي: «إدخال الكلام في

(١) رواه الكلبي عن ابن عباس - رضي الله عنهما -.

(٢) حكاه عن قتادة.

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (356/6) بتصرف.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص(885).

(٥) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (146/4).

معاني ما قبله وما بعده أولى به من الخروج عنه⁽¹⁾. فيصار إليه، والله أعلم بالصواب.

(¹) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (125/1)، وقواعد التفسير لخالد السبت (249/1).

معنى: ﴿دِيَارًا﴾

165- قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِينَ دِيَارًا﴾ (٢٦)

[سورة نوح: 26].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿دِيَارًا﴾ أي: أحداً، ويقال: ما

بالمنازل ديار؛ أي: ما بها أحد. وهو من الدار: أي: ليس بها نازل داراً»⁽¹⁾.

فابن قتيبة شرح معنى ﴿دِيَارًا﴾ أي: أحداً، بمعنى لا يُبقى فيها أحداً، ثم ذكر

اشتقاق لفظ ﴿دِيَارًا﴾ من الدار، أي: الذي يسكن الدار.

وقد وافق ابن قتيبة فيما ذكره من المعنى: الجصاص⁽²⁾، والماوردي⁽³⁾،

والواحدي⁽⁴⁾، والبلغوي⁽⁵⁾، والزمخشري⁽⁶⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(417).

(٢) أحكام القرآن (258/4).

(٣) النكت والعيون (105/6).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1138/2).

(٥) معالم التنزيل (400/4).

(٦) الكشاف (623/4).

والبيضاوي⁽¹⁾، والخازن⁽²⁾، وابن جزى⁽³⁾، وأبو حيان⁽⁴⁾، وابن كثير⁽⁵⁾،
والمحلي⁽⁶⁾، وأبو السعود⁽⁷⁾، والشوكاني⁽⁸⁾، والألوسي⁽⁹⁾.

قال الماوردي: « وفي قوله: ﴿دَيَّارًا﴾ وجهان: أحدها: أحدًا⁽¹⁰⁾، الثاني:

من يسكن الدار⁽¹¹⁾»⁽¹²⁾.

فهذا الذي ذكره الماوردي هو زيادة تفصيل لما ذكره ابن قتيبة، وعليه فإن

من المفسرين من حمل اللفظ على المعنى الأول فقط، وأن ﴿دَيَّارًا﴾ تعني: أحدًا،

(١) أنوار التنزيل (396/5).

(٢) لباب التأويل (156/7).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (151/4).

(٤) البحر المحيط (337/8).

(٥) تفسير القرآن العظيم (428/4).

(٦) تفسير الجلالين ص (769).

(٧) إرشاد العقل السليم (41/9).

(٨) فتح القدير (301/5).

(٩) روح المعاني (79/29).

(١٠) حكاة عن الضحاك.

(١١) حكاة عن السدي.

(١٢) النكت والعيون (105/6).

وقال بهذا معنى للآية: الطبري⁽¹⁾، وابن أبي زمنين⁽²⁾،
 والسمعاني⁽³⁾، والنسفي⁽⁴⁾.

قال الطبري: « قوله: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا ﴾

ويعني بالديار من يدور في الأرض فيذهب ويجيء فيها، والعرب تقول: ما بها ديار
 يعني بذلك ما بها أحد»⁽⁵⁾.

واختار فريق ثالث تفسير ﴿ دِيَارًا ﴾ بأنه: ساكن الدار أو نازل الدار،

مكتفين بها في بيان معنى الآية، منهم: نظام الدين النيسابوري⁽⁶⁾، وابن عادل⁽⁷⁾،
 عادل⁽⁷⁾، وابن عاشور⁽⁸⁾.

قال ابن عادل: « والديار: نازل الدار »⁽⁹⁾.

(١) جامع البيان (100/29).

(٢) تفسير القرآن العزيز (42/5).

(٣) تفسير القرآن (60/6).

(٤) مدارك التنزيل (285/4).

(٥) جامع البيان (100/029) بتصرف.

(٦) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (365/6).

(٧) اللباب في علوم الكتاب (400/19).

(٨) التحرير والتنوير (213/29).

(٩) اللباب في علوم الكتاب (400/19).

والذي يظهر - والله أعلم - أن لا فرق بين المعنيين؛ فهما متداخلان
وشارحان لبعضهما، فكونه لا يبقى من الكفار (ديار) أي: أحد، فإنه يلزم منه أن
لا يكون في أي دار إنسان يسكنها، والله أعلم بالصواب.

معنى: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾

166- قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (٦)

[سورة الجن: 6].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي: ضلالاً، وأصل

الرَّهَقُ: العيب، ومنه يقال: يُرَهَّقُ في دينه »^(١).

القول الذي ذكره ابن قتيبة ذكره أيضاً القشيري عند تفسيره للآية حيث

قال: « ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي ذلةً وصغاراً؛ فالجن زادوا للإنس ذلةً ورهقاً فكانوا

إذا نزلوا يقولون: نعوذ بربِّ هذا الوادي، فيتوهم الجن أنهم على شيء »^(٢).

كما ذكره أيضاً ابن كثير حيث قال: « فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون

بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقاً أي: خوفاً وإرهاباً وذعراً حتى بقوا أشد مخافة

وأكثر تعوذاً بهم وازدادت الجن عليه جرأة »^(٣).

(١) تفسير غريب القرآن ص(418).

(٢) لطائف الإشارات (3/356).

(٣) تفسير القرآن العظيم (4/429).

أما القول الآخر وهو أن معنى ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾: «يعني: زاد الإنسُ الجنَّ

باستعازتهم بقادتهم ﴿رَهَقًا﴾ عظمة وذلك أنهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانا،

يقولون سدنا الجن والإنس»⁽¹⁾، فهذا القول مروى عن ابن عباس⁽²⁾،

ومقاتل⁽³⁾، وقاله الطبري⁽⁴⁾، والسمرقندي⁽⁵⁾، والواحدي⁽⁶⁾، والبغوي⁽⁷⁾.

والغالبية العظمى من المفسرين ذكروا القولين معاً عند تفسير الآية، دون

ترجيح أحدهما على الآخر، منهم: السمعاني⁽⁸⁾، والزمخشري⁽⁹⁾، وابن عطية

⁽¹⁰⁾، والقرطبي⁽¹¹⁾، والبيضاوي⁽¹²⁾، والنسفي⁽¹³⁾، ونظام الدين

النيسابوري⁽¹⁴⁾، والخازن⁽¹⁾،

(١) هذه عبارة البغوي في معالم التنزيل (402/4) بتصرف.

(٢) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(488).

(٣) تفسير مقاتل (406/3).

(٤) جامع البيان (108/29).

(٥) بحر العلوم (481/3).

(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1140/2).

(٧) معالم التنزيل (402/4).

(٨) تفسير القرآن (66/6).

(٩) الكشاف (626/4).

(١٠) المحرر الوجيز (380/5).

(١١) الجامع لأحكام القرآن (10/019).

(١٢) أنوار التنزيل (398/5).

(١٣) مدارك التنزيل (286/4).

(١٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (371/6).

..... وابن جزري⁽²⁾،

وأبو حيان⁽³⁾، وابن عادل⁽⁴⁾، والبقاعي⁽⁵⁾، وأبو السعود⁽⁶⁾، والشوكاني⁽⁷⁾،
والألوسي⁽⁸⁾، والسعدي⁽⁹⁾.

فمثلاً قال نظام الدين النيسابوري: « أما قوله ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ فمعناه: أن الإنس لا استعاذتهم بهم زادوهم إثماً وجراءةً وطغياناً وكبراً لأنهم إذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا: سدنا الجن والإنس، وقيل: ضمير الفاعل للجن؛ أي: فزاد الجن الإنس خوفاً وغشيان شر باغوائهم وإضلالهم، فإنهم لما تعوذوا بهم، ولم يتعوذوا بالله تعالى استولوا واجترأوا عليهم⁽¹⁰⁾».

إن محور الاختلاف في بيان معنى الآية هو في تحديد مراجع الضمائر (الواو) و (هم) في ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ فمن أرجع الواو إلى الجن، فهذا على المعنى الأول الذي ذكره ابن قتيبة ومن وافقه. ومن أرجع (الواو) إلى الإنس فهذا على المعنى الآخر.

(١) لباب التأويل (159).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (153/4).

(٣) البحر المحيط (341/8).

(٤) اللباب في علوم الكتاب (417/19).

(٥) نظم الدرر (186/8).

(٦) إرشاد العقل السليم (43/9).

(٧) فتح القدير (305/5).

(٨) روح المعاني (85/29).

(٩) تيسير الكريم الرحمن ص (890).

(١٠) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (371/6).

والذي يظهر - والله أعلم - عدم وجود ما يقوّي أحد القولين دون الآخر، فيصح اعتبارهما معاً لحمل معنى الآية عليهما، بناء على القاعدة المتبعة عند علماء التفسير؛ أنه « إن كان هناك عدة معانٍ تحتمل الآية، صح الحمل عليها جميعها»⁽¹⁾. وهذا ما فعله جمهور المفسرين في حمل الآية على المعنيين معاً، وقد مرّ ذكرهم قريباً، بل إن عبارة البقاعي فيها ترابط بين المعنيين، حيث قال: «**﴿وَأَنَّهُ﴾** أي الشأن **﴿كَانَ رِجَالٌ﴾** أي: ذوو قوة وبأس **﴿مِنَ الْإِنْسِ﴾** أي: النوع الظاهر في عالم الجنس **﴿يُؤَدُّونَ﴾** أي يلجأون ويعتصمون -خوفاً على أنفسهم وما معهم- إذا نزلوا وادياً **﴿بِإِلَّيْنِ الْإِنِّ﴾** أي: القبيل المستتر عن الأبصار فإنه كان القوم منهم إذا نزلوا وادياً أو غيره من القفر تعبت بهم الجن في بعض الأحيان لأنه لا مانع لهم منهم من ذكر الله تعالى ولا دين صحيح، ولا كتاب من الله صريح، فحملهم ذلك على أن يستجيروا بعظمائهم فكان الرجل يقول عند خوفه: إني أعوذ بعظيم هذا الوادي من شر سفهاء قومه أو نحو هذا فلا يرى إلا خيراً، وربما هدوه إلى الطريق وردوا عليه ضالته، فكان ذلك فتنة للإنس باعتقادهم في الجن غير ما هم عليه، فتبعوهم في الضلال، وفتنة الجن بأن يغتروا بأنفسهم ويقولوا سدنا: الجن والإنس، فيضلوا ويضلوا، ولذلك سبب عنه قوله: **﴿فَزَادُوهُمْ﴾** أي: الإنس الجن باستعاذتهم هذه المرتب عليها إعاذتهم، والجن الإنس بترئيس الإنس لهم وخوفهم منهم **﴿رَهَقًا﴾** أي: ضيقاً وشدة وغشياناً لما هم في من أحوال الضلال التي يلزم منهم الضيق والشدة»⁽²⁾، فتبين بما ذكر صحة حمل الآية على المعنيين، والله أعلم بالصواب.

(1) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

(2) نظم الدرر (186/8).

معنى: ﴿الْقَسِطُونَ﴾

167- قال تعالى: ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ

تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ [سورة الجن:

. [15-14].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿الْقَسِطُونَ﴾: الجائرون، يقال:

قسط؛ إذا جار، وأقسط: إذا عدل»^(١).

بدراسة أقوال المفسرين في بيان معنى الآية، تبين أن ما ذهب إليه ابن قتيبة

هو قول جمهور المفسرين، فقد قاله: الطبري^(٢)، والسمرقندي^(٣)، وابن أبي

زمين^(٤)، والماوردي^(٥)، والواحدي^(٦)، والبغوي^(٧)،

(١) تفسير غريب القرآن ص(419).

(٢) جامع البيان (113/29).

(٣) بحر العلوم (482/3).

(٤) تفسير القرآن العزيز (46/5).

(٥) النكت والعيون (116/6).

(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1141/2).

(٧) معالم التنزيل (403/4).

والزمخشري⁽¹⁾، والفخر الرازي⁽²⁾، والقرطبي⁽³⁾، والبيضاوي⁽⁴⁾، والنسفي⁽⁵⁾،
والنسفي⁽⁵⁾، ونظام الدين النيسابوري⁽⁶⁾، وأبو حيان⁽⁷⁾، والمحلي⁽⁸⁾، وابن
عادل⁽⁹⁾، والبقاعي⁽¹⁰⁾، وأبو السعود⁽¹¹⁾، والشوكاني⁽¹²⁾، والألوسي⁽¹³⁾،
والسعدي⁽¹⁴⁾، وابن عاشور⁽¹⁵⁾.

فمثلاً قال الطبري: « يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل النفر من الجن ﴿وَأَنآمِنَا
أَلْمُسْلِمُونَ﴾ الذين قد خضعوا لله بالطاعة ﴿وَمِنَا الْقَاسِطُونَ﴾ وهم الجائرون عن الإسلام
وقصد السبيل »⁽¹⁶⁾.

(١) الكشاف (630/4).

(٢) التفسير الكبير (141/30).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (17/19).

(٤) أنوار التنزيل (399/5).

(٥) مدارك التنزيل (287/4).

(٦) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (372/6).

(٧) البحر المحيط (344/8).

(٨) تفسير الجلالين ص (771).

(٩) الباب في علوم الكتب (426/19).

(١٠) نظم الدرر (192/8).

(١١) إرشاد العقل السليم (45/9).

(١٢) فتح القدير (308/5).

(١٣) روح المعاني (89/29).

(١٤) تيسير الكريم الرحمن ص (891).

(١٥) التحرير والتنوير (236/29).

(١٦) جامع البيان (113/29).

وقال ابن أبي زمنين: « القاسطون: الجائرون عن الهوى »⁽¹⁾.

وقال البغوي: « ﴿وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ الجائرون العادلون عن الحق »⁽²⁾.

ومن قال: « إن ﴿الْقَاسِطُونَ﴾ معناها: « الكافرون »⁽³⁾، أو فسرها بمعنى: « الظالمون »⁽⁴⁾، فلا يختلف قولهم عن قول الجمهور، فكلها تؤدي نفس المعنى؛ كما كما ذكر ذلك أهل اللغة⁽⁵⁾، بل ومصير الجور والكفر والظلم واحد وهم أنهم سيكونون ﴿يَجْهَتُمُ ظُفُرًا﴾، فلا خلاف بين المفسرين في بيان معنى الآية، وما الاختلاف المذكور إلا على سبيل تنوع العبارة لا التضاد.

وقال البقاعي: « هذه الآية من الاحتباك: ﴿الْمُسْلِمُونَ﴾ يدل على الكافرين، و ﴿الْقَاسِطُونَ﴾ يدل على المقسطين »⁽⁶⁾.

والاحتباك هو: « أن يجتمع في الكلام متقابلان، ويحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه »⁽⁷⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) تفسير القرآن العزيز (46/5).

(٢) معالم التنزيل (403/4).

(٣) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (69/6).

(٤) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (382/5)، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (154/4).

(٥) انظر: لسان العرب لابن منظور (378/7)، ومختار الصحاح للرازي ص(223).

(٦) نظم الدرر (192/8).

(٧) انظر: التعريفات للجرجاني ص(25).

معنى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾

168- قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن:

. [18]

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ أي السجود لله،

وهو جمع مسجد، يقال: سجدت سجوداً ومسجداً، كما يقال: ضربت في البلاد ضرباً ومضرباً، ثم يجمع فيقال: المساجد لله، كما يقال: المضارب في الأرض لطلب الرزق»⁽¹⁾.

ولقد ذكر هذا القول الذي قاله ابن قتيبة عدد من المفسرين ضمن أقوال أخرى ولم يرجحوه، منهم: السمرقندي⁽²⁾، والواحدي⁽³⁾، وابن الجوزي⁽⁴⁾، وأبو السعود⁽⁵⁾.

قال السمرقندي: « قوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ يعني: السجود لله، ويقال:

هي المساجد بعينها، يعني بنيت المساجد ليعبدوا الله تعالى فيها»⁽¹⁾.

(1) تفسير غريب القرآن ص (420).

(2) بحر العلوم (483/3).

(3) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1141/2).

(4) زاد المسير (382/8).

(5) إرشاد العقل السليم (46/9).

وقال الواحدي: « وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ » يعني: المواضع التي يصلى فيها،
 وقيل: الأعضاء التي يسجد عليها، وقيل: يعني السجدة لله تعالى؛ جمع مسجد
 بمعنى السجود ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ أمر بالتوحيد لله تعالى في الصلاة»⁽²⁾.

ثلاثة أقوال رئيسة تركز حولها كلام المفسرين في بيان معنى الآية -غير
 الذي ذكره ابن قتيبة-:

الأول: أن يراد: المساجد المعروفة حيث تقام فيها الشعائر التعبدية من صلاة
 ونحوها⁽³⁾.

الثاني: أن يراد بها أعضاء السجود، فمساجد الإنسان: أعضاؤه التي أمر أن
 يسجد عليها؛ فلا يُخضعها ولا يذلها لغير خالقها⁽⁴⁾.

الثالث: أن يكون المراد بالمساجد في الآية: البقاع كلها، وذلك أن الأرض
 جعلت للنبي ﷺ مسجداً⁽⁵⁾.

فهذه الأقوال ذكرها كلها -أو ربما زاد بعضهم عليها أقوالاً دونها في كثرة
 القائلين بها سيأتي بيانها إن شاء الله تعالى- من المفسرين: الماوردي⁽⁶⁾،

(١) بحر العلوم (483/3).

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1141/2).

(٣) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (483/3) بتصرف.

(٤) انظر: حقائق التفسير للسلمي (354/2) بتصرف.

(٥) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (54/10) بتصرف.

(٦) النكت والعيون (19/6).

والبغوي⁽¹⁾، والزمخشري⁽²⁾، وابن الجوزي⁽³⁾، والفخر الرازي⁽⁴⁾،
والقرطبي⁽⁵⁾، والبيضاوي⁽⁶⁾، ونظام الدين النيسابوري⁽⁷⁾، والخازن⁽⁸⁾،
وأبو حيان⁽⁹⁾، وأبو السعود⁽¹⁰⁾، والشوكاني⁽¹¹⁾، والألوسي⁽¹²⁾.

فمثلاً قال البغوي: « **﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾** يعني: المواضع التي بنيت للصلاة

وذكر الله تعالى **﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾** فأمر الله تعالى المؤمنين أن يخلصوا لله

الدعوة إذا دخلوا المساجد وأراد بها المساجد كلها⁽¹³⁾، وقيل: أراد بها البقاع كلها

لأن الأرض جعلت كلها مسجداً للنبي ﷺ⁽¹⁴⁾، وقيل أيضاً: إن المراد بالمساجد

الأعضاء التي يسجد عليها الإنسان؛ وهي سبعة: الجبهة واليدين والركبتان

(١) معالم التنزيل (404/4).

(٢) الكشاف (631/4).

(٣) زاد المسير (382/8).

(٤) التفسير الكبير (143/30).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (20/19).

(٦) أنوار التنزيل (400/5).

(٧) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (373/6).

(٨) لباب التأويل (161/7).

(٩) البحر المحيط (345/8).

(١٠) إرشاد العقل السليم (46/9).

(١١) فتح القدير (309/5).

(١٢) روح المعاني (91/29).

(١٣) حكاية عن قتادة.

(١٤) حكاية عن الحسن.

والقدمان، يقول هذه الأعضاء التي يقع عليها السجود مخلوقة لله تعالى فلا تسجدوا عليها لغيره⁽¹⁾»⁽²⁾.

وزاد الماوردي⁽³⁾، والشوكاني⁽⁴⁾ قولاً رابعاً - إضافة إلى ما سبق -، أنه ربما

ربما يكون المعنى: « ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ يعني الصلوات ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ

أحداً﴾ أي: أفردوا له التوحيد وأخلصوا له العبادة»⁽⁵⁾.

وزاد الزمخشري⁽⁶⁾، والفخر الرازي⁽⁷⁾، والقرطبي⁽⁸⁾، والبيضاوي⁽⁹⁾،

والبيضاوي⁽⁹⁾، ونظام الدين النيسابوري⁽¹⁰⁾، وأبو السعود⁽¹¹⁾، والألوسي⁽¹²⁾

(١) حكاة عن سعييد بن جبير.

(٢) معالم التنزيل (404/4) بتصرف.

(٣) النكت والعيون (119/6).

(٤) فتح القدير (309/5).

(٥) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (54/10) وحكاة عن الحسن.

(٦) الكشف (631/4).

(٧) التفسير الكبير (143/30).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (20/19).

(٩) أنوار التنزيل (400/5).

(١٠) غرائب القرآن ورجائب الفرقان (373/6).

(١١) إرشاد العقل السليم (46/9).

(١٢) روح المعاني (91/29).

قولاً خامساً، أن يكون المراد بالمساجد في الآية: « المسجد الحرام، لأنه قبلة المساجد »⁽¹⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - أن الأرجح حمل معنى الآية على أن يراد: المساجد، التي هي أماكن العبادة، فهو القول الذي لم يذكر غيره الطبري بياناً لمعنى الآية، حيث قال: « وأن المساجد لله فلا تدعوا أيها الناس مع الله أحداً ولا تشركوا به فيها شيئاً ولكن أفردوا له التوحيد وأخلصوا له العبادة »⁽²⁾.

ووصفه الفخر الرازي⁽³⁾، ونظام الدين النيسابوري⁽⁴⁾؛ بأنه « قول الأكثرين ».

وقال عنه القرطبي⁽⁵⁾، وابن عادل⁽⁶⁾: إنه « أظهر الأقوال ».

وأبو حيان⁽⁷⁾، والألوسي⁽⁸⁾ قالوا عنه: إنه هو « الظاهر ».

وأما القول بأنه يراد بلفظ المساجد في الآية: أي بقاع الأرض كلها، فالذي يظهر أنه يدخل تحت القول السابق وتبع له.

(١) انظر: الكشاف للزمخشري (631/4).

(٢) جامع البيان (116/29).

(٣) التفسير الكبير (143/30).

(٤) غرائب القرآن و رغائب الفرقان (373/6).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (20/19).

(٦) اللباب في علوم الكتاب (431/19).

(٧) البحر المحيط (345/8).

(٨) روح المعاني (91/29).

وأما القول بأنه يراد بها: أعضاء السجود من الإنسان، فهو وإن قال به عدد من المفسرين؛ إلا أنه « بعيد » عن معنى الآية، كما قال ذلك: ابن جزى⁽¹⁾، وأبو حيان⁽²⁾.

فتبين الأرجح في ضوء ما تم بيانه، والله أعلم بالصواب.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (154/4).

(٢) البحر المحيط (345/8).

معنى: ﴿وَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾

169- قال تعالى: ﴿وَأذْكَرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [سورة المزمل: 8].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَبَتَّلْ إِلَيْهِ﴾ أي: انقطع إليه، من

قولك: بتلت الشيء؛ إذا قطعته»⁽¹⁾.

وقد وافق ابن قتيبة في تفسيره الآية بالمعنى المذكور، من المفسرين:

الطبري⁽²⁾، والواحدي⁽³⁾، والزمخشري⁽⁴⁾، والبيضاوي⁽⁵⁾، والنسفي⁽⁶⁾،
والمحلي⁽⁷⁾، وأبو السعود⁽⁸⁾، والشوكاني⁽⁹⁾، والألوسي⁽¹⁰⁾،
..... والسعدي⁽¹¹⁾، وابن عاشور⁽¹⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(422).

(٢) جامع البيان (132/29).

(٣) الوجيز في تفسير اللكتاب العزيز (1145/2).

(٤) الكشاف (640/4).

(٥) أنوار التنزيل (406/5).

(٦) مدارك التنزيل (291/4).

(٧) تفسير الجلالين ص(773).

(٨) إرشاد العقل السليم (51/9).

(٩) فتح القدير (317/5).

(١٠) روح المعاني (106/29).

(١١) تيسير الكريم الرحمن ص(893).

قال الطبري: « **﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾** يقول: وانقطع إليه انقطاعاً لحوائجك وعبادتك دون سائر الأشياء وغيره، وهو من قولهم: تبئت هذا الأمر، ومنه قيل لأم عيسى بن مريم (البتول) لانقطاعها إلى الله تعالى، ويقال للعابد المنقطع عن الدنيا وأسبابها إلى عبادة الله تعالى؛ قد تبتل»⁽²⁾.

وقال السعدي: « **﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾** أي: انقطع إليه، فإن الانقطاع إلى الله تعالى، والإنابة إليه، هو الانفصال بالقلب عن الخلاق، والإتصاف بمحبة الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - ، وما يقرب إليه، ويدني من رضاه»⁽³⁾.

وقال ابن عاشور: « والتبتل: شدة البتل، وهو: الانقطاع. والمراد بالانقطاع المأمور به انقطاع خاص وهو الانقطاع عن الأعمال التي تمنعه من قيام الليل ومهام النهار في نشر الدعوة ومحاجة المشركين ولذلك قيل **﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ﴾** أي: إلى الله فكل عمل يقوم به النبي ﷺ من أعمال الحياة فهو لدين الله فإن طعامه وشرابه ونومه وشؤونه للاستعانة على نشر دين الله، وكذلك منعشات الروح البريئة من الإثم مثل الطيب، وتزوج النساء، والإنس إلى أهله وأبنائه وذويه، وقد قال ﷺ: « **حُبُّ إِلِيٍّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النَّسَاءُ وَالطَّيِّبُ** »⁽⁴⁾.

(١) التحرير والتنوي (265/29).

(٢) جامع البيان (132/29).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص(893).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک (174/2) بلفظ: « **حُبُّ إِلِيٍّ النَّسَاءُ وَالطَّيِّبُ** » من رواية أنس -

رضي الله عنه. وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وليس هو التبتل المفضي إلى الرهبانية؛ وهو الأعراض عن النساء وعن تدبير أمور الحياة لأن ذلك لا يلاقي صفة الرسالة. ومن أكبر التبتل إلى الله الانقطاع عن الإشراف، وهو معنى الحنيفية، ولذلك عقب قوله: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ بقوله:

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾⁽¹⁾.

وفسرها آخرون بأن معنى ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ أي: أخلص إليه إخلاصاً

في الدعاء والعبادة، فهذا مروى عن مقاتل⁽²⁾، وقاله ابن أبي زمنين⁽³⁾.

وجمع فريق آخر من المفسرين القولين على اعتبارهما معاً معنى للآية، منهم:

السمرقندي⁽⁴⁾، والسمعاني⁽⁵⁾، والبغوي⁽⁶⁾، والقرطبي⁽⁷⁾، والخازن⁽⁸⁾، وابن جزري⁽⁹⁾، وابن كثير⁽¹⁰⁾، والثعالبي⁽¹¹⁾.

(١) التحرير والتنوير (265/29).

(٢) تفسير مقاتل (409/3).

(٣) تفسير القرآن العزيز (50/5).

(٤) بحر العلوم (487/3).

(٥) تفسير القرآن (80/6).

(٦) معالم التنزيل (409/4).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (44/19).

(٨) لباب التأويل (291/7).

(٩) التسهيل لعلوم التنزيل (157/4).

(١٠) تفسير القرآن العظيم (438/4).

(١١) الجواهر الحسان (353/4).

قال السمرقندي: « **﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾** يعني: أخلص إليه إخلاصاً في

دعائك بعبادتك، ويقال: **﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾** يعني: انقطع إليه وأصل التبتل

القطع؛ ولهذا قيل لمريم العذراء: التبول لأنها انقطعت إلى الله تعالى في العبادة»⁽¹⁾.

والذي يظهر -والله أعلم- أن هناك ترابطاً وثيقاً بين القولين أظهره الإمام

القرطبي حين قال: « **﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾** التبتل الانقطاع إلى عبادة الله -**عَزَّ وَجَلَّ**،

أي: انقطع بعبادتك إليه ولا تشرك به غيره، فمعنى الآية: انقطع عن الأوثان والأصنام وعن عبادة غير الله تعالى، وأخلص له العبادة فصار التبتل مأموراً به في القرآن منهياً عنه في السنة.

ومتعلق الأمر غير متعلق النهي فلا يتناقضان، وإنما بعث ليبين للناس ما

أنزل إليهم، فالتبتل المأمور به: الانقطاع إلى الله بإخلاص العبادة، كما قال تعالى:

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [سورة البينة: 5]، والتبتل المنهي

عنه: هو سلوك مسلك النصارى في ترك النكاح والترهب في الصوامع»⁽²⁾.

فتبين ترابطهما بما يصح معه حمل معنى الآية عليهما، استناداً إلى قاعدة

« الآية إن كانت تحتل معانٍ كلها صحيحة، صح الحمل عليها جميعها»⁽³⁾،

والله أعلم بالصواب.

(1) بحر العلوم (487/3) بتصرف.

(2) الجامع لأحكام القرآن (44/19) بتصرف.

(3) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿أَخَذًا وَبِيلاً﴾

170- قال تعالى: ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾ [سورة

المزمل: 16].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: ﴿أَخْذًا وَبِيلاً﴾ أي: شديداً، وهو من

قولك: اسْتَوْبَلْتُ البلد؛ إذا اسْتَوَخَّمْتَهَا⁽¹⁾، ويقال: كَلَأْتُ مَسْتَوْبِلًا؛ أي: لا يُسْتَمْرَأُ⁽²⁾.

وقد وافق ابن قتيبة فيما ذكره في بيان معنى الآية، من المفسرين:

الطبري⁽³⁾، وابن أبي زمنين⁽⁴⁾، والسمعاني⁽⁵⁾،

(١) استوخمتها: قال ابن فارس: الواو والخاء والميم: كلمة واحدة هو الوخم؛ الوبيء من الشيء. واستوخمت البلاد، وبلاد وخمة ووخيمة: لا توافق ساكنها. معجم مقاييس اللغة (95/6). وفي لسان العرب لابن منظور (631/12): يقال: وخم الطعام إذا ثقل فلم يستمرأ؛ فهو وخيم، واستوخمت الطعام وتوخمته إذا استوبلته وبلدة وخمة ووخيمة إذا لم يوافق سكنها، وقد استوخمتها.

(٢) تفسير غريب القرآن ص (422).

(٣) جامع البيان 136/029.

(٤) تفسير القرآن العزيز (51/5).

(٥) تفسير القرآن (82/6).

والقرطبي⁽¹⁾، وابن عادل⁽²⁾، والبقاعي⁽³⁾،
والشوكانى⁽⁴⁾، والألوسى⁽⁵⁾.

قال الطبري: « فَأَخَذْنَهُ أَخْذًا وَبِيْلًا » يقول: فأخذناه أخذاً شديداً

فأهلكناه ومن معه جميعاً، وهو من قولهم: كلاً مستوبل إذا كان لا يستمرأ؛
وكذلك الطعام»⁽⁶⁾.

وفريق من المفسرين اكتفى في تفسير ﴿وَبِيْلًا﴾ أي: عذاباً شديداً؛ فهذا

قاله: السمرقندي⁽⁷⁾، والبغوي⁽⁸⁾، والنسفي⁽⁹⁾، والخازن⁽¹⁰⁾، وابن جزى⁽¹¹⁾،
جزى⁽¹¹⁾، وابن كثير⁽¹²⁾، والمحلي⁽¹³⁾، والسعدي⁽¹⁴⁾.

(١) الجامع لأحكام القرآن (48/19).

(٢) اللباب في علوم الكتاب (475/19).

(٣) نظم الدرر (213/8).

(٤) فتح القدير (319/5).

(٥) روح المعاني (108/29).

(٦) جامع البيان (136/29).

(٧) بحر العلوم (488/3).

(٨) معالم التنزيل (410/4).

(٩) مدارك التنزيل (292/4).

(١٠) لباب التأويل (169/7).

(١١) التسهيل لعلوم التنزيل (158/4).

(١٢) تفسير القرآن العظيم (439/4).

(١٣) تفسير الجلالين ص (0774).

(١٤) تيسير الكريم الرحمن ص (894).

ومنهم من فسّر ﴿وَبَيْلًا﴾ بأن: « ومنه طعام الوبيل وهو الذي لا تستمرئه المعدة »؛ فهذا قاله: أبو حيان⁽¹⁾، وأبو السعود⁽²⁾، وابن عاشور⁽³⁾.
 والقشيري⁽⁴⁾، والواحدي⁽⁵⁾ فسّرا ﴿وَبَيْلًا﴾ أي: ثقيلاً.
 والزمخشري فسّر ﴿وَبَيْلًا﴾ بقوله: « ثقيلاً غليظاً، من قولهم: كالأوبيل وخم لا يستمرأ لثقله »⁽⁶⁾، ومثله قال الفيضاي⁽⁷⁾.
 والذي يظهر - والله أعلم - أن الأمر كما قال الشوكاني: « المعنى متقارب »⁽⁸⁾، فعبارات المفسرين مترادفة، واختلافهم اختلاف تنوع لا تضاد، والله أعلم بالصواب.

(١) البحر المحيط (356/8).

(٢) إرشاد العقل السليم (81/3).

(٣) التحرير والتنوير (274/29).

(٤) لطائف الإشارات (361/3).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1146/2).

(٦) الكشاف (642/4).

(٧) أنوار التنزيل (407/5).

(٨) فتح القدير (319/5).

معنى: ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾

171- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾

وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ [سورة المدثر: 1-5].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: طهّر نفسك من

الذنوب، فكُنّي عنه بثيابه: لأنها تشتمل عليه.

قال ابن عيينة ⁽¹⁾: إلبسها وبدنك طاهر. (قال): وقال الحسن ⁽²⁾: يطيب

أحدهم ثوبه، وقد أصل ريحه. وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: أما سمعت قول الشاعر:

إني بحمد الله لا ثوب غادر لبست ولا من خزية أتقّع ⁽¹⁾

(١) سفيان بن عيينة الهلالي أبو محمد، ثقة حافظ فقيه، إمام حجة، كان عالماً ناقداً وزاهداً عابداً، توفي في رجب سنة ثمان وتسعين ومائة، وله إحدى وتسعون سنة. انظر: صفة الصفوة لأبي الفرج (237/2)، وتقريب التهذيب لابن حجر ص (245).

(٢) الحسن بن أبي الحسن البصري واسم أبيه يسار بالتحانية والمهمل، الأنصاري مولاهم، يكنى أبا سعيد، ثقة فقيه فاضل، ولد في خلافة عمر - رضي الله عنه - وحنكه بيده، وكانت أمه تخدم أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بما غابت أمه فتعطيه أم سلمة ثديها لتلله به إلى أن تجيء أمه فيدر عليه ثديها فيشر به، فكانوا يقولون فصاحته من بركة ذلك، توفي سنة عشر ومائة، وقد قارب التسعين.

انظر: صفة الصفوة لأبي الفرج (233/3)، وتقريب التهذيب لابن حجر ص (1227).

وقال بعضهم: ثيابك فقصر، فإن تقصير الثياب طهر لها⁽²⁾.

القول الذي ذهب إليه ابن قتيبة، مبني على أن المراد بالثياب النفس، والمراد بالتطهير، يعني تطهيرها من الذنوب، وهذا هو أحد المحاني الواردة عن المفسرين، فإن الماوردي قال: إن « قوله تعالى: ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ فيه خمسة أقاويل: أحدها: أن المراد بالثياب: العمل، الثاني: القلب، الثالث: النفس، الرابع: النساء والزوجات، الخامس: الثياب الملبوسات على الظاهر⁽³⁾.

وابن الجوزي ذكر أن فيها « ثمانية أقوال:

أحدها: لا تلبسها على معصية ولا على غدر⁽⁴⁾.

الثاني: لا تكن ثيابك من مكسب غير طاهر⁽⁵⁾.

الثالث: طهر نفسك من الذنب⁽⁶⁾.

الرابع: وعملك فأصلح⁽¹⁾.

(١) الصحابي غيلان بن سلمة بن معين الثقفي، أسلم بعد فتح الطائف، وقد روى عنه ابن عباس شيئاً من شعره، وفد على كسرى وله معه خبر طريف. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (189/3)، وأما البيت المذكور فكثير من المفسرين نسبوه له، موردين الرواية الواردة عن ابن عباس - رضي الله عنهما-، ولم يذكره أحد ممن ترجم له، ووجدت البيت في كتاب الأغاني للأصبهاني (250/16) في قصيدة نسبها إلى (برذع بن عدي).

(٢) تفسير غريب القرآن ص(423).

(٣) النكت والعيون (135/6).

(٤) حكى هذا المعنى عن عكرمة عن ابن عباس.

(٥) حكاه عن ابن عباس أيضاً.

(٦) حكاه عن مجاهد وقتادة.

الخامس: خلقتك فحسن⁽²⁾.

السادس: وثيابك فقصر⁽³⁾.

السابع: قلبك فطهر⁽⁴⁾.

الثامن: اغسل ثيابك بالماء ونقها⁽⁵⁾ «⁽⁶⁾.

وتبع ابن الجوزي على التقسيم الذي ذكره كل من القرطبي⁽⁷⁾،

والشوكاني⁽⁸⁾.

ولكن الفخر الرازي رتب الأقوال المذكورة على أربعة أوجه، فقال: «اعلم

أن تفسير هذه الآية يقع على أربعة أوجه:

أحدها: أن يترك لفظ الثياب والتطهير على ظاهره.

والثاني: أن يترك لفظ الثياب على حقيقته، ويحمل لفظ التطهير على مجازه.

والثالث: أن يحمل لفظ الثياب على مجازه، ويترك لفظ التطهير على حقيقته.

والرابع: أن يحمل اللفظان على المجاز.

(١) حكاة عن الضحاك.

(٢) حكاة عن الحسن والقرظي.

(٣) حكاة عن طاووس.

(٤) حكاة عن سعيد بن جبير.

(٥) حكاة عن ابن سيرين وابن زيد.

(٦) زاد المسير (400/8) بتصرف.

(٧) الجامع لأحكام القرآن (62/19).

(٨) فتح القدير (324/5).

أما الاحتمال الأول: وهو أن يترك لفظ الثياب، ولفظ التطهير على حقيقته، فهو أن تقول: المراد منه أنه عليه الصلاة والسلام؛ أمر بتطهير ثيابه من الأنجاس والأقذار.

الاحتمال الثاني: أن يبقى لفظ الثياب على حقيقته، ويجعل لفظ التطهير على مجازه؛ فهنا قولان: الأول: أن المراد من قوله ﴿فَطَهَّرَ﴾ أي: فقصر الثاني: ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهَّرَ﴾ أي: ينبغي أن تكون الثياب التي تلبسها مطهرة عن أن تكون مغصوبة أو محرمة، بل تكون مكتسبة من وجه حلال.

الاحتمال الثالث: أن يحمل لفظ الثياب على مجازه، ويبقى لفظ التطهير على حقيقته؛ وذلك لأن العرب ما كانوا يتنظفون وقت الاستنجاء، فأمر عليه الصلاة والسلام بذلك التنظيف، ويجعل اللفظ كناية عن النفس.

الاحتمال الرابع: هو أن يحمل لفظ الثياب ولفظ التطهير على المجاز، وذكروا على هذا الاحتمال وجوهاً؛ الأول: وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة، أو: وخلقت فحسّن الثاني: ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهَّرَ﴾ أمر له ۞ بالاحتراز عن الآثام والأوزار»⁽¹⁾.

ونظام الدين النيسابوري⁽²⁾، والحازن⁽³⁾ تبعوا التقسيم الذي ذكره الفخر الفخر الرازي.

(١) التفسير الكبير (169/30) بتصرف.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (386/6).

(٣) لباب التأويل (173/7).

وجمع غفير من المفسرين يكتفون بإيراد عدد من الأقوال في تفسير الآية دون محاولة لترتيب أو تقسيم معين، على اعتبار أن كل وجه محتمل للآية، منهم:
 الطبري⁽¹⁾، والسمرقندي⁽²⁾، وابن أبي زنين⁽³⁾، والقشيري⁽⁴⁾، والسمعاني⁽⁵⁾،
 والبغوي⁽⁶⁾، والزمخشري⁽⁷⁾، وابن عطية⁽⁸⁾، والبيضاوي⁽⁹⁾، والنسفي⁽¹⁰⁾،
 وابن جزري⁽¹¹⁾، وأبو حيان⁽¹²⁾، وابن كثير⁽¹³⁾، وابن عادل⁽¹⁴⁾،
 والألوسي⁽¹⁵⁾، وابن عاشور⁽¹⁶⁾.

(١) جامع البيان (144/29).

(٢) بحر العلوم (491/3).

(٣) تفسير القرآن العزيز (54/5).

(٤) لطائف الإشارات (364/3).

(٥) تفسير القرآن (89/6).

(٦) معالم التنزيل (413/4).

(٧) الكشف (647/4).

(٨) المحرر الوجيز (392/5).

(٩) أنوار التنزيل (411/5).

(١٠) مدارك التنزيل (294/4).

(١١) التسهيل لعلوم التنزيل (160/4).

(١٢) البحر المحيط (362/8).

(١٣) تفسير القرآن العظيم (441/4).

(١٤) اللباب في علوم الكتاب (494/19).

(١٥) روح المعاني (117/29).

(١٦) التحرير والتنوير (296/29).

إلا أن منهم من أشار صراحة إلى أن القول بأن: ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهَّرَ﴾ يراد بها: أي طهّر نفسك من الذنوب، فكفى عن النفس بالثياب؛ هو: «قول عليه أكثر السلف»⁽¹⁾، و «قال كثير من المفسرين»⁽²⁾، وقاله «الجمهور»⁽³⁾. وأضعف الأقوال المذكورة؛ القول بأنه يراد بالثياب «النساء»، فقد قال عنه: الفخر الرازي⁽⁴⁾، وابن عادل⁽⁵⁾، والألوسي⁽⁶⁾، إنه «بعيد، لأنه على هذا هذا الوجه لا يحسن اتصال الآية بما قبلها»⁽⁷⁾. وباسـتثناء القول أن يراد بالثياب: النساء، فإن بقية الأقوال الأخرى تصلح، و «ليس بممتنع أن تحمل الآية على العموم». قال ذلك: ابن عطية⁽⁸⁾، والقرطبي⁽⁹⁾، وابن عاشور⁽¹⁰⁾.

(١) انظر: جامع البيان للطبري (144/29).

(٢) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (28/4) عند تفسير سورة المائدة، وأحكام القرآن لابن العربي (340/4)، والتفسير الكبير للرازي (169/30).

(٣) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (392/5)، والبحر المحيط لأبي حيان (362/8)، وروح المعاني للألوسي (117/29).

(٤) التفسير الكبير (169/30).

(٥) اللباب في علوم الكتاب (494/19).

(٦) وروح المعاني (117/29).

(٧) انظر: التفسير الكبير للرازي (169/30).

(٨) المحرر الوجيز (392/5).

(٩) الجامع لأحكام القرآن (62/19).

(١٠) التحرير والتنوير (296/29).

وما أحسن ما قاله السعدي في ربطه بين المعنى المجازي للثياب والمعنى

الحقيقي، بقوله: « **﴿وَيَأْبَأُكَ فَطَهَّرَ﴾** »، يحتمل أن المراد بالثياب، أعماله كلها،

وبتطهيرها تخليصها والنصح بها، وإيقاعها على أكمل الوجوه، وتنقيتها عن
المبطلات والمفسدات، والمنقصات من شر ورياء، ونفاق، وعجب وتكبر وغفلة،
وغير ذلك مما يؤمر العبد باجتنابه في عبادته، ويدخل في ذلك تطهير الثياب من
النجاسة، فإن ذلك من تمام التطهير للأعمال خصوصاً الصلاة، التي قال كثير من
العلماء: إن إزالة النجاسة عنها؛ شرط من شروطها، أي من شروط صحتها،
ويحتمل أن المراد بثيابه، الثياب المعروفة، وأنه مأمور بتطهيرها عن جميع النجاسات،
في جميع الأوقات، خصوصاً عند الدخول في الصلوات، وإذا كان مأموراً بطهارة
الظاهر، فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن⁽¹⁾، والله أعلم بالصواب.

(1) تيسير الكريم الرحمن ص(895).

معنى: ﴿نُسَوِيَ بَنَانَهُ﴾

172- قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُجْمَعَ عِظَامُهُ﴾ ﴿٢﴾ بِلَى قَدْرَيْنَ عَلَى أَنْ تُسَوِيَ بَنَانَهُ،

﴿٤﴾ [سورة القيامة: 3-4].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « هذا ردّ من الله تعالى عليهم، وذلك أنهم ظنوا أن الله تعالى لا ينشر الموتى، ولا يقدر على جمع العظام البالية، فقال: بلى، فاعلموا أنّا نقدر على ردّ السلاميات⁽¹⁾ على صغرها، ونؤلف بينها حتى يستوي البنان، ومن قدر على هذا فهو على جمع كبار العظام أقدر⁽²⁾. »

الذي ذكره ابن قتيبة في بيان معنى الآية، قال ورجّحه تفسيراً للآية من المفسرين: ابن عطية⁽³⁾، والفخر الرازي⁽⁴⁾، والقرطبي⁽⁵⁾، والبيضاوي⁽⁶⁾،

(١) السلامى عظام صغار على طول الإصبع أو قريب منها في كل يد ورجل أربع سلاميات أو ثلاث . انظر: لسان العرب (298/12).

(٢) تأويل مشكل القرآن ص(204).

(٣) المحرر الوجهي (402/5).

(٤) التفسير الكبير (192/30).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (94/19).

(٦) أنوار التنزيل (420/5).

والنسفي⁽¹⁾، والحازن⁽²⁾، وابن جزري⁽³⁾، وأبو حيان⁽⁴⁾، وابن كثير⁽⁵⁾،
 والمحلي⁽⁶⁾، وابن عادل⁽⁷⁾، والشوكاني⁽⁸⁾، والألوسي⁽⁹⁾، والسعدي⁽¹⁰⁾.
 أما القول الآخر المروي عن ابن عباس⁽¹¹⁾ - رضي الله عنهما -، ومقاتل⁽¹²⁾
 « **نُسْوَى بِنَانَهُ** » وهي أصابع يديه ورجليه فنجعلها شيئاً واحداً
 كخف البعير أو حافر الحمار، فلا يأخذ ما يأكل إلا بفيه كسائر البهائم، ولكنه
 فرق أصابع يديه يأخذ بها ويتناول ويقبض إذا شاء وييسط، فحسن خلقه⁽¹³⁾.
 هذا القول حكى عنه عدد من المفسرين أنه « قول مشهور في التفاسير »⁽¹⁴⁾،

(١) مدارك التنزيل (299/4).

(٢) لباب التأويل (183/7).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (164/4).

(٤) البحر المحيط (376/8).

(٥) تفسير القرآن العظيم (449/4).

(٦) تفسير الجلالين ص (779).

(٧) اللباب في علوم الكتاب (547/19).

(٨) فتح القدير (336/5).

(٩) روح المعاني (137/29).

(١٠) تيسير الكريم الرحمن ص (898).

(١١) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص (493).

(١٢) تفسير مقاتل (421/3).

(١٣) هذه عبارة الطبري في جامع البيان (175/29).

(١٤) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (102/6).

وأنه « قول أكثر المفسرين »⁽¹⁾، أو « قول جمهور المفسرين »⁽²⁾، أو « قول عامة المفسرين »⁽³⁾، أو إنه قول « كل المفسرين »⁽⁴⁾.

ولكن مع ذلك من حكى هذا الكلام من المفسرين يكون: إما قد أورد القولين معاً، وحكى ما حكى من كلام عن المفسرين، ثم يشير إلى أن القول الأول -وهو قول ابن قتيبة وموافقيه- وأن المراد بـ ﴿تُسَوَّى بِنَانِهِ﴾ أي: « نقدر على ردّ السلاميات على صغرها، ونؤلف بينها حتى يستوي البنيان، ومن قدر على هذا فهو على جمع كبار العظام أقدر » أنه هو:

« الأخرى مع رصف الكلام » كما قال ذلك ابن عطية⁽⁵⁾.

ووصفه الفخر الرازي بأنه « الأقرب إلى الصواب »⁽⁶⁾، وكذا قال

الخازن⁽⁷⁾.

(١) انظر: معالم التنزيل للبغوي (421/4).

(٢) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (403/5)، والبحر المحيط لأبي حيان (376/8)، وفتح القدير للشوكاني (336/5)، وروح المعاني للآلوسي (137/29).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (94/19)، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل (547/19).

(٤) انظر: تنمة أضواء البيان لعطية سالم (372/8).

(٥) المحرر الوجيز (402/5).

(٦) التفسير الكبير (192/30).

(٧) لباب التأويل (183/7).

وقال القرطبي: إنه « أشبه بمساق الآية »⁽¹⁾، ومثله قال ابن عادل⁽²⁾.

ووصفه أبو حيان بأنه: « الظاهر، والمقصود من رصف الكلام »⁽³⁾.

وابن كثير قال: إنه « الظاهر »⁽⁴⁾.

والشوكاني قال: إنه « الأولى »⁽⁵⁾.

وقال الألوسي عنه: « لعله الأوفق بالمقام »⁽⁶⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - أن الأرجح حمل معنى الآية على ما قاله ابن قتيبة وموافقوه؛ لأمرين مهمين مترابطين:

الأول: دلالة السياق واللحاق، فإن سياق آيات سورة القيامة من أولها حول يوم القيامة، وإنكار المنكرين للبعث، وإثبات قدرة الله تعالى على إعادة خلق العظام الصغيرة من الإنسان فضلاً عن الكبيرة. وقاعدة: « إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى به من الخروج عنه »⁽⁷⁾ تؤيد ذلك.

الثاني: وهو مبني على الأول؛ أنه قد دلت الآية التي في أواخر سورة يس

على إنكار الكفار واستبعادهم للبعث، وهي قوله تعالى ﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ

(١) الجامع لأحكام القرآن (94/19).

(٢) اللباب في علوم الكتاب (547/19).

(٣) البحر المحيط (376/8).

(٤) تفسير القرآن العظيم (449/4).

(٥) وفتح القدير (336/5).

(٦) روح المعاني (137/29).

(٧) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (125/1) وقواعد التفسير لخالد السبت

(249/1).

رَمِيمٌ ﴿سورة يس: 78﴾ ونفس المعنى هو الدائر في آيات سورة القيامة هنا،

فهذا من تفسير القرآن بالقرآن، الذي هو أفضل طرق التفسير وأحسنها⁽¹⁾.

قال السعدي: «ثم أخبر أن بعض المعاندين يكذبون بيوم القيامة، فقال:

﴿أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ بعد الموت، كما قال: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ

وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [سورة يس: 78]. فاستبعد من جهله وعدوانه، قدرة الله تعالى على

خلق عظامه التي هي عماد البدن، فردّ عليه بقوله ﴿بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ﴾،

أي: أطراف أصابعه وعظامه، وذلك مستلزم لخلق جمع أجزاء البدن، لأنه إذا

وجدت الأنامل والبنان، فقد تمت خلقة الجسد، وليس إنكاره لقدرة الله تعالى

قصوراً بالدليل الدال على ذلك، وإنما وقع ذلك منه، لأن إرادته وقصده التكذيب

بما أمامه من البعث⁽²⁾، والله أعلم بالصواب.

(1) انظر: شرح مقدمة التفسير لابن عمير ص (0127).

(2) تيسير الكريم الرحمن ص (898).

معنى: ﴿فَاقِرَةٌ﴾

173- قال تعالى: ﴿تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [سورة القيامة: 25].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « والـ ﴿فَاقِرَةٌ﴾: الداهية، يقال: إنها من (فقار الظهر) كأنها تكسره، تقول: فقرت الرجل؛ إذا كسرت فقاره. كما تقول: رأسته؛ إذا ضربت رأسه، وبطنته؛ إذا ضربت بطنه»⁽¹⁾.

وقد وافقه في المعنى المذكور من المفسرين: الطبري⁽²⁾، والسمرقندي⁽³⁾، وابن أبي زمنين⁽⁴⁾، والقشيري⁽⁵⁾، والواحدي⁽⁶⁾، والسمعاني⁽⁷⁾، والزخشي⁽⁸⁾، والبيضاوي⁽⁹⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(427).

(٢) جامع البيان (194/29).

(٣) بحر العلوم (501/3).

(٤) تفسير القرآن العزيز (65/5).

(٥) لطائف الإشارات (370/3).

(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1155/2).

(٧) تفسير القرآن (108/6).

(٨) الكشف (664/4).

(٩) أنوار التنزيل (423/5).

..... والنسفي⁽¹⁾،

وابن جزى⁽²⁾، وأبو حيان⁽³⁾، والمحلي⁽⁴⁾، وابن عادل⁽⁵⁾، والبقاعي⁽⁶⁾،
وأبو السعود⁽⁷⁾، والألوسي⁽⁸⁾، وابن عاشور⁽⁹⁾.

قال الطبري: « وَقَوْلُهُ ﴿تُظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: تعلم أنه

يفعل بها داهية، والفاقرة: الداهية»⁽¹⁰⁾.

وقال الزمخشري: « ﴿فَاقِرَةٌ﴾ داهية تقصم فقار الظهر، كما توقعت الوجوه

الناضرة أن يفعل بها كل خير»⁽¹¹⁾.

وقال أبو السعود: « ﴿تُظُنُّ﴾ يتوقع أرباها ﴿أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ داهية عظيمة

تقصم فقار الظهر»⁽¹⁾.

(١) مدارك التنزيل (301/4).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (165/4).

(٣) البحر المحيط (380/8).

(٤) تفسير الجلالين ص (780).

(٥) اللباب في علوم الكتاب (568/19).

(٦) نظم الدرر (253/8).

(٧) إرشاد العقل السليم (68/9).

(٨) روح المعاني (146/29).

(٩) التحرير والتنوير (356/29).

(١٠) جامع البيان (194/29).

(١١) الكشف (664/4).

وأورد الماوردي زيادة على ذلك عدداً من المعاني، فقال: «﴿تُظَنُّ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا﴾

فَاقْرَأُ﴾ فيه أربعة وجوه: أحدها: أن الفارقة الداهية⁽²⁾، الثاني: الشر⁽³⁾، الثالث:

الهلاك⁽⁴⁾، الرابع: دخول النار⁽⁵⁾»⁽⁶⁾.

ونفس الأقوال المذكورة ذكرها أيضاً تفسير للآية: البغوي⁽⁷⁾،

والقرطبي⁽⁸⁾، وابن كثير⁽⁹⁾، والشوكاني⁽¹⁰⁾.

والذي يظهر -والله أعلم- من خلال ما تم بيانه: أن الأمر كما قال

القرطبي: أن «المعنى متقارب»⁽¹¹⁾.

فكل الألفاظ فيها دلالة على العذاب الشديد الواقع يوم القيامة على

المعذبين، أعاذنا الله تعالى وعباده المؤمنين من عذاب جهنم.

(١) إرشاد العقل السليم (68/9).

(٢) حكاة عن مجاهد.

(٣) حكاة عن قتادة.

(٤) حكاة عن السدي.

(٥) حكاة عن ابن زيد.

(٦) النكت والعيون (157/6).

(٧) معالم التنزيل (424/4).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (110/19).

(٩) تفسير القرآن العظيم (451/4).

(١٠) فتح القدير (339/5).

(١١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (110/19).

فائدة:

والآيات مشتملة على وجه بلاغي؛ هو: الاحتباك، قال البقاعي: « فالآية من الاحتباك: ذكر النظر في الأولى دليل على ضده في الثانية، وذكر الفاقرة في الثانية دليل على ضدها في الأولى »⁽¹⁾.

والاحتباك عند أهل البلاغة: « هو أن يجتمع في الكلام متقابلان، ويحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه »⁽²⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) نظم الدرر (253/8).

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني ص(25).

معنى: ﴿أَمْشَاجٍ﴾

174- قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا

بَصِيرًا﴾ [سورة الإنسان: 2].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿أَمْشَاجٍ﴾ أخلاط، يقال: مشجته

فهو مشيج، يريد: اختلاط ماء الرجل بماء المرأة»⁽¹⁾.

فهذا المعنى الذي ذكره ابن قتيبة تفسيراً للآية قد رُوي عن مقاتل⁽²⁾، وقاله

الشافعي⁽³⁾ أيضاً قبل ابن قتيبة، وهو قول: الطبري⁽⁴⁾، والسمرقندي⁽⁵⁾، وابن

أبي زمين⁽⁶⁾، والواحدي⁽⁷⁾، والفخر الرازي⁽⁸⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(429).

(٢) تفسير مقاتل (426/3).

(٣) أحكام القرآن (188/2).

(٤) جامع البيان (203/29).

(٥) بحر العلوم (503/3).

(٦) تفسير القرآن العزيز (69/5).

(٧) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1157/2).

(٨) التفسير الكبير (209/30).

..... والنسفي⁽¹⁾، ونظام الدين النيسابوري⁽²⁾،
النيسابوري⁽²⁾، وأبي حيان⁽³⁾، وابن كثير⁽⁴⁾، والمحلي⁽⁵⁾، والبقاعي⁽⁶⁾،
والألوسي⁽⁷⁾، وابن عاشور⁽⁸⁾.

قال الطبري: « وأشبه الأقوال بالصواب قول من قال معنى ذلك ﴿ مِنْ

نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ نطفة الرجل ونطفة المرأة؛ لأن الله تعالى وصف النطفة بأنها
أمشاج، وهي إذا انتقلت فصارت علقة فقد استحالت عن معنى النطفة فكيف
تكون نطفة أمشاجاً وهي علقة»⁽⁹⁾.

وقال السمرقندي: « ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ يعني: مختلطاً ماء الرجل وماء

المرأة، لا يكون الولد إلا منهما جميعاً»⁽¹⁰⁾.

(١) مدارك التنزيل (302/4).

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (417/6).

(٣) البحر المحيط (383/8).

(٤) تفسير القرآن العظيم (454/4).

(٥) تفسير الجلالين ص (781).

(٦) نظم الدرر (261/8).

(٧) روح المعاني (152/29).

(٨) التحرير والتنوير (373/29).

(٩) جامع البيان (203/29).

(١٠) بحر العلوم (503/3).

وقال ابن كثير: « **إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ** » أي: أخلاط، والمشج والمشيج الشيء المختلط بفضه في بعض، فالأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة⁽¹⁾.

وذكر الماوردي أقوالاً أخرى إضافة إلى ما ذكره ابن قتيبة، فقال: « وفي الأمشاج أربعة أقاويل: أحدها: أنه الأخلاط، وهو أن يختلط ماء الرجل بماء المرأة⁽²⁾. الثاني أن الأمشاج الألوان، فنطفة الرجل بيضاء وحمراء، ونطفة المرأة خضراء وصفراء⁽³⁾. الثالث: أن الأمشاج الأطوار، وهو أن الخلق يكون طوراً نطفة، وطوراً علقة، وطوراً مضغة، ثم طوراً عظيماً، ثم يكسى العظم لحماً⁽⁴⁾. الرابع: أن الأمشاج العروق التي تكون في النطفة⁽⁵⁾ »⁽⁶⁾.

وسلك عدد من المفسرين نفس الطريقة في إيراد الأقوال معاً - كلها أو بعضها - دون ترجيح أحدها معنى للآية، منهم: والقشيري⁽⁷⁾، والسمعاني⁽⁸⁾، والبغوي⁽⁹⁾، والزمخشري⁽¹⁾،

(١) تفسير القرآن العظيم (4/454) بتصرف.

(٢) حكاة عن الحسن وعكرمة.

(٣) حكاة عن ابن عباس ومجاهد.

(٤) حكاة عن قتادة.

(٥) حكاة عن ابن مسعود.

(٦) النكت والعيون (6/162) بتصرف.

(٧) لطائف الإشارات (3/373).

(٨) تفسير القرآن (6/112).

(٩) معالم التنزيل (4/426).

..... وابن عطية⁽²⁾، والقرطبي⁽³⁾،
والبيضاوي⁽⁴⁾، والخازن⁽⁵⁾، وابن جزري⁽⁶⁾، وابن عادل⁽⁷⁾، وأبو السعود⁽⁸⁾،
والشوكانى⁽⁹⁾.

قال القشيري: «**﴿أَمْشَاجٌ﴾** أخلاط من بين الرجل والمرأة، ويقال: طَوَّرًا

نطفة، وطورًا علقة، وطورًا عَظْمًا، وطورًا لحمًا»⁽¹⁰⁾.

وقال ابن جزري: «**﴿مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾** أي: أخلاط، واختلف في معنى

الأخلاط هنا؛ ف قيل: اختلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء، وقيل: اختلاط ماء
الرجل والمرأة، وقيل: معناه ألوان وأطوار أي يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة»⁽¹¹⁾.

(١) الكشاف (666/4).

(٢) المحرر الوجيز (408/5).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (120/19).

(٤) أنوار التنزيل (425/5).

(٥) لباب التأويل (417/6).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (166/4).

(٧) الباب في علوم الكتاب (7/20).

(٨) إرشاد العقل السليم (70/9).

(٩) فتح القدير (344/5).

(١٠) لطائف الإشارات (373/3).

(١١) التسهيل لعلوم التنزيل (166/4) بتصرف.

وقد ردّ الإمام الطبري قول من قال إن المراد بالأمشاج: الأطوار، حيث قال: « وهي [أي النطفة] إذا انتقلت فصارت علقة فقد استحالت عن معنى النطفة فكيف تكون نطفة أمشاجاً وهي علقة »⁽¹⁾.

ونفس المعنى أكّده الفخر الرازي مع الإشارة إلى الراجح، فقال: « الأولى هو أن المراد اختلاط نطفة الرجل والمرأة، لأن الله تعالى وصف النطفة بأنها أمشاج، وهي إذا صارت علقة فلم يبق فيها وصف أنها نطفة »⁽²⁾.

وأما الأقوال الأخرى فإنها محتملة على « المعنى المختار لدى كثير من أهل اللغة »⁽³⁾ في تعريف الأمشاج: « وأنها الأخلاط »⁽⁴⁾، فطالما أنها محمولة « على على المعروف من لغة العرب »⁽⁵⁾، وكلها « محتملة لمعنى الآية »⁽⁶⁾، فيصح حملها عليها، والله أعلم بالصواب.

(١) جامع البيان (203/29).

(٢) التفسير الكبير (209/30).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (120/19).

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور (367/2)، ومختار الصحاح للرازي ص (261).

(٥) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).

(٦) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿مُسْتَطِيرًا﴾

175- قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالَّذَرِّ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [سورة الإنسان

.[7]

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ أي: فاشياً منتشراً،

يقال: استطار الحريق؛ إذا انتشر، واستطار الفجر: إذا انتشر الضوء»⁽¹⁾.

كل المفسرين إلا قليلاً على المعنى الذي ذكره ابن قتيبة، وأن معنى

﴿مُسْتَطِيرًا﴾ أي: فاشياً منتشراً، فقد روي هذا عن ابن عباس⁽²⁾ - رضي الله

عنهما -، ومقاتل⁽³⁾، وقاله: الطبري⁽⁴⁾، والسمرقندي⁽⁵⁾، والواحدي⁽⁶⁾،

والبغوي⁽⁷⁾،

.....

(١) تفسير غريب القرآن ص(429).

(٢) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(495).

(٣) تفسير مقاتل (427/3).

(٤) جامع البيان (209/29).

(٥) بحر العلوم (504/3).

(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1158/2).

(٧) معالم التنزيل (428/4).

والزحشري⁽¹⁾، وابن عطية⁽²⁾، والبيضاوي⁽³⁾، والنسفي⁽⁴⁾، ونظام الدين
النيسابوري⁽⁵⁾، والخازن⁽⁶⁾، وابن جزى⁽⁷⁾، وأبو حيان⁽⁸⁾، وابن كثير⁽⁹⁾،
كثير⁽⁹⁾، والمحلي⁽¹⁰⁾، وابن عادل⁽¹¹⁾، والبقاعي⁽¹²⁾، وأبو السعود⁽¹³⁾،
والشوكانى⁽¹⁴⁾، والألوسى⁽¹⁵⁾، والسعدى⁽¹⁶⁾، وابن عاشور⁽¹⁷⁾.

(١) الكشاف (668/4).

(٢) المحرر الوجيز (410/5).

(٣) أنوار التنزيل (427/5).

(٤) مدارك التنزيل (303/4).

(٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (412/6).

(٦) لباب التأويل (191/7).

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (167/4).

(٨) البحر المحظ (384/8).

(٩) تفسير القرآن العظيم (455/4).

(١٠) تفسير الجلالين ص (782).

(١١) اللباب في علوم الكتاب (21/20).

(١٢) نظم الدرر (267/8).

(١٣) إرشاد العقل السليم (72/9).

(١٤) فتح القدر (347/5).

(١٥) روح المعاني (155/29).

(١٦) تيسير الكريم الرحمن ص (901).

(١٧) التحرير والتنوير (383/29).

وقيل في معنى ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ أقوال آخر، فقال ابن أبي زمنين: «﴿مُسْتَطِيرًا﴾ أي: قاسياً»⁽¹⁾.

وحكى الماوردي معنى ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ وقال: إن فيها وجهان: «أحدهما:

فاشياً⁽²⁾ [يعني نفس المعنى الذي ذكره ابن قتيبة]، الثاني: ممتداً⁽³⁾»⁽⁴⁾.

وقد جمع القشيري عند تفسير لآية، المعاني الثلاثة كلها، فقال: «﴿وَيَخَافُونَ

يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾: فاشياً، منتشرأ، ممتداً»⁽⁵⁾.

وحكى الأقوال أيضاً كله أو بعضها دون ترجيح بينها: السمعاني⁽⁶⁾،

والفخر الرازي⁽⁷⁾، والقرطبي⁽⁸⁾.

فالظاهر -والله أعلم- حمل الآية على المعنى الذي ذكره ابن قتيبة وموافقوه،

وأن ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ تعني: فاشياً منتشرأ؛ وذلك لكونه: أولاً: قول جمهور المفسرين،

(1) تفسير القرآن العزيز (70/5).

(2) حكاه عن ابن عباس والأخفش.

(3) حكاه عن الفراء.

(4) النكت والعيون (166/6).

(5) لطائف الإشارات (375/3).

(6) تفسير القرآن (115/6).

(7) التفسير الكبير (669/30).

(8) الجامع لأحكام القرآن (128/19).

و « قول الجمهور مقدم على غيره »⁽¹⁾، حسب ما هو مقرر في قواعد الترجيح عند المفسرين.

وثانياً: أنه الوجه الأصح من ناحية اللغة، فقد قال أهل اللغة: « واستطار الغبار إذا انتشر في الهواء، وصبح مستطير: ساطع منتشر، واستطار الفجر وغيره إذا انتشر في الأفق ضوءه فهو مستطير »⁽²⁾، ومعلوم أن « حمل كلام الله تعالى على المعروف من لغة العرب »⁽³⁾ قاعدة معتبرة عند أهل الفن.
وإن كان لا يمنع إرادة المعاني الأخرى، بأن أهوال يوم القيامة ممتدة وقاسية، ولكن الأصح هو ما سبق ذكره، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (288/1).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (513/4).

(٣) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2)، وقواعد التفسير لخالد السبت (215/1).

معنى: ﴿أَقْنَتْ﴾

176- قال تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْنَتْ﴾ [سورة المرسلات: 11].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْنَتْ﴾ جُمِعَتْ لوقت،

وهو: يوم القيامة»⁽¹⁾.

تفسير هذه الآية بأنه يراد بها أن الرسل صلوات ربي وسلامه عليهم جُعِلَ لها

وقت للاجتماع لفصل القضاء، وهو يوم القيامة؛ هذا المعنى هو ما أجمع عليه

جمهور المفسرين، وعلى رأسهم إمامهم الصحابي الجليل عبدالله بن عباس - رضي

الله عنهما - حيث روي عنه أنه فسّر: « ﴿أَقْنَتْ﴾ يعني: جُمِعَتْ»⁽²⁾، ورُوي

كذلك عن مقاتل⁽³⁾، وقاله: الطبري⁽⁴⁾، والقشيري⁽⁵⁾، والواحدي⁽⁶⁾،

والسمعاني⁽⁷⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(431).

(٢) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(497).

(٣) تفسير مقاتل (435/3).

(٤) جامع البيان (233/29).

(٥) لطائف الإشارات (381/3).

(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1162/2).

(٧) تفسير القرآن (127/6).

والبغوي⁽¹⁾، والزمخشري⁽²⁾، وابن عطية⁽³⁾، والفخر الرازي⁽⁴⁾، والقرطبي⁽⁵⁾،
والقرطبي⁽⁵⁾، والبيضاوي⁽⁶⁾، والنسفي⁽⁷⁾، والخازن⁽⁸⁾، وابن جزى⁽⁹⁾،
وأبو حيان⁽¹⁰⁾، والمحلي⁽¹¹⁾، والثعالبي⁽¹²⁾، والبقاعي⁽¹³⁾، وأبو السعود⁽¹⁴⁾،
والشوكانى⁽¹⁵⁾، والألوسى⁽¹⁶⁾.

قال الواحدى: « **وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْنَتِ** » جمعت لوقت وهو يوم القيامة

«⁽¹⁷⁾.

-
- (١) معالم التنزيل (4/433).
(٢) الكشاف (4/679).
(٣) المحرر الوجيز (5/418).
(٤) التفسير الكبير (30/237).
(٥) الجامع لأحكام القرآن (19/157).
(٦) أنوار التنزيل (5/433).
(٧) مدارك التنزيل (4/307).
(٨) لباب التأويل (7/196).
(٩) التسهيل لعلوم التنزيل (4/171).
(١٠) البحر المحيط (8/396).
(١١) تفسير الجلالين ص (784).
(١٢) الجواهر الحسان (4/377).
(١٣) نظم الدرر (8/284).
(١٤) إرشاد العقل السليم (9/78).
(١٥) فتح القدير (5/357).
(١٦) روح المعاني (29/172).
(١٧) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/1162).

وقال الخازن: « **وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِنَّتْ** » وقرئ وقت بالواو ومعناها واحد،

أي: جمعت لميقات يوم معلوم، وهو يوم القيامة ليشهدوا على الأمم⁽¹⁾.

وقال البقاعي: « **وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِنَّتْ** » أي: بلغها الذي لا قدير سواه؛ بأيسر

أمر ميقاتها الذي كانت تنتظره، وهو وقت قطع الأسباب، وإيقاع الرحمة والثواب للأحباب، وللأعداء النعمة والعقاب، بشهادتهم بعد جمعهم على الأمم بما كان من الجواب⁽²⁾.

وحكي في معنى الآية أقوال أخرى، فأورد السمرقندي قولين آخرين؛

إضافة إلى قول الجمهور، فذكر الثلاثة كلها، فقال: « **وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِنَّتْ** » يعني:

جُمعت⁽³⁾، وقيل: **أُقِنَّتْ** أي: أوعدت⁽⁴⁾، وقيل: أجلت⁽⁵⁾ »⁽⁶⁾.

ومثله قال الماوردي⁽⁷⁾، وابن كثير⁽⁸⁾.

(١) لباب التأويل (196/7).

(٢) نظم الدرر (284/8).

(٣) وهو قول ابن عباس كما سبقت الإشارة إليه.

(٤) حكاه عن إبراهيم النخعي.

(٥) حكاه عن مجاهد.

(٦) بحر العلوم (510/3) بتصرف.

(٧) النكت والعيون (177/6).

(٨) تفسير القرآن العظيم (460/4).

والذي يظهر - والله أعلم - إجماعهم على المعنى الأول، والذي قد دلت عليه آية أخرى من كتاب الله تعالى؛ هي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: 109]، فهذا من تفسير القرآن بالقرآن الذي هو أفضل أنواع التفسير وأحسنها⁽¹⁾، وقد أجمعوا عليه، وإجماع «الجمهور على المعنى»⁽²⁾ دليل دليل رجحانه، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص (127).

(٢) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (1/288).

معنى: ﴿كِفَاتًا﴾

177- قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾﴾ [سورة

المرسلات: 25-26].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ أي: تضمكم

فيها، والكفّت: الضم، يقال: أكفتُ إليك كذا؛ أي أضمتُ إليك. وكانوا يسمّون بقيق الغرقد (كفّنةً) لأنها مقبرة تضمُّ الموتى»⁽¹⁾.

جمهور المفسرين أوردوا نفس المعنى الذي ذكره ابن قتيبة، فقد روي عن ابن

عباس⁽²⁾ - رضي الله عنهما -، ومقاتل⁽³⁾، وقاله: الطبري⁽⁴⁾، وابن أبي

زمنين⁽⁵⁾، والقشيري⁽⁶⁾، والواحدي⁽⁷⁾، والبغوي⁽⁸⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(432).

(٢) انظر: تروير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(497).

(٣) تفسير مقاتل (437/3).

(٤) جامع البيان (236/29).

(٥) تفسير القرآن العزيز (79/5).

(٦) لطائف الإشارات (381/3).

(٧) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1163/2).

(٨) معالم التنزيل (434/4).

..... والزمخشري⁽¹⁾، والفخر الرازي⁽²⁾،
والقرطبي⁽³⁾، والبيضاوي⁽⁴⁾، والنسفي⁽⁵⁾، والخازن⁽⁶⁾، وابن جزى⁽⁷⁾،
والمحلي⁽⁸⁾، والثعالبي⁽⁹⁾، وابن عادل⁽¹⁰⁾، والبقاعي⁽¹¹⁾، وأبو السعود⁽¹²⁾،
والسعدي⁽¹³⁾، وابن عاشور⁽¹⁴⁾.

يقول الطبري: « وإنما معنى الكلام ألم نجعل الأرض كفات أحياءكم
وأمواتكم، تكفت أحياءكم في المساكن والمنازل فتضمهم فيها وتجمعهم، وأمواتكم
في بطونها في القبور فيدفنون فيها »⁽¹⁵⁾.

-
- (١) الكشاف (680/4).
(٢) التفسير الكبير (240/30).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (161/19).
(٤) أنوار التنزيل (434/5).
(٥) مدارك التنزيل (308/4).
(٦) لباب التأويل (197/7).
(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (171/4).
(٨) تفسير الجلالين ص (785).
(٩) الجواهر الحسان (378/4).
(١٠) اللباب في علوم الكتاب (75/20).
(١١) نظم الدرر (286/8).
(١٢) إرشاد العقل السليم (80/9).
(١٣) تيسير الكريم الرحمن ص (904).
(١٤) التحرير والتنوير (432/29).
(١٥) جامع البيان (236/29).

وقال البغوي: « **﴿الْمَنْجَعِلِ الْأَرْضِ كِفَاتًا﴾** وعاء ومعنى الكفت الضم

والجمع، يقال: كفت الشيء إذا ضمه وجمعه»⁽¹⁾.

وقال الخازن: « يعني تكفتهم أحياء على ظهرها بمعنى تضمهم في دورهم

ومنازلهم، وتكفتهم أمواتاً في بطونها في قبورهم»⁽²⁾.

وفسرها بعض المفسرين بأقوال أخرى إضافة إلى قول الجمهور، فمثلاً قال

السمرقندي: « **﴿الْمَنْجَعِلِ الْأَرْضِ كِفَاتًا﴾** يعني: أوعية للخلق، ويقال موضع القرار،

ويقال بتوتاً ومنزلاً **﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾** يعني: ظهرها منازل الأحياء وبتونها منازل

الأموات، ويقال: يعني ويضمكم فيها، والكفت الضم»⁽³⁾.

وقال السمعاني: « **﴿الْمَنْجَعِلِ الْأَرْضِ كِفَاتًا﴾** أي: كفتاً، وقيل مجمعاً،

فالكفت هو الضم، ومعنى الكفات هاهنا: هو أن الأرض تضم الخلق أحياء وأمواتاً،

فالضم في حال الحياة هو باكتنائهم واستقرارهم على ظهرها، وبعد الممات باكتنائهم

في بطنها وهو القبور، وكان بقيع الغرقد يسمى الكفتة وعن الخليل بن أحمد⁽⁴⁾:

أن الكفت هو القلب، وقوله **﴿كِفَاتًا﴾** أي: متلقباً»⁽⁵⁾.

(1) معالم التنزيل (434/4).

(2) لباب التاويل (197/7).

(3) بحر العلوم (511/3).

(4) انظر: العين للفراهيدي (341/5).

(5) تفسير القرآن (129/6).

وإن كان أهل اللغة قد أجمعوا في بيان معنى الكفت أنه الضم، فقال في لسان العرب: « وكفت الشيء يكفته، وكفته: ضمّه وقبضه، ويقال: كفته الله، أي قبضه الله »⁽¹⁾.

وفي مختار الصحاح: « ك ف ت كفته ضمّه إليه، وبابه ضرب، والكفات: الموضع الذي يكفت فيه الشيء؛ أي يضم »⁽²⁾.

والذي حكاه السمعاني عن الخليل بن أحمد: أن الكفت هو التقلب، فهذا المعنى لا يصح هنا؛ بدلالة السياق، فقد قال تعالى: ﴿أَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتٌ﴾ فإن صح ذكر التقلب للأحياء، بأن المراد يتقلبون في أنحاء الأرض، فلا يصح هذا المعنى مع ذكر الأموات، وبناء على القاعدة الترجيحية: « إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى به من الخروج عن ذلك »⁽³⁾. فصح ما ذهب إليه الجمهور في بيان معنى الآية، كما أن إجماعهم قاعدة ترجيحية⁽⁴⁾ معتبرة يصار إليها في الترجيح بين الأقوال، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (79/2).

(٢) انظر: مختار الصحاح للرازي ص(239).

(٣) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (125/1).

(٤) المرجع السابق (288/1).

معنى: ﴿المُعْصِرَاتِ﴾

178- قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ [سورة النبأ: 14].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ يعني:

السحاب، يقال: شبهت بمعاصر الجواري، والمعْصِر: الجارية التي دنت من الحيض»⁽¹⁾.

والذي قاله ابن قتيبة من أن المعصرات يراد بها السحاب؛ قد ذهب إليه أيضاً من المفسرين: الطبري⁽²⁾، والواحدي⁽³⁾، وابن عطية⁽⁴⁾، والقرطبي⁽⁵⁾، والمحلي⁽⁶⁾، والبقاعي⁽⁷⁾، والسعدي⁽⁸⁾، وابن عاشور⁽⁹⁾.

وقد يراد بالمعصرات: الرياح، فمن المفسرين من حمل معنى الآية على أنه قد يراد بها: السحاب أو الرياح، فمن المفسرين من حمل معنى الآية على أنه قد يراد

(١) تفسير غريب القرآن ص(434).

(٢) جامع البيان (4/30).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/1166).

(٤) المحرر الوجيز (5/424).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (19/172).

(٦) تفسير الجلالين ص(787).

(٧) نظم الدرر (8/298).

(٨) تيسير الكريم الرحمن ص(906).

(٩) التحرير والتنوير (30/25).

بها: السحاب أو الرياح، منهم: السمرقندي⁽¹⁾، وابن أبي زمنين⁽²⁾، والفخر الرازي⁽³⁾، والبيضاوي⁽⁴⁾، والنسفي⁽⁵⁾، وأبو السعود⁽⁶⁾، والألوسي⁽⁷⁾.
 وثمَّ قول يبين المعصرات ربما يراد بها: السماء، وعليه فإن عددا من المفسرين اعتبروا الأقوال الثلاثة: السحاب، الرياح، السماء، محتملة كلها لمعنى الآية، منهم الماوردي⁽⁸⁾، والبغوي⁽⁹⁾، والزمخشري⁽¹⁰⁾، والخازن⁽¹¹⁾، وابن جزي⁽¹²⁾، وأبو حيان⁽¹³⁾، وابن عادل⁽¹⁴⁾، والشوكاني⁽¹⁵⁾.

-
- (١) بحر العلوم (515/4).
 (٢) تفسير القرآن العزيز (83/5).
 (٣) التفسير الكبير (8/31).
 (٤) أنوار التنزيل (439/5).
 (٥) مدارك التنزيل (310/4).
 (٦) إرشاد العقل السليم (88/9).
 (٧) روح المعاني (10/30).
 (٨) النكت والعيون (184/6).
 (٩) معالم التنزيل (437/4).
 (١٠) الكشف (686/4).
 (١١) لباب التأويل (200/7).
 (١٢) التسهيل لعلوم التنزيل (173/4).
 (١٣) البحر المحيط (403/8).
 (١٤) اللباب في علوم الكتاب (97/20).
 (١٥) فتح القدير (364/5).

وقد ردّ السمعاني⁽¹⁾، وابن كثير⁽²⁾، القول بأنه يراد بالمعصرات السماء؛
بأنه « غريب »، لأن « الأغلب من نزول الغيث من السحاب دون غيره »⁽³⁾.
«⁽³⁾».

واستدل الفخر الرازي بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾

[سورة الروم: 48] على أن المعصرات يراد بها: الرياح⁽⁴⁾، ولكن استدلال ابن
كثير بهذه الآية نفسها على أن المعصرات يراد بها السحاب، حيث قال: « والأظهر

أن المراد بالمعصرات السحاب، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ

سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدَّاقَ يَخْرُجُ مِنْ

خَلَلِهِ ﴾ [سورة الروم: 48] «⁽⁵⁾».

أقول: والذي يظهر - والله أعلم - أن « قول الجمهور »⁽⁶⁾، وهو « أصح

الأقوال »⁽⁷⁾، حمل معنى الآية على أن يراد بالمعصرات: السحاب، لدلالة الآيات

على ذلك، منها آية سورة الروم المذكورة قريباً، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ

(١) تفسير القرآن (137/6).

(٢) تفسير القرآن العظيم (463/4).

(٣) انظر: جامع البيان للطبري (4/30).

(٤) التفسير الكبير (8/31).

(٥) تفسير القرآن العظيم (363/4).

(٦) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (424/5).

(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (172/19).

الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا

سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴿ [سورة الأعراف: 57]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي

أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسُقْنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴿ [سورة فاطر: 9]، وهذا من تفسير

القرآن بالقرآن « أفضل أنواع التفسير وأحسنها »⁽¹⁾، وقال الطبري: « وإنما قلنا

ذلك أولى بالصواب لأن القول في ذلك على أحد الأقوال الثلاثة التي ذكرت،

والرياح لا ماء فيها فينزل منها، وإنما ينزل بها، وكان يصح أن تكون الرياح

لو كانت القراءة وأنزلنا بالمعصرات فإن قال: فإن السماء قد يجوز أن تكون

مرادًا بها، قيل: إن ذلك وإن كان كذلك؛ فإن الأغلب من نزول الغيث من

السحاب دون غيره »⁽²⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

(٢) جامع البيان (4/30).

معنى: ﴿مَفَازًا﴾

179- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾ [سورة النبأ: 31].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿مَفَازًا﴾ أي: موضع الفوز»^(١).

وذكر أن المراد بـ ﴿مَفَازًا﴾ أي: موضع الفوز، وهو الجنة ونعيمها،

موافقين لابن قتيبة، من المفسرين: الطبري^(٢)، والسلمي^(٣)، والسمعاني^(٤)،

والفخر الرازي^(٥)، والقرطبي^(٦)، وابن جزري^(٧)، وأبو حيان^(٨)، والمحلي^(٩).

قال الطبري: « ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ منجى من النار إلى الجنة، ومخلصاً منها

لهم إليها وظفراً بما طلبوا»^(١).

(١) تفسير غريب القرآن ص(435).

(٢) جامع البيان (17/30).

(٣) حقائق التفسير (369/2).

(٤) تفسير القرآن (141/6).

(٥) التفسير الكبير (19/31).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (183/19).

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (174/4).

(٨) البحر المحيط (407/8).

(٩) تفسير الجلالين ص(788).

وقال ابن جزى: « ﴿مَفَازًا﴾ أي: موضع فوز يعني الجنة»⁽²⁾.

وروي عن مقاتل في بيان معنى ﴿مَفَازًا﴾: « يعني النجاة من ذلك العذاب

الذي سماه للطاغين»⁽³⁾، وحكاه معنى للآية أيضاً: ابن أبي زمنين⁽⁴⁾،

والشوكاني⁽⁵⁾.

لكن عدداً أكبر من المفسرين اعتبروا القولين معاً صالحين لحمل معنى الآية

عليهما، منهم: الماوردي⁽⁶⁾، والواحدي⁽⁷⁾، والبغوي⁽⁸⁾، والبيضاوي⁽⁹⁾،

والنسفي⁽¹⁰⁾، ونظام الدين النيسابوري⁽¹¹⁾، والخازن⁽¹²⁾، وابن عادل⁽¹³⁾،

والبقاعي⁽¹⁴⁾، والألوسي⁽¹⁾، والسعدي⁽²⁾، وابن عاشور⁽³⁾.

(١) جامع البيان (17/30).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (174/4).

(٣) تفسير مقاتل (443/3).

(٤) تفسير القرآن العزيز (85/5).

(٥) فتح القدير (368/5).

(٦) النكت والعيون (188/6).

(٧) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (167/2).

(٨) معالم التنزيل (439/4).

(٩) أنوار التنزيل (442/5).

(١٠) مدارك التنزيل (312/4).

(١١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (434/6).

(١٢) لباب التأويل (202/7).

(١٣) اللباب في علوم الكتاب (115/20).

(١٤) نظم الدرر (303/8).

قال النسفي: « **﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾** مفعل من الفوز يصلح مصدرًا؛ أي نجاة

من كل مكروه وظفرًا بكل محبوب، ويصلح للمكان وهو الجنة»⁽⁴⁾.

وقال الخازن: « قوله -عجل-: **﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾** أي: فوزًا، أي نجاة من

العذاب، وقيل: فوزًا بما طلبوه من نعيم الجنة، ويحتمل أن يفسر الفوز بالأمرين

جميعًا، لأنهم فازوا بمعنى نجوا من العذاب، وفازوا بما حصل لهم من النعيم»⁽⁵⁾.

والذي يظهر -والله أعلم- أن الأصح هو ما ذهب إليه ابن قتيبة وموافقوه،

وأن **﴿مَفَازًا﴾** يراد بها موضع الفوز وهو الجنة، لأن وصولهم إلى الجنة معناه نجاتهم

لزامًا بفضل الله تعالى من العذاب، وقد أوضح هذا المعنى وفصله الفخر الرازي،

حيث قال: « و **﴿مَفَازًا﴾** يحتمل أن يكون مصدرًا بمعنى فوزًا وظفرًا بالبغية،

ويحتمل أن يكون موضع فوز، والفوز يحتمل أن يكون المراد منه فوزًا بالمطلوب،

وأن يكون المراد منه فوزًا بالنجاة من العذاب، وأن يكون المراد بمجموع الأمرين،

وعندي أن تفسيره بالفوز بالمطلوب أولى من تفسيره بالفوز بالنجاة من العذاب

ومن تفسيره بالفوز بمجموع الأمرين أعني النجاة من الهلاك والوصول إلى المطلوب،

وذلك لأنه تعالى فسر المفاز بما بعده وهو قوله **﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾**^(٣٢) فيكون المراد

(١) روح المعاني (18/30).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص(907).

(٣) التحرير والتنوير (46/30).

(٤) مدارك التنزيل (312/4).

(٥) لباب التأويل (202/7).

من المفاز هذا القدر. فإن قيل: الخلاص من الهلاك أهم من حصول اللذة، فلم أهمل الأهم وذكر غير الأهم؟ قلنا: لأن الخلاص من الهلاك لا يستلزم الفوز باللذة والخير، أما الفوز باللذة والخير فيستلزم الخلاص من الهلاك، فكأن ذكر هذا أولى⁽¹⁾، والله أعلم بالصواب.

(1) التفسير الكبير (19/31).

معنى: ﴿وَالنَّزَعَتِ غَرَقًا﴾

180- قال تعالى: ﴿وَالنَّزَعَتِ غَرَقًا﴾ [سورة النازعات: 1].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَالنَّزَعَتِ غَرَقًا﴾ يقال: هي الملائكة

تنزع النفوس إغراقاً؛ كما يغرق النازع في القوس»⁽¹⁾.

تفسير النازعات بأنه يراد بها: الملائكة؛ قد رُوي هذا القول عن ابن

عباس⁽²⁾ - رضي الله عنهما -، وقاله: الواحدي⁽³⁾، والخازن⁽⁴⁾، والمحلي⁽⁵⁾،

والسعدي⁽⁶⁾.

وهذا القول قد ذكره الغالبية العظمى من المفسرين كأول معنى يذكرونه،

ويذكرون بعده أقوالاً أخرى، منهم: الطبري⁽⁷⁾، والسمرقندي⁽⁸⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(437).

(٢) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(500).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/1169).

(٤) لباب التأويل (7/204).

(٥) تفسير الجلالين ص(789).

(٦) تيسير الكريم الرحمن ص(908).

(٧) جامع البيان (30/27).

(٨) بحر العلوم (3/519).

والماوردي⁽¹⁾، والقشيري⁽²⁾، والسمعاني⁽³⁾، والبغوي⁽⁴⁾، والزمخشري⁽⁵⁾، وابن عطية⁽⁶⁾، والقرطبي⁽⁷⁾، والنسفي⁽⁸⁾، وابن جزري⁽⁹⁾، وأبو حيان⁽¹⁰⁾، وابن كثير⁽¹¹⁾، وابن عادل⁽¹²⁾، وابن عاشور⁽¹³⁾.

ويأتي بعده في المرتبة من حيث عدد الموردين له القول: إن ﴿وَالنَّزْعَتِ﴾

هي: « النجوم تنزع من أفق إلى أفق » أورده الطبري⁽¹⁴⁾، وابن أبي زمنين⁽¹⁵⁾، والماوردي⁽¹⁶⁾، والقشيري⁽¹⁷⁾،

(١) النكت والعيون (192/6).

(٢) لطائف الإشارات (388/3).

(٣) تفسير القرآن (145/6).

(٤) معالم التنزيل (441/4).

(٥) الكشاف (693/4).

(٦) المحرر الوجيز (430/5).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (190/19).

(٨) مدارك التنزيل (313/4).

(٩) التسهيل لعلوم التنزيل (175/4).

(١٠) البحر المحيط (411/8).

(١١) تفسير القرآن العظيم (467/4).

(١٢) اللباب في علوم الكتاب (121/20).

(١٣) التحرير والتنوير (62/30).

(١٤) جامع البيان (27/30).

(١٥) تفسير القرآن العزيز (88/5).

(١٦) النكت والعيون (192/6).

(١٧) لطائف الإشارات (388/3).

..... والسمعاني⁽¹⁾، والبغوي⁽²⁾،
والزمخشري⁽³⁾، وابن عطية⁽⁴⁾، والقرطبي⁽⁵⁾، والبيضاوي⁽⁶⁾، والنسفي⁽⁷⁾،
والنسفي⁽⁷⁾، وأبو حيان⁽⁸⁾، وابن كثير⁽⁹⁾، وابن عادل⁽¹⁰⁾، وابن عاشور⁽¹¹⁾.
عاشور⁽¹¹⁾.

وأقوال أخرى وردت في بيان معنى الآية، منها: أن المراد بالنازعات « هو
الموت ينزع النفوس » فقد أورده الطبري⁽¹²⁾ ضمن ما أورد من أقوال، وأيضاً
الماوردي⁽¹³⁾، والبغوي⁽¹⁴⁾، وابن عطية⁽¹⁵⁾، والقرطبي⁽¹⁾، وابن كثير⁽²⁾، وابن
عادل⁽³⁾.

-
- (١) تفسير القرآن (145/6).
(٢) معالم التنزيل (441/4).
(٣) الكشاف (693/4).
(٤) المحرر الوجيز (430/5).
(٥) الجامع لأحكام القرآن (190/19).
(٦) أنوار التنزيل (445/5).
(٧) مدارك التنزيل (313/4).
(٨) البحر المحيط (411/8).
(٩) تفسير القرآن العظيم (467/4).
(١٠) اللباب في علوم الكتاب (121/20).
(١١) التحرير والتنوير (62/30).
(١٢) جامع البيان (27/30).
(١٣) النكت والعيون (192/6).
(١٤) معالم التنزيل (441/4).
(١٥) المحرر الوجيز (430/5).

وقيل: إن المراد بـ ﴿وَالنَّزَعَاتِ غَرَقًا﴾ « هو ملك الموت وحده، ينزع روح الكافر حتى إذا بلغ ترقوته غرقه في حلقه، فيعذبه في حياته قبل أن يميته »، فهذا قد رُوي عن مقاتل⁽⁴⁾، وحكاه السمرقندي⁽⁵⁾، والبغوي⁽⁶⁾، والبيضاوي⁽⁷⁾.

وقال آخرون: « هي القسيّ تنزع بالسهم » حكاه الطبري⁽⁸⁾، والماوردي⁽⁹⁾، والسمعاني⁽¹⁰⁾، وابن عطية⁽¹¹⁾، والقرطبي⁽¹²⁾، وأبو حيان⁽¹³⁾.
وقيل: « هم الغزاة الرماة » ذكره البغوي⁽¹⁴⁾، والزمخشري⁽¹⁾، والقرطبي⁽²⁾، وأبو حيان⁽³⁾، وابن عادل⁽⁴⁾، وابن عاشور⁽⁵⁾.

(١) الجامع لأحكام القرآن (190/19).

(٢) تفسير القرآن العظيم (467/4).

(٣) اللب في علوم الكتاب (121/20).

(٤) تفسير مقاتل (445/3).

(٥) بحر العلوم (519/3).

(٦) معالم التنزيل (441/4).

(٧) أنوار التنزيل (445/5).

(٨) جامع البيان (27/30).

(٩) النكت والعيون (192/6).

(١٠) تفسير القرآن (145/6).

(١١) المحرر الوجيز (430/5).

(١٢) الجامع لأحكام القرآن (190/19).

(١٣) البحر المحيط (411/8).

(١٤) معالم التنزيل (441/4).

وقيل المراد: « خيل الغزاة التي تنزع في أعنتها نزعاً تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها » ذكره القرطبي⁽⁶⁾، وقاله النسفي⁽⁷⁾، وكذلك ابن عادل⁽⁸⁾.
وقيل: هي « الوحش تنزع من الكلاء وتنفر » حكاه الماوردي⁽⁹⁾،
وأبو حيان⁽¹⁰⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - صحة إرادة عموم المعاني الواردة، كما قال الإمام الطبري: « والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالنازعات غرقاً ولم يخصص نازعة دون نازعة، فكل نازعة غرقاً فداخلة في قَسَمِهِ؛ مَلَكاً كان أو موتاً، أو نجماً، أو قوساً، أو غير ذلك، والمعنى: والنازعات إغراقاً كما يغرق النازع في القوس⁽¹¹⁾ ». وقال القرطبي: « وأراد بالإغراق: المبالغة في النزاع، وهو سائر في جميع وجوه تأويلها⁽¹²⁾، وهذا على القاعدة

(١) الكشاف (693/4).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (190/19).

(٣) البحر المحيط (411/8).

(٤) اللباب في علوم الكتاب (121/20).

(٥) التحرير والتنوير (62/30).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (190/19).

(٧) مدارك التنزيل (313/4).

(٨) اللباب في علوم الكتاب (121/20).

(٩) في النكت والعيون (192/6) عن يحيى بن سلام.

(١٠) البحر المحيط (411/8).

(١١) جامع البيان (27/30).

(١٢) الجامع لأحكام القرآن (190/19).

المتبعة عند علماء التفسير « أن الآية إن كانت تحمل معانٍ كلها صحيحة، صحّ الحمل عليها جميعها »⁽¹⁾، والله أعلم بالصواب.

(1) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1) بتصرف.

معنى: ﴿فِي الْحَافِرَةِ﴾

181- قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ [سورة النازعات

. [10]

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿أءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ أي: أول

أمرنا، يقال: رجع فلان في حافرته، وعلى حافرته، أي رجع من حيث جاء» ⁽¹⁾.

ونفس التفسير الذي ذكره ابن قتيبة، قاله أيضاً بياناً لمعنى الآية، من

المفسرين: الطبري ⁽²⁾، والسمرقندي ⁽³⁾، وابن أبي زمنين ⁽⁴⁾، والقشيري ⁽⁵⁾،

والواحدي ⁽⁶⁾، والزمخشري ⁽⁷⁾، والفخر الرازي ⁽⁸⁾، والنسفي ⁽⁹⁾، ونظام الدين

(١) تفسير غريب القرآن ص(438).

(٢) جامع البيان (33/30).

(٣) بحر العلوم (520/3).

(٤) تفسير القرآن العزيز (89/5).

(٥) لطائف الإشارات (389/3).

(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1170/2).

(٧) الكشف (694/4).

(٨) التفسير الكبير (314/4).

(٩) مدارك التنزيل (314/4).

(1) النيسابوري ، والمحلي ، والبقاعي ، وأبو السعود ، والألوسي ،
(2) والسعدي ، وابن عاشور .
(3) (4) (5) (6) (7)

« وقال بعضهم: الحفرة وجه الأرض التي تحفر فيها قبورهم، سميت الحفرة

بمعنى المحفورة، كقوله تعالى: ﴿عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [سورة الحاقة: 21] »⁽⁸⁾

« وقال آخرون: الحفرة: النار وما أكثر أسماءها: هي النار، وهي الجحيم،

وهي سقر، وهي جهنم، وهي الهاوية، وهي الحفرة، وهي لظى، وهي
الحطمة »⁽⁹⁾

والأقوال الثلاثة حكاها مجتمعة عند بيانه لمعنى الآية، من المفسرين:

والماوردي ، والبغوي ، وابن عطية ، والقرطبي ،⁽¹⁰⁾ ⁽¹¹⁾ ⁽¹²⁾ ⁽¹³⁾
والخازن ، وابن جزى ، وأبو حيان ، وابن كثير .⁽¹⁾ ⁽²⁾ ⁽³⁾ ⁽⁴⁾

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (440/6).

(٢) تفسير الجلالين ص(789).

(٣) نظم الدرر (311/8).

(٤) إرشاد العقل السليم (97/9).

(٥) روح المعاني (27/30).

(٦) تيسير الكريم الرحمن ص(909).

(٧) التحرير والتنوير (69/30).

(٨) هذه عبارة البغوي في معالم التنزيل (443/4).

(٩) حكاها الطبري في جامع البيان (33/30).

(١٠) النكت والعيون (195/6).

(١١) معالم التنزيل (443/4).

(١٢) المحرر الوجيز (432/5).

(١٣) الجامع لأحكام القرآن (196/19).

والذي يظهر - والله أعلم - أن القول الثالث: وهو أن الحافرة اسم من أسماء النار؛ بعيد، لوجود قرينة في السياق تردّه وهي قوله تعالى في الآية ﴿لَمَرْدُودُونَ﴾ ويراد به الرجوع، والرجوع يكون لمكان قدم منه الشخص وليس لمكان سيقدّم عليه، والاستدلال على القول الراجح، أوردّ وتضعيف القول المرجوح بدلالة قرينة في السياق؛ قاعدة مهمة متبعة في الترجيح⁽⁵⁾ بين الأقوال عند علماء التفسير. والقولان الآخران محتملان في بيان معنى الآية لصحتهما من ناحية اللغة « والعرب تقول: أتيت فلاناً ثم رجعت على حافرتي؛ أي طريقي الذي أصعدت فيه خاص، فإن رجعت على غيره لم يقل ذلك، وقيل: الحافرة الأرض التي تحفر فيها قبورهم، فسماها الحافرة، والمعنى: يريد المحفورة؛ كما قال تعالى: ﴿مَاءٍ دَافِقٍ﴾ [سورة الطارق: 6] »⁽⁶⁾، و « حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب »⁽⁷⁾ قاعدة في الترجيح عند المفسرين، والله أعلم بالصواب.

(١) لباب التأويل (206/7).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (176/4).

(٣) البحر المحيط (413/8).

(٤) تفسير القرآن العظيم (468/4).

(٥) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (299/1).

(٦) انظر: لسان العرب لابن منظور (205/4).

(٧) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2)، وقواعد التفسير لخالد السبت

(215/1).

معنى: ﴿شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾

182- قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [سورة عبس: 37].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾

أي: يصرفه ويصده عن قرابته، ومنه يقال: اغن عني وجهك؛ أي: اصرفه. واغن عني السفية»⁽¹⁾.

لقد روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في بيان معنى الآية قوله:

« ﴿شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ أي: عمل يشغله عن غيره»⁽²⁾.

وروي عن مقاتل في تفسيرها: « يعني إذا وكل بكل إنسان ما يشغله عن

هؤلاء الأقرباء»⁽³⁾.

وقال الطبري: « ﴿شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ يقول: أمر يغنيه ويشغله عن شأن غيره

«⁽⁴⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(440).

(٢) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(5029).

(٣) تفسير مقاتل (454/3).

(٤) جامع البيان (61/30).

وقال السمرقندي: « **لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمٌ شَأْنٌ يَغْنِيهِ** » يعني: لكل إنسان

(1) شغل يشغله عن هؤلاء » .

وقال ابن أبي زمنين: « المعنى: يصرفه ويصدّه عن قرابته، يقال: أغن عني

(2) وجهك؛ أي: اصرفه » .

وأقوال بقية المفسرين في بيان معنى الآية لا تختلف ولا تبتعد عمّا ذكرت،

فمنهم: (3) الماوردي ، (4) والقشيري ، (5) والواحدي ، (6) والسمعاني ، (7) والبغوي ،

(8) والفخر الرازي ، (9) والقرطبي ، (10) والبيضاوي ، (11) ونظام الدين النيسابوري ،

(12) والخازن ، (13) وابن جزري ، (14) وأبو حيان ،

(١) بحر العلوم (527/3).

(٢) تفسير القرآن العزيز (97/5).

(٣) النكت والعيون (209/6).

(٤) لطائف الإشارات (395/3).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1175/2).

(٦) تفسير القرآن (162/6).

(٧) معالم التنزيل (449/4).

(٨) التفسير الكبير (59/31).

(٩) الجامع لأحكام القرآن (224/19).

(١٠) أنوار التنزيل (454/5).

(١١) غرائب القرآن و رغائب الفرقان (449/6).

(١٢) لباب التأويل (211/7).

(١٣) التسهيل لعلوم التنزيل (211/4).

(١٤) البحر المحيط (421/8).

(1) وابن كثير ، والمحلي (2) ، وابن عادل (3) ، وأبو السعود (4) ، والألوسي (5) ،
والسعدي (6) ، وابن عاشور (7) .

والذي يظهر من عرض ودراسة أقوال المفسرين في تفسير الآية أن اختلافهم
فيها على سبيل تنوع الألفاظ لا الاختلاف والتضاد، وكل عباراتهم اجتمعت على
أداء المعنى المراد، فاتفقوا في بيان المعنى، والله أعلم بالصواب.

(١) تفسير القرآن العظيم (4/474).

(٢) تفسير الجلالين ص(793).

(٣) اللباب في علوم الكتاب (20/171).

(٤) إرشاد العقل السليم (9/113).

(٥) روح المعاني (30/48).

(٦) تيسير الكريم الرحمن ص(911).

(٧) التحرير والتنوير (30/136).

معنى: ﴿كُشِطَتْ﴾

183- قال تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ [سورة التكوير: 11].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ أي: نزع

فطويت كما يقشط الغطاء عن الشيء»⁽¹⁾.

وبدراسة أقوال المفسرين في بيان معنى الآية تبين تقاربها وتشابهها، فقد قال

الطبري: « ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ يقول تعالى ذكره وإذا السماء نزع وتجزت وجذبت

ثم طويت والقشط والكشط بمعنى واحد وذلك تحويل من العرب الكاف قافاً لتقارب مخرجيهما، كما قيل للكافور قافور، وللقسط كسط، وذلك كثير في

كلامهم إذا تقارب مخرج الحرفين أبدلوا من كل واحد منهما صاحبه»⁽²⁾.

وقال ابن أبي زمنين: « ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ أي: طويت، يقال: كشطت

السقف؛ أي: قلعته، فكأن المعنى: قلعت فطويت»⁽³⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(448).

(٢) جامع البيان (73/30)، وانظر مسألة تحويل الكاف قافاً لتقارب مخرجيهما: تهذيب اللغة للأزهري

(7/10)، ولسان العرب لابن منظور (387/7)، ومختار الصحاح للرازي ص(238).

(٣) تفسير القرآن العزيز (100/5).

وقال الواحدي: « ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ قُلعت، كما يكشف الغطاء عن

(1) الشيء » .

وقال البقاعي: « ﴿كُشِطَتْ﴾ أي: قُلعت بقوة عظيمة وسرعة زائدة،

وأزيلت عن مكانها التي هي ساترة له محيطة به، أو عن الهواء المحيط بسطحها الذي هو كالروح لها، كما يكشف الإهاب عما هو ساتر له ومحيط به مع شدة الالتزاق به؛ لأن ذلك يوم الكشف والإظهار » (2) .

وقال السعدي: « ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ أي: أزيلت، كما قال تعالى:

﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّ ﴾ [سورة الفرقان: 25]، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي

السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ [سورة الأنبياء: 104]، وكقوله تعالى:

﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ

بِيمِينِهِ ﴾ [سورة الزمر: 67] » (3) .

وأقوال غير من ذكرت من المفسرين لا تبعد عن أقوال من ذكرت، فمنهم:

(4) السمرقندي ، (1) والماوردي ، (2) والقشيري ، (3) والسمعاني ، (4) والبغوي ،

(1) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/1178).

(2) نظم الدرر (8/339).

(3) تيسير الكريم الرحمن ص(912).

(4) بحر العلوم (3/529).

(5) والزخشري ، والفخر الرازي (6) ، والقرطبي (7) ، والبيضاوي (8) ، والنسفي (9) ،
والخازن (10) ، وابن جزى (11) ، وأبو حيان (12) ، وابن كثير (13) ، والمحلي (14) ، وابن
عادل (15) ، وأبو السعود (16) ، والشوكاني (17) ، والألوسي (18) ،
وابن عاشور (19) .

وظهر بذلك أن اختلافهم اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، وكل عباراتهم
أدت إلى نفس المعنى الذي ذكره ابن قتيبة، فاتفقوا بذلك، والله أعلم بالصواب.

-
- (١) النكت والعيون (215/6).
(٢) لطائف الإشارات (397/3).
(٣) تفسير القرآن (168/6).
(٤) معامل التنزيل (452/4).
(٥) الكشاف (709/4).
(٦) التفسير الكبير (65/31).
(٧) الجامع لأحكام القرآن (235/19).
(٨) أنوار التنزيل (457/5).
(٩) مدارك التنزيل (319/4).
(١٠) لباب التأويل (214/7).
(١١) التسهيل لعلوم التنزيل (181/4).
(١٢) البحر المحيط (425/8).
(١٣) تفسير القرآن العظيم (479/4).
(١٤) تفسير الجلالين ص (794).
(١٥) اللباب في علوم الكتاب (184/20).
(١٦) إرشاد العقل السليم (116/9).
(١٧) فتح القدير (389/5).
(١٨) روح المعاني (56/30).
(١٩) التحرير والتنوير (149/30).

معنى: ﴿بُعِثَتْ﴾

184- قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾ [سورة الانفطار: 4].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿بُعِثَتْ﴾: قُلبت وأُخرج ما فيها،

يقال: بعثتُ المتاع وبعثته؛ إذا جعلت أسفله أعلاه ⁽¹⁾ .

والغالبية العظمى من المفسرين، إن لم يكن كلهم تشابهت أقوالهم وتقاربت في بيان معنى الآية، سأذكر أقوال بعضهم، وأشير إلى الباقيين طلباً للاختصار

والإفادة، فقال البغوي: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾ بَحَثَتْ وقلب تراهما، وبعث من فيها

من الموتى أحياء، يقال: بعثت الحوض وبعثته إذا قلبته فجعلت أسفله أعلاه ⁽²⁾ .
أعلاه ⁽²⁾ .

وقال البيضاوي: « ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾ قلب تراهما وأخرج موتاهما، وقيل

إنه مركب من بعث و (راء) الإثارة كبسمل، ونظيره: بَحَثَ لفظاً ومعنى ⁽³⁾ .

(١) تفسير غريب القرآن ص(443).

(٢) معالم التنزيل (4/455).

(٣) أنوار التنزيل (5/460).

وقال البقاعي: « **﴿بُعِثَتْ﴾** أي: نبش تراهما على أسهل وجه عن أهلها

فقاموا أحياء كما كانوا، فرأوا ما أفضعهم وهاهم وروّعهم» ⁽¹⁾.

وقال أبو السعود: « **﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾** أي: قلب وأخرج موتاها،

ونظيره بجر لفظاً ومعنى، وهما مركبان من البعث والبعث مع (راء) ضمت ⁽²⁾ إليهما» .

وقال السعدي: « **﴿وبعثت القبور﴾** بأن أخرج ما فيها من الأموات» ⁽³⁾.

وعبارات غيرهم ليست ببعيدة عنهم، منهم: الطبري ⁽⁴⁾، والسمرقندي ⁽⁵⁾،

وابن أبي زمنين ⁽⁶⁾، والماوردي ⁽⁷⁾، والقشيري ⁽⁸⁾، والواحدي ⁽⁹⁾، والسمعاني ⁽¹⁰⁾،

والفخر الرازي ⁽¹¹⁾، والقرطبي ⁽¹²⁾، والنسفي ⁽¹³⁾،

(١) نظم الدرر (348/8).

(٢) إرشاد العقل السليم (120/9).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (120/9).

(٤) جامع البيان (85/30).

(٥) بحر العلوم (532/3).

(٦) تفسير القرآن العزيز (203/5).

(٧) النكت والعيون (220/6).

(٨) لطائف الإشارات (399/3).

(٩) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (118/2).

(١٠) تفسير القرآن (172/6).

(١١) التفسير الكبير (65/32).

(١٢) الجامع لأحكام القرآن (244/19).

(١٣) مدارك التنزيل (321/4).

(1) والخازن ، وابن جزى ، وأبوحيان ، وابن كثير ، والمحلي ، وابن عادل ،
(2) عادل ، والشوكاني ، وابن عاشور .
(3) عادل ، والشوكاني ، وابن عاشور .
(4) عادل ، والشوكاني ، وابن عاشور .
(5) عادل ، والشوكاني ، وابن عاشور .
(6) عادل ، والشوكاني ، وابن عاشور .
(7) عادل ، والشوكاني ، وابن عاشور .
(8) عادل ، والشوكاني ، وابن عاشور .
(9) عادل ، والشوكاني ، وابن عاشور .

فإجماع « الجمهور » على معنى الآية، علامة رجحانه وصحته، والله
أعلم بالصواب.

(١) لباب التأويل (216/7).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (182/4).

(٣) البحر المحيط (427/8).

(٤) تفسير القرآن العظيم (482/4).

(٥) تفسير الجلالين ص (795).

(٦) اللباب في علوم الكتاب (497/20).

(٧) فتح القدير (395/5).

(٨) التحرير والتنوير (172/30).

(٩) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (288/1).

معنى: «المطففين»

185- قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾﴾

وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ [سورة المطففين: 1-3].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « (المطفف): الذي لا يوفي الكيل، يقال:

إناء طفان؛ إذا لم يكن مملوءاً»^(١).

المعنى الذي ذكره ابن قتيبة في تعريف المطففين؛ قد أجمع عليه المفسرون،

منهم: الطبري^(٢)، والسمرقندي^(٣)، والسلمي^(٤)، والقشيري^(٥)،

والواحدي^(٦)، والبغوي^(٧)، والزمخشري^(٨)، وابن عطية^(٩)، والفخر

الرازي^(١٠)، والقرطبي^(١)، والبيضاوي^(٢)، والنسفي^(٣)،

(١) تفسير غريب القرآن ص(444).

(٢) جامع البيان (90/30).

(٣) بحر العلوم (534/3).

(٤) حقائق التفسير (380/2).

(٥) لطائف الإشارات (401/3).

(٦) الوجيز في تفسير اللغات العزيز (1182/2).

(٧) معالم التنزيل (457/4).

(٨) الكشف (719/4).

(٩) المحرر الوجيز (449/5).

(١٠) التفسير الكبير (80/31).

والخازن⁽⁴⁾، وابن جزى⁽⁵⁾، وأبو حيان⁽⁶⁾، وابن عادل⁽⁷⁾، والبقاعي⁽⁸⁾،
وأبو السعود⁽⁹⁾، والشوكاني⁽¹⁰⁾، والألوسي⁽¹¹⁾، وابن عاشور⁽¹²⁾.

قال الطبري: « **وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّينَ** » يقول تعالى ذكره: الوادي الذي يسيل

من صديد أهل جهنم في أسفلها للذين يطففون؛ يعني للذين ينقصون الناس
ويخسونهم حقوقهم في مكاييلهم إذا كالوهم أو موازينهم إذا وزنوا لهم عن
الواجب لهم من الوفاء، وأصل ذلك من الشيء الطفيف وهو القليل النزر،
والمطفف: المقلل حق صاحبه الحق عمّا له من الوفاء والتمام في كيل أو
وزن⁽¹³⁾.

(١) الجامع لأحكام القرآن (25/19).

(٢) أنوار التنزيل (463/5).

(٣) مدارك التنزيل (322/4).

(٤) لباب التأويل (218/7).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (183/4).

(٦) البحر المحيط (430/8).

(٧) اللباب في علوم الكتاب (205/20).

(٨) نظم الدرر (354/8).

(٩) إرشاد العقل السليم (124/9).

(١٠) فتح القدير (398/5).

(١١) روح المعاني (68/30).

(١٢) التحرير والتنوير (189/30).

(١٣) جامع البيان (90/30).

وقال ابن عطية: « والمطفف: الذي ينقص الناس حقوقهم، والتطفيف: النقصان أصله في الشيء الطفيف وهو النزر، والمطفف إنما يأخذ بالميزان شيئاً طفيفاً »⁽¹⁾.

وقال ابن الجوزي: « قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أحبث الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك⁽²⁾ »⁽³⁾.

وقال الشوكاني: « والمطفف: المنقص، وحقيقته الأخذ في الكيل أو الوزن شيئاً طفيفاً، أي: نزرًا حقيرًا، قال أهل اللغة: المطفف مأخوذ من الطفف وهو القليل، فالمطفف هو المقلل حق صاحبه بنقصانه عن الحق في كيل أو وزن »⁽⁴⁾. فتبين بما ذكر من إجماعهم الراجح في بيان معنى الآية، وذلك لأمر، منها: أنه من تفسير القرآن بالقرآن، فإن قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ « قد

فسره ما بعده في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾^(٢) وَإِذَا كَالُواهُمْ

أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿١﴾.

(١) المحرر الوجيز (449/5).

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه (748/2) رقم (2223)، وأخرجه الحاكم في المستدرک (38/2) رقم (2240) بلفظ « أبخس الناس كيلاً » وقال: حديث صحيح ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) زاد المسير (52/9).

(٤) فتح القدير (398/5).

وتفسير القرآن بالقرآن « أفضل أنواع التفسير وأحسنها »⁽²⁾.

وهذا المعنى مؤيد بالحديث الذي رواه ابن عباس -رضي الله عنهما-: « لما

قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أحبب الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى ﴿وَيَلُّ

لِلْمُطَفِّينَ﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك »⁽³⁾.

كذلك كون اللغة العربية تؤيد المعنى المذكور، فقد قالوا: « ويقال: هذا

طفّ المكيال وطفافه إذا قارب ملاءه ولما يملأ، ولهذا قيل للذي يسيء الكيل ولا

يوفيه مطفف، يعني أنه إنما يبلغ به الطفاف »⁽⁴⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: تنمة أضواء البيان للشيخ عطية محمد السالم (454/8).

(٢) انظر: شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(127).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور (222/9).

معنى: ﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾

186- قال تعالى: ﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴿

[سورة المطففين: 27-28].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ يقال: أرفع

شراب في الجنة، ويقال: يمزج بماء ينزل من تسنيم؛ أي من علو، وأصل هذا من (سنام البعير)، ومنه (تسليم القبور)، وهذا أعجب إلي؛ لقول المسيب بن علس في وصف امرأة:

كأن بريقتها - للمزا ج من ثلج تسنيم شبيت - عقاراً⁽¹⁾

أراد: كأن بريقتها عقاراً شبيت للمزاج من ثلج تسنيم؛ يريد جبلاً⁽²⁾.

يلاحظ أن ابن قتيبة قد عرض القولين الواردين في بيان معنى الآية، ثم رجح

أن المراد بالتسليم: أي الماء النازل من علو، وقد وافقه على ذلك كل من:

(١) قائل البيت هو: المسيب بن علس بن مالك بن عمرو بن جماعة بن ظبيعة الشاعر، وقيل اسمه: زهير. انظر: الإكمال لابن ماكولا (41/1)، ونزهة الألباب في الألقاب لابن حجر (178/2)، ولم أقف على بيته المذكور.

(٢) تفسير غريب القرآن ص (445).

الطبري⁽¹⁾،
 والقشيري⁽²⁾، وابن عاشور⁽³⁾.
 قال ابن عاشور: « ووجهوا هذه التسمية بأن هذه العين تصبّ على جناهم
 من علوّ فكأنها سنام »⁽⁴⁾.
 ويرى فريق من المفسرين أن معنى (تسليم): هو أرفع شراب في الجنة، منهم:
 السمعي⁽⁵⁾، وابن جزى⁽⁶⁾، وأبو حيان⁽⁷⁾، والمحلي⁽⁸⁾.
 قال السمعي: « هو أشرف شراب لأهل الجنة، يشربه المقربون صرفاً،
 ويمزج للأبرار »⁽⁹⁾.
 وقال ابن جزى: « تسليم: اسم لعين في الجنة، يشرب منها المقربون صرفاً،
 ويمزج منه الرحيق الذي يشرب منه الأبرار، فدل ذلك على أن درجة المقربين فوق
 درجة الأبرار، فالمقربون هم السابقون، والأبرار هم أصحاب اليمين »⁽¹⁰⁾.

(١) جامع البيان (108/30).

(٢) لطائف الإشارات (404/3).

(٣) التحرير والتنوير (208/30).

(٤) المرجع السابق.

(٥) تفسير القرآن (183/6).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (185/4).

(٧) البحر المحيط (434/8).

(٨) تفسير الجلالين ص (798).

(٩) تفسير القرآن (183/6) وحكاة عن ابن مسعود وعلقمة.

(١٠) التسهيل لعلوم التنزيل (185/4).

واكتفى جمع من المفسرين بإيراد القولين معاً عند تفسيرهم للآية، منهم:
والزمخشري⁽¹⁾، وابن عطية⁽²⁾، والفخر الرازي⁽³⁾، والبيضاوي⁽⁴⁾،
والنسفي⁽⁵⁾، والحازن⁽⁶⁾، وابن عادل⁽⁷⁾، وأبو السعود⁽⁸⁾، والألوسي⁽⁹⁾.

قال النسفي: « **﴿وَمَزَاجُهُ﴾** ومزاج الرحيق **﴿مِنْ تَسْنِيمٍ﴾** هو علم لعين
بعينها؛ سميت بالتسنيم لأنها أرفع شراب في الجنة، أو لأنها تأتيهم من فوق وتنصب
في أوانيهم»⁽¹⁰⁾.

وأما مَنْ جعل المعنيين مترابطين جداً، فمنهم: السمرقندي⁽¹¹⁾،
والواحدي⁽¹²⁾، والبغوي⁽¹³⁾، والقرطبي⁽¹⁾، وابن كثير⁽²⁾،
..... والبقاعي⁽³⁾، والشوكاني⁽⁴⁾.

(١) الكشاف (724/4).

(٢) المحرر الوجيز (453/5).

(٣) التفسير الكبير (91/31).

(٤) أنوار التنزيل (466/5).

(٥) مدارك التنزيل (325/4).

(٦) لباب التأويل (222/7).

(٧) اللباب في علوم الكتاب (222/20).

(٨) إرشاد العقل السليم (129/9).

(٩) روح المعاني (76/30).

(١٠) مدارك التنزيل (325/4) بتصرف يسير.

(١١) بحر العلوم (536/3).

(١٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1184/2).

(١٣) معالم التنزيل (461/4).

قال الواحدي: « **﴿مِنْ تَسْنِيمٍ﴾** وهو عين ماء تجري في جنة عدن، وهي أعلى الجنان »⁽⁵⁾.

وقال القرطبي: « **﴿وَمَزَاجُهُ﴾** أي: ومزاج ذلك الرحيق **﴿مِنْ تَسْنِيمٍ﴾** وهو شراب ينصب عليه من علو، وهو أشرف شراب في الجنة، وأصل التسنيم في اللغة: الارتفاع، فهي عين ماء تجري من علو إلى أسفل »⁽⁶⁾.
والذي يظهر - والله أعلم - صحة اعتبار المعنيين معاً بترابطهما معنى للآية، فمعلوم أن الجنة درجات عالية، ولا مانع أن تكون التسنيم هي أشرف العيون في الجنة، ويكون موقعها في مكان عالٍ، فاجتمع المعنيان بناءً على قاعدة: « الآية إن كانت تحمل على عدة معانٍ كلها صحيحة، صح الحمل عليها جميعها »⁽⁷⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) الجامع لأحكام القرآن (266/19).

(٢) تفسير القرآن العظيم (488/4).

(٣) نظم الدرر (364/8).

(٤) فتح القدير (403/5).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1184/2).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (266/19).

(٧) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: «الشفق»

187- قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ [سورة الانشقاق: 16].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: «(الشفق) الحمرة التي تُرى بعد مغيب الشمس»⁽¹⁾.

وجمهور المفسرين على هذا المعنى الذي ذكره ابن قتيبة في تفسير الشفق، منهم: الطبري⁽²⁾، وابن أبي زمنين⁽³⁾، والقشيري⁽⁴⁾، والواحدي⁽⁵⁾، والسمعاني⁽⁶⁾، والبغوي⁽⁷⁾، وابن عطية⁽⁸⁾، والفخر الرازي⁽⁹⁾، والقرطبي⁽¹⁰⁾، والقرطبي⁽¹⁰⁾،

(١) تفسير غريب القرآن ص(446).

(٢) جامع البيان (119/30).

(٣) تفسير القرآن العزيز (113/5).

(٤) لطائف الإشارات (406/3).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1187/2).

(٦) تفسير القرآن (191/6).

(٧) معالم التنزيل (464/4).

(٨) المحرر الوجيز (458/5).

(٩) التفسير الكبير (99/31).

(١٠) الجامع لأحكام القرآن (274/19).

والخازن⁽¹⁾، وابن جزى⁽²⁾، وأبو حيان⁽³⁾، وابن كثير⁽⁴⁾، والمحلي⁽⁵⁾، والمحلي⁽⁵⁾، وابن عادل⁽⁶⁾، والبقاعي⁽⁷⁾، وأبو السعود⁽⁸⁾، والشوكاني⁽⁹⁾، والألوسي⁽¹⁰⁾، وابن عاشور⁽¹¹⁾.

قال الطبري: « وهذا قسم؛ اقسام ربنا تعالى بالشفق، والشفق الحمرة في الأفق من ناحية المغرب من الشمس »⁽¹²⁾.

وقال ابن جزى: « ﴿بِالشَّفَقِ﴾ هي الحمرة التي تبقى بعد غروب

الشمس »⁽¹³⁾.

وقال ابن عاشور: « والشفق: اسم للحمرة التي تظهر في أفق مغرب

الشمس إثر غروبها »⁽¹⁾.

(١) لباب التأويل (225/7).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (187/4).

(٣) البحر المحيط (439/8).

(٤) تفسير القرآن العظيم (490/4).

(٥) تفسير الجلالين ص (800).

(٦) اللباب في علوم الكتاب (234/20).

(٧) نظم الدرر (372/8).

(٨) إرشاد العقل السليم (133/9).

(٩) فتح القدير (407/5).

(١٠) روح المعاني (81/30).

(١١) التحرير والتنوير (226/30).

(١٢) جامع البيان (119/30).

(١٣) التسهيل لعلوم التنزيل (187/4).

وروي غير ذلك في بيان المراد بالشفق، ف قيل: إنه « النهار، وقيل:

الشمس⁽²⁾، وقيل: ما بقي من النهار⁽³⁾، وقيل: السواد الذي يكون بعد ذهاب
البياض⁽⁴⁾، وقيل: إنه البياض⁽⁵⁾»⁽⁶⁾.

ولكن هذه الأقوال جميعها لا تقوى أمام إجماع جمهور الصحابة والتابعين
وأهل اللغة والفقهاء على القول الأول والذي ذكره وذهب إليه ابن قتيبة وموافقوه،
فقد حكيَ هذا القول عن « عمر⁽⁷⁾، وابنه⁽⁸⁾، وابن مسعود⁽⁹⁾، وعبادة⁽¹⁰⁾،
وأبي قتادة⁽¹¹⁾، وجابر بن عبدالله⁽¹⁾، وابن عباس⁽²⁾، وأبي هريرة⁽³⁾،

(١) التحرير والتنوير (226/30).

(٢) حكي القولان عن مجاهد.

(٣) روي عن عكرمة.

(٤) قاله أبو جعفر محمد بن علي.

(٥) قاله عمر بن عبدالعزيز.

(٦) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (65/9).

(٧) عمر بن الخطاب، أمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشدين، الفاروق، أبو حفص، استشهد بالمدينة النبوية
سنة 23هـ. الإصابة (518/2).

(٨) عبدالله بن عمر بن الخطاب، أبو عبدالرحمن، أسلم مع أبيه وهاجر وهو ابن عشر سنين، من المكثريين
في الرواية عن النبي ﷺ، توفي سنة 73هـ. الإصابة (347/2).

(٩) عبدالله بن مسعود الهذلي، أبو عبدالرحمن، أسلم قديماً وشهد بدرًا، لازم النبي ﷺ وكان صاحب
نعليه، أول من جهر بالقرآن الكريم بمكة المكرمة، توفي بالمدينة النبوية سنة 32هـ. الإصابة
(368/2).

(١٠) عبادة بن الصامت بن قيس الخزرجي، كان أحد النقباء بالعقبة، شهد بدرًا وما بعدها، آخى رسول
الله ﷺ بينه وبين أبي مرثد الغنوي، توفي سنة 45هـ. الإصابة (268/2).

(١١) أبوقتادة، الحارث بن ربيعي الأنصاري، فارس النبي ﷺ، شهد أحدًا وما بعدها، توفي بالمدينة النبوية
سنة 54هـ. الإصابة (278/1).

وأنس⁽⁴⁾، وابن المسيب⁽⁵⁾، وابن جبير⁽⁶⁾، وطاووس⁽⁷⁾،

.....

(١) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري، أحد المكثرين عن النبي ﷺ، له ولأبيه صحبة، كان مع من شهد العقبة، قال: لم أشهد بديراً ولا أحداً منعتني أبي، فلما قتل لم أتخلف، توفي سنة 78هـ. الإصابة (213/1).

(٢) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، ابن عم رسول الله ﷺ، في الصحيح عنه: أن النبي ﷺ ضمه إليه وقال: (اللهم علمه الحكمة)، عن مجاهد: كان ابن عباس يسمى البحر لكثرة علمه، توفي بالطائف سنة 68هـ. الإصابة (330/2).

(٣) أبو هريرة: عبد الرحمن بن صخر الدوسي، قدم على النبي ﷺ عام خيبر، ولازمه وأكثر من الرواية عنه، توفي بالمدينة النبوية سنة 57هـ. الإصابة (403/2).

(٤) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري، خادم رسول الله ﷺ، وأحد المكثرين من الرواية، وفضائله ومناقبه كثيرة جداً، توفي سنة 91هـ. الإصابة (71/1).

(٥) سعيد بن المسيب بن حزن، الإمام العلم، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه، يقول ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد، توفي سنة 93هـ. سير أعلام النبلاء (217/4).

(٦) سعيد بن جبير بن هشام الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد أبو محمد ويقال أبو عبد الله الأسدي مولاهم الكوفي أحد الأعلام، جهيد العلماء، قتل على يد الحجاج الثقفي سنة 95هـ. سير أعلام النبلاء (321/4).

(٧) طاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن، كان رأساً في العلم والعمل من سادات التابعين وأدرك خمسين صحابياً وكان كاملاً في الفقه والتفسير، وكان مجاب الدعوة حجج أربعين حجة وتوفي حاجاً بمكة قبل التروية بيوم سنة 106هـ. طبقات المفسرين ص(12).

ومكحول⁽¹⁾، ومالك⁽²⁾، والأوزاعي⁽³⁾، وأبي يوسف⁽⁴⁾،
والشافعي⁽⁵⁾، وأبي عبيد⁽⁶⁾،

..... وأحمد⁽¹⁾ «⁽²⁾».

(¹) مكحول الشامي تابعي جليل القدر إمام أهل الشام في زمانه، يقول طفت الأرض كلها في طلب العلم، وكان له وجاهة عند الناس مهما أمر به من شيء يفعل، توفي سنة 113هـ. البداية والنهاية (1916/2).

(²) مالك بن أنس الجيمري ثم الأصبحي المدني أبو عبد الله، حجة الأمة، إمام دار الهجرة، طلب العلم صغيراً، وتأهل للفتيا وجلس للإفادة وله إحدى وعشرون سنة، قال الإمام الشافعي: إذا ذكر العلماء فمالكُ النجم، توفي سنة 199هـ. نزهة الفضلاء (614/2).

(³) الأوزاعي: عبد الرحمن بن عمرو بن يحمّد، شيخ الإسلام وعالم أهل الشام، أبو عمرو، واحد زمانه وإمام عصره وأوانه، كان يسكن بمحلة الأوزاع بدمشق ثم تحول إلى بيروت مرابطاً بها إلى أن مات، سنة 151هـ. سير أعلام النبلاء (107/7).

(⁴) القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري أخذ الفقه عن الإمام أبي حنيفة وهو المقدم من أصحاب وولى القضاء لثلاثة خلفاء المهدي والهادي والرشيد، توفي ببغداد سنة 182هـ. الجواهر المضية في طبقات الحنفية (220/2).

(⁵) أبو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس القرشي، الإمام عالم العصر ناصر الحديث فقيه الملة، صنف التصانيف ودون العلم وبعد صيته وتكاثر عليه الطلبة، وقد أجمع العلماء قاطبة من أهل الحديث والفقه والأصول واللغة والنحو وغير ذلك على ثقته وأمانته وعدله وزهده وورعه وحسن سيرته وعلو قدره وسخائه، توفي سنة 204هـ، سير أعلام النبلاء (5/10).

(⁶) أبو عبيد القاسم بن سلام كان فاضلاً في دينه وعلمه، ربانياً مفتناً في أصناف علوم الإسلام من القرآن والفقه والعربية والأخبار، حسن الرواية صحيح النقل، أقام ببغداد مدة طويلة ثم ولى القضاء بطرسوس ثم خرج إلى مكة، في سنة تسع عشرة ومائتين وأقام بها وتوفي بها سنة 214هـ. صفة الصفوة (130/4).

وقول أهل اللغة في ذلك: « والشفق: الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الأخيرة »⁽³⁾.

وعليه واستناداً إلى قاعدة: « تفسير جمهور السلف مقدم على غيره »⁽⁴⁾، وقاعدة « حمل كلام الله تعالى على المعروف من لغة العرب »⁽⁵⁾، يترجح المعنى المُجمع عليه، والله أعلم بالصواب.

(١) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، الإمام الشهير ناصر السنة، صاحب المسند والزهد وغيرها، الإمام حقاً، وشيخ الإسلام صدقاً، تعرض لفتنة خلق القرآن فصبر وثبتته الله عز وجل في المحنة، قال علي بن المديني: إن الله عز وجل أعز هذا الدين برجلين، أبو بكر يوم الردة وأحمد بن حنبل يوم المحنة، توفي ببغداد عام 241هـ. الزهد ص(10)، سير أعلام النبلاء (177/11).

(٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (65/9).

(٣) هذه عبارة الفراهيدي في كتاب العين (45/5)، وانظر: تهذيب اللغة للأزهري (261/8)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (198/3)، ولسان العرب لابن منظور (180/10)، ومختار الصحاح للرازي ص(144).

(٤) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (288/1).

(٥) المرجع السابق (369/2).

معنى: « الطارق »

188- قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣﴾

[سورة الطارق: 1-3].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « (الطارق): النجم؛ سمي بذلك: لأنه

يطرق - أي يطلع - ليلاً، وكلّ من أتاك ليلاً فقد طرقتك »⁽¹⁾.

ولقد فسّر الطارق بأنه يراد به النجم، وأنه سمي بالطارق لأنه يطلع ليلاً ويختفي نهاراً، على اعتبار ما هو معروف أن كل من أتى في الليل سمي طارقاً، عدد

من المفسرين - متفقين مع ابن قتيبة في المعنى المذكور - منهم: الطبري⁽²⁾،

والسمرقندي⁽³⁾، والماوردي⁽⁴⁾، والقشيري⁽⁵⁾، والواحدي⁽⁶⁾، والسمعاني⁽⁷⁾،

والسمعاني⁽⁷⁾، والبغوي⁽⁸⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(449).

(٢) جامع البيان (141/30).

(٣) بحر العلوم (546/3).

(٤) النكت والعيون (245/6).

(٥) لطائف الإشارات (412/3).

(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1192/2).

(٧) تفسير القرآن (202/6).

(٨) معالم التنزيل (472/4).

وابن

عطية⁽¹⁾، والقرطي⁽²⁾، والحازن⁽³⁾، وابن جزي⁽⁴⁾،

وابن كثير⁽⁵⁾، والمحلي⁽⁶⁾، وابن عادل⁽⁷⁾، وأبو السعود⁽⁸⁾،

والشوكاني⁽⁹⁾، والألوسي⁽¹⁰⁾، وابن عاشور⁽¹¹⁾.

قال الطبري: « أقسم ربنا بالسماء وبالطارق الذي يطرق ليلاً من النجوم

المضيئة ويختفى نهاراً، وكل ما جاء ليلاً فقد طرق »⁽¹²⁾.

وقال الواحدي: « ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ يعني: النجوم كلها لأن طلوعها

بالليل، وكل ما أتى ليلاً فهو طارق، وقد فسّر الله تعالى ذلك بقوله: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾

[سورة الطارق: 3] «⁽¹⁾.

(١) المحرر الوجيز (464/5).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (1/20).

(٣) لباب التأويل (232/7).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (191/4).

(٥) تفسير القرآن العظيم (498/4).

(٦) تفسير الجلالين ص (802).

(٧) اللباب في علوم الكتاب (259/20).

(٨) إرشاد العقل السليم (140/9).

(٩) فتح القدير (418/5).

(١٠) روح المعاني (94/30).

(١١) التحرير والتنوير (258/30).

(١٢) جامع البيلن (141/30).

وقال ابن عاشور: «**وَالطَّارِقُ**» وصف مشتق من الطروق، وهو الجيء ليلاً، لأن عادة العرب أن النازل بالحي ليلاً يطرق شيئاً من حجر أو وتد؛ إشعاراً لرب البيت أن تزيلاً نزل به، لأن نزوله يقضي بأن يضيقوه، فأطلق الطروق على النزول ليلاً مجازاً مرسلًا، فغلب الطروق على القدوم ليلاً⁽²⁾.
وأضاف الزمخشري⁽³⁾ وتبعه الفخر الرازي⁽⁴⁾، والنسفي⁽⁵⁾، وأبوحيان⁽⁶⁾، في بيان معنى الطارق، إضافة على «أنه يبدو بالليل، كما يقال للآتي ليلاً: طارق»، قال: «أو لأنه يطرق الجني، أو يصكّه»⁽⁷⁾.
والذي يظهر -والله أعلم- أن المعنى الذي ذهب إليه ابن قتيبة وموافقوه، وأن وصف النجم بالطارق على اعتبار المعروف في لغة العرب: أن الطارق هو الذي يأتي في الليل، ولأن النجوم تظهر في الليل وتختفي في النهار هو الأصح لغة⁽⁸⁾، وأهم منه ما ورد من تفسير الطارق بالقادم ليلاً في الحديث الذي رواه

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/1192).

(٢) التحرير والتنوير (30/258).

(٣) الكشاف (4/735).

(٤) التفسير الكبير (31/114).

(٥) مدارك التنزيل (4/330).

(٦) البحر المحيط (8/447).

(٧) انظر: الكشاف للزمخشري (4/735).

(٨) انظر: لسان العرب لابن منظور (10/218).

جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: **فهي النبي ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً⁽¹⁾**. فثبت
الحديث وصحته في الدلالة على معنى مرجح له على ما خالفه⁽²⁾، وكون هذا
المعنى مما هو معروف في لغة العرب، فيجب الحمل عليه⁽³⁾، وقد أجمع عليه جمهور
جمهور السلف فهو مقدم على ما خالفه⁽⁴⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه (638/2) في أبواب العمرة، باب لا يطرق أهله إذا بلغ المدينة.

(٢) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (206/1).

(٣) المرجع السابق (369/2).

(٤) المرجع السابق (288/1).

الضريع والغسلين

189- قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾﴾

[سورة الغاشية 6-7].

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله-: « وقوله ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾، وهو يقول في

موضع آخر: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الحاقة: 35-36]، فإن النار

دركات، والجنة درجات، وعلى قدر الذنوب والحسنات تقع العقوبات والمثوبات،

فمن أهل النار من طعامه الزقوم، ومنهم مَنْ طعامه غسلين، ومنهم من شرابه

الحميم، ومنهم من شرابه الصديد.

والضريع: نبت يكون بالحجاز؛ يقال لِرَطْبِهِ: الشَّبْرُق، لا يُسْمِنُ ولا يُشْبَع.

قال امرؤ القيس⁽¹⁾:

فَاتْبَعْتُهُمْ طَرْفِي وَقَدْ حَالَ دُونَهُمْ

غَوَارِبَ رَمْلِ ذِي أَلَاءٍ وَشَبْرُقِ

وأما قولهم: كيف يكون في النار نبت وشجر، والنار تأكلهما؟

(1) امرؤ القيس واسمه جندح بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي، كان أبوه ملكاً على بني أسد، فنشأ أميراً، ثم ألف التنقل مع نفر من أصحابه للهو والصيد، ولما قُتل أبوه، أراد الأخذ بالثأر، فلم يجد من يعينه، حتى سار إلى القسطنطينية، فلم يستطع القيصر مساعدته، فعاد خائباً في شتاء عام 72 ق. هـ (540م) وأصيب بالجدري ومات.

انظر: طبقات فحول الشعراء للجمحي (51/1)، وشرح المعلقات السبع للزوزني ص(7).

فإنه لم يُرد فيما يرى أهل النظر -والله أعلم- أن الضريع بعينه ينبت في النار، ولا أنهم يأكلونه، والضريع من أقوات الأنعام لا من أقوات الناس، وإذا وقعت فيه الإبل لم تشبع وهلكت هزلاً. فأراد أن هؤلاء قوم يقتاتون ما لا يشبعهم، وضرب الضريع لهم مثلاً، أو يعذبون بالجوع كما يُعذب من قوته الضريع»⁽¹⁾.

ولقد ذهب عدد من المفسرين في الجمع بين الضريع والغسلين إلى مثل ما ذكره ابن قتيبة، وأن العذاب في النار أبواب فمنهم أكلة الضريع، ومنهم أكلة الغسلين إلخ، فممن ذكر ذلك: الزمخشري⁽²⁾، والبيضاوي⁽³⁾، والنسفي⁽⁴⁾، ونظام الدين النيسابوري⁽⁵⁾، والحازن⁽⁶⁾، وأبو حيان⁽⁷⁾، وابن عادل⁽⁸⁾، وأبو السعود⁽⁹⁾، والشوكاني⁽¹⁰⁾.

(١) تأويل مشكل القرآن ص(86).

(٢) الكشاف (745/4).

(٣) أنوار التنزيل (334/4).

(٤) مدارك التنزيل (334/4).

(٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (489/6).

(٦) لباب التأويل (238/7).

(٧) البحر المحيط (457/8).

(٨) اللباب في علوم الكتاب (295/20).

(٩) إرشاد العقل السليم (149/9).

(١٠) فتح القدير (429/5).

قال الزمخشري: « فإن قلت: كيف قيل ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيْعٍ﴾ وفي

الحاقة ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلِيْنٍ﴾ [الحاقة: 36]، قلت: العذاب ألوان، والمعذبون

طبقات؛ فمنهم أكلة الزقوم⁽¹⁾، ومنهم أكلة الغسلين، ومنهم أكلة الضريع⁽²⁾.

«⁽²⁾.

وقال الشوكاني: « وقد تقدم في سورة الحاقة ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيْمٌ﴾⁽³⁵⁾

وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلِيْنٍ﴾⁽³⁶⁾ والغسلين غير الضريع، وجمع الآيتين: بأن النار

درجات؛ فمنهم من طعامه الضريع، ومنهم من طعامه الغسلين⁽³⁾.

وقيل: « إنه ربما يكون هذا في حال والآخر في حال⁽⁴⁾، وهذا القول

فيما يظهر داخل تحت القول الأول، فيكون من عذاب أهل النار أنهم في أحوال يأكلون الغسلين، وفي أحوال يأكلون الضريع وهكذا.

وتم رأي « أن الضريع والغسلين واحد⁽⁵⁾».

(¹) الوارد في قوله تعالى: ﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾^(٦٦) [الصفات: 62] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ

شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾^(٤٢) طَعَامُ الْآثِيْرِ﴾^(٤٤) [سورة الدخان: 43-44].

(^٢) الكشاف (745/4).

(^٣) فتح القدير (429/5).

(^٤) ذكره ابن جزري ولم يرجحه، انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (195/4).

(^٥) ذكره السمعاني ولم يرجحه، انظر: تفسير القرآن (216/6).

وعليه فإن من المفسرين من ذكر القولين معاً تفسيراً وبيانا لمعنى الآية، منهم:
السمعاني⁽¹⁾، وابن عطية⁽²⁾،
والفخر الرازي⁽³⁾، والقرطبي⁽⁴⁾، والألوسي⁽⁵⁾.
والذي يظهر - والله أعلم - أنه «يجوز أن تحمل الآيتان على الحالتين»⁽⁶⁾،
«⁽⁶⁾، فإذا كان الضريع لا يسمن ولا يغني من جوع، فإنه أيضاً «الغسلين طعام
لا ينفع، ولا يغنيهم من شيء، فإن الكل بمعنى واحد»⁽⁷⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) المرجع السابق.

(٢) المحرر الوجيز (362/5).

(٣) التفسير الكبير (139/31).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (30/20).

(٥) روح المعاني (113/30).

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (30/20).

(٧) انظر: تفسير القرآن للسمعاني (216/6).

معنى: ﴿كَبِدٍ﴾

190- قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [سورة البلد: 4].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿فِي كَبِدٍ﴾ في شدة غلبة ومكابدة لأموال الدنيا والآخرة»⁽¹⁾.

لقد وافق الإمام ابن قتيبة على ما ذهب إليه بيانياً لمعنى ﴿فِي كَبِدٍ﴾ جم غفير من المفسرين، منهم: الطبري⁽²⁾، وابن أبي زمنين⁽³⁾، والواحدي⁽⁴⁾، وابن عطية⁽⁵⁾، عطية⁽⁵⁾، والفخر الرازي⁽⁶⁾، والقرطبي⁽⁷⁾، والبيضاوي⁽⁸⁾، والنسفي⁽⁹⁾، وابن تيمية⁽¹⁰⁾، وابن جزري⁽¹¹⁾، وأبو حيان⁽¹⁾، والمحلي⁽²⁾، والبقاعي⁽³⁾، وأبو السعود⁽⁴⁾، والشوكاني⁽⁵⁾، والألوسي⁽⁶⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(454).

(٢) جامع البيان (196/30).

(٣) تفسير القرآن العزيز (133/5).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1203/2).

(٥) المحرر الوجيز (484/5).

(٦) التفسير الكبير (165/31).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (62/20).

(٨) أنوار التنزيل (492/5).

(٩) مدارك التنزيل (340/4).

(١٠) مجموع فتاوى ابن تيمية/ التفسير (316/13).

(١١) التسهيل لعلوم التنزيل (200/4).

قال الطبري: « وأولى الأقوال بالصواب قول من قال معنى ذلك أنه خلق يكابد الأمور ويعالجها، فقوله ﴿فِي كَبَدٍ﴾ معناه في شدة»⁽⁷⁾.

وقال الألوسي: « ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ أي: في تعب ومشقة فإنه لا

يزال يقاسي فنون الشدائد من وقت نفخ الروح إلى حين نزعها وما وراءه، يقال: كبد الرجل كبدًا فهو أكبد؛ إذا وجعته كبده وانتفخت، فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة، ومنه اشتقت المكابدة لمقاساة الشدائد»⁽⁸⁾.

وتم أقوال أخرى في تفسير الآية، منها: يقال: « ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي

كَبَدٍ﴾ يعني: معتدل الخلق والقامة، وقيل: منتصبًا قائمًا على رجلين»⁽⁹⁾.

و « يقال: خلقه في بطن أمه منتصبًا رأسه، فإذا أذن الله تعالى أن يخرج من بطن أمه، تنكس رأسه عند خروجه»⁽¹⁰⁾.

(١) البحر المحيط (470/8).

(٢) تفسير الجلالين ص(808).

(٣) نظم الدرر (428/8).

(٤) إرشاد العقل السليم (161/9).

(٥) فتح القدير (443/5).

(٦) روح المعاني (135/30).

(٧) جامع البيان (196/30).

(٨) روح المعاني (135/30).

(٩) ذكرهما السمرقندي في بحر العلوم (559/3).

(١٠) ذكره القشيري في لطائف الإشارات (422/3).

ومنها: يقال: « ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ يعني: آدم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ﴿فِي كَبَدٍ﴾⁽¹⁾.
أي: في وسط السماء»⁽¹⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - أن القول الأول هو «الصحیح»⁽²⁾، وهو
«اللائق بالآية»⁽³⁾، وهو «الظاهر»⁽⁴⁾.

أما الأقوال الأخرى فقد ردّها ووصفها بأنها «ضعيفة» ابن جزى⁽⁵⁾،
وأبو حيان⁽⁶⁾، والألوسي⁽⁷⁾، وقال ابن عاشور: «لا يساعد عليها السياق»⁽⁸⁾.
«⁽⁸⁾».

وتبين بهذا رجحان ما ذهب إليه ابن قتيبة و «الأكثر»⁽⁹⁾، فقول
«الجمهور مقدم على غيره»⁽¹⁰⁾، ولأنه هو «المعروف في كلام العرب من معاني
الكبد»⁽¹⁾، والله أعلم بالصواب.

(١) حكاة ابن الجوزي في زاد المسير (128/9) عن ابن زيد.

(٢) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (484/5)، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى (200/4).

(٣) انظر: التفسير الكبير للرازي (165/31).

(٤) انظر: البحر المحيط لأبي حيان (470/8).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (200/4).

(٦) البحر المحيط (470/8).

(٧) روح المعاني (135/30).

(٨) التحرير والتنوير (352/30).

(٩) انظر: التفسير الكبير للرازي (165/31).

(١٠) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحري (288/1).



(١) انظر: جامع البيان للطبري (196/30)، وانظر: قاعدة: « حمل كلام الله تعالى على المعروف من لغة العرب » قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).

معنى: ﴿دَسَّهَا﴾

191- قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا ۝١ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ۝١٠﴾ [سورة

الشمس: 9-10].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿دَسَّهَا﴾ أي: دسّ نفسه - أي

أخفاها - بالفجور والمعصية.

والأصل من (دست) فقلبت السين ياء، كما قالوا: قصّيت أظفاري؛ أي:

قصصتها»⁽¹⁾.

والموافقون لابن قتيبة على المعنى المذكور، منهم: السمرقندي⁽²⁾،

والبيضاوي⁽³⁾، وابن تيمية⁽⁴⁾، وابن جزري⁽⁵⁾، والمحلي⁽⁶⁾، والبقاعي⁽⁷⁾،

وأبو السعود⁽⁸⁾، والشوكاني⁽¹⁾، والسعدي⁽²⁾، وابن عاشور⁽³⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(456).

(٢) بحر العلوم (563/3).

(٣) أنوار التنزيل (496/5).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية/ التفسير (231/16).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (202/4).

(٦) تفسير الجلالين ص(810).

(٧) نظم الدرر (441/8).

(٨) إرشاد العقل السليم (164/9).

قال السعدي: «أي: أخفى نفسه الكريمة، التي ليس حقيقة بقمعها وإخفائها، بالتدنس بالردائل، والدنو من العيوب والذنوب، وترك ما يكملها وينميها، واستعمال ما يشينها ويدسيها»⁽⁴⁾.

وقال ابن عاشور: «ومعنى ﴿دَسَّهَا﴾ حال بينها وبين فعل الخير، وأصل فعل دسّ: دسّ، إذا أدخل شيئاً تحت شيء فأخفاه، فأبجلوا الحرف المضاعف ياء طلباً للتخفيف»⁽⁵⁾.

ويرى فريق آخر من المفسرين أن معنى ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ يعني: «وقد خاب في طلبته فلم يدرك ما طلب والتمس لنفسه من الصلاح من دساها، يعني من دس الله نفسه فأخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله تعالى»⁽⁶⁾.

وهذا المعنى مروى عن ابن عباس⁽⁷⁾ -رضي الله عنهما-،
وقول الطبري⁽¹⁾، وابن أبي زمنين⁽²⁾، والواحدي⁽³⁾، والفخر الرازي⁽⁴⁾،
والخازن⁽⁵⁾، وأبو حيان⁽⁶⁾، وابن عادل⁽⁷⁾.

(١) فتح القدير (449/5).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص(926).

(٣) التحرير والتنوير (371/30).

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص(926).

(٥) التحرير والتنوير (371/30).

(٦) هذه عبارة الطبري في جامع البيان (212/30).

(٧) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(512).

ومن المفسرين من لم يرجح قولاً دون قول، وإنما ذكر القولين معاً على اعتبار احتمالهما لمعنى الآية، منهم: القشيري⁽⁸⁾، والسمعاني⁽⁹⁾، والبغوي⁽¹⁰⁾، وابن عطية⁽¹¹⁾، والقرطبي⁽¹²⁾، والنسفي⁽¹³⁾، ونظام الدين النيسابوري⁽¹⁴⁾، وابن كثير⁽¹⁵⁾.

فمثلاً قال ابن كثير: «﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ أي: أحملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله -عز وجل-، وقد يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى الله نفسه، وقد خاب من دسى الله نفسه»⁽¹⁶⁾.

-
- (١) جامع البيان (212/30).
- (٢) تفسير القرآن العزيز (137/5).
- (٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1207/2).
- (٤) التفسير الكبير (176/31).
- (٥) لباب التأويل (252/7).
- (٦) البحر المحيط (475/8).
- (٧) اللباب في علوم الكتاب (362/20).
- (٨) لطائف الإشارات (425/3).
- (٩) تفسير القرآن (233/6).
- (١٠) معالم التنزيل (493/4).
- (١١) المحرر الوجيز (488/5).
- (١٢) الجامع لأحكام القرآن (77/20).
- (١٣) مدارك التنزيل (342/4).
- (١٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (508/6).
- (١٥) تفسير القرآن العظيم (517/4).
- (١٦) المرجع السابق.

الذي يظهر - والله أعلم - أن الآية يصح حملها على المعنيين معاً، فعلى القول الأول وأن فعل التزكية أو التدسية عائد إلى النفس؛ أي: كل نفس، وقد قال الله تعالى: ﴿فَأَلِّمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ﴾ [سورة الشمس: 8]، وقال في السورة التي قبلها وهي سورة البلد ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [سورة البلد: 10]، فربنا تبارك وتعالى قد بين لعباده طريق الخير وطريق الشر، طريق التقوى وطريق الفجور، وعلى الإنسان العمل والمجاهدة، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [سورة العنكبوت: 69]، فبهذا يصح حمل الآية على هذا الوجه.

وعلى القول الآخر المبني على نسبة فعل التزكية والتدسية إلى الله تبارك وتعالى، فهو يؤيده حديث: «اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكّاها أنت وليها ومولاها»⁽¹⁾.

وبناء على ما سبق وكون الأوجه المذكورة «كلها صحيحة، صح حمل معنى الآية عليها»⁽²⁾، والله أعلم بالصواب.

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (2088/4) حديث رقم (2722) من حديث زيد بن أرقم -

رضي الله عنه - .

(2) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).

معنى: ﴿سَجَى﴾

192- قال تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [سورة الضحى: 1-2].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾: إذا سكن، وذلك

عند تناهي ظلامه وركوده»⁽¹⁾.

ولقد وافق ابن قتيبة على القول الذي ذهب إليه في تفسير ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا

سَجَى﴾ من المفسرين: الطبري⁽²⁾، والواحدي⁽³⁾، وابن عطية⁽⁴⁾، ونظام الدين

(١) تفسير غريب القرآن ص(459).

(٢) جامع البيان (229/30).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/1210).

(٤) المحرر الوجيز (5/493).

النيسابوري⁽¹⁾، وابن جزى⁽²⁾، والمحلي⁽³⁾، وابن عادل⁽⁴⁾، وأبو السعود⁽⁵⁾،
والشوكانى⁽⁶⁾، والألوسى⁽⁷⁾.

قال الطبري: « وأولى الأقوال بالصواب عندي في ذلك قول من قال: معناه:
والليل إذا سكن وثبت بظلامه، كما يقال: بحر ساج؛ إذا كان ساكناً. ومنه قول
أعشى بني ثعلبة:

فما ذنبنا إن جاش بحر ابن عمكم وبحرك ساج ما يوارى الدعامصا⁽⁸⁾
«⁽⁹⁾.

وقال ابن عطية: « ﴿سَجَى﴾ معناه: سكن واستقر ليلاً تاماً⁽¹⁰⁾ ».

وتم تأويلات أخرى في بيان معنى الآية، منها: « أقبل⁽¹⁾، وقيل: إذا
أظلم⁽²⁾، وقيل: إذا استوى⁽³⁾، وقيل: إذا ذهب⁽⁴⁾ »⁽⁵⁾.

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (514/6).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (204/4).

(٣) تفسير الجلالين ص (811).

(٤) اللباب في علوم الكتاب (380/20).

(٥) إرشاد العقل السليم (169/9).

(٦) فتح القدير (457/5).

(٧) روح المعاني (153/30).

(٨) البيت في ديوان الأعشى ص (109)، ولكنه قال:

أتوعدني أن جاش بحر ابن عمكم وبحرك ساج لا يوارى الدعامصا

وتقدمت ترجمة الأعشى.

(٩) جامع البيان (229/30).

(١٠) المحرر الوجيز (493/5).

وزاد القرطبي أقوالاً حيث ذكر أن من معاني ﴿سَجَى﴾: «سكن، وأظلم، وغطى»⁽⁶⁾.

وعدد من المفسرين أيضاً اكتفى بسرد الأقوال كلها أو بعضها دون ترجيح قول بعينه بياناً لمعنى الآية، منهم: ابن أبي زمنين⁽⁷⁾، والقشيري⁽⁸⁾، والسمعاني⁽⁹⁾، والبغوي⁽¹⁰⁾، والزمخشري⁽¹¹⁾، والفخر الرازي⁽¹²⁾، والقرطبي⁽¹³⁾، والبيضاوي⁽¹⁴⁾، والخازن⁽¹⁵⁾، وأبو حيان⁽¹⁶⁾، والبقاعي⁽¹⁷⁾.

(٦) قاله سعيد بن جبير.

(٧) روى عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.

(٨) قاله مجاهد.

(٩) رواه ابن حنظلة عن ابن عباس.

(١٠) ذكرها الماوردي في النكت والعيون (291/6) بتصرف.

(١١) الجامع لأحكام القرآن (91/20).

(١٢) تفسير القرآن العزيز (141/5).

(١٣) لطائف الإشارات (429/3).

(١٤) تفسير القرآن (242/6).

(١٥) معالم التنزيل (498/4).

(١٦) الكشف (770/4).

(١٧) التفسير الكبير (188/31).

(١٨) الجامع لأحكام القرآن (91/20).

(١٩) أنوار التنزيل (501/5).

(٢٠) لباب التأويل (258/7).

(٢١) البحر المحيط (480/8).

(٢٢) نظم الدرر (453/8).

والذي يظهر - والله أعلم - أن القول «الأول أصح»⁽¹⁾، وهو «الأقرب في الاشتقاق»⁽²⁾، وهو «الأشهر في اللغة»⁽³⁾، حيث قالوا: ﴿سَجَى﴾ معناه: س-كن ودام، كما يقال: بحر س-اج، وليل س-اج إذا ركد وأظلم»⁽⁴⁾، وقاعدة: «حمل كلام الله تعالى على المعروف من لغة العرب»⁽⁵⁾ تؤيد ذلك، والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (493/5).

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (204/4).

(٣) انظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (380/20).

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور (370/14).

(٥) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (369/2).

معنى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾

193- قال تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ [سورة

الشرح: 2-3].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ أي: إثمك،

وأصل الوزر: ما حمّله الإنسان على ظهره، فشبه الإثم بالحمل، فجعل مكانه»⁽¹⁾.

ووافق ابن قتيبة من المفسرين: الطبري⁽²⁾، وابن أبي زمنين⁽³⁾، والفخر

الرازي⁽⁴⁾، والقرطبي⁽⁵⁾، وأبو حيان⁽⁶⁾، والبقاعي⁽⁷⁾، والسعدي⁽⁸⁾.

قال الطبري: « ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ يقول: وغفرنا لك ما سلف من

ذنوبك وحططنا عنك ثقل أيام الجاهلية التي كنت فيها»⁽⁹⁾.

(١) تأويل مشكل القرآن ص(114).

(٢) جامع البيان (234/30).

(٣) تفسير القرآن العزيز (143/5).

(٤) التفسير الكبير (5/32).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (105/20).

(٦) البحر المحيط (484/8).

(٧) نظم الدرر (461/8).

(٨) تيسير الكريم الرحمن ص(929).

(٩) جامع البيان (234/30).

ومما ورد في بيان معنى ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ ما قاله

السمرقندي: « ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ يعني: غفرنا لك ذنبك؛ كقوله تعالى:

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [سورة الفتح: 2]، ويقال: غفرنا

لك ذنبك أي زلتك بترك الاستثناء، ويقال: معناه ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ يعني:

عصمناك من الذنوب»⁽¹⁾.

وما قاله الواحدي: « ﴿وَوَضَعْنَا﴾ حططنا ﴿عَنكَ وِزْرَكَ﴾ ما سلف منك

في الجاهلية، وقيل: يعني الخطأ والسهو، وقيل: معناه حففنا عليك أعباء النبوة،

والوزر في اللغة: الحمل الثقيل»⁽²⁾.

وما قاله ابن عطية: « والوزر الذي وضعه الله تعالى عنه هو عند بعض

المتأولين: الذي كان رسول الله ﷺ وحيرته قبل المبعث؛ إذ كان يرى سوء ما قرئ

فيه من عبادة الأصنام، وكان لم يتجه له من الله تعالى أمر واضح، فوضع الله تعالى

عنه ذلك الثقل بنبوته وإرساله، وقيل المعنى: خففنا عليك أثقال النبوة وأعناك على

الناس»⁽³⁾.

(1) بحر العلوم (569/3).

(2) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1212/2).

(3) المحرر الوجيز (496/5).

وما قاله النسفي: « ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ وخففنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها، وقيل: هو زلة لا تعرف بعينها وهي ترك الأفضل مع إتيان الفاضل، والأنبياء يعاتبون بمثلها، ووضع عنه أن غفر له، والوزر الحمل الثقيل»⁽¹⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - أن الراجح في بيان معنى ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ هو ما أجمع عليه «جمهور المفسرين أن الوزر هنا الذنوب، وأصله الثقل، فشبهت الذنوب به، وأن هذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [سورة الفتح: 2]»⁽²⁾.

ومن ذكر هذا المعنى: السمرقندي⁽³⁾، والسمعاني⁽⁴⁾، والفخر الرازي⁽⁵⁾، والقرطبي⁽⁶⁾،
والخازن⁽⁷⁾، وابن جزى⁽⁸⁾، وابن عادل⁽¹⁾.

(١) مدارك التنزيل (346/4).

(٢) حكى إجماع الجمهور ابن عطية في المحرر الوجيز (496/5)، وابن جزى في التسهيل لعلوم التنزيل (206/4).

(٣) بحر العلوم (569/3).

(٤) تفسير القرآن (249/6).

(٥) التفسير الكبير (5/32).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (105/20).

(٧) لباب التأويل (262/7).

(٨) التسهيل لعلوم التنزيل (206/4).

فتبين أن ما أجمع عليه الجمهور هو الراجح في بيان معنى الآية، والله أعلم بالصواب.

معنى: ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾

194- قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ

سَافِلِينَ ٥ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٦ ﴿

[سورة التين: 4-6].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ ٥ ﴿

والسافلون: هم الضعفاء والزمنى والأطفال، ومن لا يستطيع حيلة، ولا يجد سبيلا، وتقول: سفل يسفل فهو سافل وهم سافلون، كما تقول: علا يعلو فهو عالٍ وهم عالون، وهو مثل قوله سبحانه: ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُنَوِّفُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ

أَرْدَلِ الْعُمْرِ﴾ [سورة النحل: 70]، [وسورة الحج: 5] وأراد أن الهرم⁽¹⁾

يَخْرَفُ وَيُهْتَرُ⁽²⁾ وينقص خلقه، ويضعف بصره وسمعه، وتقلّ حيلته، ويعجز عن عمل الصالحات؛ فيكون أسفل من هؤلاء جميعاً.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في وقت القوة والقدرة، فإنهم في حال

الكبير غير منقوصين، لأننا نعلم أنّ لو لم نسلبهم القدرة والقوة لم يكونوا ينقطعون

(١) الهرم: أقصى الكبر، هَرَمَ يَهْرَمُ، فهو هرم. انظر: لسان العرب لابن منظور (607/12).

(٢) الْفُسْرُ: ذهاب العقل من كبر أو مرض أو حزن. المرجع السابق (249/5).

عن عمل الصالحات، فنحن نجري لهم أجر ذلك ولا نمناه، أي: لا نقطعه ولا ننقصه، وهو معنى قول المفسرين»⁽¹⁾.

المعنى الذي ذكره ابن قتيبة روي عن مقاتل⁽²⁾، وقاله الطبري⁽³⁾، والسمرقندي⁽⁴⁾، وابن عطية⁽⁵⁾، والقرطبي⁽⁶⁾، والمحلي⁽⁷⁾.

قال الطبري: « وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصحة قول من قال معناه:

ثم رددناه إلى أرذل العمر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات في حال صحتهم وشبابهم فلهم أجر غير ممنون بعد هرمهم كهيئة ما كان لهم من ذلك على أعمالهم في حال ما كانوا يعملون وهم أقوياء على العمل»⁽⁸⁾.

وهذا القول مبني على أن الاستثناء في ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ استثناء منقطع.

أما غالبية المفسرين فقد ذكروا القولين معاً دون ترجيح عند تفسير الآية، أعني المبني على كون الاستثناء منقطعاً، وهو ما ذهب إليه ابن قتيبة وموافقوه، والقول الآخر المبني على أن الاستثناء متصل، منهم: الماوردي⁽⁹⁾، والسمعاني⁽¹⁰⁾،

(١) تأويل مشكل القرآن ص(202)، وتفسير غريب القرآن ص(461).

(٢) تفسير مقاتل (498/3).

(٣) جامع البيان (245/30).

(٤) بحر العلوم (571/3).

(٥) المحرر الوجيز (500/5).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (115/20).

(٧) تفسير الجلالين ص(813).

(٨) جامع البيان (245/30).

(٩) النكت والعيون (302/6).

والسمعاني⁽¹⁾، والبغوي⁽²⁾، والزحشري⁽³⁾، والفخر الرازي⁽⁴⁾، والنسفي⁽⁵⁾،
والنسفي⁽⁵⁾، والخازن⁽⁶⁾، وابن جزري⁽⁷⁾، وأبو حيان⁽⁸⁾، وأبو السعود⁽⁹⁾،
والألوسي⁽¹⁰⁾.

قال الماوردي: « **﴿ثُمَّ رَدَدْتُهُ أَسْفَلَ سَفَلِينَ﴾** فيه قولان: أحدهما: إلى الهرم

بعد الشباب، والضعف بعد القوة⁽¹¹⁾، ويكون أسفل بمعنى بعد التمام، الثاني: بعد
الكفر⁽¹²⁾، ويكون أسفل السافلين محمولاً على الدرك الأسفل من النار⁽¹³⁾.

وقال ابن جزري: « **﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾** [سورة التين: 4] فيه

قولان: أحدهما: أن أحسن التقويم هو حسن الصورة وكمال العقل والشباب

(١) تفسير القرآن (254/6).

(٢) معالم التنزيل (505/4).

(٣) الكشاف (779/4).

(٤) التفسير الكبير (12/32).

(٥) مدارك التنزيل (347/4).

(٦) لباب التأويل (266/7).

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (207/4).

(٨) البحر المحيط (485/8).

(٩) إرشاد العقل السليم (176/9).

(١٠) روح المعاني (175/30).

(١١) حكاية عن الضحاك والكلبي.

(١٢) حكاية عن مجاهد وأبي العالية.

(١٣) النكت والعيون (302/6).

والقوة، وأسفل سافلين الضعف والهزم والخرف، فهو كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ

نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ [سورة يس: 68]، وقوله تعالى: ﴿جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ

ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [سورة الروم: 54].

وقوله ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ بعد هذا غير متصل بم قبله، والاستثناء على هذا

القول منقطع بمعنى (لكن) لأنه خارج عن معنى الكلام الأول.

والقول الآخر: أن حسن التقويم: الفطرة على الإيمان، وأسفل سافلين:

الكفر، أو تشويه الصورة في النار، والاستثناء على هذا متصل، لأن الذين آمنوا

وعملوا الصالحات لم يردوا أسفل سافلين»⁽¹⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - أن كلا القولين صالحين لحمل معنى الآية عليهما،

والخلاف المذكور راجع إلى المسألة اللغوية هل الاستثناء متصل أو منقطع، وليس

من وجه في تقوية أحد القولين على الآخر، والمعنى على كلا الحالين يصلح أن

يكون تفسيراً وبيئاً لمعنى الآتي⁽²⁾، والله أعلم بالصواب.

(1) التسهيل لعلوم التنزيل (207/4).

(2) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1)، قاعدة: الآية إن كانت تحتل معانٍ كلها صحيحة،

صح الحمل عليها جميعها.

المراد بـ ﴿الزَّانِيَةَ﴾

195- قال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ (١٧) ﴿سَدَّعُ الزَّانِيَةَ﴾ (١٨) [سورة العلق: 17-18].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿سَدَّعُ الزَّانِيَةَ﴾ هم: الشُّرط، في كلام

العرب^(١)، وهو مأخوذ من الزبن، وهو الدفع، كأنهم يدفعون أهل النار إليها
«^(٢)».

فابن قتيبة فسّر ﴿الزَّانِيَةَ﴾ بمعناها اللغوي، وهو الدفع، فكأنه يشير إلى أن

المقصود خزنة النار حيث إنهم يدفعون الكفار في النار دفعًا.

وبنفس الأسلوب، أقصد بيان المعنى اللغوي للفظ (زبانية) بما يفهم من

الإشارة إلى أن المراد هم خزنة جهنم، أو ملائكة العذاب، أو الملائكة الغلاظ

الشداد، فسرّها: السمرقندي^(٣)، والبغوي^(٤)، والزمخشري^(٥)، وابن عطية^(٦)،

(١) انظر: مختار الصحاح للرازي ص(113).

(٢) تفسير غريب القرآن ص(462).

(٣) بحر العلوم (575/3).

(٤) معالم التنزيل (508/4).

(٥) الكشف (784/4).

(٦) المحرر الوجيز (503/5).

والفخر الرازي⁽¹⁾، والبيضاوي⁽²⁾، والنسفي⁽³⁾، ونظام الدين النيسابوري⁽⁴⁾،
والخازن⁽⁵⁾، وأبو السعود⁽⁶⁾، والألوسي⁽⁷⁾، وابن عاشور⁽⁸⁾.

قال السمرقندي: « **سَدَّعُ الزَّبَانِيَّةِ** يعني: ملائكة العذاب غلاظ شداد،

والزبانية: أخذ من الزبن وهو الدفع، وإنما سَمُوا الزبانية لأنهم يدفعون الكفار إلى النار»⁽⁹⁾.

وقال ابن عاشور: « وهذا الاسم مشتق من الزبن: وهو الدفع بشدة، فالزبانية الذين يزبنون الناس، أي: يدفعونهم بشدة، والمراد بهم ملائكة العذاب، ويطلق الزبانية على أعوان الشرطة»⁽¹⁰⁾.

وروي عن مقاتل أنه قال: « **سَدَّعُ الزَّبَانِيَّةِ** يعني: خزنة جهنم»⁽¹¹⁾،

وقاله ابن أبي زمنين⁽¹⁾، والماوردي⁽²⁾، والسعدي⁽³⁾.

(١) التفسير الكبير (25/32).

(٢) أنوار التنزيل (512/5).

(٣) مدارك التنزيل (349/4).

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (534/6).

(٥) لباب التأويل (271/7).

(٦) إرشاد العقل السليم (181/9).

(٧) روح المعاني (188/30).

(٨) التحرير والتنوير (452/30).

(٩) بحر العلوم (575/3).

(١٠) التحرير والتنوير (452/30).

(١١) تفسير مقاتل (502/3).

وابن كثير قال إن المراد بالزبانية: « ملائكة العذاب »⁽⁴⁾.
 ومن المفسرين من ذكر أن المراد بالزبانية « الملائكة الغلاظ الشداد » قاله
 الواحدي⁽⁵⁾، والسمعاني⁽⁶⁾، والقرطبي⁽⁷⁾، والمحلي⁽⁸⁾، وابن عادل⁽⁹⁾،
 والشوكاني⁽¹⁰⁾.
 فكل ما ذكر عن المفسرين مؤداه واحد، واختلافهم هنا تنوع لا تضاد،
 فالملائكة الغلاظ الشداد هم خزنة النار، يزنون أهل النار، أي يدفعون إليها وفيها،
 « والآية التي لها عدة معانٍ كلها صحيحة، صح الحمل عليها جميعها »⁽¹¹⁾، والله
 أعلم بالصواب.

-
- (١) تفسير القرآن العزيز (5/148).
 (٢) النكت والعيون (6/308).
 (٣) تيسير الكريم الرحمن ص(930).
 (٤) تفسير القرآن العظيم (4/529).
 (٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/1217).
 (٦) تفسير القرآن (6/259).
 (٧) الجامع لأحكام القرآن (20/126).
 (٨) تفسير الجلالين ص(815).
 (٩) اللباب في علوم الكتاب (20/424).
 (١٠) فتح القدير (5/470).
 (١١) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (1/204).

معنى: ﴿الْقَدْرِ﴾

196- قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾

لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ [سورة القدر: 1-3].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾: ليلة الحكم، كأنه يُقدَّر

فيها الأشياء»^(١).

هذا المعنى الذي ذكره ابن قتيبة في بيان معنى ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ لم أجد من

وافقه عليه من المفسرين سوى: الطبري^(٢)، والسمعاني^(٣)، وابن جزي^(٤).

قال الطبري: « في ليلة القدر: وهي ليلة الحكم التي يقضى الله تعالى فيها

قضاء السنة، وهو مصدر من قولهم: قدر الله عليّ هذا الأمر فهو يقدر قدرًا»^(٥).

«^(٥).

(١) تفسير غريب القرآن ص(463).

(٢) جامع البيان (258/30).

(٣) تفسير القرآن (260/6).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (210/4).

(٥) جامع البيان (258/30).

لكن الذي ورد عن الغالبية العظمى من المفسرين تفسيرهم للآية بأكثر من قول يذكرونه عند بيان معنى ﴿لَيْلَةَ الْقَدْرِ﴾، فمثلاً قال الماوردي: « وفي تسميتها ﴿لَيْلَةَ الْقَدْرِ﴾ أربعة أوجه:

أحدها: لأن الله تعالى قدر فيها إنزال القرآن.

الثاني: لأن الله تعالى يقدر فيها أمور السنة، أي: يقضيها ⁽¹⁾.

الثالث: لعظم قدرها وجلالة خطرها، من قولهم: رجل له قدر ⁽²⁾.

الرابع: لأن للطاعات فيها قدراً عظيماً وثواباً جزيلاً ⁽³⁾.

وقال الزمخشري: « ومعنى ليلة القدر: ليلة تقدير الأمور وقضائها، ومنه قوله

تعالى ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [سورة الدخان: 4]، وقيل: سميت بذلك لخطرها وشرفها على سائر الليالي ⁽⁴⁾.

وقال ابن الجوزي: « فأما ﴿لَيْلَةَ الْقَدْرِ﴾ ففي تسميتها بذلك خمسة أقوال:

أحدها: أن القدر: العظمة؛ من قولك: لفلان قدر ⁽⁵⁾، ويشهد له قوله تعالى ﴿وَمَا

(١) حكاه عن مجاهد.

(٢) حكاه عن ابن عيسى.

(٣) النكت والعيون (312/6).

(٤) الكشف (786/4).

(٥) حكاه عن الزهري.

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴿ [سورة الأنعام: 91] و [سورة الزمر: 67]، والثاني: أنه من الضيق؛ أي: هي ليلة تضيق فيها الأرض عن الملائكة الذين ينزلون⁽¹⁾، ويشهد له قوله تعالى ﴿وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [سورة الطلاق: 7]، والثالث: أن القدر الحكم؛ كأن الأشياء تقدر فيها⁽²⁾، والرابع: لأن من لم يكن له قدر صار بمراعاتها ذا قدر⁽³⁾، والخامس: لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر، وتنزل فيها رحمة ذات قدر، وملائكة ذوو قدر⁽⁴⁾ «⁽⁵⁾.

ونحو مَنْ ذَكَرْتَ أَقْوَالَهُمْ جَاءَتْ عِبَارَاتٌ غَيْرُهُمْ، مِنْهُمْ: ابن عطية⁽⁶⁾، والفخر الرازي⁽⁷⁾، والقرطبي⁽⁸⁾، والبيضاوي⁽⁹⁾، والنسفي⁽¹⁰⁾، ونظام الدين النيسابوري⁽¹¹⁾، والخازن⁽¹²⁾، وأبو حيان⁽¹⁾،

(١) حكاه عن الخليل بن أحمد.

(٢) حكاه عن ابن قتيبة، وقد تقدم ذكر كلام ابن قتيبة.

(٣) حكاه عن أبي بكر الوراق.

(٤) حكاه عن شيخه علي بن عبيدالله.

(٥) زاد المسير (182/9).

(٦) المحرر الوجيز (505/5).

(٧) التفسير الكبير (28/32).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (131/20).

(٩) أنوار التنزيل (513/5).

(١٠) مدارك التنزيل (350/4).

(١١) غرائب القرآن و رغائب الفرقان (536/6).

(١٢) لباب التأويل (271/7).

..... وابن عادل⁽²⁾، وأبو السعود⁽³⁾،

والشوكانى⁽⁴⁾، والألوسى⁽⁵⁾، والسعدى⁽⁶⁾.

بل لقد جمع البقاعي عدداً من الأقوال وربط بينها، فقال: « ولما عظمه بما

ذكر، زاده عظماً بالوقت الذي اختار إنزاله فيه، ليكون طالعه سعيداً لما كان

أثره حميداً، فقال: ﴿ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ أي: الليلة التي لها قدر عظيم وشرف كبير،

والأعمال فيها ذات قدر وشرف، فكانت بذلك كأنها مختصة بالقدر فلا قدر

لغيرها، وتسميتها بذلك لشرفها ولعظيم قدرها، أو أنه يفصل فيها من أم الكتاب

مقادير الأمور، فيكتب فيها عن الله تعالى حكم ما يكون من تلك الليلة إلى مثلها

من العام المقبل، من قولهم: قدر الله عليّ هذا الأمر يقدره قدراً؛ أي: قضاة. وهي

الليلة المرادة في سورة الدخان بقوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾

﴿(7)﴾.

« والواقع أن في السورة ما يدل على إرادة: القدر والرفعة، وهو قوله تعالى:

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [سورة القدر: 2-

(١) البحر المحيط (492/8).

(٢) الباب في علوم الكتاب (427/20).

(٣) إرشاد العقل السليم (182/9).

(٤) فتح القدير (471/5).

(٥) روح المعاني (191/30).

(٦) تيسير الكريم الرحمن ص(931).

(٧) نظم الدرر (491/8).

[3]، فالتساؤل بهذا الأسلوب للتعظيم، كقوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ ۝١﴾ مَا

الْقَارِعَةُ ۝٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝٣﴾ [سورة القارعة: 1-3] وقوله ﴿خَيْرٌ

مِنَ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ فيه النص صراحة على علو قدرها ورفعها، إذ أنها تعدل في الزمن

فوق ثلاث وثمانين سنة وأيضاً كونها اختصت بإنزال القرآن فيها، ويتنزل
الملائكة والروح فيها، وبكونها سلاماً هي حتى مطلع الفجر، لفيه الكفاية بما لم
تختص وتشاركها فيه ليلة من ليالي السنة وعليه فلا مانع من أن تكون سميت بليلة
القدر، لكونها محلاً لتقدير الأمور في كل سنة، وأنها بهذا وبغيره علا قدرها، وعظم
شأنها»⁽¹⁾.

والظاهر بناء على ما تم عرضه، صحة حمل معنى الآية على جميع الأقوال،
لاستناد عدد منها على آيات أخرى من القرآن، وقد مرَّ ما فعله بعض المفسرين من
الربط بين أكثر من قول لإبراز الدلالة على ترابط الأقوال الواردة في بيان معنى
الآية، والله أعلم بالصواب.

(١) قاله الشيخ عطية محمد السالم في تنمة أضواء البيان (34/9).

معنى: ﴿كَعَصَفٍ مَّاكُولٍ﴾

197- قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصَفٍ مَّاكُولٍ﴾ [سورة الفيل: 5].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « و ﴿مَّاكُولٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن يكون المراد: أنه أخذ ما فيه من الحب فأكل، وبقي هو لا حب فيه.

والآخر: أن يكون المراد: العصفَ مأكولاً للبهائم؛ كما تقول للحنطة: هذا المأكول؛ ولما يؤكل. وللماء: هذا المشروب؛ ولما يُشرب. يريد: أنهما مما يؤكل ويُشرب «⁽¹⁾».

لقد ذكر ابن قتيبة قولين من مجمل ثلاثة أقوال واردة عن المفسرين في بيان

معنى الآية، فالثالث هو ما قيل فيه: « ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصَفٍ مَّاكُولٍ﴾ العصف:

هو ورق الزرع، ومعناه: كعصف قد أكل ما فيه، والمعنى: أن الله تعالى شبههم بالزرع الذي أكلته الدواب وراثته وتفرقت، ولم يبق من ذلك شيء، فشبه هلاكهم بذلك «⁽²⁾».

(¹) تفسير غريب القرآن ص(471).

(²) هذه عبارة السمعاني في تفسير القرآن (285/6).

وقال بهذا القول [الثالث] معنىً للآية من المفسرين: السمرقندي⁽¹⁾، وابن أبي زمنين⁽²⁾، والواحدي⁽³⁾، والسمعاني⁽⁴⁾، والزمخشري⁽⁵⁾، والنسفي⁽⁶⁾، والمحلي⁽⁷⁾، وابن عاشور⁽⁸⁾.

لكن فريقاً آخر من المفسرين جمعوا الأقوال الثلاثة عند تفسيرهم للآية، منهم: البغوي⁽⁹⁾، والفخر الرازي⁽¹⁰⁾، والبيضاوي⁽¹¹⁾، والحازن⁽¹²⁾، وابن جزري⁽¹³⁾، وأبو حيان⁽¹⁴⁾، وابن كثير⁽¹⁵⁾، وأبو السعود⁽¹⁶⁾، والشوكاني⁽¹⁾، والألوسي⁽²⁾.

-
- (١) بحر العلوم (579/3).
- (٢) تفسير القرآن العزيز (164/5).
- (٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1233/2).
- (٤) تفسير القرآن (285/6).
- (٥) الكشاف (806/4).
- (٦) مدارك التنزيل (357/4).
- (٧) تفسير الجلالين ص (822).
- (٨) التحرير والتنوير (551/30).
- (٩) معالم التنزيل (529/4).
- (١٠) التفسير الكبير (96/32).
- (١١) أنوار التنزيل (531/5).
- (١٢) لباب التأويل (296/7).
- (١٣) التسهيل لعلوم التنزيل (218/4).
- (١٤) البحر المحيط (512/8).
- (١٥) تفسير القرآن العظيم (553/4).
- (١٦) إرشاد العقل السليم (201/9).

قال البيضاوي: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ كورق زرع وقع فيه الآكال؛ وهو أن يأكله الدود، أو أكل حبه فيبقى صفراً منه؛ أو كتبن أكلته الدواب وراثته»⁽³⁾.

وقال ابن جزري: ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ العصف ورق الزرع وتبته، والمراد أنهم صاروا رميمًا، وفي تشبيههم به ثلاثة أوجه؛ الأول: أنه شبههم بالتبن إذا أكلته الدواب ثم راثته، فجمع اللفظ والخسة، ولكن الله تعالى كنى عن هذا على حسن أدب القرآن، الثاني: أنه أراد ورق الزرع إذا أكلته الدود، الثالث: أنه أراد كعصف مأكول زرعه وبقي هو لا شيء»⁽⁴⁾.

والذي يظهر -والله أعلم- من هذا العرض لأقوال المفسرين أن الخلاف بينهم في المشهد المشبه به حالة أصحاب الفيل بعد وقوع العذاب عليهم، وإلا فإنهم متفقون في المعنى المراد: وهو هلاكهم.

وبالتالي بناء على قاعدة: «الآية إن كان لها عدة معانٍ كلها صحيحة، صح الحمل عليها جميعها»⁽⁵⁾، وعليه فما ذكره هو من قبيل التنوع في ذكر أنواع المشبه به، وكلها أحوال معروفة عند العرب، والله أعلم بالصواب.

(١) فتح القدير (469/5).

(٢) روح المعاني (237/30).

(٣) أنوار التنزيل (531/5).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (218/4).

(٥) انظر: قواعد التفسير لخالد السبت (204/1).س.

معنى: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾

198- ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [سورة المسد: 4].

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: « ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ يعني: النميمة، ومنه يقال: فلان يحطب عليّ؛ إذا أغرى به »⁽¹⁾.

ولقد وافق الواحدي ابن قتيبة حين قال: « ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ نقالة الحديث الماشقي بالنميمة »⁽²⁾.

لكن فريقاً من المفسرين يرون أن المعنى على ظاهره وأنها كانت تحمل الحطب والشوك وتضعه في طريق رسول الله ﷺ، فمن اختار ذلك: الطبري⁽³⁾، وابن أبي زمنين⁽⁴⁾، والزمخشري⁽⁵⁾، وأبو حيان⁽⁶⁾، والمحلي⁽⁷⁾.

قال الطبري: « وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي قول من قال كانت تحمل الشوك فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ، لأن ذلك هو أظهر معنى ذلك »⁽¹⁾.

(١) تفسير غريب القرآن ص(475).

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/1240).

(٣) جامع البيان (30/338).

(٤) تفسير القرآن العزيز (5/171).

(٥) الكشاف (4/821).

(٦) البحر المحيط (8/526).

(٧) تفسير الجلالين ص(826).

وفريق آخر فسروا الآية بحملها على المعنيين المذكورين معاً، فقد روي عن

ابن عباس -رضي الله عنهما- قوله: «**حَمَّالَةَ الْحَطَبِ**» نقالة النميمة،

كانت تمشي بالنميمة بين المسلمين والكافرين، ويقال: كانت تأتي بالشوك فتطرحه في طريق النبي ﷺ»⁽²⁾.

وهو قول السمرقندي⁽³⁾، والسمعاني⁽⁴⁾، والبغوي⁽⁵⁾، وابن عطية⁽⁶⁾،

والقرطبي⁽⁷⁾، والنسفي⁽⁸⁾، ونظام الدين النيسابوري⁽⁹⁾، والخازن⁽¹⁰⁾، وابن

عادل⁽¹¹⁾، والألوسي⁽¹²⁾.

ورجح ابن كثير أن المراد بالآية: العذاب الذي ستجده في النار يوم القيامة،

فقال: «**وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ**» وكانت عوناً لزوجها على كفره

وجحوده وعناده فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم يعني:

(١) جامع البيان (30/338).

(٢) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي ص(521).

(٣) بحر العلوم (3/606).

(٤) تفسير القرآن (6/300).

(٥) معالم التنزيل (4/543).

(٦) المحرر الوجيز (5/535).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (20/239).

(٨) مدارك التنزيل (4/362).

(٩) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (6/591).

(١٠) لباب التأويل (7/318).

(١١) اللباب في علوم الكتاب (20/554).

(١٢) روح المعاني (30/263).

تحمل الحطب فتلقي على زوجها ليزداد على ما هو فيه [ثم ذكر الأقوال الأخرى، إلى أن قال:] والصحيح الأول»⁽¹⁾.

ومثله قال السعدي حيث قال: «﴿سَيَصَلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾⁽²⁾ أي:

ستحيط به النار من كل جانب، هو ﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ وكانت أيضاً شديدة الأذية لرسول الله ﷺ، تتعاون هي وزوجها على الإثم والعدوان، وتلقي الشر، وتسعى غاية ما تقدر عليه في أذية الرسول ﷺ»⁽²⁾.

وجمع الأقوال الثلاثة كلها معتبراً إياها معاً معنى للآية: البقاعي⁽³⁾، وأبو السعود⁽⁴⁾، والشوكاني⁽⁵⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - من خلال المدارس أن الأقوال الثلاثة مترابطة جداً، وأبرز هذا المعنى المترابط البقاعي بقوله: «وصفها بما أشار إليه ذنبها وأكمل قبيح صورتها فقال: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ أي: الحاملة أقصى ما يمكّن حمله من حطب جهنم بما كانت تمشي به وتبالغ فيه من حمل حطب البهت والنميمة الذي تحمل به على معادة النبي ﷺ، وشدة أذاه وإيقاد نار الحرب والخصومة عليه ﷺ وشبهت النميمة بالحطب لأنها توقد الشر فتفرق بين الناس، كما أن الحطب يكون

(1) تفسير القرآن العظيم (4/565).

(2) تيسير الكريم الرحمن ص (937).

(3) نظم الدرر (8/573).

(4) إرشاد العقل السليم (9/211).

(5) فتح القدير (5/512).

وقوداً للنار فتفرقه، وكذا بما كانت تحمل من الشوك وتنثره ليلاً في طريق النبي ﷺ لتؤذيه، وكانت تفعله بنفسها من شدة عداوتها وتباشره ليلاً لتستخفي به⁽¹⁾، فلا مانع إذاً من حمل الآية على جميع المعاني المذكورة، والله أعلم بالصواب.

(1) نظم الدرر (573/8).

معنى: ﴿الصَّمَدُ﴾

199- قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3)

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)﴾ [الإخلاص : 1 - 4]

قال الإمام ابن قتيبة - رحمه الله -: ((﴿الصَّمَدُ﴾: السيد الذي قد انتهى

سؤدده، لأن الناس يَصْمِدُونَهُ⁽¹⁾ في جوانحهم. قال الشاعر⁽²⁾: خذها حذيف
فأنت السيد الصمد))⁽³⁾.

فهذا ما قاله ابن قتيبة وقد وافقه فيه من المفسرين: الطبري⁽⁴⁾،

والزمخشري⁽⁵⁾،

..... وابن

(١) يصمدونه: يقصدونه، قال أهل اللغة: ((صمده يصمده: قصده والصمد بالتحريك: السج المطاع الذي لا يقضى دونه أمر، وقيل: الذي يصمد إليه في الحوائج: أي يُقصد)) انظر: لسان العرب لابن منظور (258/3)، ومختار الصحاح للرازي ص(155).

(٢) هذا البيت لعمر بن الأسلم العبسي يذكر حذيفة بن بدر الفزاري وكان قد قتله هو والحارث بن زهير جميعاً تعاورا بهسفيهما فقتلاه، وأوله: يحمته الرمح شزراً ثم قلت له. انظر اللآلي في شرح أمالي القالي 932/2 ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري 277/15.

(٣) تفسير غريب القرآن ص(476).

(٤) جامع البيان (344/30).

(٥) الكشف (823/4).

عطية⁽¹⁾، والقرطي⁽²⁾، والبيضاوي⁽³⁾، والنسفي⁽⁴⁾، وابن جزى⁽⁵⁾،
والمحلي⁽⁶⁾، وابن عادل⁽⁷⁾، والشروكاني⁽⁸⁾، والسعدي⁽⁹⁾، وابن عاشور⁽¹⁰⁾.
عاشور⁽¹⁰⁾.

قال الطبري: ((الصمد عند العرب: هو السيد الذي يصمد إليه الذي لا
أحد فوقه، وكذلك تسحي أشرافها))⁽¹¹⁾.

والقرطي ذكر أولاً المعنى الذي وافق فيه ابن قتيبة، ثم ذكر عدة أقوال،
وختم بأن: ((الصحيح منها ما شهد له الاشتقاق وهو القول الأول))⁽¹²⁾.

والنسفي قال: ((اللَّهُ الصَّمَدُ)) وهو السيد المصمود إليه في الحوائج،
والمعنى: هو الله الذي تعرفونه وتقرون بأنه خالق السموات والأرض وخالقكم،

-
- (١) المحرر الوجيز (536/5).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (245/20).
(٣) أنوار التنزيل (548/5).
(٤) مدارك التنزيل (363/4).
(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (224/4).
(٦) تفسير الجلالين ص (826).
(٧) اللباب في علوم الكتاب (560/20).
(٨) فتح القدير (516/5).
(٩) تيسير الكريم الرحمن ص (937).
(١٠) التحرير والتنوير (344/30).
(١١) جامع البيان (344/30).
(١٢) الجامع لأحكام القرآن (245/20).

وهو واحد لا شريك له، وهو الذي يصمد إليه كل مخلوق لا يستغنون عنه، وهو الغني عنهم))⁽¹⁾.

وقال المحلي: ((اللَّهُ الصَّمَدُ)) مبتدأ وخبر، أي المقصود في الحوائج على الدوام))⁽²⁾.

وقال السعدي: ((اللَّهُ الصَّمَدُ)) أي: المقصود من جميع الحوائج، فأهل العلم العلوي والسفلي، مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم، لأنه الكامل في أوصافه، العليم الذي قد كمل في علمه، الحليم الذي كمل في حلمه، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، وهكذا سائر أوصافه))⁽³⁾.

وعبارات أخرى وردت عن المفسرين في بيان المعنى جمعها الماوردي، فقل: ((اللَّهُ الصَّمَدُ)) فيه عشرة تأويلات:

أحدها: أن الصمد المصمت الذي لا جوف له⁽⁴⁾.

الثاني: هو الذي لا يأكل ولا يشرب⁽⁵⁾.

الثالث: أنه الباقي الذي لا يفنى⁽¹⁾.

(١) مدارك التنزيل (363/4).

(٢) تفسير الجلالين ص (826).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص (937).

(٤) قاله الحسن وعكرمة والضحاك وابن جبير.

(٥) قاله الشعبي.

الرابع: هو الذي لم يلد ولم يولد⁽²⁾.

الخامس: أنه الذي يصمد الناس إليه في حوائجهم⁽³⁾.

السادس: أنه السيد الذي قد انتهى سؤدده⁽⁴⁾.

السابع: أنه الكامل الذي لا عيب فيه⁽⁵⁾.

الثامن: أنه المقصود إليه في الرغائب، والمستغاث به في المصائب⁽⁶⁾.

التاسع: أنه المستغني عن كل أحد⁽⁷⁾.

العاشر: أنه الذي يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد⁽⁸⁾،⁽⁹⁾.

وفريق غير قليل من المفسرين يذكرون بعض أو معظم الأقوال المذكورة،

بنفس العبارات أو مرادف لها أو قريب منها عند تفسيرهم للآية، منهم:

(١) قاله قتادة.

(٢) قاله محمد بن كعب.

(٣) قاله ابن عباس.

(٤) قاله أبو وائل وسفيان.

(٥) قاله مقاتل.

(٦) قاله السدي.

(٧) قاله أبو هريرة رضي الله عنه.

(٨) قاله الحسين بن فضيل.

(٩) النكت والعيون (371/6).

السمرقندي⁽¹⁾، وابن أبي زمنين⁽²⁾، والواحدي⁽³⁾، والسمعاني⁽⁴⁾،
والبغوي⁽⁵⁾، والفخر الرازي⁽⁶⁾، ونظام الدين النيسابوري⁽⁷⁾، والخازن⁽⁸⁾، وأبو
وأبو حيان⁽⁹⁾، وابن كثير⁽¹⁰⁾، وأبو السعود⁽¹¹⁾، والألوسي⁽¹²⁾.

قال الواحدي: ((اللَّهُ الصَّمَدُ)) السيد الذي انتهى إليه السؤدد، وقيل: الصمد
الذي لا جوف له لا يأكل ولا يشرب، وقيل: هو المقصود إليه في الرغائب))
(13).

وقال السمعاني: ((وقوله ((اللَّهُ الصَّمَدُ)) فيه أقوال: أحدها: أنه الذي يصمد إليه
في الحوائج، والآخر: أنه هو الذي انتهى في السؤدد وبلغ كماله، والقول الثالث:

-
- (١) بحر العلوم (608/3).
(٢) تفسير القرآن العزيز (172/5).
(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1248/2).
(٤) تفسير القرآن (303/6).
(٥) معالم التنزيل (544/4).
(٦) التفسير الكبير (165/32).
(٧) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (595/6).
(٨) لباب التأويل (321/7).
(٩) البحر المحيط (529/8).
(١٠) تفسير القرآن العظيم (571/4).
(١١) إرشاد العقل السليم (212/9).
(١٢) روح المعاني (273/30).
(١٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1241/2).

أنه الذي ليس له جوف أي لا يأكل، والقول الرابع: أن تفسيره قوله ((لم يلد ولم يولد))، وقيل: إنه الباقي الذي لا يغنى، وقيل: إنه الدائم الذي لا يزول⁽¹⁾. وبعد هذا العرض يظهر - والله أعلم - أن ((الأولى بتأويل الكلمة المعنى المعروف من كلام من نزل القرآن بلسانه))⁽²⁾، والذي قاله أهل اللسان العربي: ((صمده يصمده: قصده والصمد بالتحريك: السيد المطاع الذي لا يقضى دونه أمر، وقيل: الذي يصمده إليه في الحوائج أي يقصد))⁽³⁾، ((والدليل على صحة هذا التفسير: ما روى ابن عباس رضي الله عنهما (أنه لما نزلت هذه الآية قالوا: ما الصمد؟ قل عليه السلام: هو السيد الذي يصمده إليه في الحوائج))⁽⁴⁾، وهو القول الذي ((يشهد له الاشتقاق))⁽⁵⁾، وقد ((أطبق أهل اللغة وجمهور أهل التفسير))⁽⁶⁾ على صحة القول المذكور، والله أعلم بالصواب.

فاللهم يا صمد، اللهم يا صمد، اللهم يا صمد، يا واحد يا أحد، لم ياد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله، علانيته وسره، لك الحمد إنك على كل شيء قدير، اللهم لك الحمد كما يحمد ربنا نفسه، ليس في كمثلته شيء في حمده، وكما

(١) تفسير القرآن (303/6).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (344/30).

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور (258/3)، ومختار الصحاح للرازي ص(155).

(٤) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي (165/32).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (245/20).

(٦) انظر: فتح القدير للشوكاني (516/5).

يحمده حملة عرشه والملائكة والمقربون، وكما يحمده النبيون والمرسلون والصدّيقون والشهداء والصالحون، عدد ما أحاط به علمه، وخط به قلمه، وأحصاه كتابه، وبلغ فيه لطفه، أدركه بصره، ووسعته رحمته، وقهره ملكه، ورضيته نفسه، اللهم لك الحمد بما خلقتنا وكفيتنا وهديتنا وأطعمتنا أسقيتنا وسترتنا وآويتنا وعلمتنا، وفرّجت عنا، لك الحمد بالإيمان لك الحمد بالإسلام لك الحمد بالقرآن لك الحمد بالأهل والمال والمعافاة.

كبتّ عدونا وأظهرت أمننا، وجمعت فرقنا، وأحسنّت معافاتنا، ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا، بل أعطيتنا من قبل أن نسألك، فبإحسانك المتقدم نتوسل إليك، لك الحمد بكلّ نعمة أنعمت بها علينا في قديم أو حديث، أو سر أو علانية، أو خاصة أو عامة، أو شاهد أو غائب، أو حي أو ميت، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد على رضاك، ولك الحمد على حمدنا إياك، اللهم لا تحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، اللهم لك الحمد تتابع برّك، واتصل خيرك، كمل عطاؤك، وعمّت فواضلك، وتمت نوافلك، وبرّ قسمك، وصدق وعدك، وحق على أعدائك وعيدك، ولم تبق حاجة لنا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين، لك الحمد أنت أحق من ذكر، وأحق من شكر، وأحق من حمد، وأحق من عبد، وأنصر من ابتغى، وأرأف من ملك، وأجود من سئل، وأوسع من أعطى، وأرحم من استرحم، وأكرم من قصد، أنت الملك لا شريك لك، والأحد الذي لا ندّ لك، كل شيء هالك إلا وجهك، لن تطاع إلا بإذنك، ولن تُعصى إلا بعلمك، تطاع فتشكر، تُعصى فتغفر، أقرب شهيد، وأدنى حفيظ، حلت دون النفوس، وأخذت بالنواصي، وكتبت الآثار، ونسخت الآجال، القلوب لك مفضية، والسر عندك علانية، الحلال ما أحللت، والحرام ما حرّمت، والدين ما شرعت، والخلق خلقت، والأمر أمرك، وأنت الله الرؤوف الرحيم.

اللهم ذا العرش المجيد، والركن الشديد، يا فعلاً لما تريد، أنت الأول والآخر والظاهر والباطن وأنت بكل شيء عليم، لك الحمد أنت الذي خلقتنا من عدم، وأسبغت علينا وافر النعم، كبرتنا من صغر، وقويتنا من ضعف، وأطعمتنا من جوع، وسقيتنا من ظمأ، وسترتنا من عورة، وشفيتنا من مرض، وهديتنا من ضلالة، وعلمتنا من جهالة، وحببت إلينا الإيمان، وعلمتنا قراءة القرآن، وكثرت حولنا الأحاباب والإخوان.

اللهم لا نخصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، فكم من كائد كادنا فمنعته، وكم من ماكر مكر بنا فدفعته، وذاكرتنا قبل أن نذكرك، وذاكرتنا ونحن نذكرك، وذاكرتنا بعد أن نذكرك، اللهم لك الحمد لا ينبغي لأحد غيرك، ولا يجزي عليه سواك، لك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن، لك الحمد أنت ملك السماوات والأرض ومن فيهن، لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، لك الحمد، أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد صلى الله عليه وسلم حق، والساعة حق.

اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير.

اللهم لك الحمد خيراً مما نقول، وفوق ما نقول، ومثل ما نقول، عز جاهك، وجل ثناؤك، وتقدست أسماءك، في السماء ملكك، وفي الأرض سلطانك، وفي البحر عظمتك، وفي كل شيء حكمتك وآيتك، أنت رب العالمين، لا إله إلا أنت.

اللهم صلّ وسلم على حامل لواء العز في بني لؤي، وصاحب الطود المنيف في عبد مناف بن قصي، صاحب الغرة والتحجيل، المذكور في التوراة والإنجيل.

اللهم صلّ على صاحب اللواء المعقود، والحوض المورود، وصاحب الشفاعة
في اليوم الموعود.

اللهم صلّ وسلّم على من هديت به البشرية، وأنرت به أفكار الإنسانية،
وزعزت به أركان الوثنية، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.



الخلاصة

الخاتمة

بعد هذه الجولة الممتعة مع أقوال وآراء الإمام أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري - رحمه الله - فإني أحمد الله جل شأنه، وأثني عليه بما هو أهله، ولا أحصي ثناءً عليه، فسبحانه جل وعلا كما أثني على نفسه .. ففي الختام أسأل الله تعالى أن يبارك لي في هذا البحث، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، ولقد عشت معه ليالي وأياماً، كانت مملوءة بالفوائد العلمية والعوائد الإيمانية، فإني أخلص إلى عدد من النتائج، أهمها:

- أن الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - من أئمة التفسير وعلماء التأويل، بل هو من المتفنين في هذا الباب ومن المبرزين فيه، ولم يكن هذا لولا فضل الله تعالى عليه أولاً، ثم ما تميز به ابن قتيبة من علم وافر، وفهم ثاقب، وإدراك واسع.

- الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - إمام سلفي، وعالم أثري، فقد سار على منهج السلف، وأخذ بمعتقدهم، وقال بقولهم، وناصح عنهم وذنب، وجادل عنهم ورد، فما ألصق به من البدع هو منها بريء، وكلامه شاهد عيان على رد هذا عنه.

- كان الإمام ابن قتيبة من الأئمة الغيورين على كتاب الله تعالى، والذابين عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، وله في هذا الميدان القدر المعلن، وكتابه: (تأويل مشكل القرآن) يُعد أصلاً في بابه، وسابقاً في مضماره، وأولاً في ميدانه، وجزلاً في سيره، وأصلاً في أسلوبه.

- كان ابن قتيبة - رحمه الله - من الأئمة الذين يعتنون بإيصال المعلومة مباشرة، بعبارة وجيزة، وكلمات قليلة، فهو من أهل العلم الذين يمتازون بالاختصار، وترك الإسهاب والإطالة، والناظر في كلام ابن قتيبة المنقول في طيات هذا البحث يجد هذا واضحاً جلياً، وهذه فضيلة تذكر لهذا الإمام، وميزة تميز بها، يُشكر عليها، وهكذا كان المحققون من أهل العلم.

- يظهر في هذا البحث اعتناء الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - في تفسيره للألفاظ القرآنية بالقرآن الكريم.

- كذلك يظهر عنايته - رحمه الله - بالسنة النبوية في تفسير القرآن الكريم، فما إن يجد حديثاً إلا يورده قائلاً به أو مستشهداً به.

- يُلاحظ أيضاً اعتناؤه بأقوال الصحابة - رضي الله عنهم - في تفسير كلام ربنا جل وعلا، غير أننا لا نستطيع إثبات أكثر من هذا، فما بين أيدينا من نصوص تفسيرية له - رحمه الله - لا يجعلنا نتبين هل كان الإمام ابن قتيبة من الأئمة الذين يرون وجوب الأخذ بقول الصحابي وعدم تعديه إلى غيره؟ أم كان ممن يجوز مخالفة الصحابي في تفسيره كلام الله - وَعَلَى - ؟ فهذا مما لا نستطيع الجزم بشيء فيه، فلعل الله تعالى أن ييسر الوقوف على ما يدل على إثبات شيء من هذا.

- كما أنه - رحمه الله - لم يكن ممن له عناية بالغة بالسند فيما ينسبه للصحابة الكرام من أقوال، بل كان يضيف القول من غير ذكر للسند غالباً، ومن غير بيان لصحة ما نقل عنهم أو ضعفه.

- ويظهر كذلك وبكل وضوح اعتناء الإمام بالشواهد الشعرية لما يذكره من معنى للفظ القرآنية المباركة، وهذا لما كان يمتلكه - رحمه الله - من مخزون أدبي واسع، وكيف لا! وهو صاحب كتاب (الشعر والشعراء) الذي أظهر فيه

شخصيته الفذة وعلميته القوية، واطلاعه الواسع، مع ما ح له الله تعالى من فهم لما يقوله الشعراء، وتسطره الأدباء.

- يمتاز الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - بمعرفة واسعة للسان العربي ومصنفاته، تدل على تقدمه في هذا المضمار، وهذا لا شك أنه يضيف على كتابته قوة، وعلى آرائه قبولاً.

- وجدت الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - غير معتنٍ بالقراءات، فإيراده لها قليل جداً، ولا يخفى ما للقراءات من أهمية عظمى، ومنزلة كبرى في علم التفسير.

- يُعد الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - في نظري - من مدرسة أهل اللغة في تفسير القرآن الكريم، كأمثال الفراء والزجاج وغيرهم من أئمة اللغة الذين كانت لهم عناية واضحة وجهد بارز في تفسير كلام الله تعالى.

- لم يكن الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - من أولئك المصنفين المعتمدين في تفسيرهم على روايات بني إسرائيل مع كون كتب التفسير طافحةً بها، ومع هذا فهو - في مقدار الدراسة - لم يذكرها أو يعرج عليها، وهذا يدل على علميته الواسعة وتأصيله في هذا العلم، كما أن هذا شأن أهل التحقيق والتدقيق العاملين بوصية رسول الله ﷺ في هذا الباب.

- وأخيراً إن النظر في أقوال العلماء، ودراستها، ومقارنتها، بالنظر في أدلة كل قول ومدى قوته ورجحانه على غيره؛ هذا النوع من الدراسة ينمّي في الباحث ملكة مناقشة الآراء المختلفة، وسرر أغوارها، والحكم عليها.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدم إلى الله - ﷻ - بالحمد والثناء على ما منّ به عليّ من إتمام كتابة هذا البحث، فله - ﷻ - وحده الفضل والمنة، وأسأله - ﷻ -

أن يغفر لي ما فيه من خطأ وزلل، وأن يتقبل مني، ويجعل عملي خالصاً لوجهه
الكريم.

كتبت وقد أيقنت لا شك أنني ستفني يدي يوماً ويبقى كتابيا
وأيقنت أن الله سائلها غداً فياليت شعري ما يكون جوابيا

يا ناظر الخط فاستغفر لمن كتب فقد كفتك يده النسخ والتعبا (1)

والله المسؤول أن يحقق لنا وإخواننا ما فيه نفعنا ونفعهم في ديننا ودياننا
وأخرانا، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب
الرحيم، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، واعف عنا إنك أنت العفو الكريم
الرحيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابه أجمعين.

(1) استفدت الأبيات المذكورة من كتاب: بلاد شنقيط، المنارة والرباط، للخليل النخوي، ص(236)،
ولم يحدد قائلها الأبيات.

الفهارس

1- فهرس الآيات القرآنية

2- فهرس الأحاديث

3- فهرس الأشعار

4- فهرس الأعلام

5- فهرس الأماكن والبلدان

6- فهرس المصادر والمراجع

7- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة
الفاتحة		
﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾	4	583
البقرة		
﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾	7	325
﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾	97	495
﴿وَقَنَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَهُ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾	193	436
﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا كَثِيرَةً﴾	245	-266 268
﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾	261	268
﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضَعْفَيْنِ﴾	265	-266 268
آل عمران		
﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾	30	517
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾	102	2
النساء		
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾	1	2

الآية	رقمها	الصفحة
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١٩﴾		
﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾	159	415
المائدة		
﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾	19	101
﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	41	325
﴿بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾	48	3-2
﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالَوْا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾	109	-239 717
الأنعام		
﴿إِنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾	25	179
﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾	91	796
﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ﴾	125	325
الأعراف		
﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ﴾	57	726
﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾	64	251
﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾	150	411
﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾	179	610

الآية	رقمها	الصفحة
﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ﴾	186	325
الأنفال		
﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾	2	164
﴿وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾	12	437
التوبة		
﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾	91	635
﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾	105	503
﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾	-124 125	-165 -166 167
يونس		
﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَحْرٍ مَّيْمَنٍ طَيْبَةٍ﴾	22	266
﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فزِيلْنَا بَيْنَهُمْ﴾	28	338
﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾	57	3
﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلِكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلِيفَةً وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾	73	251
هود		
﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءٍ يُضَعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾	20	325
﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَبَسِّمَاءِ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ﴾	44	250

الآية	رقمها	الصفحة
إبراهيم		
﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾	7	10
﴿ تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾	10	179
الحجر		
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾	9	3
النحل		
﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾	1	394
﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	44	3
﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾	53	9
﴿ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤْفِقُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرْدُ إِلَىٰ أَرْضِ الْأَعْمُرِ ﴾	70	788
﴿ تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾	89	3
﴿ أَوْلِيَّكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأَوْلِيَّكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾	108	325
الإسراء		
﴿ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ﴾	24	10
﴿ أَوْ تَسْقُطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا ﴾	92	194
الكهف		
﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾	29	537
﴿ وَنَوْمَ نَسِيرِ الْجِبَالِ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾	47	230
﴿ وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴾	48	-220 222

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَيَقُولُونَ يَوْمَئِذٍ إِنَّ هَذَا إِلَّا كَيْفَ آتَيْنَاهُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾	49	517
﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾	57	324
﴿فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَصُدُّوا عَنْهُ وَالْمَأْتِلَاءُ هَا أَهْوَىٰ لَهُمْ﴾	97	408
﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾	101	325
مريم		
﴿قَدْ جَعَل رَبُّكَ تَحَنُّكَ سِرًّا﴾	24	104
﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾	58	162
﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾	38	-219 222
طه		
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾	-105	-229
﴿فَأَعَاصِفُهَا فَهِيَ كَأَسْفُكٍ يَأْوِي إليها الْعِزَّةُ لَهَا آيَاتٌ لَّيْسَ بِهَا إِعْتَابٌ لَّكَ﴾	107	551
﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾	114	495
الأنبياء		
﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾	1	394
﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾	47	448
﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾	79	303
﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾	104	744
الحج		
﴿يَوْمَ تَرُونا تَدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ﴾	2	74

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَمَا هُمْ بِسُكْرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾		
﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾	5	78
﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾	5	83
﴿ وَمِنْكُمْ مَّن يُنَوِّقُ وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ ﴾	5	788
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾	14	88
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفُ فِيهِ وَالْبَادُ وَمَن يَرُدَّ فِيهِ بِالْحَكَادِ يُضَلِّمُ نَفْسَهُ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾	25	90
﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾	40	438
المؤمنون		
﴿ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾	17	94
﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعْدًا لِلقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾	41	96
﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلِّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولًا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِّلقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾	44	98
﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَءَاوَيْنَهُمَا إِلَىٰ رِبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾	50	102
﴿ يَتَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا	51	105

الآية	رقمها	الصفحة
تَعْمَلُونَ عَلَيْهِ ﴿٥١﴾		
﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾	71	461
النور		
﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّتِ كُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾	15	109
﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ ﴾	17	112
﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴿١١٣﴾ ﴾	21	113
﴿ وَلَا يَأْتِلُ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾	22	116
﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴿١١٩﴾ ﴾	35	-119 121
﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَاقٍ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾	39	125
﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾	60	-128 285
الفرقان		
﴿ إِذَا رَأَوْهُم مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾	12	131
﴿ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ ﴾	18	138
﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا نَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾	19	142

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءُ بِالْغَمِّ﴾	25	744
﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (٣٠)	30	147
﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ (٤٣)	43	150
﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ (٥٣)	53	153
﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ (٥٤)	54	156
﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾	65	-570 572
﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ (٦٨) ﴿يُضَعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾	-68 69	159
﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ (٧٣)	73	161
الشعراء		
﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	16	474
﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشُرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ (٥٤)	54	169
﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ (٩١) ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَتِنَّ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (٩٢) ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ﴾ (٩٣) ﴿فَكُبِّكُوا فِيهَا﴾ (٩٤) ﴿وَجُنُودَ إبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ (٩٥)	-91 95	172
﴿فَانجِئْنَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَائِكِ الْمَشْحُونِ﴾ (١١٩) ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾ (١٢٠)	-119 120	251
﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٣٥)	135	180
﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظت أم لم تكن من الواعظين﴾ (١٣٦)	-136	175

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلِقَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾﴾	138	
﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾﴾	148	181
﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾	149	185
﴿قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَه يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ قَالَ ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾	-167 168	188
﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾﴾	184	190
﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٩٣﴾﴾	187	192
﴿وَأَنذِرْ لِّلنَّازِلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾	-192 194	495
النمل		
﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نَارًا سَتَاتِكُمْ مِّنْهَا بِخَبْرِ أَوْ ءَاتِيكُمْ بِشَهَابٍ مِّمَّنْ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾	7	195
﴿وَأَتَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يَعْقِبْ ﴿١٠﴾﴾	10	198
﴿وَحِشْرٌ لِّسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾	17	201
﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٢٥﴾﴾	25	205
﴿قَالَ عِضْرِيُّ مَنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾	39	208
﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقِيهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾	44	211
﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ءَأَلَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ ﴿٦٠﴾﴾	60	214

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ بَلِ أَدْرَاكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلَّ هُمْ فِي شَكِّ مِّنْهَا بَلَّ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾	66	216
﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾	82	224
﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ففزعَ من في السَّمَوَاتِ ﴾	87	230
﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صَنَّ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَلَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾	88	227- 550
القصص		
﴿ فَاسْتَعْتَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾	15	232
﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾	23	236
﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾	66	238
﴿ وَءَايَنُّنَا مِنَ الْكُفُورِ مَا إِن مَفَاتِحَهُ لَسَنُوءًا بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَى ﴾	76	242
﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾	76	187- 246
العنكبوت		
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾	14	249
﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴾	18	3
﴿ أَتْلُ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ابْتَغِ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾	45	252
﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾	60	259
﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾	69	779
الروم		

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِدِ بِنَفْرُقُونَ ﴾ ﴿١٤﴾	14	339
﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ ﴿١٥﴾	15	261
﴿ وَإِذَا أَدْفَنَّا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبَّهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾	36	263
﴿ وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِّن رَّبِّ الْيَتِيمِ فِي ءَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يُرِيوْا عِندَ اللَّهِ وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ ﴿٣٩﴾	39	265
﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَثِيرٌ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كَسَفًا فَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِّن خَلَلِهِ ﴾ ﴿٥٤﴾	48	-194 725
﴿ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾	54	791
لقمان		
﴿ وَإِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ ﴿٧﴾	7	166
﴿ يَبْنِيٰ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ ﴿١٦﴾	16	270
﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوَجٌ كَاطِلٌ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِءَايَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ ﴿٣٢﴾	32	273
﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ ﴿٣٣﴾	33	276
﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَرْوِجَكُ وَبِنَايِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ﴿٥٩﴾	59	279

الآية	رقمها	الصفحة
السجدة		
﴿ وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾	10	292
﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾	12	222
﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِعَآئِنَتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾	15	162
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾	27	296
الأحزاب		
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٨﴾ ﴾	-70 71	290-2
سبا		
﴿ إِنْ نَشَأْ نُخَسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾	9	194
﴿ وَلَقَدْ ءَانَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرِ وَالنَّالَةَ الْحَدِيدِ ﴿١٠﴾ ﴾	10	300
﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾	13	308
﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾	18	311
فاطر		

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ زَيْنٌ لَهُ سَوْءُ عَمَلِهِ ۖ فَرَّاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾	8	152
﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَثِيرُ سَحَابًا فُسَقِنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾	9	726
﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ سُورٌ ﴿١٠﴾ ﴾	10	314
﴿ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغْتِ وَقَدِّرِ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾	11	305
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ ﴾	27	-316 319
﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾	45	88
يس		
﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ ﴾	7	324
﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾	9	322
﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾	14	327
﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿٣٩﴾ ﴾	39	330
﴿ لَهُمْ فِيهَا فَنَكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾	57	334
﴿ وَامْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾	59	338
﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴾	68	791
﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾	78	701
﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ	80	341

الآية	رقمها	الصفحة
﴿مَنْهُ تُوقَدُونَ﴾ (٨٠)		
الصفات		
﴿وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ (٨) دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿	9-8	345
﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ (١٠)	10	348
﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ (١٢) وَإِذَا ذُكِرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ﴿ (١٤)	-12 14	351
﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ (٤٥) بِيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّرِيبِينَ ﴿ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ ﴿ (٤٧)	-45 47	488
﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ (٦٢)	62	354
﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ (٦٣)	63	357
﴿فَاتَّهَمُوا لَا يَكُونُ مِنْهَا فَمَا لَتَوْنَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ ﴿ (٦٧) عَلَيْهَا لَشَوْبَابًا مِنْ حَمِيمٍ ﴿ (٦٧)	-66 67	361
﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ (١٠٣)	103	364
﴿فَالنَّقَمَةُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (١٤٢)	142	366
﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ (١٤٥)	145	369
ص		
﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَخْلَقُ﴾	7	180
﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ﴾ (١٢)	12	372
﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ (١٨)	18	303
﴿عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾ (٣١)	31	376
﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾	32	88
﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّغْيِينَ لَشَرَّ مَثَابٍ﴾ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُ ﴿ (٥٦) الْمِهَادُ ﴿ (٥٦) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقُ ﴿ (٥٧) وَءَاخِرُ مِنْ ﴿ (٥٨) شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿ (٥٨)	-55 58	379

الآية	رقمها	الصفحة
الزمر		
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتْرَهُ مُمْصَفًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَمًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (٦١)	21	381
﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي نَقَّشِعُهُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾	23	166
﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٦٩)	29	383
﴿ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٥٠) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (٥١)	-50 51	480
﴿ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٦٣)	63	387
﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾	67	744
﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾	67	796
غافر		
﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَ الْمَصِيرِ ﴾ (٣)	3	390
﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ	13	414

الآية	رقمها	الصفحة
﴿رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ (١٣)		
﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينٌ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (١٨)	18	392
﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٠) ﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ (٧١) ﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾	-70 72	485
فصلت		
﴿إِلَيْهِ يَرُدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَعِزَّنَا مَا مِثْلَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (٤٧)	47	395
الشورى		
﴿فَاطَرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرْكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١)	11	398
الزخرف		
﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ (١٣)	13	403
﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (٣٣)	33	406
﴿فَلَمَّا عَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	55	409
﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (١١)	61	412
﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُتَسَاوِينَ﴾ (٧٤) ﴿لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ﴾	-74	417

الآية	رقمها	الصفحة
وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾	75	
الدخان		
﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾	4	796
﴿ خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ﴾	47	-420 484
الجمالية		
﴿ وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلِّي عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ ﴾	9-7	167
﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾	18	421
﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً ﴾	23	325
﴿ اتَّبِعُوا بَابًا بَيْنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾	25	180
﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾	28	424
الأحقاف		
﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّن عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾	4	427
﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ ﴾	27	430
محمد		
﴿ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمَوْهُمْ فَشَدُّوا الوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ	4	432

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾		
﴿وَيَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمُ﴾	6	440
﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾	15	-443 488
﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَارْتَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾	30	648
﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾	35	446
الفتح		
﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾	2	785
﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾	20	450
﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾	24	451
﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَى مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ، وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَنُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	25	454
﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْعَهُ فَآزَرَهُ،	29	-457 648

الآية	رقمها	الصفحة
فَأَسْتَغْلَظْ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِۦٓ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾		
الحجرات		
﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٥﴾ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِهَا لَأَلْقَىٰ﴾	7	460
﴿وَأَن تَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾	11	463
﴿وَأَن تَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾	14	448
ق		
﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيحٍ ﴿٥﴾﴾	5	467
﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّمَا طَلَعُ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾	10	471
﴿إِذْ يَنْتَلِقَى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿٧﴾﴾	17	473
الذاريات		
﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَافِكُ ﴿٩﴾﴾	9-8	469
﴿ذُوقُوا فَننتَكُمُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾﴾	14	359
﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِۦٓ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾﴾	26	476
﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٩﴾﴾	59	478
الطور		
﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾﴾	10-9	-229 -230 550
﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٣﴾﴾	13	482
﴿يَنْتَرَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾	23	486

الآية	رقمها	الصفحة
﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبِّصُ بِهِءَ رَبِّبِ الْمُنُونِ﴾ (٣٠)	30	490
﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾	44	194
النجم		
﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ (٥)	5	493
﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (٩)	9	497
﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ (٣٣) ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ (٣٤)	-33 34	500
﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ (٤٠) ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ (٤١)	-40 41	503
﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ (٤٩)	49	506
﴿أَزِفَتِ الْأَافَاقُ﴾ (٥٧) ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ (٥٨)	-57 58	393
القمر		
﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (١)	1	393
﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنَمَّرٍ﴾ (١١) ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عَيْونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ (١٢)	-11 12	-250 509
﴿أَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشْرٌ﴾ (٢٥) ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرِ﴾ (٢٦)	-25 26	512
﴿يَوْمَ يُسْجَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ﴾ (٤٨)	48	484
﴿وَكُلٌّ صَغِيرٌ وَكَبِيرٌ مُّسْتَطَرٌ﴾ (٥٣)	53	515
الرحمن		
﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ (١٢)	12	519
﴿فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (١٣)	13	522
﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ﴾	14	526

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَخَلَقَ الْجَبَانَ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ ١٥	15	525
﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴾ ٢٤	24	530
﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ ٣٧	37	533
﴿ يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ ٤١	41	-484 646
﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ ٤٤	44	538
﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاحَتَانِ ﴾ ٦٦	66	541
﴿ مُتَّكِنِينَ عَلَى رُفْرِفٍ خَضِرٍ وَعَبْقَرِيِّ حِسَانٍ ﴾ ٧٦	76	543
الواقعة		
﴿ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾ ١٥	15	552
﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ ١٧	-17	489
﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنَزَفُونَ ﴾ ١٩	19	
﴿ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴾ ٣٦	-36	555
﴿ عَرَبًا آتْرَابًا ﴾ ٣٧	37	
﴿ فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَمِيمِ ﴾ ٥٥	55	562
﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ ٦٥	65	566
﴿ إِنَّا لَمُعْرِمُونَ ﴾ ٦٦	66	570
﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمتَعًا لِلْمُقِيمِينَ ﴾ ٧٣	73	574
﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴾ ٨٣	-83	581
﴿ وَأَنْتُمْ حِينِيذٌ تَنْظُرُونَ ﴾ ٨٤	87	
﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ ٨٥		
﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ ٨٦		
﴿ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ٨٧		
الحديد		
﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ ١٦	16	585

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعُ لَهُمْ لَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (١٨)	18	268
﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٢٧)	27	588
المجادلة		
﴿الَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ (٢) ﴿وَالَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكُمْ يُوعَظُونَ بِهِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٣)	3-2	592
الحشر		
﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦)	6	598
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	10	12
المتحنة		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ	1	601

الآية	رقمها	الصفحة
بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾		
الصف		
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ط لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآتَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾	14	604
الجمعة		
﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾﴾	5	608
المنافقون		
﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾﴾	2	612
التغابن		
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَّا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾	-14 15	-616 619
﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾	17	268
الطلاق		
﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِمَّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِّنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارَّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ﴿٦﴾﴾	6	621
﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ﴿٧﴾﴾	7	797

الآية	رقمها	الصفحة
التحريم		
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾	6	624
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَأَعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾	8	629
الملك		
﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفْوُتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾	3	638
﴿إِذَا الْقُوفِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴿٨﴾﴾	7-8	-134 137
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۗ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾	15	642
القلم		
﴿لَعَلِّي خُلِقَ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾	4	178
﴿سَنَسِمْهُ عَلَى الْخُرْطُورِ ﴿١٦﴾﴾	16	645
﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾	19-20	650
﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَرْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾	51	654
الحاقة		

الآية	رقمها	الصفحة
﴿عِشَّةٌ رَاضِيَةٌ﴾	21	738
﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنًا حَمِيمٌ﴾ ﴿٢٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ﴾ ﴿٢٦﴾	-35	-658
	36	768
المعارج		
﴿مَنْ أَلَّهَ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ﴿٤﴾	4-3	662
﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِ﴾ ﴿٨﴾	8-6	536
﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾	9	549
نوح		
﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ ﴿٢٥﴾	25	251
﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ﴿٢٦﴾	26	666
الجن		
﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ ﴿٦﴾	6	669
﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشْدًا﴾ ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ ﴿١٥﴾	-14 15	673
﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١٨﴾	18	676
المزمل		
﴿وَأذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ ﴿٨﴾	8	682
﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ ﴿١٤﴾	14	549
﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ ﴿١٦﴾	16	687
المدثر		

الصفحة	رقمها	الآية
690	5-1	﴿يَأْتِيهَا الْمُدْتَرُّ ۝١ قَرَفَانِدِرٌ ۝٢ وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ ۝٣ وَيَأْبُكَ فَطَهْرٌ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرٌ ۝٥﴾
359	30	﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾
359	31	﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾
القيامة		
697	4-3	﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّن نَجْمَعِ عِظَامَهُ، ۝٣ بَلَىٰ قَدَرِينِ عَلَيَّ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ، ۝٤﴾
495	-16 18	﴿لَا تُحْرَكْ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ، ۝١٧ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأُنْبِعْ قُرْءَانَهُ، ۝١٨﴾
702	25	﴿تُظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝٢٥﴾
الإنسان		
706	2	﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢﴾
711	7	﴿يُؤْفُونَ بِالَّذِرِّ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾
المرسلات		
715	11	﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِنَتْ ۝١١﴾
719	-25 26	﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ۝٢٦﴾
النبا		
723	14	﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝١٤﴾
-231 -548 551	20	﴿وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠﴾
727	31	﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١﴾
730	32	﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۝٣٢﴾

الآية		رقمها	الصفحة
النازعات			
﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ (١)		1	731
﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ (١٠)		10	737
عبس			
﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (٣٧)		37	740
التكوير			
﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ (٣)		3	231
﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ (١١)		11	743
الانفطار			
﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾ (٤)		4	747
المطففين			
﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ		3-1	750
﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (٣)			
﴿وَمِنْ أَجْهِ. مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ		-27 28	754
﴿﴾ (٢٨)			
الانشقاق			
﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ (١٦)		16	758
الطارق			
﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ (٣)		3-1	764
﴿مَاءٍ دَافِقٍ﴾		6	739
الغاشية			
﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنَ جُوعٍ﴾ (٧)		7-6	-660 768
البلد			

الآية	رقمها	الصفحة
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (٤)	4	772
﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (١٠)	10	779
الشمس		
﴿فَالهَمَّهَا فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (٨)	8	779
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (٩) ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (١٠)	10-9	776
الضحى		
﴿وَالضُّحَى﴾ (١) ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى﴾ (٢)	2-1	780
الشرح		
﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ (٢) ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ (٣)	3-2	784
التين		
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٤) ﴿ثُمَّ رَدَدْتَهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ (٥) ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (٦)	6-4	788
العلق		
﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ (١٧) ﴿سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ﴾ (١٨)	-17 18	792
القدر		
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (١) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ (٢) ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (٣)	3-1	-795 798
البينة		
﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾	5	685
الزلزلة		
﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨)	8-7	503

الآية	رقمها	الصفحة
القارعة		
﴿الْقَارِعَةُ ۝١ مَا الْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝٣﴾	3-1	798
﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۝٥﴾	5	549
الفيل		
﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾	5	800
الماعون		
﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۝٢﴾	2	484
المسد		
﴿سَيَصِلُنَّ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾	3	805
﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤﴾	4	803
الإخلاص		
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾	4-1	807

فهرس الأحاديث

الصفحة

الحديث

- ❖ ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى
- 254
- 286 ❖ إياكم والدخول على النساء
- ❖ الجن كانوا أحسن رداً منكم ما قرأت عليه م ﴿فِي أَيِّ آءِآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد
- 524
- 684 ❖ حُبَّ إِلِيٍّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النَّسَاءِ وَالطَّيِّبِ
- 634 ❖ حجب الله على كل صاحب بدعة أن يتوب
- 286 ❖ الحمى الموت
- 112
- 112 ❖ لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه
- 497 ❖ لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن
- ❖ لقاب قوس أحدكم من الجنة، أو موضع قدّه، خير له من الدنيا وما فيها
- 752 ❖ لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً،

الحديث

الصفحة

- 288 فأنزل الله ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسنوا الكيل ذلك
- ❖ لما نزلت هذه الآية ﴿وَلْيَضْرِبَنَّ بِحُمْرِنَا عَلَىٰ جُيُوبِهِمْ﴾، أخذن
- 408 أزهرن فشققنها من قبل الحواشي، فاختمرن بها
- 635 ❖ اللهم ربَّ السموات ورب الأرض، أنت الظاهر فليس فوقك شيء
- ❖ ما أصبر من استغفر ولو عاد في اليوم مائة مرة
- 253 ❖ من ذكر الله تعالى في نفسه ذكره الله تعالى في نفسه، ومن ذكر
- 257 الله تعالى في ملاء ذكره الله تعالى في ملاء أكثر من الملاء الذين ذكره
- 766 فيهم وأطيب، ومن تقرب إلى الله شبراً تقرب الله تعالى منه ذراعاً،
- 631 ومن تقرب من الله تعالى ذراعاً تقرب الله تعالى منه باعاً، ومن أتى الله تعالى مشياً أتاه هرولة
- 267 ❖ نهى النبي ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً
- ❖ هي التي لا عودة بعدها كما لا يعود اللبن إلى الضرع
- ❖ وما تصدق أحد بعدل تمرة من كسب طيب إلا أخذها الرحمن بيمينه فيربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله ح تى تصير التمرة أعظم من أحد

فهرس الأشعار (حسب القافية)

الصفحة	البيت
372	ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة في ظل ملك ثابت الأوتاد
576	يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد
807	يممته الرمح شزراً ثم قلت له خذاها حذيف فأنت السيد الصمد
84	قالت قتيلة ما لجسمك شاحباً وأرى ثيابك باليات همداً
754	كأن بريقتها للمزا ج من ثلج تسنيم شبيت عقارا
559	وفي الخباء عروب غير فاحشة رياً الروادف يعشى دونها البصر
432	وأعددت للحرب أوزارها رماحاً طوالاً وخيلاً ذكوراً
781	فما ذنبنا إن جاش بحر ابن عمكم وبحرك ساج ما يوارى الدعامصا
868	فأتبعتهم طرقي وقد حال دونهم غوارب رمل ذي ألاءٍ وشبرق
11	أحبي أيها المجتاز نظمي ببابه ينادى عليه كلسد السوق أجملا
11	وظُننَّ به خيراً وسامح نسيجه بالإغضاء والحسنى وإن كان هلها
11	وسلم لإحدى الحسنين إصابةً والاخرى اجتهاداً رام صوباً فأملح
11	وإن كان خرق فادر كهُ بفضلةٍ من الحلم وليصلحه من جاد مقولا
246	ولست بمفراح إذا الدهر سرتني ولا جازع من صرفه المتحوّل
654	يتقارضون إذا التقوا في موطن نظراً يزيل مواطن الأقدام
576	أقوى وأقفر بعد أم الهيثم حييت من طلل تقدم عهده

فهرس الأعلام المترجم لهم

الصفحة	الأعلام
45	إبراهيم بن سفيان الزيادي أبو إسحاق
47	إبراهيم بن محمد بن أيوب بن بشير أبو القاسم الصائغ
47	إبراهيم بن موسى بن جميل الأموي
110	ابن أبي زمنين محمد بن عبد الله بن عيسى
116	ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد
79	ابن جزى محمد بن أحمد الكلبي
75	ابن عطية أبو محمد عبد الحق بن غالب الغرناطي
76	ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر
76	أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي
68	أبو حنيفة الدينوري
48	أبو سعيد الهيثم بن كليب بن شريح بن معقل الشاشي
762	أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري
110	أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي
211	أبو ذؤيب الهذلي
762	أبو عبيد القاسم بن سلام
761	أبو قتادة الحارث بن ربيعي الأنصاري
761	أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي
47	أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة

الصفحة	الأعلام
74	أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس
763	أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني
45	إسحاق بن إبراهيم ابن راهويه أبو يعقوب
372	الأسود بن يعفر النهشلي
100	الأصمعي عبد الملك بن قريب بن عبد الملك أبو سعيد
84	الأعشى ميمون بن قيس بن جندل
75	الآلوسي محمود بن عبد الله الحسيني
768	امرؤ القيس
761	أنس بن مالك بن النضر الأنصاري
762	الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو بن يحمّد
109	برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي
90	البعثي محيي السنّة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد
83	البيضاوي عبد الله بن عمر بن محمد
246	تأبط شراً ثابت بن جابر
76	الثعالبي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف
117	الثوري أبو عبد الله سفيان بن سعيد
761	جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري
110	الجصاص أبو بكر أحمد بن علي الرازي
84	جلال الدين المحلي محمد بن أحمد بن محمد
691	الحسن بن أبي الحسن البصري
217	الخازن

الصفحة	الأعلام
91	الزحخشري جار الله محمود بن عمر بن محمد
46	زياد بن يحيى الحساني أبو الخطاب
46	زيد بن أخزم الطائي النبھاني
85	السعدي عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله
761	سعيد بن المسيب بن حزن
761	سعيد بن جبیر بن هشام
690	سفيان بن عيينة الهلالي أبو محمد
90	السمعاني أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار
46	سهل بن محمد بن عثمان أبو حاتم السجستاني
133	سيد قطب
117	السيوطي جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر
762	الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس
77	الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الحكيني
77	الشوكاني محمد بن علي
761	طاووس بن كيسان اليماني
74	الطبري محمد بن جرير
760	عبادة بن الصامت بن قيس الخزرجي
48	عبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسي
38	عبد الله بن قتيبة
36	عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد
761	عبد الله بن العباس بن عبد المطلب

الصفحة	الأعلام
760	عبدالله بن عمر بن الخطاب
760	عبدالله بن مسعود الهذلي
48	عبيد الله بن أحمد بن عبد الله بن بكير
760	عمر بن الخطاب
760	غيلان بن سلمة بن معين الثقفي
80	الفخر الرازي محمد بن عمر بن الحسين
135	الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد عبدالله الأسدي
48	قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف
84	قتادة بن دعامة السدوسي
77	القرطبي محمد بن أحمد بن فرح
335	ليبد بن ربيعة
762	مالك بن أنس الحميري الأصبغي أبو عبدالله
15	المأمون أبو العباس عبد الله
111	الموردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب
16	المتوكل على الله أبو الفضل جعفر
110	مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي
133	محمد الطاهر بن محمد بن عاشور
46	محمد بن زياد بن عبيد الله بن زياد الزياتي
46	محمد بن سلام الجمحي البصري
16	المستعين بالله أبو العباس أحمد
16	المعتز بالله أبو عبد الله محمد

الصفحة	الأعلام
15	المعتصم بالله أبو إسحاق محمد
16	المعتمد على الله أبو العباس أحمد
110	مقاتل بن سليم ان بن كثير الخراساني
762	مكحول الشامي
16	المنتصر بالله أبو جعفر محمد
16	المهتدي بالله أبو إسحاق محمد
227	النابغة الجعدي
83	النسفي عبدالله بن أحمد بن محمود
106	نعيم بن مسعود بن عامر أبو سلمة الأشجعي
15	الواثق بالله أبو جعفر هارون
75	الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد
45	يحيى بن أكنم أبو محمد التميمي

فهرس الأماكن والبلدان

الصفحة	المكان أو البلد
17	أذربيجان
48	الأندلس
17	البدّ
30	البصرة
19	بغداد
50	بلاد الجزيرة
18	الجبيل
37	خراسان
18	دينور
18	زبطرة
16	سامرا
18	الشام
28	طرسوس
30	عمورتي
17	القسطنطينية
48	الكعبة
36	الكوفة
16	لؤلؤة
4	
18	

الصفحة	المكان أو البلد
45	ما وراء النهر
20	مرو
50	مصر
	المغرب
	ملطية
	نيسابور
	واسط
	اليمن

فهرس المصادر والمراجع

- 1 أجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي، الوفاة: 1307هـ، دار الكتب العلمية - بيروت ، 1978م، تحقيق: عبد الجبار زكار.
- 2 أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.
- 3 أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، الوفاة: 370، دار إحياء التراث العربي - بيروت - 1405هـ، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي.
- 4 أخطاء ابن خلدون في كتابه المقدمة - دراسة نقدية تحليلية هادفة- د. خالد كبير علال، حاصل على دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي من جامعة الجزائر - دار الإمام مالك، الطبعة الأولى - البليدة - الجزائر - 1426هـ/2005م.
- 5 إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبي السعود محمد بن محمد العمادي، الوفاة: 951هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 6 الإرشاد في معرفة علماء الحديث، الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي القزويني أبو يعلى، الوفاة: 446هـ، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، 1409هـ، تحقيق: د. محمد سعيد عمر إدريس.

- 7 الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي، والكتاب مطبوع بهامش الإصابة في تمييز الصحابة، دار صادر - بيروت. وهي نسخة مصورة عن الطبعة الأولى 1328هـ، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.
- 8 أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، الوفاة: 456هـ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، الطبعة: الثانية، 1987م، تحقيق: د. إحسان عباس.
- 9 أسماء الكتب، عبد اللطيف بن محمد رياض زادة، الوفاة: 1087هـ، دار الفكر - دمشق، الطبعة: الثالثة، 1403هـ - 1983م، تحقيق: د. محمد التونجي.
- 10 أشراف الساعة، يوسف بن عبدالله الوابل، الطبعة الثالثة، 1411هـ - 1991م، دار ابن الجوزي، الدمام.
- 11 الإصابة في تمييز الصحابة، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار صادر - بيروت. وهي نسخة مصورة عن الطبعة الأولى 1328هـ، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.
- 12 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت، 1415هـ - 1995م، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.
- 13 الأعلام (قاموس تراجم)، خير الدين الزركلي، الطبعة الرابعة، كانون الثاني

- (يناير) 1979م، دار العلم للملايين - بيروت.
- 14 الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان، تحقيق : علي مهنا وسمير جابر.
- 15 الإكمال في رفع الارتفاع عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى، علي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماکولا، دار الكتب العلمية - بيروت - 1411هـ، الطبعة: الأولى.
- 16 الأنساب، أبي سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي السمعاني ، الوفاة: 562هـ ، دار الفكر - بيروت - 1998م، الطبعة : الأولى، تحقيق: عبدالله عمر البارودي.
- 17 أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي وبهامشه حاشية العلامة أبي الفضل القرشي الصديقي الخطيب المشهور بالكازروني ، تحقيق: عرفان بن سليم العشا حسونة، إشراف : مكتب البحوث والدراسات، عدد الأجزاء: 5، الطبعة الأولى، الناشر: دار الفكر - بيروت.
- 18 إيجاز البيان عن معاني القرآن، محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري، دراسة وتحقيق: د.علي بن سليمان العبيد، الطبعة الأولى ، 1418هـ - 1997م، مكتبة التوبة - الرياض.
- 19 إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل باشا بن محمد أمين الوفاة: 1339هـ، دار الكتب العلمية - بيروت ، 1413هـ - 1992م.

- 20 بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، جمعه ووثق نصوصه وخرّج أحاديثه: يسيري السيد محمد، الطبعة الأولى، ربيع الثاني 1414هـ - 1993م، دار ابن الجوزي - الدمام.
- 21 البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، طبعة جديدة منقحة (في مجلدين)، قوبلت على عدة نسخ خطية، وفيها زيادات سقطت من الطبقات المتداولة، الطبعة الأولى، 1426هـ - 2005م، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ودار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- 22 بغية الطلب في تاريخ حلب، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة ، الوفاة: 660هـ، دار الفكر، تحقيق: د.سهيل زكار.
- 23 بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الوفاة: 911هـ ، دار النشر : المكتبة العصرية - لبنان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- 24 بلاد شنقيط المنارة والرباط، الخليل النحوي، من مطبوعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987م.
- 25 البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، الوفاة: 817هـ، جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت - 1407هـ ، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد المصري.
- 26 تاريخ أصبهان، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن مهران المهراني الأصبهاني، دار الكتب العلمية - بيروت، 1410هـ - 1990م، الطبعة: الأولى، تحقيق:

- سيد كسروي حسن.
- 27 تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الوفاة: 748هـ، دار الكتاب العربي - بيروت ، 1407هـ - 1987م، الطبعة: الأولى، تحقيق: د.عمر عبد السلام تدمري.
- 28 التاريخ الإسلامي (الجزء الخاص بالدولة العباسية)، محمود شاكر، الطبعة الأولى، 1404هـ - 1983م، المكتب الإسلامي - بيروت.
- 29 تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك المحامي، الطبعة الأولى، 1401هـ / 1981م، دار النفائس - بيروت، تحقيق: د.إحسان حقي.
- 30 تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، الحافظ أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يونس الأزدي، الوفاة: 403هـ، مطبعة المدني - القاهرة، الطبعة : الثانية، 1408هـ - 1988م، تحقيق: عزت العطار الحسيني.
- 31 تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- 32 تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، دار الفكر - بيروت ، 1995هـ، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري.
- 33 تاريخ المساجد الشهيرة، عبدالله سالم نجيب، بحث منشور على الإنترنت مكون من 258 صفحة بواسطة البرنامج الحاسوبي (وورد).
- 34 تأويل مشكل القرآن، الإمام أبي محم د عبدالله بن مسلم بن قتيبة، إعداد

- ودراسة: الدكتور عمر محمد سعيد عبدالعزيز، إشراف ومراجعة : الدكتور عبدالصبور شاهين، الطبعة الأولى، 1410هـ - 1989م، الناشر: مركز الأهرام للترجمة والنشر - القاهرة.
- 35 التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر وال توزيع - تونس - 1997م.
- 36 التدوين في أخبار قزوين، عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني ، الوفاة : 623هـ ، دار الكتب العلمية - بيروت، 1987م، تحقيق : عزيز الله العطاري.
- 37 تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، الوفاة: 748هـ ، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى.
- 38 تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، الوفاة: 748هـ ، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى.
- 39 تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، الطبعة الأولى، 1405هـ - 1985م، دار الغرب الإسلامي - بيروت.
- 40 تسمية من أخرجهم البخاري ومسلم وما انفرد كل واحد منهما، أبو عبدالله محمد بن عبد الله بن حمدويه النيسابوري الحاكم ، الوفاة : 405هـ، مؤسسة الكتب الثقافية، دار الجنان - بيروت، 1407هـ ، الطبعة: الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت.
- 41 التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي ا لكليبي، دار الكتاب العربي - لبنان - 1403هـ - 1983م، الطبعة: الرابعة.

- 42 التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني ، الوفاة : 816هـ ، دار الكتاب العربي - بيروت، 1405هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: إبراهيم الأبياري.
- 43 تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، الوفاة: 745هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، 1422هـ - 2001م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: د.زكريا عبد المجيد النوقي ، د.أحمد النجولي الجمل.
- 44 تفسير البغوي، البغوي الوفاة: 516هـ، دار المعرفة - بيروت، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك.
- 45 تفسير الجلالين، اسم المؤلف: الإمامين/ جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى.
- 46 تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، اسم المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار النشر : دار الفكر - بيروت 1399هـ / 1979م.
- 47 تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، دار الفكر - بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي.
- 48 تفسير القرآن / اختصار النكت للماوردي، الامام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي، دار ابن حزم - بيروت ، 1416هـ / 1996م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الدكتور عبد الله بن

- إبراهيم الوهبي.
- 49 تفسير القرآن العزيز، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، الوفاة :
399هـ، الفاروق الحديثة - مصر ، 1423هـ - 2002م، الطبعة :
الأولى، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ، محمد بن مصطفى الكنز.
- 50 تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي
الدمشقي، دار الفكر - بيروت، 1401هـ.
- 51 تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، دار
الوطن - الرياض، 1418هـ - 1997م، الطبعة: الأولى، تحقيق: ياسر
بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم.
- 52 تفسير القرآن، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، مكتبة الرشد - الرياض ،
1410هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د.مصطفى مسلم محمد.
- 53 تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات، أبو القاسم عبد الكريم بن
هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي، دار الكتب العلمية -
بيروت، 1420هـ - 2000م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد اللطيف حسن
عبد الرحمن.
- 54 التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي
الشافعي، الوفاة: 604هـ، دار الكتب العلمية - بيروت - 1421هـ -
2000م، الطبعة: الأولى.
- 55 تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن
حسين القمي النيسابوري، دار الكتب العلمية - بيروت، 1416هـ -

- 1996م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ زكريا عميران.
- 56 تفسير غريب القرآن، الإمام أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، شرح ومراجعة الشيخ: إبراهيم محمد رمضان، بإشراف مكتب الدراسات والبحوث العربية الإسلامية، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1991م، منشورات دار ومكتبة الهلال - بيروت.
- 57 تفسير مجاهد، اسم المؤلف: مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج الوفاة: 104هـ، دار النشر: المنشورات العلمية - بيروت، تحقيق : عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي.
- 58 تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، الوفاة: 150هـ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - 1424هـ - 2003م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أحمد فريد.
- 59 تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار الرشيد - سوريا، 1406هـ - 1986م، الطبعة: الأولى، تحقيق : محمد عوامة.
- 60 التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي ، الوفاة: 629هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، 1408هـ، الطبعة : الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت.
- 61 تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، الفيروز آبادي ، دار الكتب العلمية - لبنان.
- 62 تهذيب الأسماء واللغات، محي الدين بن شرف النووي ، الوفاة: 676هـ،

- دار الفكر - بيروت، 1996م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.
- 63 تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، الوفاة: 852هـ، دار الفكر - بيروت، 1404هـ - 1984م، الطبعة: الأولى.
- 64 تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، الوفاة : 742هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت، 1400هـ - 1980م، الطبعة: الأولى، تحقيق: د.بشار عواد معروف.
- 65 تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 2001م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوض مرعب.
- 66 توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي ، الوفاة : 842هـ ، مؤسسة الرسالة - بيروت، 1993م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي.
- 67 تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة - بيروت، 1421هـ - 2000م، تحقيق: ابن عثيمين.
- 68 الثقات، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، دار الفكر - 1395هـ - 1975م، الطبعة: الأولى، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد.
- 69 جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن

- خالد الطبري، الوفاة: 310هـ، دار الفكر - بيروت، 1405هـ.
- 70 الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الوفاة: 671م، دار الشعب - القاهرة.
- 71 الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، الوفاة: 463هـ، مكتبة المعارف - الرياض - 1403هـ، تحقيق: د. محمود الطحان.
- 72 الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي التميمي، الوفاة: 327هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، 1371هـ - 1952هـ، الطبعة: الأولى.
- 73 الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الوفاة: 875هـ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.
- 74 الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد ، الوفاة: 775هـ، دار النشر: مير محمد كتب خانة - كراتشي.
- 75 حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع، (متن الشاطبية)، القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الشاطبي الرعيبي الأندلسي، ضبطه وصححه وراجعته: محمد تميم الزعبي، الطبعة الأولى، 1409هـ-1989، دار المطبوعات الحديثة - جدة.
- 76 حسن المحاضرة في تاريخ م صر والقاهرة، الحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، 1387هـ-1967م، دار

- إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- 77 الحطة في ذكر الصحاح الستة، أبو الطيب السيد صديق حسن القنوجي ،
الوفاة : 1307هـ، دار الكتب التعليمية - بيروت،
1405هـ/1985م، الطبعة: الأولى.
- 78 حقائق التفسير أو تفسير السلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن
موسى الأزدي السلمي، دار الكتب العلمية - بيروت ، 1421هـ -
2001م ، الطبعة: الأولى، تحقيق: سيد عمران.
- 79 حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار
الكتاب العربي - بيروت، 1405هـ، الطبعة: الرابعة.
- 80 الحماسة المغربية (مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب)، أبو
العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي، دار الفكر المعاصر - بيروت،
1991م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد رضوان الداية.
- 81 الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الم
تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، الطبعة الأولى 1414هـ-1993م، دار القلم -
دمشق.
- 82 الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر -
بيروت، 1993م.
- 83 درء تعارض العقل و النقل، تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحلیم
بن عبد السلام بن تيمية، الوفاة: 728هـ، دار الكتب العلمية - بيروت،

- 1417هـ - 1997م، تحقيق: عبداللطيف عبدالرحمن.
- 84 الدياج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، الوفاة: 799هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- 85 ديوان الأعشى، المؤلف: الأعشى، دار النشر: بدون، سنة الطبع: بدون.
- 86 ديوان ثابت بن جابر، المؤلف: ثابت بن جابر، دار النشر: بدون، سنة الطبع: بدون.
- 87 الذكرة التاريخية للأمة، د. جاسم سلطان، بحث ضمن سلسلة القادة ومشروع النهضة منشور على الإنترنت مكون من 114 صفحة بواسطة البرنامج الحاسوبي (وورد).
- 88 رفع الإصر عن قضاة مصر، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد - المشهور بابن حجر - العسقلاني، الوفاة: 852هـ، مكتبة الخانجي - القاهرة، 1418هـ - 1998م، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. علي محمد عمر.
- 89 روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 90 زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، نشر: المكتب الإسلامي - بيروت، 1404هـ، الطبعة: الثالثة.
- 91 سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي

- السلمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.
- 92 سير أعلام النبلاء، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي
الوفاة: 748هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، 1413هـ ، الطبعة :
التاسعة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي.
- 93 شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري
الحنبلي، الوفاة: 1089هـ، دار بن كثير - دمشق ، 1406هـ،
الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط.
- 94 شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن
عقيل العقيلي المصري الهمداني، الوفاة: 769هـ، دار الفكر - سوريا ،
1405هـ - 1985م، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- 95 شرح المعلقات السبع، أبو عبدالله الحسين الزوزني، الطبعة ا
لثالثة،
1979م، مكتبة المعارف - بيروت.
- 96 شرح ديوان الأعشى، تحقيق: كامل سليمان، الطبعة الأولى، دار الكتاب
البناني - بيروت.
- 97 شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، حققه وقدم له : الدكتور إحسان
عبدالقدوس، 1962م، سلسلة التراث العربي تصدرها وزارة الإرشاد
والأنباء - الكويت.
- 98 شرح شعلة على الشاطبية المسمى (كنز المعاني شرح حرز الأماني)،
أبو عبدالله محمد بن أحمد بن الحسين الموصلبي، الطبعة الأولى، طبع على نفقة

- الاتحاد العام لجماعة القراء.
- 99 شرح مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية فضيلة الشيخ: محمد بن صالح العثيمين، إعداد وتقديم: أ.د. عبدالله بن محمد بن أحمد الطيار، الطبعة الأولى 1415هـ - 1995م، دار الوطن - الرياض.
- 100 صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، 1407هـ - 1987م، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا.
- 101 صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- 102 صفة الصفوة، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، دار المعرفة - بيروت، 1399هـ - 1979م، الطبعة: الثانية، تحقيق: محمود فاحوري، د.محمد رواس قلعه جي.
- 103 الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.
- 104 طبقات الحنابلة، محمد بن أبي يعلى أبو الحسين، الوفاة: 521هـ، دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محمد حامد الفقي.
- 105 طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي. الوفاة: القرن الحادي عشر، دار النشر: مكتبة العلوم والحكم - السعودية، 1417هـ - 1997م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي.
- 106 طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، دار المدني - جدة، تحقيق: محمود معبد شاكر.

- 107 العبر في خبر من غير، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الوفاة: 748هـ، مطبعة حكومة الكويت - الكويت، 1984م، الطبعة: الثانية، تحقيق: د.صلاح الدين المنجد.
- 108 العصر العباسي الأول، الدكتور شوقي ضيف، الطبعة السادسة عشرة، دار المعارف.
- 109 العصر العباسي الثاني، الدكتور شوقي ضيف، الطبعة الثانية عشرة، دار المعارف.
- 110 عقود الجمان في المعاني والبيان، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الثانية، 1474هـ-1955م، مطبعة البابي الحلبي - بمصر.
- 111 علماء نجد خلال ستة قرون، الشيخ : عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسام، الطبعة الأولى، 1398هـ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.
- 112 غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، الوفاة: 838هـ، دار النشر: بدون.
- 113 غريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الوفاة : 276هـ، مطبعة العاني - بغداد، 1397م، الطبعة : الأولى، تحقيق : د.عبدالله الجبوري.
- 114 فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر - بيروت.
- 115 فهرسة ابن خير الاشبيلي، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة

- الأموي، الوفاة: 575هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، 1419هـ -
 1998م، الطبعة: الطبعة الأولى، تحقيق: محمد فؤاد منصور.
- 116 الفهرست، محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، الوفاة: 385هـ، دار
 المعرفة - بيروت، 1398هـ - 1978م.
- 117 القاموس المحيط، العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي،
 الطبعة الثانية، 1407هـ - 1987م، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- 118 القراءات العشر المتواترة - من طريقي الشاطبية والدرة، إشراف الشيخ:
 محمد كريّم راجح، الطبعة الأولى، 1412هـ - 1992م، مكتبة دار
 المهاجر للنشر والتوزيع.
- 119 الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، أبو عبدالله محمد بن أحمد
 الذهبي الدمشقي، الوفاة: 748هـ، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة
 علو - جدة، 1413هـ - 1992م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد
 عوامة.
- 120 الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي ال كرم محمد بن محمد بن
 عبدالكريم الشيباني، الوفاة: 630هـ، دار الكتب العلمية - بيروت،
 1415هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد الله القاضي.
- 121 كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د
 مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي.
- 122 الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم

- محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
- 123 الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، الوفاة: 427 هـ - 1035 م، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، 1422 هـ - 2002 م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي.
- 124 اللآلي في شرح أمالي القاضي، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، الوفاة: 496 هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، 1417 هـ - 1997 م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد العزيز الميمني.
- 125 اللباب في تهذيب الأنساب، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، الوفاة: 630 هـ، دار صادر - بيروت، 1400 هـ - 1980 م.
- 126 اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل ا لدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية - بيروت، 1419 هـ - 1998 م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض.
- 127 لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى.
- 128 لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الوفاة: 852 هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، 1406 هـ - 1986 م، الطبعة: الثالثة، تحقيق: دائرة المعارف النظامية - الهند.

- 129 مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع : عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وابنه: محمد، طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، عام 1416هـ - 1995م.
- 130 المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد ع بد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، الوفاة: 546هـ ، دار الكتب العلمية - لبنان ، 1413هـ - 1993م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.
- 131 مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، 1415هـ - 1995م، طبعة جديدة، تحقيق: محمود خاطر.
- 132 مختصر التحفة الإثني عشرية، اختصره وهذبه العلامة : محمود شكري الألوسي، المتوفى بعد سنة 1303هـ، اعتنى بطبعه: مكتبة الحقيقة - استانبول - تركيا ، عام 1418هـ - 1997م
- 133 مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، الوفاة: 710هـ، مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده - ميدان الأزهر - القاهرة.
- 134 مرآة الجنان وعبرة اليقظان، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، الوفاة: 768هـ، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة، 1413هـ -

- 1993 م.

- 135 المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم
النيسابوري،
الوفاة: 405 هـ، دار الكتب العلمية - بيروت ، 1411 هـ -
1990 م،
الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
136 معاني القرآن، أبوزكريا يحيى بن زياد الفراء، الطبعة الثانية 1980 م، عالم
الكتب - بيروت.
137 معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، أبو عبدالله ياقوت بن
عبدالله الرومي الحموي، الوفاة: 626 هـ، دار الكتب العلمية - بيروت،
1411 هـ - 1991 م، الطبعة: الأولى.
138 معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، أبو عبدالله ياقوت بن
عبدالله الرومي الحموي، الوفاة: 626 هـ، دار الكتب العلمية - بيروت،
1411 هـ - 1991 م، الطبعة: الأولى.
139 معجم البلدان، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي ، الوفاة: 626 هـ،
دار الفكر - بيروت.
140 معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف إيلان سر كيس، مطبعة سر كيس
بمصر، 1346 هـ-1928 م.
141 المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنشورة، أحمد بن

- علي العسقلاني، الوفاة: 852هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت،
 1418هـ-1998م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد شكور الميادين.
 142 معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن
 عثمان بن قايماز الذهبي، الوفاة: 748هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت،
 1404هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب
 الأرنؤوط، صالح مهدي عباس.
 143 المعلقات العشر، شرح ودراسة وتحليل: الدكتور مفيد قميحة، الطبعة
 الأولى، 1991م، دار الفكر اللبناني.
 144 المغني في الضعفاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي
 الوفاة: 748هـ، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر.
 145 المغني في الضعفاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي،
 الوفاة: 748هـ، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر.
 146 مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، الوفاة:
 808هـ، دار القلم - بيروت، 1984م، الطبعة: الخامسة.
 147 من أعلام الحركة الإسلامية، المستشار: عبدالله العقيل، 1420هـ-
 2000م، دار التوزيع والنشر الإسلامية.
 148 المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن
 الجوزي، الوفاة: 597هـ، الطبعة: الأولى، 1358هـ، دار صادر -
 بيروت.

- 149 ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، الوفاة: 748هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، 1995م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود.
- 150 النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي، الوفاة: 874هـ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي - مصر.
- 151 نزهة الألباب في الألقاب، احمد بن علي بن محمد المشهور بابن حجر العسقلاني، مكتبة الرشد - الرياض، 1409هـ - 1989م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري.
- 152 نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء، محمد حسن عقيل موسى، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1991م، دار الأندلس للنشر والتوزيع - جدة.
- 153 نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الح سن إبراهيم بن عمر البقاعي، الوفاة: 855هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415هـ - 1995م، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي.
- 154 النكت والعيون (تفسير الماوردي)، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، الوفاة: 450هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: لا يوجد، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم.
- 155 نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، الوفاة: 733هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، 1424هـ - 2004م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة.

- 156 هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين،: إسماعيل باشا البغدادي ،
الوفاة: 1339هـ، دار الكتب العلمية - بيروت ، 1413هـ -
1992م.
- 157 الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار إحياء التراث
- بيروت، 1420هـ - 2000م، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي
مصطفى.
- 158 الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن .
الوفاة: 468هـ ، دار القلم ، الدار الشامية - دمشق ، بيروت ،
1415هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: صفوان عدنان داوودي.
- 159 وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد
بن أبي بكر بن خلكان ، الوفاة: 681هـ، دار الثقافة - لبنان، تحقيق :
إحسان عباس.

الصفحة

الموضوع

الصفحة	الموضوع
73	القسم الثاني: دراسة أقوال الإمام ابن قتيبة في التفسير
	من أول سورة الحج إلى نهاية القرآن الكريم
74	1 المراد بالذهول في ((تذهل كل مرضعة))
78	2 معنى ((مخلقة و غير مخلقة))
83	3 معنى ((و ترى الأرض هامدة))
86	4 مرجع الضمير في ((ينصره))
90	5 معنى ((و من يرد فيه بإلحاد))
94	6 معنى ((طرائق))
96	7 معنى ((فجعلناهم غثاء))
98	8 معنى ((تترا))
102	9 معنى ((ذات قرار ومعين))
105	10 من المراد بـ ((يأيتها الرسل))
109	11 معنى ((تلقونه))
113	12 معنى ((ما زكى))
116	13 معنى ((أن يؤتوا))
119	14 المراد بـ ((المشكاة))
121	15 معنى ((كوكب دري))
125	16 معنى ((كسراب بقيعة))
128	17 المراد بـ ((القواعد من النساء))
131	18 معنى ((سمعوا لها تغيظاً و زفيراً))
138	19 معنى ((بورا))

الصفحة	الموضوع
142	معنى ((صرفاً))..... 20
147	معنى ((مهجوراً))..... 21
150	معنى ((أرأيت من اتخذ إلهه هواه))..... 22
153	معنى ((أجاج))..... 23
156	معنى ((فجعله نسباً وصهراً))..... 24
159	معنى ((يلق أثاماً))..... 25
161	معنى ((لم يخروا عليها صماً وعمياناً))..... 26
169	معنى ((شرذمة))..... 27
172	معنى ((ككبوا))..... 28
175	معنى ((خلق الأولين))..... 29
181	معنى ((طلعها هضيم))..... 30
185	معنى ((فارحين))..... 31
188	معنى ((من القالين))..... 32
190	معنى ((الجبلة))..... 33
192	معنى ((كسفاً))..... 34
195	معنى ((بشهاب قيس))..... 35
198	معنى ((و لم يُعقب))..... 36
201	معنى ((فهم يُوزعون))..... 37
205	معنى ((يُخرجُ الخبء))..... 38
208	معنى ((عفريت))..... 39
211	ما هو الصرح؟..... 40

الصفحة	الموضوع
214	معنى ((حدائق ذات بهجة))
216	معنى ((بل اذارك علمهم في الآخرة))
224	معنى ((و إذا وَقَعَ القول عليهم))
227	معنى ((و ترى الجبال تحسبها جامدة))
232	معنى ((فوكزه))
236	معنى ((تذودان))
238	معنى ((فعميت عليهم الأنبياء))
242	معنى ((مفاتحه))
246	معنى ((لا تفرح))
249	معنى ((الطوفان))
252	معنى ((ولذكر الله أكبر))
259	معنى ((لا تحمل رزقها))
261	معنى ((يجرون))
263	المراد بالرحمة و المراد بالسيئة
265	معنى المضعفون
270	معنى ((يأت بها الله))
273	معنى ((موج كالظلل))
276	معنى ((الغرور))
279	معنى ((يدنين عليهن من جلابيهن))
290	معنى ((قولاً سديداً))
292	معنى ((أئذا ضللنا في الأرض))

الصفحة	الموضوع
296	معنى ((الأرضِ الجُرُز))..... 62
300	معنى ((يا جبالِ أوّبي))..... 63
305	معنى ((وقدّر في السرد))..... 64
308	معنى ((وقُدورِ راسيات))..... 65
311	معنى ((وقدّرنا فيها السير))..... 66
314	معنى ((بيور))..... 67
316	معنى ((جُدَد))..... 68
319	معنى ((غرايب))..... 69
322	معنى ((فأغشيناهم))..... 70
327	معنى ((فعززنا))..... 71
330	معنى ((كالعرجون القديم))..... 72
334	معنى ((ولهم ما يدعون))..... 73
338	معنى ((وامتازوا))..... 74
341	معنى ((جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً))..... 75
345	معنى ((دحوراً))..... 76
348	معنى ((شهاب ثاقب))..... 77
351	معنى ((يستسخرون))..... 78
354	معنى ((نزلاً))..... 79
357	معنى ((جعلناها فتنة))..... 80
361	معنى ((شوباً من حميم))..... 81
364	معنى ((و تلهّ للجبين))..... 82

الصفحة	الموضوع
366	معنى ((و هو مُلِيم))..... 83
369	معنى ((فبذناه بالعراء))..... 84
372	معنى ((ذو الأوتاد))..... 85
376	معنى ((الصفانات))..... 86
379	معنى ((وآخر من شكله أزواج))..... 87
381	معنى ((فسلكه ينابيع))..... 88
383	معنى ((متشاكسون))..... 89
387	معنى ((مقاليد))..... 90
390	معنى ((الطَّوْل))..... 91
392	معنى ((الآزفة))..... 92
395	معنى ((من أكمامها))..... 93
398	معنى ((يذرؤكم فيه))..... 94
403	معنى ((مقرنين))..... 95
406	معنى ((يظهرون))..... 96
409	معنى ((آسفونا))..... 97
412	معنى ((وإنه لعلم للساعة))..... 98
416	معنى ((مبلسون))..... 99
419	معنى ((خذوه فاعتلوه))..... 100
421	معنى ((على شريعة))..... 101
424	معنى ((جاثية))..... 10

الصفحة	الموضوع	
		2
427	معنى ((أثارة من علم))	10
		3
430	معنى ((عارضاً))	10
		4
432	معنى ((حتى تضع الحرب أوزارها))	10
		5
440	معنى ((عرّفها لهم))	10
		6
443	معنى ((آسن))	10
		7
446	معنى ((و لن يتركم))	10
		8
450	معنى ((و كفّ أيدي الناس عنكم))	10
		9
454	معنى ((لو تزيّلوا))	11
		0
457	معنى ((فآزره))	11
		1
460	معنى ((لَعْنُكُمْ))	11
		2
463	معنى ((و لا تنابزوا بالألقاب))	11
		3
467	معنى ((مريج))	11
		4
471	معنى ((باسقات))	11
		5

الصفحة	الموضوع	
473معنى ((قعيد))	11 6
476معنى ((فراغ إلى أهله))	11 7
478معنى ((ذَنوباً))	11 8
482معنى ((يدعون))	11 9
486معنى ((و لا تأثيم))	12 0
490معنى ((ريب المنون))	12 1
493معنى ((شديد القوى))	12 2
497معنى ((قاب قوسين))	12 3
500معنى ((أكدى))	12 4
503معنى ((و أن سعيه سوف يرى))	12 5
506المراد بـ((الشعري))	12 6
509معنى ((منهمر))	12 7
512معنى ((كذاب أشر))	12 8
515معنى ((مستطر))	12 9

الصفحة	الموضوع	
519 معنى ((ذو العصف))	13 0
522 معنى ((فبأي آلاء ربكما تكذبان))	13 1
525 معنى ((من مارج))	13 2
530 معنى ((المنشآت))	13 3
533 معنى ((وردة كالدهان))	13 4
538 معنى ((حميم آن))	13 5
541 معنى ((نضاختان))	13 6
543 معنى ((عبقري حسان))	13 7
546 معنى ((و بُسَّتِ الجبال بسّاً))	13 8
552 معنى ((على سررٍ موضونة))	13 9
555 معنى ((عُرْباً))	14 0
562 معنى ((شُرْبَ الهيم))	14 1
566 معنى ((تَفَكَّهُون))	14 2
570 معنى ((لَمُغْرَمون))	14 3

الصفحة	الموضوع	
574 معنى ((للمُتقين))	14 4
581 معنى ((غير مدينين))	14 5
585 معنى ((ألم يأن))	14 6
588 معنى ((إلا ابتغاء رضوان الله))	14 7
592 معنى ((يعودون لما قالوا))	14 8
598 معنى ((أو جفتم))	14 9
601 معنى: تلقون وتسرون بالمودة	15 0
604 معنى ((ظاهرين))	15 1
608 معنى ((يحمل أسفاراً))	15 2
612 معنى ((اتخذوا أيمانهم جنة))	15 3
616 معنى ((فتنة))	15 4
621 معنى ((من وجدكم))	15 5
624 معنى ((قوا أنفسكم وأهليكم ناراً))	15 6
629 معنى ((توبةً نصوحاً))	15 7

الصفحة	الموضوع	
638 معنى ((تفاوت))	15 8
642 معنى ((مناكبها))	15 9
645 معنى ((سنسمه على الخرطوم))	16 0
650 معنى ((كالصريم))	16 1
654 معنى ((ليزلقونك))	16 2
658 معنى ((غسلين))	16 3
662 معنى ((المعارج))	16 4
666 معنى ((دياراً))	16 5
669 معنى ((فزادوهم رهقاً))	16 6
673 معنى ((القاسطون))	16 7
676 معنى ((و أن المساجد لله))	16 8
682 معنى ((و تبتل إليه تبتيلاً))	16 9
687 معنى ((أخذاً وبيلاً))	17 0
690 معنى ((و ثيابك فطهر))	17 1

الصفحة	الموضوع	
697 معنى ((نسوي بنانه))	17 2
702 معنى ((فاقرة))	17 3
706 معنى ((أمشاج))	17 4
711 معنى ((مستطيراً))	17 5
715 معنى ((أقنت))	17 6
719 معنى ((كفاتاً))	17 7
723 معنى ((المعصرات))	17 8
727 معنى ((مفازا))	17 9
731 معنى ((والنازعات غرقا))	18 0
737 معنى ((في الحافرة))	18 1
740 معنى ((شأن يغنيه))	18 2
743 معنى ((كشطت))	18 3
747 معنى ((بعثرت))	18 4
750 معنى ((المطففين))	18 5

الصفحة	الموضوع	
754	معنى ((ومزاجه من تسنيم))	18
		6
758	معنى ((الشفق))	18
		7
764	معنى ((الطارق))	18
		8
768	الضريع والغسلين	18
		9
772	معنى ((في كبد))	19
		0
776	معنى ((دساها))	19
		1
780	معنى ((سجى))	19
		2
784	معنى ((وضعنا عنك وزرك))	19
		3
788	معنى ((أسفل سافلين))	19
		4
792	معنى ((الزبانية))	19
		5
795	معنى ((القدر))	19
		6
800	معنى ((كعصف مأكول))	19
		7
803	معنى ((حمالة الخطب))	19
		8
807	معنى ((الصمد))	19



الصفحة

الموضوع

	9
816	الخاتمة.....
821	الفهارس.....
822	فهرس الآيات القرآنية.....
851	فهرس الأحاديث.....
853	فهرس الأشعار.....
854	فهرس الأعلام.....
859	فهرس الأماكن والبلدان.....
861	فهرس المصادر والمراجع.....
881	فهرس الموضوعات.....